المركز القومى للترجمة

منى بيكر

الترجمة والصراع

حكاية سردية

ترجمة: طارق النعمان

3148

الترجمة والصراع

حكاية سردية

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 3148
- الترجمة والصراع: حكاية سردية
- منى بيكر
- طارق النعمان
- الطبعة الأولى 2018

هذه ترجمة كتاب:
Translation and Conflict: A Narrative Account
By: Mona Baker

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

الترجمة والصراع

حكاية سردية

تأليف: منى بيكر

ترجمة وتقديم: طارق النعمان

2018

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

بيكر، منى.
الترجمة والصـــراع: حكاية سردية/ تأليف: منى بيكـــر، ترجمة وتقديم: طارق النعمان.
ط ١ – القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٨
٤٠٠ ص، ٢٤ سم
١- السرد الأدبى
٢- الترجمة
(أ) النعمان، طارق (مُترجم ومُقدم)
(ب) العنوان ٨٠٨,٩٢٣

رقم الإيداع: ٢٣٨٨٦ /٢٠١٧.
الترقيم الدولى: I.S.B.N - 978 - 977 - 92 - 1269 - 2
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

إهـــداء

إلى سناء وزينب

المؤلفة

السفينة فى المرفأ تكون آمنة، إلا أن ذلك ليس هو ما تُصنَع من أجله السفن.

.... يريد المرء أن يتجنب... اندفاعًا يوتوبيًا يُظهِر كل الإنسانية وهى مبتهجة فى اتصال متسامح ومتناغم عبر كل مسارات الاختلاف، أو اندفاعًا بائسًا يندب عالمًا تستنسخه وسائل الإعلام الغربية أو تُسيِّره إساءة الفهم والنوايا السيئة.

Pratt 1987: 61

المحتويات

الفصل الخامس

فهم كيف تعمل السرديات: سمات السردية ٢

الفصل السادس

تأطير السرديات فى الترجمة

الفصل السابع

تقييم السرديات: النموذج السردي

مقدمة المترجم

الترجمة بين السرد والتأطير
وما بعد الكولونيالية

فى كتابها المتميز الترجمة والصراع: حكاية سردية، والمناهض والكاشف للعديد من آليات الهيمنة الاستعمارية وما بعد الاستعمارية فى مجال الترجمة، تحاول منى بيكر أن تُوسِّع نطاق النظرية ما بعد الكولونيالية فى دراسات الترجمة لتستوعب وتوظِّف كلاً من منجزات الدراسات السردية، خصوصًا فى سياقاتها المعرفية والسوسيولوجية والأنثروبولوجية، على نحو ما يمكن أن نجد لدى كل من ماكنتاير، وفيشر، وبرونر، وسواهم، والمنجز الخاص بما أصبح يُعرف بدراسات التأطير المنطلقة من أعمال إرفنج جوفمان والتى يتم توظيفها بشكل لافت فى كل من دراسات الخطاب السياسى والحملات الانتخابية، وخصوصًا فى دراسات الميديا والإعلام. وهى، فى هذا السياق، تكشف لنا عن الأدوار المختلفة التى تلعبها السرديات القارة فى النصوص المترجمة أو تلك المنتمى إليها المترجِم، وموقعه من السرديات التى تتم ترجمتها والكيفيات التى تؤطر بها أحداث معينة، خصوصًا فى ظل قدرة اللغة على الإحالة على أكثر من إطار فى آن واحد، أو على أطر كثيرًا ما تكون متصارعة، حيث يحيل كل إطار على سردية مغايرة وربما نقيضة أو مناقضة للسردية أو السرديات الأخرى، بقدر ما تلعب السرديات ذاتها من أدوار فى عمليات التأطير والكيفيات التى تؤطر بها الوقائع. ومن ثم؛ فإنها تدفعنا إلى التفكير فى الدور الذى تلعبه انتماءاتنا، ومواقعنا الأيديولوجية، ونحن نترجم، كما تدفعنا إلى التساؤل عما إذا كنا نترجم انطلاقًا من السرديات التى ننتمى إليها أم من خلال السرديات المُضمَّنة فى النصوص، أم انطلاقًا من سرديات القراء المحتملين،

أم من سرديات من نتوسط بينهم بالترجمة، خصوصًا فى حالات الترجمة الفورية، وما قد يعنيه الانحياز لصالح سردية على حساب سردية أو سرديات أخرى.

لذلك سنحاول فى هذا السياق التعريف بمفهوم النموذج السردى، على نحـو ما طرحه والتر فيشر والأدبيات التى ينطلق منهـا ويمثلهـا، لننتقـل بعـد ذلـك لاستعراض مفهوم التأطير كما طرحه إرفنج جوفمان وبعض تطوراته لدى جورج ليكوف. وهذا لسببين: الأول أنهما مفهومان من أكثر مفـاهيم الكتـاب محوريـة وتوظيفًا، وتتبنى عليهما فصول الكتاب بشكل واضح، والثانى هو أنه على الـرغم من الوفرة النسبية للدراسات الخاصة بالنظرية السردية فى سياقاتها الأدبية واللغوية فى العربية سواء على مستوى التأليف أو الترجمة؛ فإنه لا يوجد فى حدود ما أعلم بالعربية أى تعريف بمفهوم النموذج السردى، أو بمـا أصـبح يُعـرف بـالتحول السردى، أو الانقلاب السردى، على الرغم من أهمية هذه الأدبيـات فـى مجـال الإنسانيات بعامة، وفى مجال الدراسات الاجتماعية والأنثربولوجيـة علـى وجـه الخصوص، إذ يوجد نوع من الصمت والإغفال غير المبررين من قبل المـشتغلين فى هذه المجالات، على الرغم مما مضى على ظهور هذه الأدبيات من زمن.

كما أن مفهوم التأطير لم يُقدَّم، فى حدود علمى أيضًا إلا من خـلال كتـاب واحد مترجم، هو كتاب لا تفكر فى فيل لجورج ليكوف، على الرغم مـن أهميـة المفهوم وكثرة الدراسات المنطلقة منه، وتحوله إلى مقاربة محورية فى دراسـات الخطاب السياسى والخطاب الإعلامى، ودراسة الحملات الانتخابية، وسواها.

١) إرهاصات النموذج السردى:

لا شك أننا نحيا فى عالم حافل بالسرد، عالم ملؤه الـسرد والحكايـات والقص، ولم ولن يكف عن الحكى. إذ كما تقول باربار هـاردى فإننـا "نحلم بالسرد، ونعيش أحلام اليقظة بالسرد، ونتذكر، ونستبق، ونأمل، ونيأس، ونعتقد، ونشك، ونُخطِّط، ونراجع، وننتقد، ونبنـى، ونغتـاب،

ونتعلم، ونكره، ونحب بالسرد. ولكى نحيا بالفعل، فإننا نؤلف قصصًا عن أنفسنا وعن الآخرين، عن الماضى والمستقبل الشخصى، وكذلك عن الماضى والمستقبل الاجتماعى.''

(Hardy 1968: 5)

ولذا ليس غريبًا أن نجد آلسادير ماكنتاير يُقرِّر بكل هذا الحسم أن'' الإنسان فى أفعاله وممارساته، وكذلك فى قصصه هو بالأساس حيوان حكاء.''

(MacIntyre 1981: 216)

وطبقًا لبارت، فإن ''سرديات العالم لا حصر لها. وأولاً وقبل كل شىء، فإن السرد يمثل تشكيلة مدهشة من الأنواع، وهذه الأنواع ذاتها تتوزع بين مواد مختلفة – كما لو كانت أى مادة من هذه المواد مُهيَّئة لتلقى قصص الإنسان. فهو قادر على أن يُنقل عبر اللغة الملفوظة، المنطوقة أو المكتوبة، وعبر صور ثابتة أو متحركة، وعبر الإيماءات الجسدية، وعبر المزج المُنظَّم لكل هذه المواد؛ فالسرد حاضر فى الأسطورة، والخرافة، والأمثولة، والحكاية، والأقصوصة، والملحمة، والتاريخ، والمأساة، والدراما، والملهاة، والمسرح الإيمائى، والرسم، (ولنتذكر رسوم قصص حياة القديس أورسولا للفنان كاريكاشيو)، والقصص المرسومة على زجاج النوافذ، والسينما، والرسوم الهزلية، والأخبار المُصوَّرة، والمُحادثة. وعلاوة على ما يندرج تحت هذا التنوع اللامحدود من الأشكال، فإن السرد حاضر فى كل زمان، وفى كل مكان، وفى كل مجتمع؛ فهو يبدأ مع تاريخ النوع الإنسانى ذاته. فلا يوجد شعب فى مكان من الأماكن إلا وله سرده. فلكل الطبقات، ولكل الجماعات الإنسانية سردياتها، متعة يشترك فيها أناس من خلفيات ثقافية مختلفة وربما حتى متعارضة. ولأن السرد لا يؤمن بتقسيم الأدب إلى أدب جيد ورديء، فإنه عالمى، وعبر تاريخى، وعبر ثقافى: إنه ببساطة يوجد مثلما توجد الحياة ذاتها.'' (Barthes 1977: 79)

وفق هذا التشخيص الاحتفائى وشبه الإحاطى لبارت، يبدو السرد كونيًا، عابرًا للأزمنة والأمكنة، عابرًا للتاريخ والثقافات والمجتمعات والطبقات، حاضرًا عبر كل الأنواع التى يمكنه اختراقها والحضور عبرها، لا يجد وسيطًا يمكنه أن

ينفذ منه إلا ويتلبسه ويتسلل ويتسرب منه، إنه كلى الحضور، وموجود فى كل مناحى وتجليات هذا الوجود. ولهذا لعله يمكننا أن نقول إنه لا ينافس السرد كآلية معرفية كونية وكلية الوجود سوى الاستعارة فى كونيتها وكلية وجودها، ولا شك أن كليهما على متصل؛ بل إن ثمة استعارات عديدة ليست شيئًا آخر فى حقيقية الأمر سوى كونها سرديات مكثفة للغاية، ناهينا عن الأمثال التى هى استعارات بقدر ما هى سرديات؛ إذ كما ينبئنا فالتر بنيامين بألمعيته المعتادة أنه ''**يمكن للمرء أن يقول إن المثل ليس إلا طللاً يقف شاهدًا على قصة قديمة**'' **(Benjamin 1968: 108)**.

لكن من أين يأتى السرد، وأين يكمن؟ هل يأتى من عالم القصص الخيالى تمامًا؛ أم أنه قابع هناك فى رحم الحياة وفى رحم الكلمة التى تصوغها وتشكلها؟

إن كينيث بيرك، من قبله، يرى أننا مولودون من رحم الحديث الدائر والذى لم يتوقف على امتداد التاريخ. وهو لكى يُجسِّد ويُمسرح لنا علاقتنا بالحكى والحديث، يقدم لنا هذا التمثيل الدرامى البسيط الذى ينقله لنا فيشر فى مقاله الشيق ''**السرد بوصفه نموذجًا للتواصل الإنسانى**'':

> **''تخيل أنك تدخل قاعة. وقد وصلت متأخرًا. وحين وصلت، كان هناك كثيرون قد سبقوك من فترة طويلة، وانخرطوا فى نقاش محتدم، نقاش مشتعل جدًا إلى حد أنه لا يمكنهم أن يوقفوه ليقولوا لك ما يدور بالضبط. وفى الحقيقة، فإن النقاش قد اندلع بالفعل قبل أن يصل أى منهم إلى هناك بفترة طويلة، بحيث إنه ما من أحد من الحضور مؤهل أن يقتفى لك كل ما دار من خطوات سابقة. فتنصت لفترة، إلى أن تُقرِّر أنك قد التقطت مغزى الجدل؛ ومن ثم تُدلى بدلوك. أحدهم يجيب، وترد عليه؛ ينحاز آخر للدفاع عنك، وينحاز آخر ضدك، إما لإحراج خصمك أو لإرضائه، اعتمادًا على نوعية مساعدة حليفك. ومع ذلك، فإن النقاش غير قابل للانتهاء. وتتأخر الساعة، إذ يجب أن تغادر. وتغادر، والنقاش لا يزال محتدمًا.''**
>
> **(Fisher 1984: 7)**

وإذا كان هذا ما يقوله بيرك عن الحديث وعلاقتنا بالحديث، فإن الجاحظ يورد فى بيانه وتبيينه ما يؤكد قيمة ومحورية الحديث بالنسبة للبشر، إذ إننا لسنا

فقط مولودين من رحم الحديث على نحو ما هو لدى بيرك فى فلسفة الشكل الأدبى، بل إن البشر ليسوا شيئًا آخر سوى كونهم أحاديث، ليتحول الحديث إلى هوية بشرية أو كوجيتو يمنح البشر كينونتهم وماهيتهم، بل وحتى هويتهم. إذ وفق ما يورده الجاحظ؛ فإن **''الناس أحاديث، فإن استطعت أن تكون أحسنهم حديثًا فافعل''** **(الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢ ، ص ٧٥)**

ونجد من يصوغ التيمة ذاتها شعرًا

وكن أحدوثة حسُنَتْ فإنى رأيتُ الناس كلَّهمُ حديثًا

وقال آخر:

أرى الناس أحدوثة فكونى حديثًا حسن

(الراغب الأصفهانى: ٤٥١/١)

أمّا أبى حيان التوحيدى؛ فيصف الحديث بأنه موضوع للشهوة والاشتهاء والتلذذ والإمتاع كما نجد أنه لا ينفصل عن العقل ولا يتعارض معه ''... ورجعنا إلى الحديث فإنه شهى، سيما إذا كان من خطرات العقل قد خُدِم بالصواب فى نغمة ناغمة، وحروف متقاومة؛ ولفظٍ عذب، ومأخذٍ سهل؛ ومعرفة بالوصل والقطع، ووفاء بالنثر والسجع؛ وتباعدٍ من التكلف الجافى، وتقاربٍ فى التلطف الخافى، قاتل الله ذا الرمة حيث يقول:

لها بشرٌ مثل الحرير ومنطقٌ رخيم الحواشى لا هراءٌ ولا نزر''

(أبو حيان التوحيدى، الإمتاع والمؤانسة،

ج١، ص ٢٢)

ثم نجد بعد ذلك اللعب على هذا الازدواج الدلالى، والتعدد الدلالى لكلمة ''الحديث'' ما بين الدلالة على الكلام والمحادثة والحكى، والجِدَّة:

> **''قلتُ، ولهذا قال خالد بن صفوان حين قيل له: أتَملُّ الحديثَ؟ قال: إنما يُملُّ العتيقُ، والحديث معشوق الحس بمعونة العقل، ولهذا يولع به الصبيان والنساء، فقال: وأى معونة لهؤلاء من العقل ولا عقل لهم؟**

قلت: ههنا عقلٌ بالقوة وعقلٌ بالفعل، ولهم أحدهما وهو العقل بالقوة، وههنا عقلٌ متوسط بين القوة والفعل مزمع، فإذا برز فهو بالفعل، ثم إذا استمر العقل بلغ الأفق؛ ولفرط الحاجة إلى الحديث ما وضع فيه الباطل، وخلط بالمحال ووصل بما يعجب ويضحك ولا يؤول إلى تحصيل وتحقيق، مثل هزار أفسان وكل ما دخل فى جنسه من ضروب الخرافات؛ والحس شديد اللهج بالحادث والمُحدث والحديث، لأنه قريب العهد بالكون، وله نصيب من الطرافة. ولهذا قال بعض السلف: "حادثوا هذه النفوس فإنها سريعة الدثور"، كأنه أراد اصقلوها واجلو الصدأ عنها، وأعيدوها قابلةً لودائع الخير، فإنها إذا دثرت – أى صدئت، أى تغطت؛ ومنه الدثار فوق الشعار – لم ينتفع بها؛ والتعجب كله منوطٌ بالحادث''.

(التوحيدى، الإمتاع والمؤانسة،
ج١، ص ص ٢٢-٢٤)

هكذا يقترن مصطلح الحديث بالحكى والقص والسرد على نحو لا لبس فيه لدى أبى حيان من خلال هذه الإشارة الصريحة من أبى حيان إلى هزار أفسان، وهى إشارة واضحة إلى ألف ليلة وليلة. كما تؤكد الدراسة الرصينة التى أجراها خيرى دومة من خلال العديد من الشواهد التراثية المختلفة والمتنوعة على هذه الدلالة التى يحيل فيها الحديث والأحاديث على القص والحكى والسرد. (انظر دومة: أنت، الفصل الأول). إلا أن اللافت لدى أبى حيان هو هذا الانتباه الألمعى لحسية الحديث وارتباطه بالحواس، وكونه على حد عبارته وصورته البالغة الدلالة فى إيحاءاتها ''**معشوق الحواس**'' التى تبدو فيها علاقة الحديث بالحواس علاقة شوق واشتياق وتحفز، وكأنها علاقة شبقية وشهوية بامتياز. واللافت أيضًا فى تمثيل التوحيدى فى هذا النص البديع، هذا التناغم القائم أو هذا التصالح والتجاوب ما بين الحديث والحواس والعقل، دون أن نكون إزاء ثنائية ضدية تناقض بين الجسدى والعقلى، أو الذهنى والحسى، على نحو ما نجد مثلاً فى الأدبيات الديكارتية. (انظر ليكوف، الفلسفة فى الجسد، خصوصًا الفصل الخاص بديكارت).

وإذا ما انتقلنا من بيرك، والتراث العربى، إلى آلسادير ماكنتاير فى كتابه التأسيسى ''**بعد الفضيلة**'' سنجد أنه يمتد بالخط ذاته الذى مضى فيه بيرك ومن

قبلهما فالتر بنيامين؛ (انظر بنيامين: الحكواتى) ليطوره؛ إذ يرى أن وحدة الذات كذات تكمن وتقطن فى ''**وحدة السردية التى تربط الميلاد بالحياة بالموت بوصفها سردية لها بداية ووسط ونهاية.**'' (MacIntyre 1981: 205) وبناء عليه، ''**كم هو طبيعى أن نفكر فى الذات بأسلوب سردى**'' (ibid: 206) وأن نرى المحادثات بشكل خاص والأفعال الإنسانية بعامة بوصفها سرديات مؤداة أو إنجازية. فالسرد، وفق هذا الطرح، ليس من عمل الشعراء، ولا الدراميين، ولا الروائيين المتأملين فى الأحداث التى ليس لها نظام سردى قبل النظام الذى فرضه الروائى أو الأديب. إذ ليس السرد مجرد مظهر أو حلية وزينة، بل إننا نحيا بالسرديات. فإذا كان جورج ليكوف ومارك جونسون قد صاغا هذا العنوان ''**الاستعارات التى نحيا بها**''، فإننا مع ماكنتاير ومن قبله فالتر بنيامين، وبروك، وباربارا هاردى، وفيشر وبرونر، وسومرز، وبالطبع وايت هيدن وبول ريكور، وسواهم كثيرون يمكننا أن نستبدل بـ ''**الاستعارات التى نحيا بها**'' ''**السرديات التى نحيا بها**''. إذ كما يقول لنا ماكنتاير ''**ولأننا جميعًا نحيا السرد فى حيواتنا ولأننا نفهم حيواتنا الخاصة بناء على السرديات التى نحياها فإن شكل السرد ملائم لفهم أفعال الآخرين. فالقصص تُعاش قبل أن تُحكى – فيما عدا حالة القص.**'' (ibid: 212) ولا أدل على هذا من تعبيراتنا المتداولة فى حيواتنا اليومية؛ تعبيرات من قبيل (إن فلانًا يعيش قصة حب، أو إنها تعيش قصة حب، أو أنه يعيش قصة نجاح لا نظير لها، أو أن حياته قصة كفاح، أو أنه على أبواب قصة حب، أو من بطلة قصة حبه؟ أو إنه يعيش الفصل الأخير فى هذه العلاقة، أو ما قصتك؟.. إلخ).

إننا، وكما يرى ماكنتاير ''**ندخل على خشبة مسرح ليست من تجهيزنا، ونجد أنفسنا جزءًا من أحداث ليست من صنعنا. ليجد كل منا نفسه شخصية رئيسية فى دراماه الخاصة ويلعب أدوارًا ثانوية فى درامات الآخرين، وكل دراما تقيد الدرامات الأخرى.**'' (ibid: 213)

وفق هذا يفهم ماكنتاير الذات بوصفها سردية؛ ذلك أن الهوية الشخصية هى فحسب تلك الهوية التى تفرضها سلفًا وحدة الشخصية التى تتطلبها وحدة السردية **the unity of a narrative**. وبدون مثل تلك الوحدة لن تكون هناك ذوات يمكن أن

تُحكى عنهم قصص. ذلك أن الذات سردية، وهذه الذات السردية **narrative selfhood** ليست فقط قابلة للحكى بل إنها تستطيع أن تطلب من الآخرين أيضًا أن يحكوا لأنها باختصار جزء من قصتهم كما أنهم جزء من قصتها. إن سردية أى حياة هى جزء من مجموعة متشابكة من السرديات. وعلاوة على ذلك، فإن هذا الطلب ذاته لحكايات وتقديم الحكايات يلعب دورًا مهمًا فى تشكيل السرديات.

> **إن سؤالك ماذا فعلتَ ولماذا، وقول ما فعلتُه ولماذا، وتدبر الاختلافات بين حكايتك أنت لما فعلتَ أنا وحكايتى أنا لما فعلتُ أنا، والعكس بالعكس، تعد مكونات أساسية لكل السرديات عدا السرديات الأبسط جدًا والأكثر تجريدًا للغاية. وهكذا بدون إمكانية الحكى للذات، فإن سلاسل الأحداث تلك التى تشكل الكل عدا السرديات الأبسط جدًا والأكثر تجريدًا للغاية لا يمكنها أن تقع؛ وبدون تلك الإمكانية ذاتها لحكى السرديات ستفتقر تلك الاستمرارية المطلوبة لتجعلها هى والأحداث التى تشكلها مفهومة.**

(ibid: 218)

إن هذا الطرح لدى ماكنتاير، وخصوصًا مفهوم الذات السردية، هو الذى طوره ريكور بعد ذلك فى الجزء الثالث من "**الزمن والسرد**"، ثم فى ''**الذات بوصفها آخر**'' ليولد منه مفهوم الهوية السردية بوصفها شرط إمكان الذات. ولعلنا نستطيع أن نقول إن طرح ماكنتاير وريكور قد مهدا السبيل لفيشر وبرونر ليطرحا تصوراتهما عن السرد والسردية. إن السرديات لا تشكل الأفراد فحسب، بل إنها أيضًا تُشكل الجماعات والأمم، ولذا ليس غريبًا أن نجد هومى بابا يؤكد لنا فى هذا الكتاب الذى أشرف على تحريره يختار هذا العنوان السجعى الإيقاعى **Nation and Narration** الذى يشى بمدى وثاقة الصلة ما بين الأمة والسرد، وكأن حروف كلمة الأمة المتضمنة والمحتواة فى حروف كلمة السرد هى فى حد ذاتها تمثيل لتولد الأمم من رحم السرديات التى تشكلها وتحيا عليها. ولذلك فإن ''**الأمم، مثلها مثل السرديات، تفقد أصولها فى أساطير الزمن**'' (**Bahbha 1990: 1**) ولذا ليس غريبًا أن نجد بابا يلفتنا

إلى أن ''دراسة الأمة من خلال خطابها السردى لا تلفت الانتباه فحسب إلى لغته وبلاغته؛ بل إنها تحاول أيضًا أن تحوّل الموضوع التصورى ذاته.'' (ibid : 3) إذ من مثل هذه المواقع السردية بين الثقافات والأمم، والنظريات والنصوص، والسياسى، والشعرى والتصويرى، والماضى والحاضر، يسعى الأمة والسرد إلى تأكيد وتمديد مبدأ فرانز فانون الثورى الماثل فى أن: 'الوعى القومى، الذى لا يعنى القومية، هو الشىء الوحيد الذى سيمنحنا بعدًا عالميًا''. (ibid : 4) وبهذ المعنى يكون الوعى بسردياتنا وسرديات الآخر هو ما يجعل منا هويات سردية فى حالة تشكل وإنجاز. ومن ثم يمكننا أن نقول إنه لا ينبغى لنا أن نذوب جميعًا فى سردية واحدة كسردية العولمة، أو الحرب على الإرهاب، أو صدام الحضارات، سردياتنا الخاصة مغفلين سرديات الآخرين، والسرديات المنسوجة حول سردياتنا؛ وإنما علينا أن نعى سردياتنا وسرديات الآخرين وندعوها للتفاوض والمفاوضة وربما إعادة الكتابة المتبادلة، دون أن نغرق فى أى سردية من سرديات التفوق العرقى أو الدينى أو الطائفى أوالإثنى أو اللغوى أو الجندرى أو سواها.، إذ علينا كأمم أن نحاول أن ندرك، كما يقول هومى بابا، آفاق سردياتنا وما تفضى إليه؛ إلا أن الأمر فى الحقيقة ليس بهذا القدر من السهولة، وهو ما ينبهنا إليه أيضًا هومى بابا حيث يقول: ''إن الأمم، مثلها مثل السرديات، تفقد أصولها فى أساطير الزمن، ولا تدرك آفاقها إدراكًا كاملاً إلا إذا نظرت إليها بعين العقل. إلا أن مثل هذه الصورة للأمة – أو السردية – قد تبدو رومانسية بصورة مستحيلة واستعارية إلى حد بعيد.'' (ibid: 1) وهو ما يعنى أننا منغمسون فى سردياتنا إلى حد يتطلب منا ألا نكف عن مساءلتها ومفاوضتها.

٢) من نموذج العالم العقلانى إلى النموذج السردى:

إن النموذج السردى كما يطرحه والتر فيشر سبقته إرهاصات عديدة مهمة لم يتسع السياق للوفاء بها جميعًا، ومن ثم فقد توقفنا إزاء الطرح الأبرز فيما يطلق

عليه التحول السردى. وهو طرح ماكنتاير؛ خصوصًا أن أغلب المستفيدين منه لا يحتفون به الاحتفاء الواجب. وإن كنا نأمل أن يتسع الوقت لتخصيص عمل مستقل لدراسة واستعراض علاقات السرد بالحياة والعلم، والآخر فى ظل ما صار يُعرف بالتحول السردى.

إن نموذج العالم العقلانى الذى يحاول فيشر تجاوزه نموذج مألوف للغاية لأنه هو النموذج الأساس للتفكير الغربى منذ أرسطو وإلى الآن. وهو يفترض سلفًا هذه المجموعة من الفرضيات:

(١) أن البشر بالأساس كائنات عاقلة.

(٢) أن الأسلوب النموذجى لاتخاذ القرار والتواصل الإنسانى يتمثل فى بنى حجاج استدلالية (استلزامية) واضحة المعالم.

(٣) أن مسار الحجة تحكمه مقتضيات المواقف – القانونية، العلمية، التشريعية، الجماهيرية وما إلى ذلك.

(٤) أن العقلانية تُحدِّدها المعرفة بالموضوع، والقدرة الحِجاجية، والمهارة فى توظيف قواعد الدفاع فى حقول معينة.

(٥) أن العالم عبارة عن مجموعة من الألغاز المنطقية التى يمكن أن تُحل من خلال تحليل ملائم واستخدام العقل المتصور بوصفه بنية حِجاجية.

بإيجاز، إن الحجة بوصفها مُنتَجًا وعملية هى الوسيلة لأن نكون بشرًا، إنها فاعلية الجميع التى يستطيع البشر أن يعرفوها ويدركوها فى تحقيقهم لغاياتهم. والأرضية الفلسفية التى ينطلق منها نموذج العالم العقلانى هى الإبستمولوجيا. ومواده اللغوية هى عبارة عن قضايا، وبراهين، وأدلة واضحة ذاتيًا، فهى عبارة عن التعبيرات اللفظية لمعرفة معينة ومحتملة.

لقد ظل النموذج العقلانى منذ ديكارت وإلى ما بعد النصف الثانى من القرن العشرين يهيمن على نماذجنا التصورية والتفسيرية ويقيم مجموعة من التعارضات والثنائيات الضدية الزائفة بين العقل فى مقابل الخيال، والحقيقة فى مقابل المجاز،

والعلم فى مقابل القيم؛ إلى آخر تلك الثنائيات السقيمة والممزقة لما يمكن أن ندعوه بالكلية الإنسانية.

وقد تمثّل الناتج النهائى لرؤى ديكارت، وبيكون وجون لوك، فى مذهب الوضعيين المنطقيين الذين ادعوا أنه ما من طرح يمكنه أن يدعى المعرفة ما لم يتم التحقق منه إمبريقيًا. وهو ما لزم عنه النظر إلى القيم بوصفها لا تعدو أن تكون نوعًا من الهراء. وبموجب ذلك، على نحو ما يخبرنا والتر فيشر، أصبح خطاب الخبراء التقنيين هو الشكل الوحيد الجاد والموثوق للتواصل الإنسانى. إلا أن مثل هذه الرؤى التى تنكر دور القيم فى المعرفة، وتفصل المنطق عن الخطاب اليومى، وتفضّل الخبراء وخطابهم عما عداه من خطابات قد وجدت من يناهضها من الفلاسفة والكتاب من أمثال برنشتاين، وجادامر، وهابرماس، ورورتى وسواهم. وقبل كل هؤلاء نجد كينيث بيرك الذى حاول أن يستعيد للوجوس زخمه وعمقه ودلالاته القديمة التى لا تفصل الفكر عن الحكى أو اللوجوس عن الميثوس. كما نجد أبا حيان الذى لا يفصل العقل عن الحكى أو الخرافات حتى عن العقل، على نحو ما يرد فى النص السالف، ولا يجعل العقل بمفهومه المنطقى هو أساس التواصل. وهو ما يمكن القول إن والتر فيشر يحاول أن يحييه ويستعيده من خلال استعادة علاقة الميثوس باللوجوس فى نموذجه السردى الذى يجعل منه نموذجًا للتواصل الإنسانى، بعيدًا عن لعبة التعارضات التقابلية، والثنائيات الضدية العقيمة.

إن والتر فيشر يشير بالسرد إلى نظرية الأفعال الرمزية – الكلمات و/أو الأفعال – التى لها عواقب ومعنى بالنسبة لأولئك الذين يعيشونها، أو يخلقونها أو يؤولونها. ولذا، فإن للمنظور السردى، لديه، صلة وثيقة بالعوالم الواقعية والمختلقة، وبقصص الحياة وقصص الخيال.

إن النموذج السردى يصر على أن يتم النظر إلى التواصل الإنسانى **''تاريخيًا وموقفيًا بوصفه قصصًا تتنافس مع قصص أخرى تشكلها أسباب وجيهة، وهى تكون عقلانية حين تلبى مطالب الاحتمالية السردية، والصدق السردى، وبوصفها لا محالة محفزات أخلاقية.'' (Fisher 1984: 2)**

إن فيشر، مثله مثل ماكنتاير، يرى البشر بوصفهم رواة حكايات، أو حكواتية storytellers – مؤلفين authors ومؤلفين مشاركين co-authors يقرؤون ويقيّمون بشكل إبداعى نصوص الحياة والأدب. إنه يتصور المؤسسات القائمة بوصفها تقدم ''حبكات'' "plots" دائمًا ما تكون فى عملية إعادة خلق وليس كسكريبتات؛ وهو يُشدِّد على أن البشر مشاركون كاملون فى صنع الرسائل، سواء كانوا فاعلين (مؤلفين) أو أفرادًا من الجماهير (مؤلفين مشاركين). (Fisher 1985: 87)

إن الفرضيات المسبقة التى تبنى النموذج السردى هى:

(١) البشر بصورة أساسية حكائون، أو حكواتية.

(٢) الأسلوب النموذجى لصنع القرار والتواصل الإنسانى هو ''الأسباب الوجيهة'' التى تتنوع فى الشكل بين مواقف التواصل، والأنواع، ووسائل الإعلام.

(٣) إنتاج وممارسة الأسباب الوجيهة تحكمهما الأمور الخاصة بالتاريخ، والترجمة الذاتية، والثقافة، والشخصية بجانب أنواع القوى.

(٤) العقلانية تتحدد بطبيعة الأشخاص بوصفهم كائنات سردية – وعيهم المتأصل بالاحتمالية السردية narrative probability، ما يشكِّل قصة متسقة، وعادتهم المطردة الخاصة باختبار الصدق السردى narrative fidelity، سواء كانت القصص التى يخبرونها تبدو متوافقة مع القصص التى يعرفون أنها صادقة فى حيواتهم أو لا.

(٥) إن العالم مجموعة من القصص التى يجب أن تختار من بينها لكى تحيا حياة جيدة داخل عملية من إعادة الخلق المتواصلة.

بإيجاز، إن الأسباب الوجيهة هى مادة القصص، إنها الوسيلة التى يدرك بها البشر طبيعتهم كحيوانات مُفكِّرة مُقيِّمة. والأساس الفلسفى للنموذج السردى هو الأنطولوجيا. ومواد النموذج السردى هى رموز، وعلامات التجسد، والأسباب الوجيهة، والتعبيرات التواصلية للواقع الاجتماعى. (Fisher 1984: 4)

إن النموذج السردى بطبيعته الاحتمالية التى لا تتطلب أكثر من منطق الأسباب الوجيهة المباطن له أكثر قدرة وانفتاحًا على تنظيم الخبرة الإنسانية مما عليه النموذج العقلانى بتعارضاته الحدية. وهو ما يُفسِّر قدرته على تفسير وملازمة أنشطتنا الإنسانية.

وكذلك يرى برونر فى كتابه الشيق عقول فعلية وعوالم ممكنة أنه يوجد أسلوبان للاشتغال المعرفى، أسلوبان للتفكير، كل منهما يقدم طرائق متمايزة لتنظيم الخبرة، لبناء الواقع. والاثنان (وإن كان متكاملين) لا يمكن تقليص أحدهما إلى الآخر. بل إن أى جهود تبذل لتقليص أحدهما إلى الآخر أو لتجاهل أحدهما على حساب الآخر ستفشل حتمًا فى الإمساك بالتنوع الثرى للتفكير.

إن كل طريقة من طرق المعرفة لها علاوة على ذلك مبادؤها العاملة الخاصة بها ومعايير تشكيلها الخاصة. بل إنها تختلف راديكاليًا فى إجراءات التحقق الخاصة بها. إذ إن القصة الجيدة والحجة المتشكلة جيدًا هما نوعان طبيعيات مختلفان. وكل منهما يمكن أن تُستخدم لإقناع الأخرى. ومع ذلك فإن ما تقنع به كل منهما يكون مختلفًا بشكل جوهرى: إن الحجج تقنع المرء بحقيقتها (بصدقها)، فى حين تقنع القصص بمشابهتها للحياة **their lifelikeness**. الأولى يتم التحقق منها باللجوء إلى الإجراءات الخاصة بإثبات الدليل الشكلى والإمبريقى. والثانية لا تثبت الحقيقة وإنما الاحتمال [الإمكان] **verisimilitude**. ويزعم أن الأولى هى عبارة عن إرهاف أو تجريد من الثانية. إلا أن هذا لايجب أن يكون زائفًا أو صادقًا إلا بأكثر الطرق جهالة فحسب.

إنهما يشتغلان بطرائق مختلفة، كما يُلاحظ، وبنية حجة منطقية متشكلة جيدًا يختلف اختلافًا راديكاليًا عن بنية قصة جيدة الصنع. إن كلاً منهما، ربما، تمثل تخصصًا أو تحويلاً لعرض بسيط، تتحول به تعبيرات عن الوقائع إلى تعبيرات تتضمن السببية. **(Bruner 1985 : 11)**

وإذا كان ريكور يرى أن القصص هى عبارة عن نماذج لإعادة وصف العالم، فإن برونر يرى أن ''**القصة ليست بذاتها هى النموذج. بل إنها، إن جاز القول، تمثيل لنماذج نحملها فى عقولنا.**'' **(ibid : 7)**.

هكذا، يبدو كل هذا الولع بالسرد، أو النزعة السردية لدينا التى تدفع واحــدًا مثل ماكنتاير إلى تعريف الإنسان بأنه حيوان حكّاء أو حكواتى أو راوٍ للقــصص، أو آخر مثل برونر أن يرى أن القصة تمثيل لنماذج نحملها فى عقولنـــا، أو فيــشر الذى يجعل السرد نموذجًا للتواصل الإنسانى بأسره، وقبل كل هؤلاء متفلسفًا مثــل التوحيدى أن يرى أن الحديث (بمعنى السرد والحكى) معشوق الحس بمعونة العقل، وأن الحديث (الحكى والسرد) يكاد يكون بمثابة ما يسميه التوحيدى بالعقل المتوسط (المزمع) الذى يحول العقل بالقوة إلى عقل بالفعل، هى وليدة خطاطة معرفية قارة وكامنة لدينا، وهى ما يمكن أن نطلق عليه الخطاطة السردية التى لا تكــف عــن تشكيلنا وتشكيل العالم من حولنا.

إن بيكر تفيد إفادة لافتة من طروح كل من ماكنتاير وفيشر وبرونر؛ وممــا يطلق عليه فيشر النموذج السردى، ولعل هذه المقتطفات السابقة تكون قــد كــشفت للقارئ منطلقات وفرضيات وطبيعة هذا النموذج وقيمته.

إن العقلانية السردية كما يطرحها فيشر فى مواجهة العقلانية التقليدية أو ما يطلق عليه نموذج العالم العقلانى تتمثل فى أننا إذًا كائنات سردية بامتياز، إذ إننــا أنفسنا سرديات، أو على حد رؤية التراث العربى أحاديــث، ومتلقــون ومنتجــون لسرديات، ومن خلال السرد تُبنى هوياتنا، ويُعاد بناؤها، حتى فى اللحظــات التــى يدور فيها الحديث عن عدم ثباتها وعن تحولاتها وعدم اكتمالها وانفتاحها، فإن كــل هذا يتم من خلال السرد والحكى وعبر سرديات وحكايات شتى، سواء كانت هــذه الحكايات والسرديات حكايات وسرديات كبرى وفق مصطلح ليوتار، مثل التنــوير والتقدم والعلم والتحرر والثورة وسواها والتى يرى ليوتار فى ''الوضع مــا بعــد الحداثى'' أنها قد أخذت تتراجع لصالح السرديات الصغرى (انظر ليوتار: الوضــع ما بعد الحداثى، ص ٢٧ وما بعدها)، أو كانت سرديات وحكايات صغرى تتزايــد وتتراكم معًا. ولذا فإن صراعاتنا ومواجهاتنا تُشكّلها وتُجسّدها وفرة من الــسرديات والحكايات التى نؤطر بها مواقفنا ومواقف من نــصارعهم ويــصارعوننا، أو مــا

يطلق عليه جيروم برونر التراكم السردى. إذ كما يقول، فإن ''**ما يخلق ثقافة، بالتأكيد، يجب أن يكون قدرة ''محلية'' على مراكمة قصص من أحداث الماضى داخل نوع ما من البنية المتتابعة تاريخيًا diachronic structure (Bruner 1991: 19) التى تتيح استمرارية داخل الحاضر – بإيجاز، أى التى تبنى تاريخًا، تراثًا، نظامًا قانونيًا، أدوات تؤكد الاستمرارية.**'' ذلك أن إحدى الطرائق المبدئية التى نعمل ''ذهنيًا'' بها بشكل مشترك تكون من خلال عملية التراكم السردى المتصل.

ويتساءل برونر كيف نُركِّب معًا قصصًا لنصنع منها كلاً من نوع ما؟ ويجيب بأن العلوم تنجز تراكمها من خلال الاستقاء من مبادئ عامة، ومن خلال ربط نتائج معينة بنماذج تفسيرية مركزية، ومن خلال بسط نتائج إمبريقية فى شكل يجعلها قابلة للاندراج تحت نماذج تفسيرية متبدلة ومن خلال إجراءات أخرى لا حصر لها لجعل العلم، على نحو ما يمضى القول، ''تراكميًا.'' وتساعد على هذا على نطاق عريض، بالطبع، الإجراءات الخاصة بضمان التحقق أو التثبت، وإن كانت معايير التحقق، كما نعرف، تحد إمكانية التطبيق كلما تعلق الأمر بالحالات القصدية الإنسانية، وهو ما يترك السيكولوجيا إلى حد ما على الحافة.

إن التراكم السردى ليس تأسيسيًا **foundational** بالمعنى الذى يستخدمه العلماء. ومع ذلك، فإن السرديات تتراكم، وكما يصر الأنثروبولوجيون، فإن التراكمات تبدع فى النهاية شيئًا يدعى بشكل متنوع ''ثقافة'' أو ''تاريخًا'' أو ''تقليدًا'' "**a tradition**". بل إن حتى حكايات أحداثنا العائلية فى حيواتنا تتحول فى النهاية إلى سير ذاتية أكثر أو أقل اتساقًا تدور حول ذات تسلك بشكل أكثر أو أقل غرضية فى عالم اجتماعى ما. كما أن الأسر تُبدِع بالمثل مدونة من الحكايات المتصلة والمشتركة وتبدأ دراسات إلينور أوشس **Elinor Ochs** عن حديث الأسرة حول مائدة العشاء فى إلقاء الضوء على كيف يُنجز هذا.

وكذلك ''تبتكر'' المؤسسات، أيضًا، كما نعرف من عمل إريك هوبسباوم **Eric Hobsbawm**، تقاليد من الأحداث الاعتيادية التى سبقت ثم تمنحها مكانة

متميزة. وتوجد مبادئ فى القضاء، مثل مبدأ مراعاة السوابق **stare decisis**، الذى يضمن التقليد من خلال تأكيد أنه ما أن يتم تأويل ''قضية'' بطريقة معينة، حتى يتم تأويل القضايا المستقبلية ''المشابهة'' والحكم فيها على النحو ذاته. وبقدر ما يحصر القانون على ذلك التراكم للقضايا بوصفها ''سوابق'' "**precedents**"، وبقدر ما تعد ''القضايا'' سرديات، يفرض النظام القانونى عملية التراكم السردى بشكل منظم.

إلا أن الغريب، وفق ما يرى برونر، أنه لم يجر على هذا الموضوع البديع إلا القليل من العمل حتى الآن، على الرغم من أنه توجد خيوط بين بعض الأنثروبولوجيين (المتأثرين مبدئيًا بكليفورد جيرتز) وبين المؤرخين (المدفوعين بعمل فوكو الرائد أركيولوجيا المعرفة). **(ibid, p., 17-18)**

وبهذا المعنى، فإن السرد ليس فقط شكلاً لتمثيل الواقع وإنما أيضًا لبنائه. وهو يعمل كأداة للعقل فى بناء الواقع. ولذا، فإن السرديات ليست مقصورة على عوالم الخيال، بل إنها تتخلل أنساقنا المعرفية ومؤسساتنا العلمية، والأكاديمية، والقانونية، والسياسية، والثقافية فضلاً عن اختراقها لحيواتنا اليومية، وسواها على نحو ما تشير الدراسات والخبرات والشواهد على حد سواء.

إن اختيار بيكر للمقاربة السردية، على حد ما تبئنا فى دراسة أخرى لها بعنوان ''إعادة تأطير الصراع فى الترجمة''، وليد نوع من التململ من، وعدم الرضا العام عن، الطروح والنظريات السائدة فى مجال الترجمة. إذ ترى ''أن نظرية المعيار تُشجِّع المحللين على أن يُركِّزوا على السلوك النسقى المُجرَّد المتكرر، ... وتميل إلى أن تتجاهل المحاولات الفردية والجماعية المهولة فى تقويض الأنماط المهيمنة والدوجما السياسية والاجتماعية السائدة. وكذلك، فإن نظرية المعيار ليس لديها ما تقوله عن أنماط التفاعل المعقدة بين أنماط السلوك المستقرة المتكررة والمحاولات المستمرة فى تقويض ذلك السلوك – أى التفاعل بين الهيمنة والمقاومة الذى يشكل جانبًا واحدًا من سلوك المترجم'' **(Baker 2007: 152)** .

كما أن نظرية المعيار لا تُولى سوى القليل من الانتباه للظروف السياسية والاجتماعية التى تُولِّد تلك الأنماط من الهيمنة والمقاومة لها. **(ibid.)** كذلك تنتقد

بيكر أيضًا طرح لورنس فينوتى لما ينطوى عليه من ثنائيات ضدية من قبيل التغريب فى مقابل التدجين أو التوطين، وما يترتب عليها من اختزال لما ينطوى عليه المشهد من تنوع. وفى مقابل ذلك تُشدد بيكر على ضرورة إدراك التموقع المتنوع، والمتحول بشكل مستمر للمترجمين الأفراد فى علاقاتهم بنصوصهم، ومؤلفيهم، ومجتمعاتهم، وأيديولوجياتهم المهيمنة. كما أن النظرية السردية لا تتسم بمقولات ماهوية واختزالية مثل العرق، والنوع، والإثنية، والدين؛ بل إنها تقر بالطبيعة القابلة للتفاوض باستمرار بالنسبة للواقع الاجتماعى والسياسى. فضلاً عما تتيحه لنا النظرية السردية من إدراك للتلاعب بسياسات الهوية، خصوصًا الإدراكات الماهوية للهوية، وما يترتب عليها. وهكذا ووفق ذلك يصبح على دارسى الترجمة أن يموقعوا المترجمين والمترجمين الشفاهيين الأفراد داخل نطاق السرديات التى يشاركون فيها والتى تُوجِّه سلوكهم فى العالم الواقعى – بما فى ذلك سلوكهم الخطابى كمترجمين و/أو مترجمين شفاهيين. وهذا لا يعنى تجاهل الواقعة الواضحة الخاصة بأن موقعنا فى مجتمع ثقافى، أو عرقى، أو دينى معين فى لحظة معينة من الزمن على الأرجح يؤثر على سلوكنا بطرائق مُحدَّدة. إلا أن النظرية السردية تقر بأن ذلك التأثير ليس حتميًا أو قابلاً للتنبؤ به. إذ أن يكون شخص ما فى هذه اللحظة من الزمن، على سبيل المثال، يهوديًا يمكن أن يعنى: (أ) دعمًا غير نقدى لإسرائيل والصهيونية؛ أو (ب) أى عدد من التنويعات على الدعم الحدى للسياسات الإسرائيلية الراهنة؛ أو (ج) رفض الهوية الذاتية كيهودى أصلاً وعدم الاهتمام بصراع الشرق الأوسط أيًا كان؛ أو (د) كما يحدث بشكل متزايد بين أقسام عريضة من المجتمع اليهودى، تحمل مسئولية خاصة لتصبح متضمنة بقوة فى أنشطة مُصمَّمة لتعرض وتُقوِّض المشروع الصهيونى. بل إن حتى التعريف الذاتى كيهودى لا يُنبئنا، إذًا كيف يسلك شخص معين فى العالم الواقعى، ولا يُفسِّر سلوكهم، ما لم نعرف شيئًا عن نوع السرديات التى يشتركون فيها أو يمكن أن يستنبطوها من الكيفية التى يسلكون بها والخطاب الذى ينتجونه. **(ibid: 153)**

ووفق ما تراه بيكر فإن السرديات ''**عبارة عن قصص يتوافق لنا أن نشارك فيها..إنها قصص مبنية زمنيًا وسببيًا بطريقة تتيح لنا أن نتخذ قرارات أخلاقية وأن نسلك فى العالم الواقعى'' (ibid: 154).**

إن سومرز، وسومرز وجيبسون تريان أن السرديات تتشكل من خلال أربع سمات معتمدة على بعضها البعض، وهى:

(١) الزمنية، وتعنى أن السرديات مغروسة فى الزمن والفضاء وتستقى الكثير من معناها من اللحظة الزمنية والموقع الفيزيقى للسرد.

(٢) العلائقية وتعنى أنه من المستحيل للعقل الإنسانى أن يشكل معنى لأحداث معزولة أو لأحداث متناثرة ليست مبنية كسردية. إذ إن كل عنصر فى سردية من السرديات يعتمد فى تأويله على مكانه داخل شبكة العناصر التى تُشكِّل السردية؛ كما أنه لا يمكن لها أن تُؤوَّل وهى معزولة.

(٣) الاستملاك الانتقائى: إذ فى ظل أنه من المستحيل أن تُنسَج قصة متسقة بواسطة تضمين كل تفصيلة من تفاصيل الخبرة؛ فإن السرديات تُبنى بالضرورة طبقًا لمعايير تقييمية تُمكِّن وتُوجِّه الاستملاك الانتقائى لمجموعة من الأحداث أو العناصر من الصف الهائل للأحداث المفتوحة النهاية والمتداخلة التى تُشكِّل الخبرة.

(٤) التحبيك السببى: إن التحبيك السببى ''**يمنح الدلالة للأمثلة المستقلة، ويتجاوز نظامها الزمنى والفئوى.**'' **(ibid: 155).**

وقبل أن ننتقل إلى مفهوم التأطير، فلنذكِّر القارئ بمدى فعالية السرد من خلال نموذج مألوف فى الثقافة العربية والإنسانية بعامة، لقد كان الحكى أو بالأحرى السرد، أو لنقل النموذج السردى بما هو نموذج للتواصل الإنسانى، والهوية السردية بما هى الهوية الوحيدة الممكنة لإنجاز البشر لأنفسهم وتحققهم وإمداد العالم بالمعنى، هما الدرع الذى نافحت وصدت به شهرزاد عن نفسها وعن بنات نوعها وعن الجنس البشرى كله خطر الفناء والموت، ولعله ليس من قبيل المصادفة هذا الاقتران الدلالى اللافت بين السرد والدرع.

لقد كان سرد شهرزاد هو الترياق الذى شفت به شهريار من سموم الخيانة التى استملكته واستحوذت على مجمل كيانه ونفسه، كما كان وسيلتها فى التسلل

إلى الزمن، وسيلتها إلى خلخلة الزمن وشق ثغرات فيه للسكنى فى فضائه عبر فضاء السرد. لقد كان حيلتها فى التأجيل والإرجاء، تعويذتها ورقيتها لعتق شهريار وطرد وصرف شروره، ومن ثم تحريره وتحريرها وتحرير العالم والإنسانية من سطوة ملك مجنون خانته امرأة فقرر الانتقام من النوع كله، عبر استيهام مجازى مغلوط، عبر إدراك مُضلِّل ومُعمِّم، إدراك ينطبق فيه على الكل ما ينطبق على الجزء، أو ينسحب فيه الجزء على الكل، أو لنقل يُعمَّم فيه على الجميع ما يصدق على فرد فى الفئة والنوع، أو تنسحب فيه سردية على كل ما عداها من سرديات.

ولعلنا لا نغالى إذا قلنا إن ألف ليلة وليلة عبارة عن أمثولة كبرى للطاقة والقوى التحريرية للسرد، أو إنها بالأحرى تنطوى على نظرية ضمنية لهذه الطاقة التحريرية للقص والحكى. إذ يمكن القول إنها بقدر ما تعد نصًا حافلاً بتقنيات السرد، فإنها تعد أيضًا نصًا مُجسِّدًا لوظائف السرد. ولعل أبرز ما يلفت القارئ فى نص الليالى بخصوص السرد هو هذا الربط الصريح والرهيف فى آن واحد بين السرد والحياة، وبين السرد والنجاة من الموت، أو بالأحرى بين إمكان السرد وإمكان الحياة. وكأن السرد هو شرط إمكان الحياة. فالسرد فى الليالى هو البطل، إنه البطل المُحرِّر والمُخلِّص، إنه شرط إمكان الحياة، إذ علينا ألا ننسى أنه قبل أن تنطلق شهرزاد فى السرد وتطلق طاقات السرد الكامنة كانت الحياة مهدّدة بالفناء، ولم ينقذها سوى مبادرتها السردية.

إن قيمة شهرزاد كلها مستمدة من قدرتها على السرد، وكونها تشكل أمثولة سردية للسرد، احتفاء بالسرد وللسرد عبر السرد، وكأن السرد فى الليالى يُدلِّل نفسه، ويحتفى بذاته، يمارس طقسًا نرجسيًا، إلا أنه طقس يجاوز نرجسية نرجس ومصيره الفاجع، طقس يحييه ولا يميته، وكأن السرد إن كان مولعًا بذاته فى الليالى، ولا يفتأ ينعكس على نفسه، فليس من أجل ذاته وإنما من أجل ما ينجزه ويحققه للآخرين، ومن أجل أن يلفتنا إلى ما يمكنه أن يحققه وينجزه لنا من خلال ما ينجزه للآخرين. وبهذا المعنى يمكننا أن نقول إن شهرزاد قد أعادت تأطير شهريار عبر سردياتها.

وإذا كان يمكننا أن نقول إننا نعيش عبر السرد وبالسرد وعلى السرد، فإنه يمكننا القول أيضًا أننا لا نكف عن التأطير، وإعادة التأطير، سواء من خلال السرد، أو من خلال تقنيات التأطير الأخرى. إن الأطر هى عبارة عن خطاطات معرفية أو بنى ذهنية تساعدنا على تنظيم الخبرة.

٣-مفهوم التأطير:

ينتمى مفهوم التأطير فى نشأته إلى إرفنج جوفمان، خصوصًا فى كتابه ''**تحليل الإطار**''. لقد تلقف جوفمان مفهوم التأطير من جريجورى باتسون، حيث لاحظ الأخير أن القنادس لا تقاتل فقط بعضها البعض، بل أيضًا تلعب فى قتالها مع بعضها البعض. إن هذه الملاحظة البسيطة تستفتح فيما تستفتح قضيتين مهمتين من قضايا التأطير: (١) إن سلوك القنادس حين تتقاتل وتلعب فى القتال متشابه، لكنه ليس متطابقًا؛ و(٢) إن القنادس قادرة على تحويل معنى موقف ما إلى معنى موقف آخر (**Goffman, 1974: 40**). وإذا كان هذا صحيحًا بالنسبة للقنادس، إذًا فإن السلوك الإنسانى يكون فى الأغلب خاضعًا لتلاعبات وألاعيب التأطير الماكرة على نحو استثنائى. ونظرًا لمحدودية الحيز والسياق، فلن نتسع أكثر من ذلك فى استعراض نظرية جوفمان بكل أبعادها المُركَّبة والمتراكبة. وبعيدًا عن تركيب نظرية جوفمان، وبعبارات بسيطة؛ فإننا يمكن أن نوضح مفهوم التأطير هذا من خلال بعض الأوصاف اليومية العابرة التى يمكن أن نصف بها شخصًا ما، وما يوجد من فروق لافتة بين ما يمكن أن ينتج من استجابات متباينة ومتفاوتة تجاه هذه الأوصاف التى قد تبدو أحيانًا متقاربة. إذ لا شك أن وصف شخص بأنه بطيء يُنتِج صورة ذهنية مغايرة إلى حد بعيد عن تلك التى يمكن أن ينتجها وصفه بأنه متريث أو متأن. إن تأطير شخص بالبطء مغاير تمامًا لتأطيره بالتريث أو التأنى، مثلما أن تأطير شخص بأنه متهور مغاير لوصفه بكونه شجاعًا، كما أن وصف شخص بأنه بخيل أو شحيح مغاير لكونه حريصًا أو مقتصدًا مثلما أن الوصف بالكرم مغاير للوصف بالتبذير والإسراف.

إن الوصف بالبطء تلزم عنه تداعيات تحيل على البلادة فى مقابل ما يمكن أن يحيل عليه التريث أو الأناة من تعقل. هكذا يبدو التحول من وصف إلى وصف فارقًا فى الانتقال من صورة ذهنية إلى صورة ذهنية أخرى. ومن هنا تأتى خطورة التأطير والوعى به فى الخطابات السياسية والإعلامية والجماهيرية والكيفيات التى يتم بها تقديم الأخبار وتقديم وتفسير الأحداث والوقائع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على اختلافها، عبر ومن خلال توظيف ألعاب اللغة المختلفة والمتنوعة. إذ لا شك أن الحدث الواحد يمكن تقديمه من منظورات مختلفة ومتعددة، وأن كل منظور مغاير ينطوى على تأطير مغاير، كما أن كل تأطير مغاير ينطوى على مغايرة فى المنظور. ومن هنا كان للتأطير هذا الدور الخطير فى الحملات السياسية، والحملات الانتخابية، والحملات الإعلامية، والإعلان، وجماهيرية الأحزاب والساسة، وتشكيل الرأى بعامة. ومن أبرز وأبسط الأمثلة على صراع الأطر والتلاعب غير المباشر بالوعى عبر ألعاب التأطير ما يستشهد به جورج ليكوف حول كل من عبارتى تخفيف الضرائب فى مقابل تخفيض الضرائب. وكيف يطلق اليمين الجمهورى عبارة تخفيف الضرائب بدلا من تخفيض الضرائب ليصم الديموقراطيين بأنهم أشرار.

ولنفكِّر فى التأطير الخاص بـ "تخفيف" "**relief**" لأنه لكيما يكون هناك تخفيف لا بد من أن يكون هناك ابتلاء **an affliction**، طرف مُبْتَلى، والمُخفِّف هو من يزيل البلاء؛ ولذلك فإنه بطل **a hero**. وإذا حاول بعض الأشخاص أن يعوقوا البطل، فإن أولئك الأشخاص يكونون أشرارًا لأنهم يحاولون أن يمنعوا تخفيف البلاء.

وحين تُضاف إلى كلمة الضرائب كلمة التخفيف، فالنتيجة هى استعارة. ففرض الضرائب **taxation** بلوى **an affliction** والشخص الذى يزيلها بطل، وأى شخص يحاول أن يمنعه هو شخص سيء. إن هذا إطار وهو مؤلَّف من أفكار مثل "المصيبة" و"البطل". إن اللغة التى تستثير الإطار تصدر غن البيت الأبيض، وتصدر فى بيان صحفى وتمضى إلى كل المحطات الإذاعية والقنوات التلفازية

وكل الجرائد. وعلى الفور تستخدم النيويورك تايمز تخفيف الضرائب. ولا تجدها فقط على قناة الفوكس، بل على السى إن إن، والإن بى سى، وعلى كل قناة؛ لأنها "خطة الرئيس لتخفيف الضرائب." وسريعًا ما يستخدم الديموقراطيون تخفيف الضرائب – ويطلقون النار على أقدامهم. **(ليكوف، لا تفكر فى فيل، ص ٢٨)**

ومن هنا بالطبع تنبع خطورة التأطير والتلاعب به لأنه كما يرى ليكوف يلعب على اللاوعى المعرفى. وسيناريو البلاء وتخفيفه وإعاقته كله حاضر وقار سلفًا بتقييماته القبلية فى لاوعينا؛ ومن ثم؛ فإن من يعوق من يريد رفع بعض من البلاء هو حتمًا وبالضرورة كائن شرير وكريه.

وبالمثل ما نجده من وصف أحداث ٢٥ يناير ٢٠١١، حيث نجد من يصف الأحداث ويوصِّفها بأنها مؤامرة وبالطبع فإن كلمة المؤامرة تستدعى سيناريو كاملاً، سيناريو يتضمن السرية والعمل فى الخفاء، وظاهر معلن بخلاف الباطن المضمر، وأناسًا جبناء يعملون فى الخفاء وربما لمصلحة أطراف أخرى غير ظاهرة، أطراف أجنبية مثلاً مما يجعل سيناريو المؤامرة غير بعيد عن سيناريو الخيانة، كما يستدعى أولئك المتآمر عليهم الذين هم فى الأغلب ضحايا للمؤامرة أو الخيانة، وبالطبع فإن أقصى ما يمكن أن يُنعتوا به ربما هو الغفلة أو حسن النوايا، وبالطبع غالبًا ما يكون المتآمر عليه شخصًا لا يستحق التآمر عليه، فضلاً عن أن التآمر عمل غير شرعى؛ ومن ثم يستحق العقاب سواء من منطلق القانون أو من منطلق العرف، وفى جميع الأحوال شتان ما بين صورة المتآمر والمتآمر عليه.

وفى مقابل هذا نجد من يصفون الأحداث ذاتها بوصفها ثورة. ولا شك أن سيناريو الثورة مغاير تمامًا لسيناريو المؤامرة. إن سيناريو الثورة يستدعى وجود ظلم ما بلغ حدودًا مجاوزة لقدرة الثائرين على الاحتمال، وهو الظلم الاجتماعى والسياسى البين الذى عانى منه الشعب المصرى على مدار عقود، ومن ثم تكون الثورة عملاً مشروعًا وشرعيًا؛ لأن هناك من انتهك حقوق الطرف الثائر بظلمه. وبالطبع فإن المتآمر عليهم فى سيناريو المؤامرة ليسوا هم الضحايا فى سيناريو

الثورة، بل إنهم هم المجرمون والطغاة والأشرار الذين سلبوا الشعب حقوقه ومستحقاته وفرصه فى الحياة الكريمة على مدار عقود وسنوات طويلة، وبالطبع فإن المتآمرين فى سيناريو المؤامرة هم فى سيناريو الثورة أناس شرفاء شجعان خاطروا وغامروا بأنفسهم وحيواتهم ومستقبلهم من أجل رفع الظلم عن المظلومين وتحقيق حياة إنسانية كريمة.

كما نجد صراع الأطر بالنسبة لأحداث ٣٠ يونيو ٢٠١٣ أيضًا؛ إذ يصفها الإخوان وأعوانهم بأنها انقلاب، ولا شك أن أول ما شىء يستدعيه سيناريو الانقلاب هو الخروج على الشرعية؛ ومن ثم عدم المشروعية التى تستوجب بدورها عدل ما قد قُلب، ومعاقبة من انقلب. وفى المقابل نجد غالبية الشعب المصرى يرون الأحداث ذاتها بوصفها ثورة على الإخوان الذين انقلبوا على ثورة ٢٥ يناير وعلى أهدافها التى أطَّرت وأوجزت غاية الثورة ودوافعها فى شعار ''**عيش، حرية، كرامة إنسانية**'' وأحيانًا تستبدل بالكرامة الإنسانية العدالة الاجتماعية. ولأن الإخوان قد أطاحوا بالحرية وقيمها ومعانيها فقد كان من المشرع جدًا لمن ثاروا فى ٢٥ يناير أن يثوروا على انتهاكات الإخوان للحريات وحقوق المواطنة بما هو أبشع مما قبل ٢٥ يناير.

ومن ثم نكون إزاء نوع من صراع الأطر والتأطيرات، والصراع على إطار من أو تأطير من هو الذى سيسود. والتأطير وإعادة التأطير يتم من خلال الموارد اللغوية المتاحة لنا، مثل الاستعارات والكنايات والكنايات التلطيفية، والمفارقة والسخرية والنكتة، والشعارات، والهتافات، والعناوين والمقدمات كهذه المقدمة مثلاً لهذا الكتاب، وما يعرف عمومًا بالعتبات النصية، والموارد غير اللغوية والتى يمكنها أن توظف الأشكال البلاغية السابقة ولكن عبر وسائط غير لغوية، مثل الرسوم والصور والألوان والأغلفة، والتى يمكن أن تكون حاضرة كلها فى غلاف وإخراج هذا الكتاب، أو سواه، فضلاً عن الإيماءات الجسدية والعديد من الأفعال التعبيرية المتنوعة. بل إن التأطير يمكن أحيانًا أن يمارس فعاليته من خلال

كلمة واحدة بسيطة، إذا ما اختيرت هذه الكلمة ووظفت بالذكاء والعناية الكافيين. وكشاهد على هذا دعونا نحلل معًا كلمة مثل كلمة ''كفاية'' وآلية اشتغالها بوصفها شعارًا وتأطيرًا لرفض التجديد لمبارك وتوريث ابنه للحكم.

٣-١ تحليل بعض نماذج التأطير:

كلمة كفاية:

إن كلمة كفاية كلمة حدية، كلمة فاصلة لأنها حدية أو حدية لأنها فاصلة. كلمة لا يقولها المرء إلا وهو فى حالة شبع أو تشبع من شيء ما: طعام أو شراب أو علاقة، وهى أيضًا كلمة مرتبطة بالقدرة على التحمل الفيزيقى أو المادى أو النفسى، كما أنها أيضًا كلمة إنذارية ما لم يكف الطرف المُوجَّهة إليه عما يفعله، أى أنها كلمة تحمل فى ثناياها أو لازم فعلها الكلامى إنذارًا ما بفعل يجاوز مجرد القول ما لم يكف أو يتوقف الطرف عما يفعله أو يقترفه؛ ومن هنا يأتى بعدها التحذيرى. إنها اسم فعل أمر بمعنى كُفْ أو توقفْ يُقال عندما يتجاوز فعل ما حده أو حدوده المقبولة أو المعقولة أو الممكنة الاحتمال. إنها تعنى كُفْ أو توقف وإلا..، إلا أن ما بعد هذه (الإلا) كان مُحذوفًا، ولم يكن منصوصًا عليه فى خطاب حركة كفاية؛ ومن ثم كان غير قابل للتصور أو التخيل لدى المُخاطَب أو المروى له أو عليه. إلا أن هذه الكلمة السحرية التى احتلت واجهة المشهد منذ بداية تشكل الحركة الحاملة لاسمها والرافعة شعارها منذ عام ٢٠٠٤ استمدت سحريتها ومصداقيتها فى آن واحد من بشاعة الخلفية التى كانت تنعكس عليها، خلفية ثلاثين عامًا من الهوان والفقر والإفقار والفساد والانحراف والكذب والزيف والتزييف والتعذيب وإهدار الكرامة الوطنية والإنسانية للمصريين، ومن ثم كان مجرد رؤية الكلمة أو سماعها قادرًا على أن يطلق الذاكرة، سواء بشكل واعٍ أو لا واعٍ لتنفتح على ناتج هذه السنوات الطويلة وما دار وما جرى فيها للوطن وللفرد، للأرض وللعرض للآباء وللأبناء، للأجساد وللنفوس وللأرواح، مثلما كانت رؤية أى مشهد

حى من مشاهد هذه الخلفية قادرًا على التذكير بهذه الكلمة أو ببعض لوازمها مثل إمتى بقى حنخلص من القرف ده، إمتى بقى ربنا حيتوب علينا من النظام ده، إمتى بقى ربنا حياخدهم، يا رب... إلى آخر ما تغص به عبارات نفاد الصبر الخانقة. إن كلمة كفاية وفق هذا التلازم بين ما جرى وما كان يجرى ويدور خلال هذه السنوات، وأنه قد آن آوان التوقف كانت بمثابة المرجل الذى أخذ يبخّر صبر المصريين بإيقاع متراكم ومتزايد ومتسارع حتى نفاده تمامًا. لقد كانت الكلمة هنا على بساطتها وقصرها وحروفها الخمسة التى يجبرك فيها تعاقب حرفى المد (الألف والياء) على ضرورة الشهيق والزفير أو على تقطيع النَّفس على نحو يشبه التنهيد أشبه بمغناطيس مهول قادر على أن يجذب كل ركام هذه السنوات الثقيلة ليلقيه على نفس المستمع لها أو الناطق بها لتنوء به نفسه وروحه. ومن ثم فقد أخذت كلمة كفاية تؤطِّر المشهد تدريجيًا لكن على نحو متصاعد ومتسارع. إنها كلمة بسيطة سهلة تدفع للتأمل والتساؤل: كفاية! لماذا؟ وبالطبع لا يحتاج المرء لكى يجيب سوى أن ينظر حوله أو أن يطلق العنان لذاكرته الشخصية ولذاكرة الوطن ليدهمه سيل من الذكريات الأليمة المشفوعة بواقع لا يقل قبحًا ورداءة عما تنوء به ذاكرته وذاكرة الوطن، وفى كل مرة يترك فيها المرء نفسه لإجابات هذا السؤال لا بد من أن يشعر بنوع من انجراح الكرامة، بنوع من عدم الجدارة والغُربة والمرارة التى كثيرًا ما تكون مشفوعة بيأس يراكم من الشعور بكل تلك الأحاسيس المفضية إلى هذا الإحساس العميق بالمرارة واللاجدوى، إن هذه المشاعر المُوجِعة، بل أكاد أقول المميتة، قد صادق عليها هذا الهتاف "**إرفع راسك فوق إنت مصرى**" المُؤدَّى بصراخ شبه هستيرى يكشف فى ثناياه عن اصطدام العجز بالقدرة، ومفاجأة الذات للذات، الذات القادرة للذات العاجزة، داخل النفس الواحدة، هنا تكتشف النفس ذاتها، تكتشف هويتها السردية وتكتشف أن لها ذاتًا ورأسًا أخرى قابلة للرفع وقابلة للسرد بعد أن ظلت طوال كل هذه السنوات منكّسة وعاجزة وهاربة من كينونتها لأنها لا ترى فيها سوى العجز، وأنها غير قادرة على إدراك تلك الكينونة؛ ولذلك كان إدراك الكينونة هنا مفاجئًا وصادمًا للنفس مما جعل نبرة لافتة من عدم التصديق لا تخطئها الأذن ولا العين تصاحب وتظلِّل صراخ جموع

المصريين بهذا الهتاف وأداءهم الجسدى والحركى وهم يهتفون بــه، إنهـــا نبــرة المذهول بما فعل ومما فعل، لقد كان أداء هذا الهتاف مزيجًا من عــدم التــصديق والذهول والفرح والتوثب إلى الأعلى والتطهر من الصمت والعجز وعدم الجدارة. ولا شك أن الاستعارات الجسدية للمصريين أثناء الثورة جديرة بالرصد والدراســة وقد كانت كلها أفعالاً تأطيرية، ومن هذه الاستعارات: اســتعارة الــسعادة فــوق، واستعارة الكرامة انتصاب للجسد، واستعارة المواجهة قدرة على التحديق فى وجه وعين الخصم، والشجاعة فتح للصدر (صورة الشاب المواجه للمدرعة)، واستعارة حركة الأكف المصاحبة لهتاف سلمية... إلخ لقد كانت كل هــذه الأداءات أشــكالا متنوعة من التأطير للثورة والفعل الثورى. لقد نجحت كلمة كفاية باقتدار أن تؤطر حقبة تاريخية بأكملها، وأن تمتلك طاقة تعبوية استثنائية. إذ كثيرًا ما كان يأتى ردنا حين نسمعها أو نقرؤها (صحيح كفاية!).

ولكى ما نكشف أكثر عن مدى قوة وخطورة ألعاب التأطير، دعونـــا نحلــل عبارة السيسى قبل أن يترأس البلاد:

''مصر أم الدنيا وهتبقى قد الدنيا''

تتمثل قوة عبارة السيسى ''**مصر أم الدنيا وحتبقى قد الدنيا**''، فــى اللحظــة التى قيلت فيها، فى أنها عبارة عن مزيج من استعارة قديمة ووعد، ومن خلال هذا المزج استطاعت أن تصل بين الماضى والمستقبل على نحو فريد؛ إذ إنها حملــت فى ثناياها هذا الوعد الماثل فى أن هذه اللحظة من تاريخ مصر ليست سوى لحظة عابرة ومؤقتة، وأنه لا بد لهذه الأم التى نُزِعت أو انتُزِعَت منها أمومتها؛ ومن ثــم مكانتها، أن تعود مرة أخرى إلى دورها الطبيعى، وعلينا هنا أن ندرك أن الأمومة فى جانب منها دور طبيعى. إلا أن ما أكسب العبارة قوتهــا وفعاليتهــا، وأثرهــا وتأثيرها، فى نفوس المصريين فى تلك اللحظة، على الرغم من قدمها وإنــشائيتها، هو الشق الثانى من العبارة ''**وحتبقى قد الدنيا**''. ذلك أن العبارة تقــر ضــمنًا أن الابنة قد فاقت الأم وتجاوزتها، وأن الأمومة الحقة يفترض أن تحمــل نوعًــا مــن التميز للأم على ابنتها أو على أبنائها، لكن وفى ظل أن هذه الأم قد عاقتها العوائق،

فلا أقل من أن تتوازن العلاقة مع الابنة أو مع الأبناء. وبهذا المعنى، فإن الشق الثانى من العبارة هو الذى يطلق إمكانيات شقها الأول. إذ لو كانت العبارة قد اقتصرت على تكرار شقها الأول فقط، وكرَّرت نفس استعارة الأمومة مرة أخرى، أى مثلاً لو كانت قد قيلت العبارة على هذا النحو ''**مصر أم الدنيا وحتفضل أم الدنيا**''، لما كان لها هذا الصدى فى نفوس المصريين الذين ظل الكثير منهم يُردِّدها. أما قفزها على الحاضر، بكل مشكلاته، وتوجهها نحو المستقبل على هذا النحو، فيمثِّل قرينة احترام ومصداقية، احترام لعقل المُخاطَب من خلال الإقرار الضمنى برداءة الواقع وبؤسه، ومصداقية للمُخاطِب أو المتكلم من خلال هذا الإقرار ذاته. هذا بالإضافة إلى أنها تدفع المُخاطَب، على مستوى لاشعورى، إلى المقارنة الضمنية بين هذا الماضى الذى كانت تملك فيه مصر كل عافية الأمومة وزخمها والحاضر المُتردى؛ ومن ثم تدفعه عبر ما فيها من وعد وإمكانية للتطلع إلى مستقبل تستعيد فيه مصر مكانتها أو على الأقل تجارى أبناءها فى عالمهم الذى أقصيت عنه. كما تدفعه ضمنيًا أيضًا إلى التساؤل حول الأسباب والعوائق التى أقصت مصر عن دورها، مثلما تدفعه أيضًا للتساؤل كيف يمكن لمصر أن تصبح ''**قد الدنيا**''؟

ولا شك أن أول جواب يمكن أن يطرح نفسه بشكل فورى لا يمكن أن يكون شيئًا آخر سوى القيادة؛ ومن ثم تكون العبارة قد وصَّلت فى الوقت ذاته رسالة أخرى غير مباشرة لصالح المتكلم، رسالة ما كان يمكن له أن يُصرِّح بها فى تلك اللحظة، وإنما يكفيه أن يستنتجها المُخاطَب ويبادر هو ليطلبها صراحة من المتكلم، وهو ما قد حدث.

الصورة والتأطير البصرى:

إذا كانت هذه بعض الشواهد على بعض ألعاب التأطير اللغوى ومدى قوة هذه الألعاب، فدعونا نتعرف على تجلٍ آخر للتأطير من خلال الصورة، ومدى قوة هذا التأطير وخطورته فى ظل تكرار عرض المؤسسة الإعلامية لصور ومشاهد

بعينها. إذ يكشف لنا جورج ليكوف فى كتابه المتميز ''**لا تفكر فى فيل**'' كيف استطاعت الحكومة الأمريكية عبر عرض القنوات الأمريكية بشكل متكرر لمشهد اختراق الطائرات للبرجين والبنتاجون من تأطير ما حدث فى الحادى عشر من سبتمبر على أنه حرب وليس مجرد جريمة إرهابية؛ وكيف أنه من خلال هذا التأطير البصرى عبر التلفاز استطاع البيت الأبيض بقيادة جورج بوش الابن أن يروِّج ويفرض سردية الحرب على الإرهاب على الأمة الأمريكية وعلى العالم بأسره؛ وأن ينجح فى تحويل إطار ما حدث من إطار الجريمة إلى إطار الحرب.

إذ كما يُخبرنا ليكوف فإن ثمة عددًا من الاستعارات الخاصة بالمبانى:

وإحدى هذه الاستعارات البصرية الشائعة هى أن المبانى رؤوس ونوافذها بمثابة العيون. إن الاستعارة غافية، كائنة فى أمخاخنا، تنتظر ما يوقظها. وقد أتت صورة الطائرة المخترقة للبرج الجنوبى من مركز التجارة العالمى لتستثيرها. لقد أصبح البرج رأسًا والنوافذ عيونًا، وحافة البرج خدًا. وأصبحت الطائرة المُخترِقة له رصاصة تخترق رأس شخص ما. وألسنة اللهب المُندلِعة من الجانب الآخر هى الدم المُنبجِس.

إن المبانى الشاهقة هى، استعاريًا، أشخاص يقفون منتصبين، ولذا حين تساقط البرج أصبح جسدًا يتساقط. إننا لا نكون منتبهين بشكل واعٍ للصور الاستعارية، إلا أنها تُشكِّل جزءًا من القوة والرعب اللذين نعايشهما حين نراها.

إن لدى كلٍّ منا، فى القشرة الأمامية الحركية لأمخاخنا، ما يُدعى بالخلايا العصبية العاكسة.

وتلك الخلايا العصبية تنطلق عندما نؤدى فعلاً ما أو عندما نرى الفعل ذاته وشخص آخر يُؤدِّيه. كما توجد وصلات من ذلك الجزء من المخ مع المراكز الانفعالية. ويُعتقد أن تلك الدوائر العصبية تمثل الأساس للتقمص الوجدانى.

ويحدث هذا حرفيًا – عندما نرى طائرة قادمة نحو المبنى ونتخيل الأشخاص الذين فى المبنى، إذ نشعر أن الطائرة قادمة نحونا نحن، حين نرى المبنى يتساقط

على الآخرين. إننا نشعر أن المبنى يتساقط علينا نحن. وهو ما يحدث أيضًا استعاريًا: إذ لو كنا نرى الطائرة تخترق المبنى واستدعينا بشكل لا واعٍ استعارة المبنى بوصفه رأسًا تخترق الطائرة واجهته، فإننا سنشعر حينئذٍ – بشكل لا واعٍ لكن بشكل قوى – أنه قد أُطلق الرصاص على وجهنا. وإذا استدعينا استعارة المبنى بوصفه شخصًا ورأينا المبنى يتساقط على الأرض قطعًا، فإننا حينئذٍ سنشعر – ثانية بشكل لا واعٍ لكن قوى – أننا نتساقط أيضًا على الأرض قطعًا. إن أنساق تفكيرنا الاستعارى، المتفاعلة مع أجهزتنا العصبية العاكسة، تقلب الارتعابات الحرفية الخارجية إلى ارتعابات استعارية محسوسة.

وها هى بعض الحالات الأخرى:

• **السيطرة أعلى**: إن لديك السيطرة على الموقف؛ إنك على قمة الأشياء. لقد كان هذا دائمًا أساسًا مهمًا للبرجين بوصفهما رمزين للقوة. وفى هذه الحالة، يعنى سقوط البرجين فقدان السيطرة وفقدان القوة.

• **التصوير القضيبى phallic imagery**: إن الأبراج رموز للقوة القضيبية، وانهيارها يُعزِّز فكرة فقد القوة. وهناك نوع آخر من التصوير القضيبى أكثر مركزية هنا: إنه الطائرات المُخترقة للبرجين وللبنتاجون بألسنة اللهب، إنها صورة مِهبلية **a viginal image** من الفضاء تفتض فيها الطائرات البناياتِ كالصواريخ. إن هذه التأويلات القضيبية أتت من نساء شعرن أنهن انتُهِكن مرتين مرة بالهجمات ومرة أخرى بعرض صورها على التلفزيون. (**المرجع السابق: ٨٧-٨٨**)

وإذا كان للتأطير هذا الدور الفاعل والخطير فى مجال السياسة والإعلام والتعبئة الجماهيرية والحملات الانتخابية والإعلانية؛ فإن دوره فى الترجمة أيضًا بالغ الخطورة. إذ ما الذى يُفترض مثلاً لمترجم أن يفعله حين تواجهه عبارة **the Muslim conquests** هل يترجمها بالفتوحات الإسلامية أم بالغزوات الإسلامية، وبالطبع فإن البون بعيد بين كل خيار من الخيارين، بل إن كل خيار منهما يطرح على الفور سرديته، أو يأتى بسرديته. وهل حقًا أن كل أسماء الإعلام

لا تترجم على نحو ما هو شائع أم أن بعض أسماء الإعلام يتم إخضاعها للترجمة، إذ ما الذى على مترجم عربى أن يفعله حين يواجه هذه العبارة **the Persian Gulf** هل يترجمها بالخليج الفارسى أم بالخليج العربى والعكس إذا ما واجه مترجم إيرانى مثلاً عبارة الخليج العربى هل يترجمها الخليج العربى أم الخليج الفارسى؟ وهل نحن هنا إزاء اسم مكان أم إزاء صراع سرديات وتأطيرات لا ينفك فيها صراع التاريخى مع الجيوبولتيكى عن العمل، أو حين يقابل فى نص من النصوص كلمة تحمل فى ثناياها سرديات متصارعة مثل كلمة **Jerusalem** هل يُعرِّبها إلى أورشليم، أم يترجمها إلى القدس، وهل حقًا أنه ليس لاسم العلم سوى وظيفة إحالية فحسب، ومن ثم فإنه يكون دومًا غير قابل للترجمة، أم أن ثمة حالات يُترجَم فيها اسم العلم باسم علم آخر؛ ومن ثم يمكن القول إنه إذًا يُترجَم ولا يُترجَم؟

إن المؤكد هو أن كل خيار من هذه الخيارات أو سواه يعنى تأطيرًا مختلفًا ويعنى اختيارًا وتدعيمًا لسردية ورفضًا وإنكارًا لأخرى، يعنى نوعًا من الإبراز والإخفاء فى آن واحد؛ وهو ما يعنى مرة أخرى أن السرد لا يمثل الواقع فحسب بل يبنيه أيضًا، أى أننا، كما يقول جيروم برونر، ''نبنى الواقع سرديًا''، ويمكننا أن نضيف إلى جملة جيروم إننا نبنى الواقع سرديًا، حتى ونحن نترجم، وإننا نبنيه عبر السرد والتأطير.

وهكذا، فإن الكلمات التى قد تبدو لنا مجرد كيانات صغيرة ضئيلة بسيطة، غالبًا ما تختزن فى ثناياها سرديات معقدة وطويلة وخطيرة.

إن ما تكشف عنه النظرية ما بعد الكولونيالية فى مجال الترجمة إذًا هو أن الترجمة لا تُمارَس فى فراغ أو فى فضاءات مثالية أو محايدة؛ وإنما فى عوالم تتميز بتفاوت علاقات القوى، عوالم تحكمها علاقات قوة معقدة وغير متكافئة، فى معظم الأحوال، بين الأنا والآخر. وإذا كان هناك العديد من الاستعارات التى تحاول أن تُفهِم الترجمة من خلال توصيف طبيعة هذه العلاقة بين الأنا والآخر بأشكال شتى ومتنوعة، وبما قد لا يعكس هذا التفاوت فى علاقات القوى فى الكثير

من الأحوال؛ إذ نجد من يُوصِّفها عبر استعارة الحـوار (الدراميـة)، أو اسـتعارة التفاعل (الكيميائية) بين الثقافات، كما هو فى دراسات الترجمة المنطلقة من آفـاق الدراسات الثقافية، أو الاحتكاك الثقافى والتثاقف على نحو ما قد نجد لدى سـوزان باسنيت، والتى توحى بدلالات التواصل والتحضر، وربما التكامل بما يحيل علـى سرديات التنوير، وخصوصًا سردية العقل والتعقل والعقلانية، أو مـن يحـاول أن يضيف إلى البعد العقلانى بعدًا سياسيًا آخر من خـلال تسييـسها عبـر اسـتعارة التفاوض كما هو لدى إمبرتو إيكو، أو من يحاول تجسيدها مـن خـلال افتـراض صلات انسيابية وآمنة عبر استعارة الجسر الذى يصل بين ضفتين، أو مـن يتخـذ من الضيافة والاستضافة خلفية استعارية لمعاينتها، استضافة لغة للغة أخرى وثقافة لأخرى ليدخلها فى نطاق آداب وأخلاقيات الضيافة الإبراهيمية كما هو لدى جـاك دريدا، أو محاولة تمثيلها من خلال اسـتعارة مـن اسـتعارات العـشق والتوحـد والتماهى، استعارة أكثر حميمية وشهوانية، اسـتعارة ملؤهـا الرغبـة والـشغف، استعارة تلعق فيها لغة لغة أخرى مثل شعلة أو قبلة، علـى حـد تعبيـر دريـدا، أو تمثيلها بوصفها دينًا مُعسرًا صعب السداد، على نحوما يرى دريدا أيضًا، أو من يمثلها عبر استعارة الترميم، بوصفها نوعًا من أنواع الترميم والاستعادة لمزهريـة مُهشَّمة ليست استعادتها شيئًا آخر سوى محاولة لاستعادة اللغة الصافية كما هو لدى فالتر بنيامين، وإذا كانت كل هذه الاستعارات وسواها على اختلافها وتفاوت وتباين مرجعياتها تحاول مقاربة الترجمة والإمساك بماهيتها وخصوصيتها؛ فإن المؤكـد، وما يصادق عليه التاريخ والخبرة والواقع، رغم كـل مـا تنطـوى عليـه هـذه الاستعارات من دلالات وقيم إنسانية وأخلاقية ومعرفية وثقافية، وما تحويـه مـن سرديات ضمنية، وربما انطباقها على بعض حالات ولحظات من لحظات وحالات الترجمة، هو أن الترجمات تُمارَس بحكم طبيعتهـا البينيـة فـى عـوالم حافلـة بالمواجهات والتوترات والصراعات والصدامات والحروب على أصعدة شتى، مـا بين السياسى والاقتصادى والعسكرى والثقافى والجندرى. إذ ننا فى عوالم لا تكف عن السرد، ولا تكف عن التأطير وإعادة التأطير ولا تكف عن الصراع؛ ومن ثـم

فإننا نحيا فى عوالم من السرديات والتأطيرات المتصارعة، وهو ما ينعكس بدوره على أفعال وممارسات الترجمة.

هذا فضلاً عن أن وسائط الترجمة، الماثلة فى لغات العالم، هى ذاتها مُثقَلة برواسب وآثار وربما جروح وندوب هذه المواجهات والصراعات والصدامات والحروب والتوترات، على شتى المستويات والأصعدة، خصوصًا أن لغاتنا ذاتها ليست مُحايدة أو شفافة فى علاقاتها بمراجعها ومفاهيمها وتصوراتها وقضاياها. وإنما هى دومًا مُحمَّلة ومُثقَلة ومحكومة بتواريخ ممارساتها وخبرات وتواريخ مُستخدِميها، والمنظور الذى تفرضه هذه التواريخ وتلك الموروثات على هؤلاء المُستخدِمين المُنخرِطين فى كل أشكال هذه المواجهات، فضلاً عما تفرضه علاقات القوة غير المتكافئة وتفاوتات علاقات القوة، كل هذا بالإضافة إلى تفاوت الثروات اللغوية ذاتها بين اللغات، وهو تفاوت ناتج عن تفاوت الثروات الفنية والأدبية والعلمية والمعرفية والثقافية، وسواها.

لقد أخذت تكشف لنا دراسات الترجمة المتولدة فى رحاب النظرية ما بعد الكولونيالية، على مدار العقود الأربعة الماضية، عن مدى اشتباك وانخراط وتورط الترجمة مع الاستعمار وآليات الهيمنة الكولونيالية وما بعد الكولونيالية فى صورها المتنوعة، الفجة منها والرهيفة، العنيفة والمُلطَّفة. إذ يمكن للمتابع اليقظ لهذه الدراسات ولواقع الترجمة وممارساتها على امتداد التاريخ أن يدرك بجلاء أن الترجمة هى إحدى أدوات إنتاج فوارق القوة ومن ثم إحدى أدوات إنتاج فوائض القيمة ليس فقط على مستوى رؤوس الأموال الثقافية والرمزية، وإنما أيضًا على مستوى الرساميل المادية؛ من حيث قدرة الترجمة على أن تتحول إلى قوة اقتصادية فاعلة بالنسبة للمجتمعات والثقافات الأكثر إنتاجًا وامتلاكًا للمعرفة فى عالم اليوم، فضلاً عن دورها كقوة ناعمة.

وبهذا المعنى تتضاف إلى قدرة الترجمة والدور الذى تلعبه على المستويات الثقافية والرمزية بالنسبة لثقافات مُنتِجة وأخرى مُستهلِكة، وعلى مستويات الهيمنة والتبعية، قدرتُها على تحويل تلك الفروق الثقافية والرمزية إلى فروق اقتصادية

ملموسة بالمعنى المباشر، من خلال بيع وشراء حقوق الترجمة، وما قد ينتج من مكاسب عن حقوق الملكية الفكرية، أو من خلال منح الحقوق للغات أو مؤسسات بعينها وحجبها عن لغات و/أو مؤسسات أخرى. هذا فضلاً عن دور الترجمة فى شتى أشكال الوساطات والشراكات الاقتصادية المباشرة. ولا يقتصر الأمر على هذا فقط، أى على هذا الاشتباك بين الترجمة وإنتاج علاقات قوة غير متكافئة وإعادة إنتاج تفاوت علاقات القوة وفوائض القيمة الناتجة عنها، بل إنه يتجاوز هذا إلى كون الترجمة أحد شروط إمكانية الاستعاضة بالسياسى عن العسكرى، أو استكمال العسكرى من خلال السياسى، فى ظل ما يجرى ويحتدم من صراعات وحروب بين الأمم والجماعات المختلفة لغويًا. وهى بهذا المعنى تلعب أيضًا أدوارًا اقتصادية فى صلب عمليات إدارة الصراع بين القوى المتقاتلة أو المتصادمة. بعبارة أخرى، إنها تصبح فى حالات معينة شرط إمكان السياسى. هذا فضلاً عما تلعبه ويمكن أن تلعبه من أدوار سياسية وثقافية مركبة وخطرة فى قبول الآخر أو رفضه، حبه أوكرهه، تحسين صورته وتعديلها أو تقبيحها وتشويهها عبر كل ألعاب التأطير المختلفة، والكثير سوى ذلك. ولذا فإن وصفها أو وصمها بالخيانة ليس بعيدًا عن كل هذا وسواه.

لكل هذا، وللعديد من الأسباب الأخرى التى قد لا يتسع المقام لسردها، تشكل الترجمة ممارسة جدلية لا ينفك فيها اللغوى والسردى والسياسى عن الثقافى والعلمى والمعرفى والجندرى والتجارى والاقتصادى. وهى بهذا المعنى تُشكِّل ممارسة بالغة التركيب والتعقيد، خصوصًا فى ظل خرائط علاقات القوة التى تفاوتت فيها دومًا مساحات الأمم والدول والمجتمعات اللغوية والثقافية سواء فى عالم اليوم أو على امتداد التاريخ، والتى حتى حين تتعدل أو تتغير فيها المساحات لا تكف عن إنتاج الفارق.

إذ كما يتبين من خلال دراسات الترجمة المتولدة من رحم النظرية ما بعد الكولونيالية؛ فإن الإمبراطورية على امتداد تاريخها لم تكن تكتفى فقط بالاستيلاء على رؤوس الأموال المادية فحسب، بل كانت تسعى دومًا إلى أن تستملك إلى

جانب رؤوس الأموال المادية رؤوس الأموال الثقافية والرمزية وتخضعها لمنظومة قيمها وأولوياتها وتفضيلاتها. وبهذا المعنى فقد ظلت الترجمة تمثل حقــلاً خــصبًا للمواجهات والصراعات الـــسياسية، ومؤســـسة لا غنـــى عنهـــا مـــن مؤســـسات الإمبراطورية؛ أو أى مشروع امبريالى توسعى، قديمًا وحديثًا.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

- التوحيدى (أبو حيان): "كتاب الإمتاع والمؤانسة"، صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، الجزء الثالث، ١٩٥٣.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): "البيان والتبيين"، ج١، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٨٥.
- الأصفهانى (الراغب): ''محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء''، دار الأرقم بن أبى الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- القيروانى (الحصرى): زهر الآداب وثمر الألباب، ج١، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.
- دون مؤلف (ألف ليلة وليلة): طبع وليم چى مكنا طن، ط. الثانية سلسة "الذخائر"، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٦.

ثانيًا: المراجع العربية

- دومة (خيرى): ''الحديث: سيرة مصطلح سردى مهمل''، ضمن أنت (ضمير المخاطب فى السرد العربى)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ٢٠١٦.

ثالثًا: الدوريات

- بنيامين (فالتر): ''الحكواتى''، ترجمة خيرى دومة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (العددان ٨٩/٩٠) ربيع/صيف ٢٠١٤.

رابعًا: المراجع المترجمة

- جان – فرانسوا ليوتار: الوضع ما بعد الحداثى، ترجمة أحمد حسان، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٤.

- جورج لايكوف، ومارك جونسون: الفلسفة فى الجسد: العقل المجسدن وتحديه للفكر الغربى، ترجمة طارق النعمان، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤.
- جورج ليكوف: ''لا تفكر فى فيل''، ترجمة طارق النعمان، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥.
- دوجلاس روبنسون: ''الترجمة والإمبراطورية: نظريات الترجمة ما بعد الكولونيالية''، ترجمة ثائر ديب، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٥.
- سوزان باسنيت، أندريه ليفيفير: بناء الثقافات: مقالات فى الترجمة الأدبية، ترجمة محمد عنانى، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥.
- لورانس فينوتى: اختفاء المترجم: تاريخ للترجمة، ترجمة سمر طلبة، مراجعة محمد عنانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦.

خامسًا: المراجع الأجنبية

- **Baker, M. (2007). Reframing conflict in translation .Social Semiotics ،17 (2), 151 - 169.**
- **Barthes, R. (1977). Image, Music, Text: Essays selected and translated by Stephen Heath. Hill and Wang.**
- **Benjamin, W. (1923). 2004. The Task of the Translator: An Introduction to the Translation of Baudelaire's Tableaux Parisiens.The Translation Studies Reader.15-25 .**
- **Benjamin, W. (1969). The Storyteller. Reflections on the Works of Nikolai Leskov. transl. H. Zohn,. In: H. Arendt,(Ed.), Illuminations. (New York: Schocken Books, 1965) 83-107.**
- **Bhabha, H. K. (Ed.). (2013). Nation and narration. Routledge. 1-7.**
- **Bruner, J. S. (2009). Actual minds, possible worlds. Harvard University Press.**
- **Bruner, J. (1991). The narrative construction of reality. Critical inquiry, 18(1), 1-21.**

- Derrida, J. (1985). Des tours de Babel. Difference in translation, 167.
- Derrida, J. (2001). What is a" relevant" translation? Critical Inquiry, 27(2), 174-200.
- Eco, U. (2004). Mouse or Rat? Translation as Negotiation. Orion House London.
- Fisher, W. R. (1984). Narration as a human communication paradigm: The case of public moral argument. Communications Monographs, 51(1), 1-22.
- Fisher, W. R. (1985). The narrative paradigm: In the beginning. Journal of communication, 35(4), 74-89.
- Goffman, E. (1986 (Frame Analysis: An Essay on the Organization of Experience .Northeastern University Press.
- MacIntyre, A. (2007) After Virtue: A study in Moral Thèory. University of Notre Dame Press.
- Ricoeur, P. (1988). Time and narrative (Vol. 3). University of Chicago Press.
- Ricoeur, P. (1992). Oneself as another. University of Chicago Press.

شكر وعرفان

لقد أصبح إجراء البحث الخاص بهذا الكتاب ممكنًا بفضل المنحة المُقدَّمة من مركز أبحاث الفنون والإنسانيات (AHRC)؛ (المعروف من قبل بمجلس أبحاث الفنون والإنسانيات) فى بريطانيا. ولذا فإننى ممتنة لمركز أبحاث الفنون والإنسانيات، ولكلية اللغات واللغويات والثقافات بجامعة مانشستر على كل ما أتاحاه لى من رفاهية استثنائية مكنتنى من أن أعمل بشكل مُكثَّف على مشروع بحثى من اختيارى لمدة عام كامل.

لقد أجريت بعض جوانب البحث التفصيلية لهذا الكتاب بصورة خاصة خلال الفترة الخصبة التى قضيتُها كأستاذة زائرة فى جامعة مدينة هونج كونج، فى يناير/فبراير ٢٠٠٥. حيث وفَّر قسم اللغة الصينية، والترجمة، واللغويات بيئة بديعة للبحث: تسهيلات رائعة، ومناخًا ودودًا، ومناقشات ذكية. وفى ظل هذا لا يسعنى سوى أن أعرب عن امتنانى لماجى شوينج والسيد لام على عونهما الإدارى الودود والفعال، كما أننى ممتنة بصورة خاصة لزهو شونشين وزملاء آخرين فى القسم على دعمهم وصداقتهم الجامعية. وقد أتاحت الضيافة والصحبة الحارتان لمارثا شوينج وجاين لاى من الجامعة المعمدانية أن تكون إقامتى فى هونج كونج أكثر إمتاعًا وأكثر إنتاجية.

وقد كان العديد من الزملاء كرماء بما يكفى أن يتجشموا عناء قراءة أجزاء من المخطوط وأن يقدِّموا اقتراحات من أجل تطويره. إذ قدَّمت دوروثى كينى نُصحًا قيمًا حول أسماء أماكن نظيرة فى أيرلندا الشمالية، مثلما قدَّم إبراهيم مهوى بعض الاقتراحات حول دراسات الفوكلور، ولويس بيرز - جونزاليز حول الإسبانية، وديمتريز أزماكولاز حول الأمثلة اليونانية، ووينجنج زهاو حول المراجع الصينية. كما أننى ممتنة امتنانًا خاصًا لسامح فكرى حنا وفرنسيسكا بيليانى اللذين قرآ أقسامًا كبيرة من المخطوط وعلقا عليها بالتفصيل. وكذلك استمتعت أيضًا بالعمل مع لويزا سيملين وإليزابث جونستون، المسئولتين عن

تحرير أعمالى فى روتليدج، واللتين جعل دعمهما الحياة أيسر كثيرًا على امتداد العام الماضى.

كما أننا، المؤلفة والناشر، ممتنان لمالكى حقوق النشر الخاصة بالمواد الآتية على سماحهم بإعادة طبع هذه الصور والنصوص: لوكالة الأوسشيتيد بريس على الصورة الملتقطة من جين.- مارك بوجو لرجل عراقى وهو يريح ابنه ذا الأربع سنوات على صدره فى أحد مراكز إعادة تجميع سجناء الحرب فى القسم ١٠١ المحمول جوًا قرب النجف، فى ٣١ مارس ٢٠٠٣ (الصورة ٢)، والصورة الملتقطة من جون مور لمعتقل فى زنزانة اعتقال انفرادية فى سجن أبى غريب، فى ٢٢ يونيو ٢٠٠٤ (الصورة ٣). وكذلك نُعبِّر عن امتناننا لبول فيتزجيرالد والمجلة الدولية (www.newint.org) على كرتون ''العالم الرديء الكبير'' (صورة ٥). وللحملة المناهضة للجدار العازل (http://stopthewall.org) على صورة الناشطين الفلسطينيين المتظاهرين بوصفهم أمريكيين أصليين [هنودًا حمرًا]، رام الله، ٨ أبريل ٢٠٠٤ (صورة ٦)، وعلى صور الجرافيتى والشعارات المكتوبة على الجدار الإسرائيلى (الصورتين ١٢ و١٣). مثلما نُعرب عن امتناننا أيضًا لمحمد بكرى على لقطات الشاشة المأخوذة عن جنين جنين (الشكلين ٧ و١٤)، ولمارك أبراهامز ولحوليات الأبحاث المستحيلة the Annals of Improbable Research (www.improbable.com) على صفحتى غلافى إصدارى يناير/فبراير ٢٠٠٢ وسبتمبر/أكتوبر ٢٠٠٤ الهواء (الشكلين ٨ و٩). وكذلك توماس سكوت على السماح باستخدام الرسوم والنص المأخوذين من الاستعداد (البديل) Preparing for Emergencies لموقع الطواريء (الشكل ١٠). وهارت سيلى على السماح باستخدام غلاف مكونات الذكاء: الشعر الوجودى لدونالد رامسفيلد Pieces of Intelligence: The Existential of Donald H. Rumsfeld (الشكل ١١) و'قصائد' المجهول The Unknown، والوضوح Clarity، واعتراف A Confession (الفصل الخامس). وأخيرًا، أندرو روبين، جامعة جورجتاون، على السماح باستخدام خطابه للمجلس التنفيذى لرابطة اللغات الحديثة (الفصل السابع).

منى بيكر

أكتوبر ٢٠٠٥

الفصل الأول

مقدمة

أينما توافق لنا أن نكون فى مكان ما من الغالم وأيًا ما كان نمط الفعاليـة أو المهنة التى يمكن أن نكون منخرطين فيها، فإننا نعيش الآن ونشتغل فى مناخ من الصراع يخترق الحدود القومية ويفرض نفسه باطراد على وعينا. وتعد الترجمة، فى هذا العالم المحكوم بالصراع والمُعولَم، مركزية لقدرة كل طرف من الأطراف على تسويغ نسخته من الأحداث، خصوصًا فى ظل حقيقة أن أنماط الصراع السياسية وسواها من الأنماط الأخرى تجرى اليوم فى الساحة الدولية ولم تعد تُحل من خلال اللجوء إلى الدوائر المحلية وحدها. ويفيد هذا الكتاب من النظرية السردية ليعاين الطرائق التى تشتغل بها الترجمة والترجمة الشفاهية فى هذا السياق وليستكشف كيف يُدرِك التفاوض الخِطابى للسرديات المتصارعة والمتنافسة فى أفعال الترجمة والترجمة الشفاهية وعبرها.

١-١ الترجمة، والقوة، والصراع:

تفيد تعريفات الصراع لا محالة من مفاهيم القوة **power** والعكس بالعكس. إذ تفترض الأبحاث التقليدية أن القوة هى عبارة عن شىء ما يملكه بعض الناس على بعضهم الآخر. ويؤكِّد، علاوة على ذلك، بعض منظرى القوة، مثل باشراش **Bachrach** وباراتز **Baratz** (١٩٦٢و١٩٧٠) أن القوة تكون حاضرة فقط فى مواقف الصراع القابل للملاحظة، المواقف التى يجبر فيها طرفٌ طرفًا آخر أن يسلك ضد إرادته أو ما يدركه بوصفه مصلحته الخاصة. ومع ذلك، تقر تعريفات أكثر صلابة أن الممارسة الأقصى للقوة تتضمن تشكيل رغبات واحتياجات طرف

آخر والتأثير فيها بطريقة تجعلـه يتفـادى الـصراع القابـل للملاحظـة، أى أن 'الاستخدام الأكثر فعالية ومكرًا للقوة يتمثل فى منـع ... الـصراع أصـلاً مـن النشوب' (Lukes 1974:23)[١]. وقد قدَّم كل مـن جـود (Good 1989)، وكلـيج (Clegg 1993)، وإهرينهـاوس (Ehrenhaus 1993)، وفيليـبس (Philips 2001) إطلالات رائعة على القضايا المرتبطة بالموضوع. وإن كان المرجع المعتمد عـن القوة هو كتاب لوكس (Lukes 1974).

إن الصراع، بمعناه الأوسع، يشير إلى موقف يسعى فيه طرفان أو أكثر إلى أن يُقوِّض أحدهم الآخر لأن لديهما أو لديهم أهدافًا متضاربة، أو مصالح متنافـسة، أو قيمًا مختلفة بشكل أساس. وبهذا المعنى، يُمثِّل الصراع جزءًا طبيعيًا من الحيـاة اليومية وليس ظرفًا استثنائيًا. ومع ذلك، فإن معظم الناس يفهمون الصراع بمعنـاه السياسى، بوصفه حالة من العدائية بين جماعات من البشر، عـادة ينتمـون إلـى أعراق، أو أديان، أو دول قومية مختلفة. ويتبنى هذا الكتـاب التعريـف الأوسـع للصراع؛ إلا أنه يعتمد اعتمادًا كثيفًا على أمثلة للصراع العسكرى الـسياسى فـى تفصيل فرضياته، وإن كان غير مقصور عليها. كما أنه يفترض أيضًا أن الترجمة والترجمة الشفاهية جزء من مؤسسة الحرب؛ ومن ثم يلعبان دورًا خطيـرًا فـى إدارة الصراع – لدى كل الأطراف، من مثيرى الحرب **warmongers** إلى نشطاء السلام.

إن الترجمة والترجمة الشفاهية يشتركان فى تشكيل الكيفية التى يتكشف بهـا الصراع بعدد من الطرائق. أولاً، وكما يُذكِّرنا شيلتون (Chilton 1997: 175)، فإن إعلان الحرب هو، فى جميع الأحوال، 'فعل لغوى'. وبوضوح، يجب توصيل هذا الإعلان اللفظى إلى الأطراف الأخرى بلغـاتهم الخاصـة؛ إذ لا معنـى لإعـلان الولايات المتحدة الأمريكية للحرب على العراق بدون التأكد أن العـراقيين وبـاقى العالم 'يسمع' ذلك الإعلان. ثانيًا، ما أن تُعلن الحرب، حتـى لا يمكـن أن تبـدأ العمليات العسكرية المرتبطة بها وتستمر إلا عبر النشاط اللفظـى (١٩٩٧: ١٧٥). بل إن الحروب الحديثة تقوم على التنسيق بين جيوش متعددة من بلدان ومجتمعـات

لغوية مختلفة؛ ومن بين ما تتضمنه الأمثلة الأخيرة الأمم المتحدة في البوسنه والقيادة العسكرية الأمريكية في العراق. كما أن عملية تعبئة القوى العسكرية ذاتها تعتمد اعتمادًا شديدًا آنذاك على أفعال متواصلة من الترجمة والترجمة الشفاهية، بما في ذلك – بصورة حاسمة – أفعال الترجمة والترجمة الشفاهية التي تتيح للموظفين العسكريين أن يتواصلوا مع المدنيين القاطنين في الإقليم. وقد وصلت منشورات الدعاية التي أسقطتها قوات الولايات المتحدة على العراق في مارس ٢٠٠٣ تشكيلة من الرسائل إلى المدنيين والجنود العراقيين، مثل 'لا يرغب الإئتلاف في تدمير معالم بلادكم' و'بإمكان قوات التحالف الجوية القصف في أي وقت وفي أي مكان' (Moss 2003: 12-13). وتقرأ الأسطورة الكامنة وراء صور هذه المنشورات في الجارديان: ' ترجمات إنجليزية لبعض منشورات الدعاية المُسقَطة في العراق من طائرات الولايات المتحدة والمُوجَّهة إلى الجنود والمدنيين' (التشديد من عندي، ١٩٧٧: ١٧٥). إلا أن الأرجح هو أن المنشورات كانت تعد أولاً بالانجليزية ثم تُترجَم وتُسقَط في العراق باللغة العربية، لكن وسائل الإعلام كثيرًا ما تخلط هذه القضايا.

ثالثًا، ليس العسكريون فقط هم من تجب تعبئتهم لشن الحرب ودعمها وإنما أيضًا البشر العاديين. إذ يُذكرنا سميث (Smith 1997: 200) أنه في أعقاب انفصال يوغسلافيا عن الاتحاد السوفيتي كان القادة السياسيون الناجحون هم أولئك الذين وظفوا استراتيجيات فعَّالة لتعبئة البشر العاديين. ذلك أن إعلان الحرب واستمرارها يجب أن يُبرَّر ويُشرْعَن خِطابيًا؛ إذ يتوجب على الساسة أن يُمهِّدوا السبيل لكيما تُقبَل الحرب، وتصبح التضحيات الإنسانية مُبرَّرة. بل لقد أصبح يجب أن تُباع الحروب المعاصرة للجماهير العالمية وليس فقط للجماهير المحلية، وتُمثِّل الترجمة متغيرًا رئيسًا مؤثرًا في ترويج وشرعنة السرديات التي تُغذِّي هذه الأنشطة. وأخيرًا، فما أن تنطلق الحرب، حتى تبدأ تتخذ نمطيًا محاولات بلوغ وإيجاد نهاية للصراع شكل اجتماعات، ومؤتمرات، وحلقات نقاش جماهيرية، فضلاً عن المفاوضات السرية. وكل هذه الأنشطة تتطلب توسط المترجمين والمترجمين

الشفاهيين **interpreters**. ويلاحظ سميث **(Smith 1997: 201)** أنـــه ''إذا كانـــت الاجتماعات تُدار من خلال مترجمى اللغة الشفاهيين **language interpreters**، فإن مشكلات الترجمة تُضيف، خصوصًا الألفاظ المشحونة عاطفيًا، طبقة إضافية مـــن التشكك المتولد عن التأويلات الخِطابية المتضاربة لطرفـــى الـــصراع والطـــرف الثالث''.

ولعل الأهم من كل ذلك أن الترجمة والترجمة الشفاهية أساسيان فى تـــرويج ومقاومة السرديات التى تخلق بيئة فكرية **intellectual** وأخلاقية للصراع العنيـــف فى المقام الأول، حتى وإن كان يمكن أن تكون الـــسرديات المتناولـــة لا تُـــصورٌ الصراع أو الحرب بصورة مباشرة. وبالفعل، فإن بعض هذه السرديات، كما سوف نرى، يمكن أن تُدرَج بوصفها نظريات علمية مُجرَّدة ومُحايدة، بينما يمكن أن يُنظَر إلى بعضها الآخر بوصفها نصوصًا أدبية، أو رسومًا هزلية، أو تسلية بريئة.

١-٢ لماذا السرد؟

إن السرديات ''تُشكِّل وسائل حاسمة لتوليـــد، وتغذيـــة، وتوســـط، وتمثيـــل الصراع فى كل مستويات التنظيم الاجتماعى'' **(Briggs 1996: 3)**. ويعتمـــد هـــذا الكتاب على مفهوم السرد كما هو مطروح فـــى النظريـــة الاجتماعيـــة ونظريـــة التواصل، وليس كما هو مطروح فى علـــم الـــسرد **narratology** أو اللغويـــات، ليستكشف الكيفية التى تشارك بها الترجمة والترجمة الشفاهية فى هـــذه العمليـــات. فالسرديات، بالمعنى المستخدمة به هنا، هى القصص اليومية التى نحيا بها، وفـــى الواقع فإننى سأستخدم 'السردية' **'narrative'** و'القصة' بشكل تبادلى على امتـــداد الكتاب. وتتمثل إحدى عوامل جاذبية السرد فى أنه مفهوم شـــفاف شـــفافية عاليـــة ومُشبِع إشباعًا بديهيًا إلى حد يمكن معه لأى شخص أن يفهمه بسهولة.

إن مفهوم السرد المستخدم فى هذا الكتاب يتشابك إلى حد ما مع 'خطـــاب' فوكو، و'أساطير' بارت، خصوصًا فى تشديده على الأثـــر التطبيعـــى للتمثـــيلات

المُتناثِرة جماهيريًا (انظر الفصل الثانى، القسم ٢-١-٢). إلا أن مفهوم السرد أكثر تعينًا وقابلية للولوج إليه بكثير، مقارنة بالمفهوم المُجرَّد للخطاب بوصفه ناقلاً للعمليات الاجتماعية والسياسية، وبمفهوم الأسطورة بوصفها عنصرًا داخل نسق سيميولوجى لنظام ثانوى. كما أن مفهوم السرد، أيضًا، على العكس من الأسطورة، وأكثر بكثير جدًا من الخطاب، ليس مقصورًا على التمثيلات الجماهيرية، وإنما ينطبق بالقدر ذاته على القصص الفردية (انظر الفصل الثالث، القسم ٣-١، حول السرديات الأنطولوجية). وهكذا، فإن إحدى مظاهر قوة النظرية السردية، كما يفسِّر وايتبروك **Whitebrook**، تتمثل فى أنها 'تجعل الفاعل السياسى متعينًا **concrete**' إذ:

> **يتيح اللجوء إلى السرد لأشخاص النظرية المجردين من هوياتهم الشخصية the de-personalized persons of theory، الحاملين لهوية تمثيلية أو تجسيدية typified، أن يُفهَموا بوصفهم أشخاصًا - شخوصًا - منفصلين لهم مجموعات مفردة من الخصائص المميزة، بما يتضمن سياقهم السياسى و/أو هوية الجماعة السياسية، وإن يكن غير مقصور عليه أو عليها.**

(٢٠٠١: ١٥)

إن السرديات، كما هى مفهومة هنا، عبارة عن كيانات دينامية؛ وهى تتغير بطرائق ماكرة وراديكالية كلما خبر الناس قصصًا جديدة وأصبحوا مُعرَّضين لها بشكل يومى. ولهذه الفرضية عدد من العواقب. أولاً، تُدرِك النظرية السردية أن سلوك الأشخاص تُوجِّهه فى النهاية القصصُ التى توافق لهم أن يؤمنوا بها فيما يخص الأحداث التى يكونون منخرطين فيها، وليس نوعهم، أو عرقهم، أو لون بشرتهم، أو أى خاصية أخرى[٢]. ثانيًا، لأن السرديات دينامية، فإنها لا يمكن أن تكون مُنظَّمة ضمن مجموعة من القصص المستقرة بحيث يختار منها الناس ببساطة. كما تدرك النظرية السردية أننا نستطيع فى أى لحظة من اللحظات أن

نكون متموقعين ضمن تشكيلة مـــن الـــسرديات المتفرقـــة، والمتقاطعـــة، وغالبًـــا المتذبذبة، ومن ثم الإقرار بتعقيد وسيولة تموضعنا بالنسبة لمشاركين آخـــرين فـــى التفاعل. ثالثًا، لأن السرديات منفتحة بشكل دائم على التغير مع تعرضنا لخبـــرات جديدة وقصص جديدة، فإنها تنطوى على 'إمكانية تدميرية **subversive** أو تحويلية بارزة' (**Ewick and Silbey 1995: 199**؛)، وانظر الفصل الثانى، (عـــن الفحـــوى السياسية للسردية). إن تقويض أنظمة مثل أنظمة ألمانيا النازية أو جنوب أفريقيـــا فى ظل التمييز العنصرى، يصبح، حينئذٍ – وقبـــل أى شـــىء – مـــسألة تحـــدى للقصص التى تُغذِّيها (**Hinchman and Hinchman 1997a: xxvii**). ويتمفصل هذا التحدى، بدوره، فى شكل قصص بديلة.

ويتمثل مظهر آخر من مظاهر قوة النظرية السردية فى أنها، على العكـــس من الكثير من المعارف القائمة فى دراسات الترجمة، تتيح لنا أن نُعاين الكيفية التى تبرز بها الترجمة فى صياغة السرديات التى تمر عبـــر الـــزمن والنـــصوص. إن 'قيمة مفهوم السرد'، كما يشرحها إهرنهاوس **Ehrenhaus**، تتمثل فى:

> **مناسبته كترميز اختزالى a shorthand notation لتعددية شذرات مثيرة يحيط بها الناقد فى تأليف نص عامل – قصة لها أساس فى التشكيلات الاجتماعية يفهم مـــن خلالهـــا الأفـــراد، كأعـــضاء مجتمـــع تـــأويلى an interpretive community، العالم الذى يقطنونه ويعيدون إنتاج ذلـــك العالم من خلال مشاركتهم وأفعالهم الخطابية.**

(١٩٩٣: ٨٠)

وبينما ينزع علم السرديات واللغويات إلى التركيز على نص واحد فى لحظة معينة، فى المقام الأول على النص الأدبى (وفى الآونة الأخيرة على السينما) وفى المقام الثانى فى الأغلب على السرديات الشفاهية، فإن النظرية السردية كمـــا هـــى محدَّدة هنا تعامل السرديات – عبر كل الأنواع والأساليب – بوصـــفها تـــشكيلات عديمة الشكل ومتناثرة **diffuse, amorphous configurations**، وليست بالضرورة

'قصصًا' محلية متمفصلة تمفصلاً تامًا ومتمايزة. كما أنها قادرة على أن تتعامل بشكل متزامن مع النص المفرد والمجموعة الأكبر من السرديات المنغرس فيها، وتشجعنا أن ننظر إلى ما يتجاوز السرد المحلى المباشر كما هو متشكل فى نص أو تلفظ معين لنُقيِّم إسهامه فى صياغة سرديات أوسع داخل المجتمع. وعلاوة على هذا، تتيح لنا النظرية السردية أن نلملم ونحلل سردية ما لا يمكن ردها بشكل كامل إلى أى امتداد لنص من النصوص وإنما يجب أن تكون مبنية من سلسلة من المصادر، بما في ذلك المواد غير اللفظية. وهى بفعلها لهذا تقر بانبناء السرديات وتشجعنا أن نفكر بشكل نقدى فى انسياخنا فيها(٣).

١-٣ إطلالة على الفصول:

يطرح الفصل الثانى 'تقديم النظرية السردية' نظرة واسعة للسردية **narrativity** كما هى مفهومة ومطبقة فى هذا الكتاب. وهو يبدأ بمناقشة مكانة وتأثيرات السردية، بما فى ذلك علاقتها بالأنواع، والعلم، والفئات **categories**، والحقيقة **fact**، والقص **fiction** وكذلك الوظيفة التطبيعية للسرديات **the normalizing function of narratives**. ثم يطرح تعريف السردية الذى يوفِّر الأساس لنموذج التحليل المُفصَّل فى بقية الكتاب. ويختتم الفصل بمناقشة المغزى السياسى **political import** للسرديات وتفاعل المقاومة والهيمنة الواضح فى الكيفية التى تُصاغ وتُتلقى بها السرديات، مع التشديد على أن السردية تعيد إنتاج بنى القوى القائمة وتوفر وسيلة لمناهضتها.

ويناقش الفصل الثالث، معتمدًا على سومرز (**Somers 1992; 1972**)، وعلى سومرز وجيبسون (**Somers and Gibson 1994**)، أربعة أنماط من السرديات والكيفية التى يتوسط بها المترجمون والمترجمون الشفاهيون تدويرها فى المجتمع. فالسرديات الأنطولوجية هى عبارة عن قصص شخصية نحكيها لأنفسنا حول مكاننا فى العالم وتاريخنا الشخصى الخاص؛ إنها بينشخصية واجتماعية بطبيعتها إلا أنها

تظل متركزة على الذات وعالمها المباشر. بينما تُصاغ السرديات الجماهيرية وتتداول من قبل، وفيما بين، تشكيلات اجتماعية ومؤسسية أكبر من الفرد، مثل الأسرة، والمؤسسة الدينية أو التعليمية، ووسائل الإعلام، والأمة. ذلك أن الأفراد فى أى مجتمع إما أنهم يقبلون السرديات الجماهيرية المهيمنة أو يعارضونها. ويلعب المترجمون والمترجمون الشفاهيون دورًا حاسمًا فى نشر ومناهضة السرديات الجماهيرية داخل الحدود القومية وعبرها. فى حين أن السرديات التصورية أو سرديات الأنظمة المعرفية هى عبارة عن قصص وتفسيرات يصوغها الدارسون فى أى حقل لأنفسهم وللآخرين حول موضوع بحثهم. وأخيرًا، فإن السرديات الشارحة عبارة عن سرديات جماهيرية 'نكون منغرسين فيها كفاعلين معاصرين فى التاريخ ...التقدم، الانحطاط **decadence**، التصنيع، التنوير، إلخ' (**Somers and Gibson 1994: 61**)، بما فى ذلك 'الدرامات الملحمية لزمننا: الرأسمالية فى مقابل الشيوعية، الفرد فى مقابل المجتمع، البربرية/الطبيعة فى مقابل التمدن **civility**' (**Somers 1992: 602**).

ويشرح الفصلان الرابع والخامس كيف تشتغل السرديات فيما يخص الكيفية التى تبنى لنا بها العالم. ويركز الفصل الرابع على السمات الأربع المحورية للسردية، أى الزمنية، والعلائقية، والتحبيك السببى، والاستملاك الانتقائى. بينما يعتمد الفصل الخامس على برونر (**Bruner 1991**) ليكمل هذه السمات المحورية الأربع بأربع سمات أخرى: الخصوصية، والنوعية، والمعيارية (بما فى ذلك القياسية والخرق)، والتراكم السردى. إن السمات الثمانى تتشابك وتتبادل الاعتماد على بعضها البعض بدرجة عالية. كما تشارك التتابعات الزمنية والمكانية فى صياغة أنماط التحبيك السببى، ويتحقق التحبيك السببى، بدوره، جزئيًا عبر الاستملاك الانتقائى، وهكذا. إلا أن نقاش هذه السمات تحت عناوين منفصلة يتيح لى أن أوضّح بعضًا من الطرائق المعقدة التى تتوسط بها السردية **narrativity** خبرتنا بالعالم.

وفى الفصل السادس، يُستخدم مفهوم الإطار كما هو مطروح فى عمل جوفمان وفى الأدبيات الخاصة بالحركات الاجتماعية لمعاينة بعض الطرائق العديدة التى يبرز أو يقوض أو يكيف بها المترجمون والمترجمون الشفاهيون – بالتعاون مع الناشرين، والمحررين وفاعلين آخرين منخرطين فى التفاعل – جوانب من السردية أو السرديات المُشفَّرة فى النص أو التلفظ موضع الانطلاق، وبفعل ذلك يشارك فى تشكيل الواقع الاجتماعى. إن عمليات (إعادة) التأطير يمكنها أن تفيد عمليًا من أى مورد لغوى أو غير لغوى، من أى وسائل لغوية مصاحبة مثل التنغيم، والطباعة بالنسبة لمصادر بصرية مثل اللون والصورة، لوسائل لغوية عديدة مثل تحولات أزمنة الأفعال، والإشاريات، وتحويل الشفرة **code switching**، واستخدام الكنايات التلطيفية، وما هو أكثر من هذا بكثير. إذ يركِّز الفصل على أربع استراتيجيات مفتاحية لتوسط السردية أو السرديات المتشكلة فى نص أو تلفظ منطلق: التأطير الزمنى والمكانى، التأطير من خلال الاستملاك الانتقائى، التأطير بواسطة التسمية (بما فى ذلك أسماء وعناوين الأماكن المنافسة)، وإعادة موضعة المشاركين.

وفى ظل أن نسخة النظرية السردية المطروحة فى هذا الكتاب تؤكد أن السردية تشكل الواقع ولا تمثله فحسب، ومن ثم ما من أحد منا فى وضع يقف فيه خارج نطاق أى سردية لكى يلاحظه 'موضوعيًا'، فإننا يمكن أن نستنتج أنه يمكن ألا تكون هناك معايير لتقييم السرديات وأنه ما من وسيلة ملموسة لدينا لنثبت إذا ما كنا ينبغى أن نشارك فى أو نرفض أى سردية مُحدَّدة. أما فى الفصل السابع، فإننى أجادل بأن انغراسنا فى السرد لا يعوق قدرتنا على أن نفكر فى السرديات الفردية. إن نموذج والتر فيشر **Walter Fisher** السردى الفعال (١٩٨٤، ١٩٨٥، ١٩٨٧، ١٩٩٧) يتيح لنا أن نُقيِّم سردية مُتشكِّلة فى نص مفرد وكذلك سرديات متناثرة يجب تجميعها معًا من العديد من المصادر ووسائل الإعلام. كما يمكن أيضًا أن يُستخدَم لتقييم أى سردية: أنطولوجية، أو جماهيرية، أو تصورية، سواء كانت

مصوغة من قبل فرد أو من قبل مؤسسة. إننى أعتمد على عمل فيشر فى تقييم سرديتين لهما فائدة مباشرة بالنسبة للمترجمين والمترجمين الشفاهيين. السردية الأولى تناهض ممارسة رابطة اللغويات الجديثة بالسماح لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية بأن تعلن عن وأن تجند مُوجِّهى لغة محتملين فى مؤتمرها السنوى. والسردية الثانية مصوغة من قبل جماعة مترجمين متطوعين، مترجمين بدون حدود، على نصوص ووسائل إعلام مختلفة. إن التقييم يمس العلاقة بين الاهتمامات ذات النزعة الإنسانية والتِّجارية وانخراط شركات الترجمة فى الأعمال الخيرية التطوعية. ولا حاجة بنا إلى قول إن التقييم فى كلتا الحالتين ليس موضوعيًا ولا يمكن أن يكون موضوعيًا؛ بل إنه يكون مُوجَّها لا محالة بقيم المُقيِّم الخاصة وموقع السرد. إن قيمة نموذج فيشر التفسيرى تكمن فى تمكيننا من أن نعيد تعقب خطواتنا وأن نمفصل أسبابنا فى تدعيم أو معارضة أى سردية معطاة، دون إملاء ما ينبغى أو ما لا ينبغى أن نؤمن به.

إن الأمثلة المتنوعة المُستخدَمة لتمثيل إطار العمل النظرى المطروح فى هذا الكتاب تفترض أن الترجمة ليست مُنتَجًا ثانويًا **a by-product**، وليست ببساطة نتيجة، للتطورات الاجتماعية والسياسية، كما أنها ليست مُنتَجًا ثانويًا للحركة الفيزيقية للنصوص والأشخاص. بل إنها جزء لايتجزأ من العملية ذاتها التى تشكِّل هذه التطورات والحركات الممكنة فى المقام الأول. وعلاوة على ذلك، فإن النظرية السردية تدرك أن تقويض أنماط الهيمنة القائمة لا يمكن أن يتحقق بواسطة أشكال متعينة من الفاعلية **activism** وحدها – المظاهرات، الاعتصامات **sit-ins**، العصيان المدنى **civil disobedience** – بل يجب أن يتضمن تحديًا مباشرًا للقصص التى تغذى هذه الأنماط. إن المترجمين والمترجمين الشفاهيين، بوصفهم وسطاء من خلال اللغة، موضوعون بشكل فريد ليدشنوا هذا النمط من التدخل الخطابى على مستوى عالمى، كما يشهد العديد من الأمثلة المناقشة فى الفصول التالية.

وأخيرًا، فإن الكثير مما يجب أن أقوله فى هذا الكتاب سيؤوّل بأنــه إدانــة شديدة لسياسات الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، وإسرائيل تجاه ما يطلق عليــه العالم الثالث بعامة والعالم العربى بشكل خاص. إلا أننى لن أقدّم اعتذارات عن هذا الموقف. ومع ذلك، فإن حقيقة أننى اخترت أن أركّز على سرديات النخب السياسية بوصفها ممثلة فى أقاليم معينة لا يجب أن يؤخذ على أنه يتضمن أننـــى أرى هــذه النخب وسردياتها بوصفها ممثلة للمجتمعات المرتبطة بها ككل. وفى الواقع، فــإن الكثير من النقد لسياسات الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، وإسرائيل الذى أعتمد عليه هنا يأتى من مصادر أمريكية، وبريطانية وإسرائيلية. كما أننى واعية أيــضًا أن المجتمعات العربية والإسلامية تولّد سردياتها المثيرة للتساؤل بدرجــة عاليــة، مستهلكة فى الغالب الصراعات ذاتها التى تستمر فى تمزيق أوصال هذه الأقــاليم. لقد اخترت أن أعطى الأولوية لــسرديات النخــب الــسياسية الأنجلــو أمريكيــة والإسرائيلية لأنها، فى سرديتى الخاصة بالصراعات الراهنــة، تــستحق أن تُمــنح انتباهًا خاصًا فى ظل الحروب المتعددة وآلات وسائل الإعلام التى تحظى بها تحت تصرفها.

مراجع أساسية:

Chilton, Paul (1997) 'The Role of Language in Human Conflict: Prolegomena to the Investigation of Language as a Factor in Conflict Causation and Resolution ،'Current Issues in Language & Society 4 (3): 174 – 98.

Clegg, Stewart R. (1993) ' Narrative, Power, and Social Theory', in Dennis K. Mumby (ed) .Narrative and Social Control: Critical Perspectives ،Newbury Park CA: Sage, 15-45.

Good, Leslie (1989) 'Power, Hegemony, and Communication Theory', in Ian Angus and Sut Jhally (eds Cultural Politics in Contemporay America ،New York and London: Routledge), 51-64

Lukes, Steven (1974 Power: A Radical View ،Basingstoke and London: Macmillan EducationPhilips, Susan U. (2001' Power ،'in Alessandro Duranti ed .Key Terms in Language and

Culture, Oxford: Blackwell, 190–6.

Smith, Dan (1997) 'Language and Discourse in Conflict and Conflict Resolution', Current

Issues in Language & Society 4(3): 190–214.

قراءات إضافية:

Damrosch, David (2005)' Death in Translation ،'in Sandra Bermann and Michael Wood (eds)

Nation, Language, and the Ethics of Translation, Princeton NJ and Oxford: Princeton

University Press, 380–98.

Draper, Jack (2002) 'Breaking the Imperial Mold: Fragmented Translations'. Paper presented

at the Colloquium Problems of Translation: Violence as Language Within Global Capital, 26
January 2002. Available online at www.duke.edu/~jad2/draper.htm (accessed 28 June 2005).
Jones, Francis R. (2004) 'Ethics, Aesthetics and Décision: Literary Translating in the Wars of the Yugoslav Succession', Meta 49(4): 711–28.
Krog, Antje (1998) Country of My Skull, London: Vintage.
Nelson, Daniel (2002) 'Language, Identity and War', Journal of Language and Politics 1(1): 3–22.
Palmer, Jerry and Victoria Fontan (2006, in press) '"Our Ears and Our Eyes": Journalists and
Fixers in Iraq', Journalism.
Saar, Erik and Viveka Novak (2005) Inside the Wire: A Military Intelligence Soldier's Eyewitness
Account of Life at Guantanamo, New York: Penguin Press.
Schaffner, Christina (2004) 'Political Discourse Analysis from the Point of View of Translation
Studies', Journal of Language and Politics 3(1): 117–50.

الفصل الثانى

تقديم النظرية السردية

لقد جذب مفهوم السرد الكثير من الانتباه داخل نطاق عريض من المجالات المعرفية وبناء على ذلك تم تعريفه بطرائق متنوعة. ويفيد هذا الفصل بشكل أساس من النظرية الاجتماعية ونظرية التواصل لصياغة تعريف للسرد يكون مناسبًا لبحث الكيفية التى يشتغل بها المترجمون والمترجمون الشفاهيون فى مواقف الصراع. وأبدأ بإطلالة على مكانة وتأثيرات السرد، بما فى ذلك علاقته بالأنواع، والعلم، والفئات **categories**، والحقيقة **fact**، والقص **fiction** وأختتم بمناقشة المغزى السياسى **political import** للسرديات والكيفية التى يعيد بها السرد إنتاج بنى القوى القائمة ويوفر وسيلة لمناهضتها.

٢-١ مكانة وتأثيرات السردية

يميل دارسون كثيرون، خصوصًا فى الدراسات الأدبية واللغويات، لمعاملة السرد بوصفه أسلوب تواصل اختيارى، غالبًا ما تتم مقابلته بالحِجاج أو البيان **exposition**. وتنحو المقاربات التى تعامل السرد بوصفه أسلوبًا اختياريًا إلى أن تركِّز على البنية الداخلية للسرديات المؤداة شفاهيًا أو الأدبية - بناء على المراحل وسلاسل الأحداث **episodes** والحبكات، على سبيل المثال - وتميل إلى أن تُشدِّد على مزايا استخدام السرد، وليس على أساليب التواصل الأخرى، لتضمن التزام وانخراط الجمهور. ويمثل لابوف **Labov** المثال الأفضل والأكثر تأثيرًا لهذا التراث. ولعل استعراضًا موجزًا جدًا لهذه المقاربة قد يساعد على توضيح الفروق

المهمة بين المقاربات الأدبية واللغوية للسرد والمقاربة السوسيولوجية المتبناة في هذا الكتاب على نطاق عريض.

يحدِّد لابوف السرد بأنه 'أحد طرائق استعادة **recapitulating** الخبرة الماضية من خلال ربط سلسلة لفظية من الجمل بسلسلة من الأحداث التى (يُستنتَج أنها) وقعت فعلاً' (١٩٧٢: ٣٥٩-٣٦٠) (التشديد من عندى)، ويُحدِّد ما يدعوها 'سردية صُغرى **minimal narrative**' بأنها 'تسلسل جملتين مُنظَّمتين زمنيًا' (التشديد في الأصل، ١٩٧٢: ٣٦٠). ومثل معظم الدراسين فى اللغويات والتداوليات، بعد أن يُحدِّد السرد بوصفه طريقة واحدة لتكثيف الخبرة، يواصل لابوف ليركِّز على السرديات الشفاهية وعلى تشكيلها البنيوى. ويصوغ إطارًا بنيويًا يُقسِّم هذه القصص الملقاة شفاهيًا إلى ستة مكونات: التجريد **abstract**، والتوجه **orientation**، وتعقيد الحدث **complicating action**، والتقييم **evaluation**، والنتيجة **result** أو الحل **resolution**، والمقطع الختامى **coda** (١٩٧٢: ٣٦٢ff.). ويُفترَض فى المكونات كلها أنها تتحقق فى صيغة جمل **clauses**. على سبيل المثال، يقع التجريد فى بداية السرد **narration** ويتألف من 'جملة واحدة أو جملتين توجزان القصة كلها' (١٩٧٢: ٣٦٣)؛ ويمكن أن يقع التوجه 'ضمن الجمل السردية العديدة الأولى، لكن الأكثر شيوعًا أن يوجد قسم التوجه مؤلفًا من جمل حرة' (١٩٧٢: ٣٦٤)؛ وما إليها. إن هذه المقاربة، بقصر انتباهها على السرديات الشفاهية، وتعاملها مع السرد بوصفه أسلوبًا اختياريًا للتواصل، وانشغالها بالتشكيل البنيوى للقصص، مختلفة جدًا عن المقاربة التى أعتزم أن أتبناها فى هذا الكتاب والتى أحاول أن أبسطها ببعض التفصيل فى هذا الفصل.

> **السرد narration هو سياق لتأويل وتقييم كل التواصل – وليس أسلوب خطاب يفرضه اختيار متعمد لمبدع ما وإنما شكل المعرفة كما نستوعبه من البداية.**

(Fisher 1987: 193)

فى النظرية الاجتماعية ونظرية التواصل، وكذلك فى أعمال بعض المؤرخين مثل هيدن وايت، يميل السرد إجمالاً إلى أن يعامل بوصفه الأسلوب الرئيس والحتمى الذى نخبر به العالم. ومن ثم، يجادل سومرز 'أننا عبر السردية يتوافق لنا أن نعرف، ونفهم، ونصوغ معنى للعالم الاجتماعى، وأنه عبر السرديات والسردية نشكّل هوياتنا الاجتماعية' (١٩٩٢: ٦٠٠) وكذلك يشدّد هيدن وايت على أنه

> **بعيدًا عن كونه يمثل شفرة واحدة ضمن شفرات عديدة يمكن أن تستخدمها ثقافة ما لإضفاء معنى على الخبرة، فإن السرد شفرة شارحة a meta-code، كون إنسانى يمكن انطلاقًا منه نقل رسائل عبر ثقافية حول طبيعة واقع مشترك.**

(White 1987a: 1)

ثمة فارق مهم إذًا بين المقاربات الأدبية واللغوية والمقاربة المتبناة فى هذا الكتاب، وهو فارق يتعلق بمكانة السرد بوصفه أسلوبًا اختياريًا للتواصل أو بوصفه شفرة شارحة تخترق وتعزز كل أساليب التواصل. إن النظرية السردية، كما هى مطروحة هنا، تتبنى الرؤية الأخيرة.

كما يوجد فارق آخر مهم يتعلق بشكل أكثر تحديدًا بقضية الأنواع. إذ فى حين أن معظم المقاربات الأدبية واللغوية تنحو إلى أن تعامل السرد نفسه بوصفه نوعًا، فإن رؤية السرد المتبناة فى هذا الكتاب تفترض أنه 'لا يوجد نوع، بما فى ذلك حتى الخطاب التقنى، لا يمثل سلسلة من الأحداث **an episode** فى قصة الحياة' (**Fisher 1987: 85**). ومن المهم تناول قضية النوع من البداية، لأن قراء كثيرين قد يفترضون أن الإطار السردى يمكن أن يكون مفيدًا إذا كنا نرغب أن ندرس ترجمة الأدب، أو الحكايات الشعبية، أو ربما الخطاب السياسى، لكن ليس بالتأكيد النص العلمى أو التقنى.

إن لانداو **Landau** يُشدِّد على قوة السرد كأسلوب وجود **a mode of being** مستقل عن النوع فى العبارات التالية(١):

نمو نبات، تطور مرض، تشكل شاطئ، تطور كائن حى – أى مجموعة من الأحداث يمكن ترتيبها بتسلسل وربطها معًا يمكن أيضًا سردها. ويصدق هذا حتى على أى تجربة علمية. وبالفعل، فإن تقارير معملية عديدة، بأقسامها المصنفة 'مناهج' 'methods'، و'نتائج' 'results'، و'استنتاجات' 'conclusions' تحمل على الأقل تشابهًا ظاهريًا مع السرد النموذجى، أى سلسلة منظَّمة من الأحداث لها بداية ووسط ونهاية. وسواء كان العلماء يتبعون مثل هذه البنية السردية فى أعمالهم أو لا، فإنهم فى الأغلب لا يدركون إلى أى مدى يستخدمون السرد فى تفكيرهم وفى توصيل أفكارهم. وتبعًا لذلك، فإنهم يمكن أن يكونوا غير واعين بالافتراضات السردية القبلية التى تشكل علمهم.

(١٩٩٧: ١٠٤)

إن النظريات والتقارير العلمية هى عبارة عن سرديات بمعنى أنها فى النهاية 'قصص' لها بداية، ووسط، ونهاية. وبشكل أكثر تحديدًا، فإن السرد يؤدى الكثير من العمل الذى نتعرفه مع الخطاب العلمى 'الموضوعى'. إن السردية هى التى تحوّل التدفق المتواصل للخبرة إلى مجموعة من الفئات المُحدَّدة التى يمكن تشغيلها بطرائق متعددة، ويتضمن هذا – كما سأحاول أن أبرهن بإيجاز (القسم ٢-١-٣، ص) – الفئات العلمية. والفئات سواء كانت علمية أو خلاف ذلك لا توجد خارج السرد الذى تكون متشكلة داخله. وعلاوة على ذلك، فإن عملية التفيئة (السردية) بعيدة عن أن تكون نزيهة **disinterested** حتى فى العلوم الأكثر تجريدًا و'موضوعية' على نحو ظاهر، مثل علم الإحصاء. ويناقش زريق **(Zureik 2001)** أمثلة متعددة على استخدام إحصاء السكان فى المجتمعات الاستعمارية وما بعد الاستعمارية لتفيئة الهويات بأسلوب يُسهّل التحكم فى كثافة السكان(٢). ولا حاجة بنا إلى قول إن كل مجموعة من الأرقام الإحصائية تشارك فى صياغة سردية مختلفة وغالبًا منافسة. وفى سياق الشرق الأوسط، على سبيل المثال، فإن كلاً من الفلسطينيين والإسرائيليين يلجأون إلى مجموعة مختلفة من بيانات تعداد السكان/الإحصائية 'ليوفروا شرعية لمزاعمهم الشخصية' (٢٠٠١: ٢١٥).

وكل مجموعة مستمدة 'بصرامة' من البيانات؛ إلا أن البيانات، مثلها مثل العـالم، لا يمكن الولوج إليها دونما توسط سردي. ولذا، فـإن حتـى الإجـراءات التقنيـة والبيانات (الرقمية) 'ينبغى أن تؤوَّل فى سياق قصصى' (**Fisher 1987: 48**).

٢-١-١ السرديات العلمية

إن السرد، بما فى ذلك السرد العلمى، يفيئ العالم إلى أنماط للشخصية، وأنمـاط للحدث، ومجتمعات محدودة. كما أنه يضفى على الخبرة النسقية مـن خـلال تنظـيم الأحداث بالنسبة لبعضها البعض – زمنيًا، ومكانيًا، واجتماعيًا. بل إنه يفعل ما هو أكثر من ذلك. إذ يتيح لنا السرد 'ليس فقط أن نربط الأحداث، بل أيـضًا المواقـف **stances** والميـول **dispositions** تجـاه تلـك الأحـداث' (**Baquedano-Lopez 2001: 343**)، وبالتالى تفيئة السلوك عبر متصل تقابلى **cline** أخلاقى ومقبـول اجتماعيًـا، إلـى سلوك ذى قيمة فى مقابل سلوك عديم القيمة، سـوى **normal** فـى مقابـل شـاذ **eccentric**، عقلانى **rational** فى مقابـل غيـر عقلانـى **irrational**، شـرعى **legitimate** فى مقابل غير شرعى، قانونى **legal** فى مقابل إجرامى **criminal**. إن السرديات العلمية تشارك فى هذه العملية من الشرعنة والتبرير التى هى فى النهاية سياسية فى فحواها. على سبيل المثال، لقد تمثلت مقاربة القرن التاسع عشر العلمية للاختلاف الذى افتُرِض أنه يوجد بين السود والبيض فى تفـسير هـذا الاخـتلاف بمصطلحات بيئية: إننا جميعًا، وعلى حد ما يذهب السرد العلمى، نولد متـساوين، لكن البيئة التى نولد فيها تُحدِّد مكاننا فى تراتبية راسخة – فيها البيض فـى القمـة والسود فى القاع. وفى بعض نسخ النظرية، يمكن لشخص أسود أن يحتـل موقعًـا أعلى فى التراتبية إلى جانب أوربى أبيض إذا كان ممن انتزعوا من أفريقيـا فـى زمن مبكر ويعيش فى بيئة بيضاء. إن هذه النظريات العلمية التى كانـت تُـدرَك وتُسقَط بوصفها موضوعية، ومتجردة **detached**، ونزيهـة **disinterested** كانـت تُستخدَم لتبرِّر العبودية **slavery**. فالعلم، كما أكَّـد فـارنز (**Farrands 2003: 14**) عقب موت مفتش أسلحة الحكومة البريطانية دافيد كيلى فى يوليو ٢٠٠٣[٣]، هـو 'مجرد سياسة فى معطف مختبر **a lab coat**.'

ولأن السرديات العلمية – مثل كل السرديات – مهتمة فى النهاية بشرعنة وتبرير الأفعال والمواقف فى العالم، فإنها يمكن أن تكون مُهدِّدة بدرجة عالية بالمعنى السياسى المباشر. ويشهد على ذلك النزاع الهائل الذى أعقب ما نُشِر فى مجلة علم المناعة الإنسانية **Human Immunology** من ورقة بحثية افتتاحية تكشف أن يهود الشرق الأوسط والفلسطينيين تقريبًا متطابقان جينيًا (**McKie 2001**). وقد شرح ماكاى، المُحرِّر العلمى لـ الأوبزرفر **The Observer** أنه على غرار الدراسات السابقة، لم يجد فريق البحث بيانات تدعم فكرة أن الشعب اليهودى متمايز جينيًا عن البشر الآخرين فى الإقليم. وبذلك، فإن بحث الفريق يرفض دعاوى أن اليهود شعب استثنائى، مختار وأن اليهودية لا يمكن لها سوى أن تُورَّث.

ولم يُرفع المقال نتيجة لذلك فقط من موقع المجلة، بل استُحِث الأكاديميون الذين تلقوا النسخة المطبوعة أن 'ينزعوا الصفحات المُهينة' (التشديد من عندى؛ **McKie 2001**)، وأُرسِلت خطابات إلى المكتبات على امتداد العالم تطلب منها أن تنتزع المقال بشكل فيزيقى من النسخ التى لديها، و'هُدِّدت رئيسة التحرير باستقالات جماعية من الأعضاء إن لم تسحب المقال'! إن هذه الاستجابة شبه الهستيرية تثبت الفحوى السياسية للسرديات العلمية وقواها الكامنة فى تدعيم وخلخلة علاقات الهيمنة القائمة. ومع ذلك، فإن مترجمى النصوص العلمية قلما يكونون واعين أن ما يترجمونه هو فى النهاية حكايات سردية عن العالم يمكن أن تكون لها عواقب سياسية بارزة.

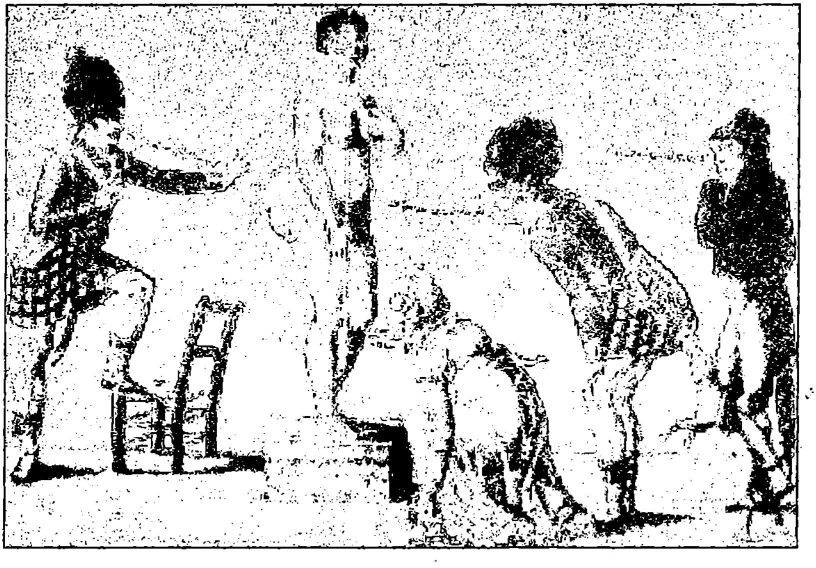
٢-١-٢ الوظيفة التطبيعية للسرديات

إن إحدى تأثيرات السردية تتمثل فى أنها تُطبِّع الحكايات التى تسقطها على حقبة زمنية ما، بحيث يتم إدراكها بوصفها بديهية **self-evident**، وحميدة **benign**، ولا نزاع ولا خلاف عليها. وهذا يفسِّر لماذا استطاع عالِم القرن التاسع عشر الطليعى جورجيس كوفير (**Georges Cuvier 1769-1832**) أن يكتب على النحو

التالى فى مسحه الابتدائى للتاريخ الطبيعى للحيوانات Elementary Survey of his Animals the Natural History of عام ١٧٩٨ دون أن يرف له جفن(٤):

> **إن العِرْق الأبيض، ذا الوجه البيضاوى، والشعر والأنــف المنــسابين، الذى تنتمى إليه شعوب أوربا المتحضرة والذى يبدو لنا الأجمل من كل من عداه، هو أيــضًا أســمى مــن الآخــرين بعبقريتــه، وشــجاعته، وفعاليته.... [هناك] قانون قاسٍ يبدو أنه قد حكم بالدونية الأبدية علــى الأعــراق ذات الجمــاجم المنقبــضة والمــضغوطة depressed and compressed skulls.... ويبدو أن الخبرة تؤكِّد نظرية أن ثمة علاقة بين كمال الروح the perfection of the spirit وجمال الوجه.**

وبحلول عام ١٨١٥، كانت سردية كوفير قد أخذت تبدو طبيعية وبديهية جدًا إلى حد أنه أصبح قادرًا أن يُجرى، دون استنكار، تشريحه 'العلمى' الشائن.



شكل ١

'جميلة هوتينتوت' - صورة فرنسية فى أوائل القرن التاسع عشر تصوِّر سارتيج بارتمان المرأة الجنوب أفريقية، المعروفة بـ 'فينوس هوتينتوت' تفك أسرار أعضائها التناسلية، فى عرض لندن.

وقبل أن تموت، وقبل أن يجرى تشريحه 'العلمى'، أخذ الدكتور ألكسندر وليم دونلوب هذه المرأة الأفريقية عام ١٨١٠ إلى لندن ووضعها فى معرض عام بوصفها طُرفة أنثروبولوجية an anthropological curiosity. لقد اصطف أفراد الجمهور ليتفحصوا عجيزتها الضخمة ويتعجبوا من أعضائها التناسلية الخارجية المُجسَّمة (شكل ١). يمكن أن يكون كثيرون قد شعروا بالإشفاق، وربما حتى بالاشمئزاز من المشهد، إلا أنهم مع ذلك قد اصطفوا ليتفحصوها ثم واصلوا حيواتهم جذلين(٥). إن حواسهم كانت تتخدر بسرديات زمنهم، مثلما تتخدر إلى حد بعيد حواسنا بسرديات اليوم. وقد ذكرتنا أهداف سويف، حين اندلعت فضيحة أبى غريب فى ٢٠٠٤، أننا جميعًا كنا بالفعل متواطئين طوعيين فى هذه السردية المتنامية، تمامًا كما كان معاصرو كوفير متواطئين فى سرديته التحقيرية عن العرق:

> **لقد كانت المسألة مسألة وقت. فى العام الماضى كان العالم يرى صور عراقيين كثيرين مجردين من ثيابهم ومعاصمهم مقيدة خلف ظهورهم بقيود بلاستية. فى البداية كنا نستطيع أن ننظر فى أعينهم ونشهد على ما يحدث. ثم تمت تغطية وجوههم بالأكياس. ولم يكن من احتجاج فى أى لحظة من اللحظات.**

(التشديد من عندى **Soueif ; 2004**)

ومن المثير للجدل أننا نتم تنشئتنا بشكل متواصل، اعتمادًا على موقع سردية المرء، على سرديات بربرية حتى اليوم، من السرديات المتنوعة المرتبطة بـ 'الأمن' و'الإرهاب' إلى تلك الخاصة بـ 'الأصولية الإسلامية وما يدعى 'صدام الحضارات'. إن هذه السرديات وسرديات أخرى عديدة 'تُجسِّد حقائق النخب الاجتماعية وجماهيرها'، كما يجادل بنيت وإدلمان (١٩٨٥: ١٥٨) **Bennett and Edelman** 'تبدو موضوعية لأنها مؤكَّدة مرارًا وتكرارًا بالاختيار المتحقق ذاتيًا للتفاصيل الوثائقية'. وعلاوة على ذلك، فإن العديد من هذه السرديات تنطلق بوصفها نظريات علمية قبل أن تتسرب تدريجيًا إلى وعينا وتصبح جزءًا من نسيج حياتنا اليومى.

ولنطالع، على سبيل المثال، تعليقًا لرئيس جامعة كولومبيا، لى بولينجر، فى عام ٢٠٠٥ فى سياق خلاف رئيس حول التحيز المزعوم ضد إسرائيل فى قسم الشرق الأوسط واللغة والثقافة الآسيوية بجامعة كولومبيا، حيث كان يدرس الراحل إدوارد سعيد؛ حيث قال: 'كان يمكن أن يكون لدينا قسم مضاعف فى حجمه ومع ذلك لا يخدم ولا يفى بأهمية تلك القضايا بالنسبة للعالم الحديث،'

> **وهكذا ذلك هو الشىء الأول: يجب علينا أن نزود حجم برامج قسم الشرق الأوسط واللغة والثقافة الآسيوية MEALAC. والشىء الثانى هو أننا نحتاج أن ندمج بشكل أفضل مما لدينا فى حقول أخرى لديها معرفة مرتبطة بالعمل المؤدى فى قسم الشرق الأوسط واللغة والثقافة الآسيوية. ما العلاقة، على سبيل المثال، بين الوقائع البيئية للحياة فى الشرق الأوسط وآسيا، أو أمراضها، والثقافة هناك؟ إننا نحتاج أن نحسّن تجميع ما نملك. كما نحتاج أن نضيف المزيد من الأشخاص ليفعلوا ذلك، أناس فى القانون، وفى الصحافة، وفى مجالات أخرى.**

(التشديد من عندى، Liebovitz 2005)

وبوصفه عضوًا من أعضاء هيئة تدريس قسم الشرق الأوسط واللغة والثقافة الآسيوية فقد علق فيما بعد فى بيانه للجنة المخصصة لهذا الغرض بالذات لتفحص الادعاءات المُوجَّهة ضد القسم، مُشيرًا بوضوح إلى نظريات القرن التاسع عشر العلمية عن العرق، مثل نظرية كوفير.

إن هذه العودة إلى علم المناخ والأنثروبولوجيا الطبية فى القرن التاسع عشر مُربكة. فهل كان رئيس الجامعة، بولينجر، يعتقد أيضًا أن ثمة علاقة بين 'الوقائع البيئية، وأمراضها، والثقافة' الخاصة بالأمريكيين الأفارقة أو باليهود الأمريكيين(٧)؟

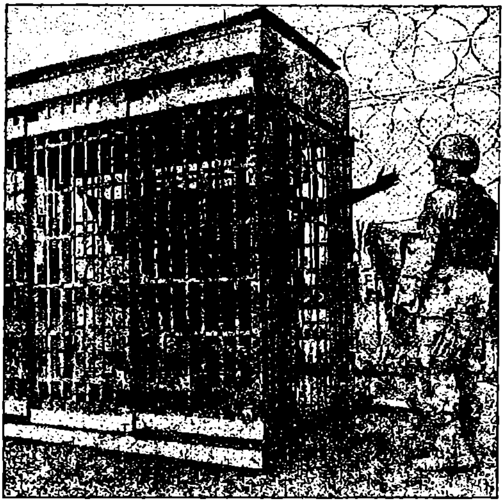
وما يعد لافتًا بشكل خاص فى هذه المرحلة من التاريخ، وما لا يبدو أن مُنظِّرًا من مُنظِّرى السرد قد قدَّره حتى الآن، هو أن الترجمة – بما فى ذلك ترجمة النصوص العلمية – تلعب دورًا محوريًا فى طبعنة **naturalizing** وترويج مثل هذه

السرديات عبر الحدود اللغوية. وفى مجتمعاتنا المعاصرة الحافلة بالحروب، يجب علينا أن نُذكِّر أنفسنا باستمرار أن كل صراع يبدأ وينتهى ببناء عدو أو تفكيكه، 'آخر هو أجنبى وبعيد تمامًا إلى حد يصبح معه شيئًا ما **it**. شيئ ما **It** يمكن أن يُعذَّب، وتبتر أعضاؤه، ويُذبح؛ يمكن أن يكون ما لا يمكن أن يكونه' **(Nelson 2002: 8)**. إن هدفًا من أهداف هذا الكتاب الأساسية أن يُبرز ويستجوب الكيفيات العديدة التى يشارك بها المترجمون والمترجمون الشفاهيون فى كل من تدوير السرديات ومقاومتها بما يقلب ذوات زمننا **our time of whos** إلى أشياء مما تكون معاناتهم إما مُبررَّة أو أنها فى أفضل الأحوال 'مثيرة للأسف **regretable**' – مسألة 'أضرار جانبية **collateral damage**'، على نحو ما يبدو أن جايب بوكور **Gabe Bokor**، رئيس تحرير مجلة الترجمة، يشير إليها:



شكل ٢

رجل عراقى وهو يُريح ابنه ذا الأربع سنوات على صدره فى أحد مراكز إعادة تجميع سجناء الحرب فى القسم ١٠١ المحمول جوًا قرب النجف. صورة من الأسوشيتد برس لجين ـ مارك بوجو، ٣١ مارس ٢٠٠٣



شكل٣

معتقل داخل زنزانة انفرادية يتحدث مع رجل شرطة عسكرية في سجن أبى غريب فى ضواحى بغداد. صورة من الأسوشيتد برس لجون مور، ٢٢ يونيه ٢٠٠٤

> يمكننا أن نختلف في رؤانا حول أشياء كثيرة، إلا أننى واثق أنه ما من مترجم يقر القتل الجماعى. خلال الاستجابة المحتومة لحكومة الولايات المتحدة على الهجمات التى أسفرت عن موت آلاف من البشر الأبرياء، بما فى ذلك بالتأكيد مسلمون ومتعاطفون آخرون مع القضايا العربية، سيقع المزيد من المصابين المدنيين، بما فى ذلك أقطار يقطنها بعض المساهمين فى مجلة الترجمة. إننى شخصيًا آسف على أولئك المصابين، وأنا واعٍ بشدة أن معاناة الضحايا المدنيين الأبرياء لا تُفرِّق بين طرفى الصراع. ومع ذلك، فإننى أعتقد أنه من المهم أن نضع فى أذهاننا الفارق الأخلاقى بين 'أضرار جانبية' غير مقصودة ضمن مسار العمليات العسكرية والذبح المتعمد للمدنيين.

(Bokor 2001)

إن هذا المقتطف، المنشور فى أكتوبر ٢٠٠١ بعد الهجمات على البرجين بفترة وجيزة، مأخوذ من افتتاحية مُطوَّلة لجايب بوكور يوضِّح فيها أن 'الأضرار الجانبية' تكون مقبولة حين تصيب ملحقات عالمنا **of our world its the**،

وأن إرهاب الدولة لا يتساوى مع إرهاب الأفراد والجماعات التى لم يتوافق لها أن تدير حكومات عالمـــــ ــنا 'المتحضر'. وفعليًا، فإن بوكور يبدو مستعدًا أن يثــق دونما تساؤل فى أى سرديات يطرحها أولئك الذين فى السلطة، أيًا كانت العواقــب الخاصة بالملحقات **its the** التى تسكن بلدانًا بعيدة مثل العراق، كما توضِّح افتتاحية إصدار أبريل ٢٠٠٣:

> **ابتداءً من هذه الكتابة، يبدو على الأرجح أنه مع حلــول الوقــت الــذى ستقرأون فيه هذه السطور ستكون الولايات المتحدة فى حرب مع العراق. واستنادًا إلى النقاشات التى دارت فـــى منتـــديات ألكترونيـــة لمتـــرجمين مختلفين، فإن مجتمع المترجمين منقسم انقسامًا عميقًـــا حـــول فـــضائل merits هذه الحرب. وإن كان ليس من سياسة هذا الإصدار أن يتحيز فى النزاعات السياسية، وهذا ينطبق بشكل خاص على هذه القضية، إذ ممـــا يجعل قرارنا فى أن نكون مُؤيدين أو مُناهِضين للحرب صعبًا؛ حقيقة أننا، كمواطنين عاديين، لا نملك كل المعلومات المتاحة لقادتنا.'**

(Bokor 2003)

ويذكِّرنا بنيت وإدلمان **(Bennett and Edelman (1985: 159** أن 'السرديات السياسية الجاهزة تموِّه **disguise** وتهضم الأيديولوجيا الخاصة بالأشـــخاص الـــذين يفضلون أن يمثلوا أنفسهم بوصفهم مراسلين صحفيين سلبيين وموضـــوعيين تجـــاه العالم المحيط بهم.' إن السرديات السياسية الجاهزة أيضًا هى غالبًا مـــا نهـــضمه، ونترجمه، ونتداوله 'سلبيًا'، دونما توقف لمعاينة تضميناته بالنسبة لأولئـــك الـــذين نخفض منزلتهم بسهولة إلى فئة ضمير غير العاقل **it**، ضحايا الأضرار الجانبيـــة 'المأسوف عليهم'.

٢-١-٣ فئات وقصص

تقريبًا بعد قرنين من وفاة كوفير، تمت محاكاته ومحاكاة علماء آخرين مـــن عصره محاكاة ساخرة فى رواية الركاب الإنجليز **Passengers English** لمـــاثيو نيل الحائزة على جائزة وايتبريد بوك، وهى رواية تاريخية تجرى أحـــداثها عـــام

١٨٥٧ وتصوّر استعمار تاسمانيا **Tasmania**. إن أحد الشخصيات الرئيسية، د. توماس بوتر، هو عالم نبات هاوٍ يركب سفينة متجهة إلى تاسمانيا لكى يجمع مادة لدراسته العلمية، المعنونة بـ مصير الأمم **The Destiny of Nations**: من أجل معاينة القدرات والخصائص المختلفة لأعراق وأنماط الإنسان العديدة، والعواقب المحتملة لصراعاتهم المستقبلية. وحين رست السفينة فى الكيب فى أكتوبر، يكتب الدكتور توماس بوتر – فى هذه المحاكاة الساخرة لعلم القرن التاسع عشر – الملاحظات التالية فى يومياته:

١- البريطانيون: نمط = ساكسونى. المكانة = حكام طبيعيون للمستعمرة.

٢- البوريون: نمط = سلتيون بلجيكيون Belgic Celtic. المكانة = مساعدون للبريطانيين.

٣- الملاويون: نمط = شرقيون. المكانة = عمال مزارع + خدم.

٤- الهندوس: نمط = آسيويون هنود. المكانة = مثل الملاويين لكن أدنى.

٥- الأفارقة الأصليون: نمط = السود [نيجرو]. المكانة = وضعاء.

٦- الهوتينتوتيون: نمط = السود الأدنى. المكانة = وضعاء ومتوحشون.

(**الخطوط الدنيا فى الأصل، Kneale 2000: 168-9**)

وبحلول ديسمبر من العام نفسه، كما يكشف سجل يومياته، تبدأ هذه القائمة العلمية من الفئات والتصنيفات تتخذ شكلاً سرديًا بشكل صريح بوصفها مقتطفاً من كتابه القادم. وهذا جدير باقتباس طويل:

إن هذه الإمبراطورية الجبارة والمتنامية باستمرار المدعوة بريطانيا، هى، كما يقول لنا من يُدعون بالمُنظّرين السياسيين، ليست سوى نتاج الصدفة....

ومثل هذه الرؤية تكاد ألا تكون أكثر تضليلاً. فلا يوجد، فى الحقيقة، تجلٍّ لمصير البشر أرهف من هذه المؤسَّسة القوية للاحتلال الإمبريالى. وهنا نرى نمط الساكسونى المتبلد الحس **stolid** والجسور، إذ تتكشف طبيعته كما لم تتكشف من

قبل كلما تقدَّم في مسعاه العظيم، وهو يُخضِع ويُشتِّت الأمم الأدنى – الهندوسيين the Hindoo، الهنود الأمريكيين، العرق الأصلي للأستراليين the Aboriginal race of Australia – ويستبدل بهؤلاء أبناءه الأقوياء stalwart. إنه شجاع ومع ذلك مستتر unseeing، فهو لا يفهم المصير غير القابل للتغير الذى يقوده قدمًا إلا فهمًا قليلاً: كل القوانين القوية لأعراق البشر. وإلى جواره يمضى آخرون، وإن كانت خطاهم تحكى عن هدف أقل عزمًا. إن النمط الرومانى لفرنسا يتبختر بعنفوان نحو الجنوب عبر قفار الصحراء، ليقمع مشايخ القبائل الذين كانوا متغطرسين من قبل. بينما يسير النمط السلافى لروسيا الهوينى بكآبة عبر الشرق الجليدى، قاهرًا الآسيويين مع كل خطوة من خطواته. فى حين يجتاز النمط الإيبيرى لأمريكا الجنوبية سهول البمابس المعشوشبة، مخمدين بكسل الهنود الحمر المتوحشين. ويتهادى النمط السلتى البلجيكى قدمًا فى مواجهة قاطنى الجزيرة من الشرقيين، ليضيف ببرود إلى مجاله الواهى his frail domain. وسيجد الجميع أنفسهم المُدمِّرين المتعمدين لخصومهم المقهورين، إلى أن يتعذر حتى أن يبقى عرق خاضع a subject race، سواء كان أفريقيًا، أو أستراليًا، أو آسيويًا.

> **وحين يُنجَز هذا العمل، ولا تبقى إلا الأنماط الأقوى فقط، ستبدأ آنذاك مرحلة أخرى من الانكشاف للتاريخ. وهكذا يقترب حريق هائل مخيف: معركة أخيرة للأمم، حين يُصبح مطلوبًا من السكسونيين الموثوق فيهم أن يناضلوا من جديد؛ صراع الجبابرة؛ معركة الأنماط الأسمى...**

(Kneale 2000: 280-1)

ليس من الممكن دائمًا اقتفاء أثر صياغة الفئات فى سرديات مُكتملة النضج على نحو مباشر بهذه الكيفية، ولا أن تُحدِّد بدقة المجموعة المُحدَّدة من السرديات التى تزود أى عملية تفيئة معينة بأى يقين. وعلى الرغم من ذلك، فإن اختيارنا لما نُفيِّئه وكيف نُفيِّئه دائمًا ما يكون مُعتمِدًا على موقعنا السردى؛ وهذا هو السبب فى لماذا سيبتكر دائمًا أشخاص مختلفون ينظرون فيما يبدو إلى الظاهرة ذاتها

مجموعات مختلفة من الفئات ليفسرِّوها. إن الفئات لا تكون أبدًا مُعلَّقة فى الفضاء؛ بل إنها تعتمد دائمًا على سرديات زمنها، وبدورها تصب فيهـا، بمـا فـى ذلـك السرديات العلمية.

كما أن قبول أن الحدود بين الأنواع الأدبية والعلمية متنافذة **porous** بدرجة عالية، وأن كلاً منهما تعتمد على السردية لتصوغ ما يمثل فى النهاية رؤية لافتـة للعالم، هو شرط لا غنى عنه **sine qua non a** للمقاربة السردية المتبناة فـى هـذا الكتاب. ويجب أن يكون المترجمون لكل من العلم والقص منتبهين لدورهم الخاص فى صياغة وترويج هذه الرؤى السردية للمجتمع، مع كل عواقب العـالم الـواقعى التى تلزم عن هذه الرؤى. مثلما أنهم قد يرون أيضًا أن السرديات العلميـة ليسـت أصدق أو أقوى من السرديات الأخرى التى تُموِّن تدخلنا مع العالم. ذلك أنها، مثـل السرديات الأخرى، منفتحة دائمًا على المساجلة، كما يبرهن هذا المقتطف من أحـد المقالات الافتتاحية لـ الفينانشال تايمز (١٣ **April 2005**)(٨).

اعتداء نظرية الخلق على العلم

بقدر ما كان الحق الدينى يُحكِم قبضته على سياسات الولايات المتحدة؛ كـان يتزايد التهديد تجاه تدريس التطور. ويمثِّل انبعاث نظرية الخلق قلقًا خطيرًا بالنسبة للرابطة القومية لمعلمى العلوم. وفى استطلاع مسحى لألف وخمسين مُعلِّمًا، قالـت نسبة ٣٠ فى المائة منهم أنهم يستشعرون ضغطًا لتضمين نظرية الخلق – متنكـرة أحيانًا كـ 'تصميم ذكى' – فى دروسهم.

علاوة على ذلك، يتحرك الاعتداء على العلم، فى إشارة مثيرة للقلـق، مـن المدارس إلى التعليم العام بالمعنى الأوسع، إذ ترفض بعض المراكـز والمتـاحف العلمية فى الولايات الجنوبية أن تعرض أفلامًا سينمائية تشير إلى التطور. بل إنهم يقاطعون عناوين مثل براكين أعماق البحار **Volcanoes of the Deep Sea**، التـى تشير إلى أن الحياة يمكن أن تكون قد بدأت منذ أكثر ما يزيد عن ثلاثة بلايين عام مضت.

٢-١-٤ السرد والعالم: الحقيقة والخيال

ثمة قضية ذات صلة أثارت الكثير من الجدل داخل الأدبيات، وهى العلاقة بين السرد و'الواقع'. ويُفسِّر برونر (Bruner 1991: 5) 'أنه ربما منذ عقد أن أصبح السيكولوجيون منتبهين لإمكانية السرد ليس فقط كشكل للتمثيل وإنما لتشكيل الواقع' وهو يرجع بتاريخ هذا التحول فى النموذج التفسيرى إلى نشر عدد خاص من مجلة البحث النقدى **Critical Inquiry** عن السرد **On Narrative** المجلد ١/٧، ١٩٨٠[٩]. إن هذه الرؤية، أو التحول فى النموذج التفسيرى كما يصفه برونر، لها عواقب نظرية وعملية مهمة. ولعل أحد الأسباب، فضلاً عن تمييز رؤية السرد المطروحة هنا عن تلك التى يتبناها معظم الدارسين اللغويين وناقدى الأدب، أنها تعنى أنه من غير المجدى كثيرًا اتباع دارس مثل ريمون – كينان **Rimmon-Kenan** فى اقتراحه التمييز بين 'القصة' **'story'** (أو إبراز الحبكة **underlying plot**) و'النص' **'text'**، حيث 'تُعيِّن القصة الأحداث المسرودة، مجرَّدة من أوصافها فى النص مع إعادة بنائها وفق تتابعها الزمنى'، بينما النص هو 'ما نقرؤه. ولا تظهر فيه الأحداث بالضرورة فى تتابعها الزمنى، وتتناثر خصائص المشاركين فى كل مكان، وتترشَّح كل مفردات المحتوى السردى عبر منشور **prism** أو منظور ما' (١٩٨٣: ٣). إن تمييزات هذا النمط متنافرة مع التعريف الأساسى للسرد المتبنى من قبل دارسين مثل برونر وفيشر، ضمن آخرين كثيرين؛ بما أن ثمة افتراضًا هنا أن 'القصة' و'المنظور' المروية من خلاله يمكن فصلهما، لأنه يوجد نظام أو تسلسل طبيعى أو موضوعى للأحداث. لكن كما يشرح برونر، فإن 'المعرفة لا تكون قط 'بلا وجهة نظر' (**"point-of-viewless" 1991: 3**). ويجادل جودوين (**Goodwin 1994: 606**) كذلك بأن 'كل رؤية هى منظورية **'perspectival**'؛ وهذا يتضمن الرؤية العلمية، أو الرؤية 'الاختصاصية' **'professional' vision'** كما يشير إليها جودوين. وضمن نظرية تدرك أن دور السرد يتمثل فى بناء الواقع وليس فى مجرد تمثيله فحسب، فإنه لا يمكن أن تكون هناك قصة 'مستقلة' استقلالاً تامًا بحد ذاتها. بل إن كل قصة هى عبارة عن سردية وكل خبرة هى خبرة سردية. حتى التاريخ، كما يشرح كيلنر **Kellner**،

لا يدور 'حول الماضى فى حد ذاته، بل حول أساليبنا فى خلق معانى من النفايات المتناثرة والمنعدمة المعنى بعمق حولنا... فلا توجد هناك قصة يتم الحصول عليها مباشرة؛ بل إن أى قصة تنشأ من فعل التأمل.

Kellner 1989: 10;)

(in Mishler 1995: 103

إن فرضية انبناء السرديات تعنى أننا لا نستطيع عمليًا أن نعـزل وأن نقـيم بشكل مستقل عناصر مفردة فى السرد ولا أنه يمكن لخـط قصـصـى افتراضـى، متتابع زمنيًا أو منطقيًا أن يُفصل فصلاً كاملاً عن منظور راوٍ معين. ولأنه يجـب علينا، فى الوقت ذاته، أن نتخذ موقفًا تجـاه تـشكيلة متنوعـة مـن الـسرديات الجماهيرية، والتاريخية، والشخصية لكيما نسلك فى العالم، فإننا يجب أن نـصوغ أحكامًا حول صحة **veracity** وصدقية **credibility** السرديات التى تمس حيواتنـا. بعبارة أخرى، إن انبناء السرديات وانغراسنا فيها لا يعوقنـا عـن التفكيـر فيهـا (انظر الفصل السابع). وأحد جوانب هذا التفكير تتعلق بوضوح بمصداقية الـسرد **narrative the believability of the** التى تفترض بـشكل طبيعـى أن الأحـداث **events** والوقائع **happenings** قابلة للتحقق منها بالرجوع إلى 'واقع' مـا. وهـذا يطرح مجمل سؤال العلاقة بين السرد والحقيقة، وهى قضية تلقـت الكثيـر مـن الاهتمام من المؤرِّخين،إذ يطرح زانج لونجكسى **Zhang Longxi** خصوصًا رؤيـة وتحليلاً ثاقبين للمواقف المختلفة داخل هذا الجدال ويجادل فى النهاية بأن

التاريخ، بوصفه سرديات إنسانية، يمكن أن يكون عرضة للأخطاء والزلات، ناهينا عن ذكر الانحيازات الأيديولوجية، ومناطق العمى، لكـن أسـفل كـل طبقات العلاقات والأوصاف والحوارات أو الدوافع المتخيلة، توجد نواة مـن الوقائع القابلة للتحقق منها كأساس لكل سرد. إن هذه النواة من الوقائع مع المصنوعات والآثار غير اللغويـة non-linguistic artefacts والاكتـشافات الأركيولوجية تشكِّل أرضية راسخة للحكم بصحة السرديات التاريخية.... وحين نقر أنه أيًا كانت الحقيقة المُكتشَفة من الماضى فى الكتابة التاريخية

فإنها ليست نهائية ومطلقة، وإنما تشكّل اقترابًا من الحقيقة وأيضًا جـــزءًا من التاريخ المدروس، يمكن أنْ نجد أنه من الممكن قبول دعوى الكتابـــة التاريخية للحقيقة وأن تُخضَع هذه الدعوى للمزيد من البحث.

(Zhang 2004: 400)[١٠]

ولكى نعيد تأطير هذه الحجة بشكل أعرض، يمكننا أن نقول أنه بينمـــا يـــتم الإقرار بأنه ما من سرد يمكنه أن يمثِّل الحقيقة النهائية المطلقة غير القابلة للتنازع لأى حدث أو مجموعة من الأحداث، فإننا يجب أن نقبل أن الأحداث تقع فى زمان ومكان واقعيين ومن ثم تكون قابلة للتحقق منها بمجموعة من الوسائل التى تكـــون دائماً قابلة للتمديد ومنفتحة على التمحيص وإعادة التقيـــيم. وفـــى بعـــض التقاليـــد البحثية، على سبيل المثال، يُلتمَس التحقق من خـــلال اســـتخدام طرائـــق التثليـــث **triangulation of methods** التى تُطلَب بموجبها تقارير عديدة مستقلة عن حـــدث ما لكى تقرِّر أن الحدث قد حدث بالفعـــل. (انظـــر **Polkinghorne 1995**). وفـــى سياقات أخرى، نأخذ شكوكنا حول دعاوى الحقيقة إلى هيئة قضائية معتـــرف بهـــا يُفترَض فيها أن تكون فى وضعية تتيح لها أن تختبر دقة هذه الدعاوى. على سبيل المثال، إن رينولدز **(Reynolds 2004: 333)** يخبرنا كيف أخذت تنظيمـــات مثـــل حزب الخضر **the Green party** ورابطة حماية التربة **Soil Association** شكوكها حول دعاوى الحقيقة فى الحملة الإعلانية لشركة مونسانتو **Monsanto** إلى ســـلطة المعايير الإعلانية البريطانية **British Advertising Standards Authority**. وفى أغسطس عام ١٩٩٩، أعلنت هذه السلطة كذب الدعاوى القائلة فـــى حملـــة مـــن الحملات الإعلانية إن 'الاختبارات الصارمة التى أجريت على مدار ٢٠ عامًا من تاريخ التكنولوجيا الحيوية لشركة مونسانتو للتأكد... أن ثمار الطعام آمنة ومغذية' وإن 'الهيئات التشريعية الحكومية **government regulatory agencies** فى ٢٠ بلدًا أثبتت ذلك' (والإعلان مذكور لدى رينولدز **Reynolds 2004; 349**). وهكذا، بقدر ما يمكننا أن نتحقق من حقيقة أى 'حدث' أو سرد ما فى أى لحظة مـــن لحظـــات

الزمن، بأى وسيلة من الوسائل، نكون ملتزمين بتقييم السرد وفق ذلك، سواء بشكل واعٍ أو غير واعٍ، وأن نسلك على أساس هذا التقييم. ويتعامــل الفــصل الــسابع، مستفيدًا من نموذج والتر فيشر السردى الفعال، مع قضية كيــف نُقــيِّم الــسرديات ببعض التفصيل. وفى هذه الأثناء، وفيما يتعلق بالعلاقة بين السرد و'الوقائع'، تقــر نسخة النظرية السردية المتبناة هنا أن 'السرديات لا تحتوى داخلها مقياسًــا لقيمــة صدقها. بل إن السردية تكتسب قيمة صدقها من وعيها بشروط إنتاجها، ومن كونها مُدرِكة لتطورها، وقادرة على أن تتعلم منه شيئًا' **(Klein 2000: 163)**.

ومما يجدر تأكيده أيضًا أن فرضية الانبناء لا تعنَى ببساطة الرفض لحقيقــة ما فيما يخص مجموعة معينة من الأحداث أو تأكيد أنه ما من أحد يمتلــك مــدخلاً مباشرًا إلى الواقع. بل إن الإقرار بالطبيعة المنبنية للسرديات يعنى أننا نقبل الوجود والاستحقاق الممكنين لحقائق متعددة. وتعد هذه قضية أساسية ضــمن دعــوى أن للسرديات فحوى سياسية وأنها يمكن أن تقلقل وتنازع رؤى العالم المهيمنة. وكمــا تشرح إويك وسيلبى **Ewick and Silbey**،

> **إن الالتزام السياسى بإعطاء صوت أو الإثبات من خلال السرد يــضمنه الاقتناع الإبستمولوجى أنه لا توجــد حقيقــة واحــدة مفهومــة فهمًــا موضوعيًا. وعلى العكس، فإن الدعوى الإبستمولوجية أن ثمة حقــائق متعددة، قائمة على إقرار أن المعرفة تُنتَج اجتماعيًا وسياسيًا.**

(التشديد فى الأصل؛١٩٩٥: ١٩٩)

٢-٢ تحديد السردية

إن تعريف السردية الذى أعتزم الإفادة منه فى هذا الكتاب(١١) يتوافق إلى حد كبير جدًا مع التعريف المُتبنَّى لدى فيشر، ولانداو، وبرونر، وسومرز وجيبــسون. والسرديات فى هذه الرؤية عبارة عن 'قصص' جماهيرية وشخصية نشترك فيهــا

وتُوجِّه سلوكنا. إنها القصص التى نحكيها لأنفسنا، وليس فقط تلك التى نحكيها بوضوح لأناس آخرين، حول العالم الذى نحيا فيه، أو العوالم التى نحيا فيها. إن مصطلحى 'السرد' و'القصة' قابلان للتبادل فيما بينهما فى هذا السياق.

وتُعرِّف إويك وسيلبي السرديات بأنها 'متواليات من العبارات المتصلة بتنظيم زمنى ومعنوى معًا'. ويعد هذا تعريفًا مفيدًا، شريطة ألا نؤوِّل 'متواليات من العبارات' تأويلاً ضيقًا للغاية بوصفها مجموعة من الجمل داخل حدود نص أو تلفظ مفرد. لأن التشديد داخل الإطار المُتبنَّى هنا على قوة ووظيفة السرديات وليس على تشكيلها البنيوى، فإنها 'مسئولية التحليل النقدى ...أن يبنى النصوص من شذرات متنوعة ثم يُفسِّر كيف تكون المجتمعات التأويلية قادرة على أن تُضفى الاتساق على تلك الشذرات' (Ehrenhaus 1993: 79). وهذا لا يعنى تنحية الحقيقة الواضحة الخاصة بأن السرديات المفصَّلة المحدَّدة جدًا غالبًا ما تكون متمفصلة تمامًا داخل حدود نص مفرد أو مجموعة من النصوص (مثل حملة إعلامية)، لكن حتى هذه السرديات ستكون فى النهاية منغرسة فى ومزودة بسرديات أكبر لا يمكنها أن تكون متموقعة داخل تمديدات فردية للغة. وعلاوة على ذلك، فإن تمفصل السرديات، داخل الإطار المُتبنَّى هنا، ليس مقصورًا بالمرة على المادة النصية، وإنما يمكن أيضًا أن يتحقق من خلال سلسلة من الوسائط الأخرى. ويستخدم بولكينغورن **Polkinghorne** مصطلح 'السرديات القصصية' **'storied narratives'** ليُميِّز بين حبكة سردية مباطنة **an underlying narrative plot** والشكل التعبيرى الذى يمكن أن تتخذه، مجادلاً بأن أى حبكة معطاة ومجموعة الأحداث التى تنسجها فى سردية معينة 'يمكن أن يتم عرضها من خلال وسائط متعددة، على سبيل المثال: عبر حكى شفاهى، أو باليه، أو شريط سينمائى، أو وثيقة مكتوبة' (١٩٩٥: ٨). ويُقدِّم كينيدى مثالاً جيدًا جدًا لتمفصل سردية الحادى عشر من سبتمبر من خلال عرض الصور.

وفى التحليل الأخير، فإن التشديد داخل مسار النظرية السردية التى تزودنا بنقطة الانطلاق لمناقشاتنا فى هذا الكتاب ليست على التشكيل البنيوى أو التحقق

النصى للسرديات، وإنما على الحقيقة الحاسمة الخاصة بأن 'السرد يُشكِّل رؤى الناس للعقلانية، والموضوعية، والأخلاقية، وتصوراتهم لأنفسهم وللآخرين' (Bennett and Edelmann 1985: 159). وسأحاول، فى الفصول القادمة، أن أتمِّم هذا التركيز الاجتماعى والسياسى بصورة أساسية بالانتباه إلى تحليل النص المجهرى والموسَّع micro-and macro-analysis of text، خصوصًا النصوص المُترجَّمة والتلفظات المترجمة شفاهيًا. إلا أن هذه القضية لم يتم تناولها بوضوح بأى تفصيل فى النظرية الاجتماعية للأدب أو نظرية الاتصال الأدبى، لأن 'الاهتمام المركزى [فى هذه النظريات] فى النهاية، كما يصوغ برونر (١٩٩١: ٥-٦) الأمر، لا يتمثل فى كيف ينبنى السرد كنص، وإنما فى كيف يعمل كوسيلة للعقل فى بناء الواقع'. ومن وجهة نظر دارسى الترجمة واللغة بعامة، فإن هذا تحديد خطير يدعونا إلى أن نكمل مقاربة النظرية الاجتماعية للسرد بالمناهج النصية للتحليل لكى نُقدِّم تطبيقًا مُنتِجًا للسردية داخل دراسات الترجمة. وعلى الرغم من أن مناقشات السرد داخل اللغويات والدراسات الأدبية تركِّز تركيزًا شديدًا للغاية على التحليلات النصية، فإن تعريف السرد داخل هذه الدراسات، كما شرحتُ فيما سبق، محدود محدودية شديدة جدًا بالنسبة لأغراضنا الراهنة، والتشديد إلى حد بعيد جدًا على فئات تحليل لغوية وبنيوية (حبكات، شخصيات، سلاسل الأحداث، إلخ.) فى سرديات فردية، معظمها شفاهية أو أدبية. وسأحاول، ونحن نواصل معاينتنا التفصيلية للسردية، أن أضم معًا عددًا من الخيوط المتفاوتة التى يمكن أن تتيح لنا أن نقتفى أثر صياغة السرديات عبر الزمن والنصوص وكذلك فى النصوص الفردية، مستخدمين أمثلة من تشكيلة من الأنواع ومن نصوص مترجمة وتلفظات مترجمة شفاهيًا بشكل محدَّد.

أولاً، كلمة موجزة حول الفحوى السياسية للسرديات – كيف تُستخدَم لتسيطر على وكذلك لتنازع، لتشكِّل كلاً من الحكايات المهيمنة على العالم والمقوِّضة له.

٢-٣ الفحوى السياسية للسرديات

إن الوعى بأن كل قبول لسردية يتضمن رفضًا لأخريات يجعل القضية سياسيًا وشخصيًا حيوية. وبمعنى نقدى فإن الاختلافات بين السرديات المتنافسة تمنحها جميعًا معانيها.

(Bennett and Edelman 1985: 160)

إن أى سردية، من قصة غزو العراق إلى قصة التطور الإنسانى، تُتداوَل فى نسخ عديدة مختلفة. ويمكن أن تكون بعض هذه النسخ مختلفة تمامًا مع بعضها البعض؛ إذ يمكن أن يختلف بعضها فقط فى التفاصيل أو نقاط التشديد الضئيلة. ومع مرور الزمن، يمكن أن تصبح نسخ مختلفة لسردية ما أكثر أو أقل قيمة، ويمكن أن تُحقِّق رواجًا يزيد أو يقل عبر عمليات متنوعة من التعزيز والتنازع.

ولأن سرديات الماضى تُعرِّف وتُحدِّد السرد الراهن، فإن التنافس بين نسخ مختلفة لسردية ما يمكن أن يستمر لقرون. ومن أجل منازعة وتحدى الحاضر، يعتمد كل من الأفراد والمجتمعات المحلية على سرديات الماضى ليُبرِزوا سمات الموقف الراهن البارزة كما هى مُفصَّلة فى سرديتهم الخاصة بهنا والآن. على سبيل المثال، إن باكويدانو – لوبيز (**Baquedano-Lope 2001**) يصف كيف أن إعادة حكى سردية السيدة غوادلوبى **Nuestra Senora de Gudalupe** من قبل المهاجرين المكسيكيين فى الأبرشية الكاثوليكية للقديس بولس فى لوس أنجلوس تمكنهم أن يخلقوا معنى للمجتمع المحلى بـ 'خبرات الظلم الماضية' (٢٠٠١: ٣٤٤). وهذه قصة فلاح مكسيكى اسمه جوان دييجو. ويُفترض أن الأحداث تقع فى عام ١٥٣١ فى مدينة المكسيك، وكانت حينها مركز السلطة الإسبانية فى الأمريكتين. ويتمثل الخط القصصى الأساسى فى أن العذراء مريم تظهر لجوان دييجو بوصفه آزتيكيًا **Aztec**، وتخاطب إياه بالناهوتلية **Nahuatl** وتصر أن يُبنى مقام على شرفها، حيث ظهرت 'وسط الشعب المقهور' (٢٠٠١: ٣٤٤). كما أرسلتْه أيضًا لـ 'يكرز' الأكليروس الإسبانى الذين يدعون أنهم يحتكرون

'الحقيقة'. وهكذا تم الإيمان بأن مريم العذراء قد 'استعادت الكرامة والأمل للشعب الأصلي الذي جرَّده الظلم الأجنبي من إنسانيته' (٢٠٠١: ٣٤٤). وفي سياق المجتمع الراهن للمهاجرين المكسيكيين في الولايات المتحدة الأمريكية، 'لا يصبح [السردية] فقط قصة يُعاش بها، بل تؤكِّد وتُناهِض قصص المجتمع المحلي الماضية والحاضرة والممكنة' (٢٠٠١: ٣٤٤). إن الأمريكيين الأفارقة يعيدون كذلك حكي سرديات جمعية من ماضيهم ليبرزوا ويصارعوا ظلمهم المستمر إلى اليوم، ويعيد إسرائيليون، كما يشرح نوسيك (Nossek 1994)، حكي قصص المحرقة مرارًا وتكرارًا دون كلل ليدعموا سردياتهم عن الحاضر.

إن إعادة حكي سرديات الماضي هي أيضًا وسيلة للسيطرة. إنها تُنشِّيء الأفراد داخل نظام اجتماعي وسياسي راسخ وتشجِّعهم أن يؤوِّلوا الأحداث الراهنة انطلاقًا من سرديات الماضي المُصدَّقة **sanctioned narratives of the past**. ويحد هذا من نطاق سردياتهم الشخصية الراهنة، إحساسهم بمن يكونون، إذا ما نُظِر إلى هذه على أنها شرعية. بعبارة أخرى، إنها تُحيط بمخزونِ الهويات **the stock of identities** التي يمكن أن يختار الأفراد منها لأنفسهم دورًا اجتماعيًا.

ويجادل ليو (**Liu 1999: 299**) أنه كلما كانت النسخ المختلفة من سردية متضاربة تمامًا مع بعضها البعض ''لا يمكن إيجاد سبيل للوصول إلى اتفاق متبادل على قرار حول أي قضية ذات أهمية'. وحين ينخرط أناس انخراطًا شديدًا جدًا في نسخ مُحدَّدة لسردية ما، فإن إيقاف أو تعديل تلك النسخ يمكن أن يُسفر عن صدمة شخصية لهم. ولا يمكنهم، في هذه الحالة، ببساطة أن يتقبلوا نسخًا أخرى من السردية ولا أن يتفقوا على حل للصراع الذي توفره سردية منافسة. وفي النهاية، يمكن أن ينتهي بهم الأمر إلى أن يعزلوا أنفسهم داخل مجتمعاتهم السردية المحلية، داخل دوائر من الناس يشتركون معهم في نسخة مشابهة للسردية (أو السرديات) التي يعدونها مركزية بالنسبة لحيواتهم.

ويشكو ماكينتاير **MacIntyre**، بالنسبة لمجتمعات الاحتجاج، من أن (تلفظ الاحتجاج يُوجَّه بشكل مُميَّز إلى أولئك الذين يشاركون المُحتجين سلفًا' المقدمات

premises. إذ تؤكد آثــار عــدم إمكانيــة الاشــتراك incommensurability أن المحتجين نادرًا ما يتحدثون إلى أى شخص آخر ســوى أنفــسهم' (التــشديد فــى الأصل؛ ١٩٨١: ٦٩). لكن فى حين يقر فيشر أنه 'سيكون هناك دومًا عدم إمكانية اشتراك تصورى و/أو منطقى بين أو وسط الأشخاص الذين يكونون واثقــين مــن نسختهم الخاصة عن الحقيقة' (١٩٩٧: ٣١٢)، فإنه يذكّرنا أن ثمة دومًا جمهــورًا هنا وهناك لم ينخرط بعد فى نسخة معينة من السردية، وهــذا الجمهــور يــستحق التوجه إليه:

> **ومن حسن الحظ، ومن أجل أن يــستمر العــالم، فــإنهم [المحتجــين] لا يحتاجون أن يستميلوا أو أن يقتعوا بعضهم البعض. بل يجب علــيهم فقط أن يكسبوا مناصرة جمهور مهتم بالأمر، آخرين متأثرين بالمسألة المطروحة وقيمهم أصيلة لكنها ليست فوق النقاش والمجادلة.**

(Fisher 1997: 312)

إن الترجمة والترجمة الشفاهية تلعبان دورًا مهمًا أهمية قصوى فــى هــذه العملية، خصوصًا فى ظل حقيقة أن معظم الصراعات اليوم ليست مقصورة علــى مجتمعات أحادية اللغة وإنما يجب أن يتم التفاوض حولها فى الساحة العالمية. بــل إن الصراعات الداخلية المحلية يجب الآن نمطيًا أن يتم التفاوض حولها بشكل عبر ثقافى وعبر لغوى بسبب التشكيل المتعدد ثقافيًا لمعظم المجتمعات خــصوصًا فــى العالم الغربى.

ولنأخذ، على سبيل المثال، قرار الحكومة الفرنسية المثير للجدل فى ٢٠٠٤ بمنع الرموز والملابس الدينية فى المدارس العامة. ذلك أن المنع، فى بعض نــسخ هذه السردية، استهدف بشكل مُحدَّد فتيات المدارس المسلمات المرتــديات أغطيــة الرأس أو الحجاب. بينما توالدت نسخ منافسة من هذه السردية، بعضها يُفسِّر المنع بوصفه هجومًا على الحرية الفردية وبوصفه إيماءة عرقية تجاه السكان المــسلمين المُحاصَرين بالفعل، ويُفسِّره آخرون بوصفه مقياسًا ضروريًا لتأكيد الوحدة والتلاحم

الاجتماعى social cohesion، بل حتى بوصفه إيماءة طيبة النوايا تجاه شباب المسلمين، والسيخ، واليهود، ممن ينبغى تشجيعهم جميعًا على أن يندمجوا فى المجتمع. وفى إحدى نسخ هذه السردية، المترجمة من الأردية إلى الإنجليزية من أجل تداول أكثر انتشارًا، يوصف المنع بأنه:

> **بيان سياسى من الحكومة الفرنسية. لأن الفرنسيين عارضوا غزو الولايات المتحدة للعراق، مما نتج عنه خلاف فى علاقات الولايات المتحدة بفرنسا. وفى محاولة لتهدئة الأمريكيين، استهدف الفرنسيون ما [هكذا فى الأصل] لديهم من سكان مسلمين** its [sic] own Muslim population.

(Naseem 2004)

لقد حملت الصحف عبر الكوكب قصصًا عن المنع، مُروِّجة نسخة من السردية أو أخرى، من خلال تمثيلات نصية وبصرية تتوسطها بقوة. ولم تقع مظاهرات ضد المنع فى باريس فحسب؛ بل كانت هناك مظاهرات عالمية عبر أوربا وأمريكا الشمالية، ناهينا عن بقاع عديدة من العالم الإسلامى. كما أتاحت القصة نقطة انطلاق محورية لعقد المقارنات مع أحداث محلية عديدة فى بقاع متنوعة من العالم: على سبيل المثال، إن مدرسة تُقرِّر فصل طالبة لارتدائها الحجاب فى كندا أو بريطانيا لأنه مُخالِف لنظام الزى المدرسى تصبح متورطة مباشرة فى الجدال الفرنسى. بل إن حتى الأحداث التى سبقت المنع الفرنسى يمكن أن يُعاد حكيها داخل هذا الإطار السردى الجديد.

وفى كل مرة يُعاد حكى أو ترجمة السردية إلى لغة أخرى، تُحقَن بعناصر من سرديات أخرى أكبر يتم تداولها داخل الموقع الجديد للرواة المُعيدين للحكى أو من السرديات الشخصية لهم. ويمكن للنسخة المُنمَّقة بدورها أن يُعاد حكيها فى – و'تلوِّث' – نسخ السردية فى لغات ومواقع أخرى. ترجم محمد جيهانجر **Mohammed Jehangir** إعادة حكى نسيم **(Naseem 2004)** للسردية، 'ارتداء أم عدم ارتداء الحجاب؟' من الأردية ونشرها فى أخبار باكستان **Pakistan News**.

وقد حُقِنت القصة بخبرة نسيم الشخصية كمحاضر فى كلية ترومان بشيكاغو، حيث سألته طالبة باكستانية ترتدى الحجاب بعدوانية عن توجه المسلمين الليبراليين، وموقعه الشخصى فى مواجهة أفراد مجتمعه المتدين:

> **بعد إنهاء محاضرتى، ألقيت مقتطفات من الشعر من كتابى. وقد أعقبت ذلك جلسة أسئلة وإجابات. وخلال هذه الجلسة فاجئت طالبة من الطالبات الباكستانيات المرتديات الحجاب أغلب زملائها فى قاعة المحاضرة بتوجيه بعض الأسئلة لى بوقاحة شديدة جدًا.**

للحظة بُوغِتُ مباغتة شديدة. ربما لم تكن مستعدة أن تقبل واقع أنه يمكن لأمريكى باكستانى أيضًا أن يبلغ هذا المستوى من النجاح فى الأدب وأن يكون لديه كتاب يُدرَّس ضمن مقرَّر كلية أمريكية؟ ومع ذلك، فلم يكن الأمر مُفاجِئًا مفاجأة شديدة. إذ غالبًا ما يتوجب على أن أتعامل مع أشخاص يقلبون عقد النقص **inferiority complexes** ويعانون من ذهنية العبيد. ولم تكن هذه الفتاة استثناء.

ويضع أيضًا نسيم السردية فى سياق سرديات عديدة أكبر مرتبطة بوضع النساء الباكستانيات والمسلمات فى الولايات المتحدة الأمريكية، إخفاقهن فى أن يشتبكن مع القضايا السياسية، وعدم مبالاتهن بالأمية الواسعة الانتشار فى المجتمع. وهكذا، تتم الإضافة إلى أو التشديد على أو التقليل من شأن جوانب من نسخ مختلفة من السردية وعناصر من سرديات أخرى أو ببساطة تُقمَع عبر عمليات عديدة من التوسط، يتضمن العديد منها الترجمة المباشرة، كما هو فى حالة مقال نسيم.

٢-٣-١ تفاعل الهيمنة والمقاومة

إن قدرًا كبيرًا من زخم أبحاث السرد يأتى من اعتقاد بين المنظرين العاملين فى هذا المجال أن افتراضات غير مختبرة مُشفَّرة فى سرديات تُعتِّم أنماط الهيمنة والظلم التى تُقصى قطاعات كبيرة من المجتمع بينما تُشرعِن وتُروِّج تلك الخاصة بالنخبة السياسية، والاقتصادية، والثقافية.

كما يوجد أيضًا اتفاق عام فى الأدبيات على أن السرد يعيد إنتاج بنى القوى القائمة ويُوفِّر وسيلة لمناهضتها. إلا أنه من الصعب الإمساك بديناميات هذا التفاعل الإشكالى **intricate interplay** بين الهيمنة والمقاومة.

> **إن غموض المتـرجم الـشفاهى العــابر للثقافـات the intercultural interpreter كما تُجسِّده لا مــالينش la Malinch... يُـذكِّرنا أن القــوة ليست لعبة صريحة، قائمة على علاقات مستقيمة، واضحة بين المُهيمِن والمُهيمَن عليه، بين القوى والـضعيف: بـل إن الهيمنــة hegemony والصلابة الثقافية cultural strength تترسَّخان عبر آليات أكثر مكـرًا، والتى تحمل داخلها أيضًا إمكانية المقاومة.**

(Polezzi 2001: 80)

وعلى سبيل المثال، فإن الهيمنة السردية – التى تعكس وتُعزِّز العالم الـواقعى – لا تعنى بالضرورة أن الأصوات المُهمَّشة أو المُنشقَّة تكون صامتة تمامًا، إلا ربما فى ظل الأنظمة الأكثر استبدادية. وفعليًا، فـإن المؤسـسات المُهيمِنـة والأفـراد المُهيمِنين غالبًا ما يؤيدون قضايا الجماعات المُهمَّشة ويدعمون بشكل علنى حقهـم فى أن يسردوا العالم بعباراتهم. وهذا يمكن أن يحدث لأسباب مختلفة. ويمكـن أن يتمثل أحد أسباب تدعيم هذه القضايا – بشرط أن تكون 'آمنة' نسبيًا، أى ألا تكون مُربِكة أو خطرة – فى أنها تُحسِّن جاذبية فرد معين أو مؤسَّسة معينة وتُعزِّز مكانة أى منهما الخاصة، سواء الاجتماعية، أو السياسية، أو المالية. ويطرح باكان أمثلـة عديدة فى سياق الأعمال التجارية، حيث 'تتنافس تيمــات المـسئولية الاجتماعيـة الورعة مع الجنس لتحتل المرتبة الأولى فى إعلان الـشركات **vie with sex for top billing in corporate advertising (2004:32)**. وهناك سبب آخر، وهـو أن السماح للمُنشقين وللجماعات المُهمَّشة أن تتحدث بحرية يُبدِّد تـراكم التـوتر فـى المجتمع. ويستشهد ميرتز **(Mertz 1996: 154)** بتعليقات جاستس برانـديز حـول قرار المحكمة فى قضية ويتنى ضد كاليفورنيـا، ٢٧٤ الولايـات المتحـدة ٣٥٧ (١٩٢٧) **(Whitney v. California 274 U. S. 357, 375 1927)** التـى مفادهـا أن

'السماح للمنشقين بحرية التعبير التى تعمل بوصفها 'صمام أمان' **'a 'safety valve** يحمى المجتمع من التمزق الذى يمكن أن ينشأ قد أحبط وخنق المنشقين ليحوّلوا طاقاتهم إلى الفعل بدلاً من الكلام'. وَصَفَ إهرنهاوس هذه العملية وتفاعل الهيمنة والتدمير وصفًا ثاقبًا **insightful**:

> **تستطيع الأصوات المُهمَّشة أن تكون وستكون مسموعة. إلا أن هذه التعبيرات الجماهيرية تقع بطرائق تلطِّف تلك الأصوات، من خلال دمجها فى النظام الأوسع للعلاقات الاجتماعية الذى أقصيت عنه....إن هذا ليس مسألة سلطة تنبذ جماعات إلى الهوامش أو مسألة تجاهلها بمجرد أن تصبح مُهمَّشة. بل مسألة سلطة تتكيف مع الطاقة التمزيقية الكامنة the disruptive potential لأولئك المُهمَّشين. وعبر الخيارات التواصلية التى تجيزها، تستطيع السلطة أن تفكك المعارضة قبل أن تتبلور؛ إذ تستطيع أن تخلق الإيهام بالمعارضة بما يبرهن على انفتاح وتسامح واحتوائية التعددية: وتستطيع السلطة أن تُملى الشروط التى تستطيع فى ظلها المعارضة أن تكون وستكون مسموعة، ومن ثم تجعلها غير فعالة.**

(١٩٩٣: ٨٨)

إن هذا يعنى أن المعارضين يمكن أن يُسقطوا أنفسهم بوصفهم ملتزمين بنسخة معينة لسردية منافسة فى محاولة واعية لـ 'اختيار المعنى' وتفكيك المعارضة. وهكذا تستطيع مؤسسات وجماعات تصنُف نفسها مع بنيات السلطة القائمة (على سبيل المثال وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية) أن تختطف أجندة جماعة من جماعات المقاومة وتستبدل بها شكلاً مُروَّضًا غير فعال من المعارضة، كما يبرهن الكثير من الأدبيات الخاصة بالحركات الاجتماعية (انظر على سبيل المثال، **Ehrenhaus 1993**؛ **Noakes 2000**، **Lambertus 2003**، **Cunningham and Browning 2004**). إذ تؤكد كل هذه الاستراتيجيات فى النهاية أن المعارضة تُقاد داخل فضاء مُحدَّد لها **a prescribed space** لا يفضى إلى أن تفيض على التيار الرئيس أو تمزق أوصاله.

ويصف يامنج ليو (Yameng Liu 1999) جانبًا آخر مثيرًا من التفاعل الدينامى للهيمنة والمُناهَضة الماكرة للهيمنة من قبل الجماعات المُهمَّشة. وهو يُفسِّر أن الاستراتيجية الأساسية لنخب العالم الثالث فى تقديم المواقف غير الغربية من قضايا مثل حقوق الإنسان والديموقراطية تتمثل فى تبنى عبارات الجدال الموضوعة من قبل الغرب، بدلاً من عبارات الجدال الراهن فى سياقهم الوطنى. إذ لم يستخدم رئيس الوزراء الماليزى، مهاتير محمد، فى حجاجه ضد التجارة الدولية غير المحدودة فى العملة فى اتفاقية هونج كونج صندوق النقد الدولى - البنك الدولى IMF-World Bank Hong Kong convention فى ١٩٩٧، حُججًا من التراث الإسلامى أو من أى جانب من جوانب التراث الآسيوى؛ بعبارة أخرى، إنه لم يستدعِ سرديات محلية. وإنما بدلاً من ذلك، بنى حجته على التشريع الراسخ فى الاقتصاد الرأسمالى الحديث مثل تشريع مكافحة الاحتكار anti-trust legislation الذى يحظر الاحتكارات. وهو يجادل بأنه 'إذا كانت حتى الولايات المتحدة تُخضِع دائمًا فى الواقع سوقها الخاص لقوانين صارمة بحيث تمنع المستثمرين الصغار من أن يصبحوا ضحايا من قبل الشطار والتجار الكبار big wheelers and dealers' فكيف يمكنها أن تبارى الحاجة إلى 'أن تمنع تضحية مشابهة بكيانات مالية صغيرة أو لاعبين ماليين صغار فى السوق المعولم؟' (Liu 1999: 312-13).

إن هذه الاستراتيجية بالطبع تمثِّل أثرًا من آثار الهيمنة. فالطرف المُهيمِن يضع اعتياديًا ألفاظ الجدال debate فى أى موقف، وهذا يمنح مزية حاسمة للطرف المُهيمِن فى بعض الجوانب. وفى الوقت ذاته، مع ذلك، فإن تبنى ألفاظ (أو سرديات) الطرف المُهيمِن يتيح للطرف الأضعف، فى هذه الحالة ماليزيا، أن يستغل التغاير الأصيل وتنازع الخطابات المحلية فى الغرب باللجوء إلى دوائر مختلفة وبالتالى 'يحوِّلون جدالهم عبر الثقافى [أى الخاص بالطرف الأضعف] مع الغرب إلى جدل controversy محلى للغرب' (١٩٩٩: ٣٠٤) وهذه، كما تُشدِّد ليو، ليست استراتيجية 'استعفاء ممانع reluctant resignation وإنما استراتيجية 'حساب بارع' (١٩٩٩: ٣٠٤)(١٢). إنها استراتيجية تقويضية معروضة بوصفها استراتيجية مواءمة accommodation وإذعان compliance(١٣).

وفى مواجهة استراتيجية من هذا النوع، يُجبَر الطرف المُهيمِن على أن يتبنى تكتيكات مشابهة. على سبيل المثال، إن أصواتًا عديدة تواصل التشديد على أهمية 'كسب قلوب وعقول' العرب والمسلمين 'العاديين' (بعبارة أخرى، الدوائر الانتخابية القابلة للكسب داخل تلك المجتمعات) بإظهار الاحترام لتقاليدهم وتفسير الأمور من منظورهم(١٤). وهكذا يجد الطرف المُهيمِن أنه يجب عليه، فى محاولته لإضفاء الشرعية على موقفه، أن يُضفى الشرعية على خطاب الطرف الأضعف وأن يتداوله، أن يتبنى ألفاظه فى الجدال. وتشير ليو إلى مثل تلك المحاولات لأن 'تبرِّر المواقف الغربية بعبارات غير غربية' بأنها استراتيجية 'تدجين مضاد' '**counter-domestication**' (١٩٩٩: ٣٠٦) وتقترح أنه بهذا 'الأسلوب المُميَّز للحِجاج عبر الثقافى'، 'يخاطر الطرفان المتعارضان ... بأن يدخل كل منهما إلى ''أرض'' الآخر ويسعى أن يكسب ''المعركة'' بإثارة ''حرب أهلية'' خلف خطوط المُعارِض' (١٩٩٩: ٣٠٩). وهكذا يصبح حتى الحد الفاصل بين الهيمنة والمقاومة أكثر ضبابية.

وثمة مثال حدى نسبيًا لهذه الاستراتيجية تناقشه نيرانجانا (**Niranjana 1990**). إذ تُفسِّر كيف قرَّر الموظفون البريطانيون أن يتبنوا القوانين الهندية لكى يحكموا السكان الهنود. ومع ذلك، فقد تمثلت نقطة انطلاقهم فى أن الهنود لم يكونوا قادرين على أن يحكموا أنفسهم ولم يكونوا يستطيعون أن يديروا قوانينهم الخاصة (**Niranjana 1990: 775**). ولذا فقد كان يجب أن تُترجم هذه القوانين إلى الإنجليزية لكى تُستخدَم لصالح الهنود. و'بناء على أدلة هذه الترجمات الرسمية'، تفسِّر نيرانجانا، السبب فى أن 'المُبشِّرين وبَّخوا الهندوس على كونهم ليسوا مُمارِسين حقيقيين للدين الهندى' (١٩٩٠: ٧٧٥). ويعد هذا مثالاً جيدًا لما يعنيه روبرت يونج عندما يجادل بأن التصور التقليدى للترجمة كصورة أدنى لأصل أسمى **an inferior copy of a superior original** قد انقلب فى المشهد الاستعمارى **a colonial setting**، حيث 'تصبح الصورة الاستعمارية أقوى من الأصل الوطنى الذى تُخفَّض قيمته. بل سيزعم حتى أن الصورة تُصحِّح عيوبًا فى النسخة الوطنية الأصلية' .(٢٠٠٣: ١٤٠)

وفى كل هذه الدوائر الممتدة للهيمنة ومناهضة الهيمنة والتفاعل المُعقَّد بين السلطة والمقاومة، يكون حاضرًا دومًا تقريبًا شكل ما من أشكال الترجمة. وقد كانت هذه دومًا هى الحال، إلا أنها أصبحت منطبقة بشكل خاص على القرن الحادى والعشرين، باقتصادياته المعولمة، والانبعاث العدوانى للإمبراطوريات الاستعمارية. والآن، أكثر مما قبل، 'انتشرت استراتيجيات الاحتواء التى دشنتها الترجمة عبر سلسلة من الخطابات، مما يتيح لنا أن ننعت الترجمة بأنها تكنولوجيا خطيرة للهيمنة الاستعمارية' (**Niranjana 1990: 776**). إلا أننا يجب أن نتذكر أن الترجمة أيضًا تعرض – ودائمًا ما كانت تعرض – فرصًا رئيسية لمناهضة وتقويض هذه الهيمنة ذاتها. صحيح أن طرح يونج حول أن الصورة الاستعمارية تصبح أقوى من الأصل الوطنى الأصلى يظل منطبقًا؛ إلا أنه لدينا أيضًا أمثلة عديدة لمترجمين يختطفون هذه الاستراتيجية ذاتها ليمنحوا صوتًا لدوائرهم الخاصة **their own constituencies**. وتعد ترجمة خليل مطران العربية لمسرحية عطيل لشكسبير فى عام ١٩١٢ أحد الأمثلة على هذا. إذ يؤكِّد مطران أن 'قصة المغربى أصلاً قصة عربية، لابد من أن يكون شكسبير قرأها بالعربية أو مترجمة' وأخذ 'يحرِّرها إلى اللغة والتراث اللذين كانا محرومين منها' .(**Hanna 2005: 144**) ويؤكِّد مطران أكثر من ذلك أن عنوان نسخته العربية، عُطيل **Utail**، هو الاسم العربى الأصلى الصحيح لـ أوتلُّو **Othello**، ويرد شكسبير نفسه إلى أنه نتاج للتراث العربى: 'إن فى نفس شكسبير شيئًا عربيًا بلا منازعة ... وعلى الجملة ففى كل ما يكتبه شكسبير شىء من روح البداوة قوامه الرجوع الدائم إلى الفطرة الحرة.' (١٩١٢: ٧–٨، وهو مقتبس لدى **Hanna 2005: 114**). يمكن أن يبدو هذا بوصفه مقياسًا حديًا، إلا أنه من القابل للجدل أنه ليس أكثر حدية من الاستملاك البريطانى للقوانين الهندية الموصوفة لدى نيرانجانا. إن التنافس حول السرديات، فيما يبدو، يمكن أن يتخذ أشكالاً مُعقَّدة وأحيانًا حدية بعض الشىء. أو أن هذه الأشكال، بالأحرى، يمكن أن تبدو حدية حين تُرى من موقعنا السردى اليوم.

وسينتظم النقاش، فى الفصول اللاحقة، ضمن إطار عمل النظرية السردية، ليبدأ بتنميطات السرد **typologies of narrative** وينتقل إلى سمات السردية والطرائق المتنوعة التى يتم بها (إعادة) تأطير السرديات فى الترجمة. وما نأمل أن ينبثق من النقاش، مع استعراض هذا التنظيم البنيوى للمادة، هو أن يشتبك المترجمون والمترجمون الشفاهيون، مثل كل الفاعلين الاجتماعيين، مع العالم السردى المنغرسين فيه بطرائق عديدة. إن كثيرين يرفضون أن يتأملوا تضمينات خياراتهم تقريبًا بوصفها مسألة مبدأ، مُفضّلين بدلاً من ذلك أن يترجموا أى سردية وكل السرديات بأسلوب غير متحيز **in a detached manner**، وبالتالى يساعدون فى تدويرها وترويجها بغض النظر عن موقعهم السردى الخاص. بينما ينطلق آخرون لينافسوا السرديات المهيمنة ويخضعوها للتفكير النقدى. إذ لا يمكنهم أن يهربوا من كونهم منغرسين بشدة فى سلسلة من السرديات التى تُحدِّد من يكونون وكيف يسلكون فى العالم. كما لا يمكنهم أن يهربوا من المسئولية عن السرديات التى يصوغونها ويروجونها من خلال ترجمتهم وتأويلهم لعمل ما.

مراجع أساسية:

Georgakopoulou, Alexandra (1997‘ (Narrative ،’in Jef Verschueren, Jan-Ola
ضstman, Jan
Blommaert and Chris Bulcaen (eds) Handbook of Pragmatics 1997, Amsterdam: John
Benjamins, 1–19.
Landau, Misia (1997) ‘Human Evolution as Narrative’, in Lewis P. Hinchman and Sandra K.
Hinchman (eds) Memory, Identity, Community: The Idea of Narrative in the Human Sciences,
Albany: State University of New York Press, 104–18.
Mishler, Elliot G. (1995) ‘Models of Narrative Analysis: A Typology’, Journal of Narrative and
Life History 5(2): 87–123.
White, Hayden (1987a [1980]) ‘The Value of Narrativity in the Representation of Reality’,
Critical Inquiry 7(1); reproduced in Hayden White (1987) The Content of the Form: Narrative
Discourse and Historical Representation, Baltimore MD and London: The Johns Hopkins
University Press, 1–25.
Whitebrook, Maureen (2001) Identity, Narrative and Politics, London and New York: Routledge.

قراءات إضافية:

Bennett, W. Lance and Murray Edelman (1985)‘ Toward a New Political Narrative ،’Journal of Communication 35(4): 156–71.

Bourdieu, Pierre (1998) Acts of Resistance: Against the New Myths of Our Time, trans. by Richard Nice, Cambridge: Polity Press.

الفصل الثالث

تنميط السرد

كما يمكن أن يُتوقع، فى ظل الشغف الأكاديمى بالتصنيف، فإن الأدبيات الممتدة حول السرد فى مجالات معرفية متنوعة تزخر بمناقشات للتنميطات **typologies**، والأبعاد، والمحاور. وفى سياق الحركات الاجتماعية، تميز هارت **Hart (1992)** بين السرديات الأنطولوجية (أو الذاتية) والسرديات التعبوية **mobilizational** (أو البينشخصية). ويفترض برات **(Pratt 2003)** أن سرديات الهوية تكون مُنظَّمة على امتداد محورين. الأول بيوجرافى ويُشدِّد على الاستمرارية من خلال تفسير ما تعنيه جماعية ما **a collectivity** فى ظل تطورها عبر الزمن: على سبيل المثال، من يكونون الأكراد بوصفهم وظيفة لما يُسرَد بوصفه ماضيهم، وحاضرهم، ومستقبلهم. والثانى رأسى ويعمل عبر التعارض **opposition**؛ إذ يُفسِّر من يكونون الأكراد بناء على كيف يختلفون عن 'آخر' مُحدَّد، مثل العراقيين أو الأتراك.

إن التنميط الذى تقترحه سومرز **(Somers 1992, 1997)** وسومرز وجيبسون **(Somers and Gibson 1994)** يبدو الأوثق ارتباطًا فيما يتعلق بأهدافنا. إذ تميزان بين السرديات الأنطولوجية، والجماهيرية، والتصورية، والشارحة فى محاولة لرسم حدود الوظائف الاجتماعية والفحوى السياسية للسردية. ومع ذلك، فإن نقاشهما لكل فئة موجز جدًا، إذ لا يمتد إلى ما يزيد عن فقرتين أو ثلاث لكل حالة. وعلاوة على ذلك، فإن سومرز وجيبسون، كمنظرتين اجتماعيتين، لا تُوجِّهان انتباهًا بشكل مفهوم على الإطلاق إلى الترجمة والترجمة الشفاهية، ولا لقضايا خطابية على نحو أكثر اتساعًا. وسأحاول، فيما يلى، أن أكسو تفاصيل تنميطهما لحمًا وأبرهن على تطبيقه الممكن فى دراسات الترجمة.

٣-١ السرديات الأنطولوجية (سرديات الذات)

إن السرديات الأنطولوجية هى عبارة عن قصص شخصية نحكيها لأنفسنا حول مكاننا فى العالم وتاريخنا الشخصى الخاص[١]. وهذه القصص تُشكِّل حيواتنا وتمنحها المعنى. وعلى الرغم من أنها تظل فى النهاية متركزة على الذات وعالمها المباشر، فإنها بينشخصية واجتماعية فى طبيعتها، لأنه 'يجب على الشخص أن يوجد، ليحكى قصتهم، فى عالم اجتماعى – إنهم ذات متموقعة، متموضعة' (Whitebrook 2001: 24). وبعبارات ملموسة، فإن هذا يعنى أن 'حتى أكثر السرديات شخصانية ترتكز على وتستدعى سرديات جمعية **collective narratives** – رموزًا، وصياغاتٍ لغوية، وبنيات، ومعجمياتِ الحافز **vocabularies of motive** – التى بدونها سيبقى الشخصى غير مفهوم **unintelligible** وغير قابل للتأويل **uninterpretable**' **(Ewick and Silbey 1995: 211-12)**. ويمثل هذا أحد الأسباب فى لماذا لا تستطيع بالضرورة حتى قصة شخصية ملموسة محكية بلغة واحدة أن يُعاد حكيها أو أن تُترجم فى لغة أخرى بشكل غير إشكالى[٢]. إن الاعتماد المتبادل بين الشخصى والجمعى يعنى أن إعادة الحكى مُقيَّدة حتمًا بالمصادر اللغوية والسردية المشتركة المتاحة فى المشهد الجديد.

وتصف إيلا شوحط **Ella Shohat**، وهى يهودية عراقية رحلت أسرتها إلى إسرائيل فى الخمسينيات وهاجرت هى إلى الولايات المتحدة وهى شابة، تأثيرات التمزق بين سردها الأنطولوجى والسرديات الجمعية فى الولايات المتحدة وأوربا على النحو التالى:

> **ليس مسموحًا لكل الهُويَّات المنقسمة all hyphenated identities بمدخل معجمى داخل معجم أمريكا الرسمى للإثنيات والعرقيات. وإن كنتُ أستطيع أن أرى فى وجوه الأشخاص كيف تنتقش جسديًا علامة الانقسام corporeally inscribed hyphen، عراقية-إسرائيلية، منتجة نوعًا من الدوار التصنيفى classificatory vertigo، والنتيجة هى أن علامة الانقسام تتلاشى على الفور فى هوية قابلة للتمثل: 'آه، هكذا أنت**

إسرائيلية!'... فى الولايات المتحدة... تتلاشى آسيويتنا، مندرجة تحت التعريف الأوربى المركزى المهيمن لليهودية (المساوية لأوربا) والعربية (المساوية للإسلام) بوصفهما ضدين. لتُمحى آلاف السنين من التواجد فى العراق باسم ثلاثة عقود فى إسرائيل.

(Shohat 2000: 289)

إن السرديات الأنطولوجية، إذًا، تعتمد على وتغتذى بـ السرديات الجمعية المتموقعة فيها. لكنها أيضًا حاسمة لصياغة هذه السرديات ذاتها والحفاظ عليها. ومبدئيًا، فإن السرديات المشتركة، القصص المحكية والمعاد حكيها من قبل أعداد غفيرة من أفراد المجتمع عبر فترة طويلة من الزمن، توفِّر مُخطَّطات للسرديات الأنطولوجية، بما فى ذلك المُخطَّطات الخاصة بالأدوار والفضاءات الاجتماعية التى يمكن أن يقطنها الفرد. وفعليًا، فإننا بقدر ما نكون مقيدين بهذه السرديات المشتركة نكون كذلك مقيدين بأشكال ملموسة من الظلم الذى قد نعانى منه بشكل يومى. إن الاسترقاق والتمييز العنصرى ليسا مجرد مجموعتين من الممارسات الملموسة التى تمنع فردًا معينًا فى لحظة معينة من الزمن من مغادرة فضاء جغرافى أو دخول منطقة فيزيقية محجوزة للبيض. بل إنها أيضًا تفسيرات محكية تُحوِّر سردية الفرد الخاصة عن من يكونون وما الذى يشكِّل السلوك الملائم – أو الآمن – من جانبهم، فى ظل مكانهم داخل سردية جمعية موجودة سلفًا.

إن السرديات الجمعية، أو 'السرديات الثقافية الكبرى' **'cultural macronarratives'**، كما يدعوها هينشمان وهينشمان **(1997 b: 121)**، تشكِّل وتقيد هكذا قصصنا الشخصية، مُحدِّدة معانيها ومخرجاتها الممكنة. وهى تُنقَل عبر قنوات متنوعة، بما فى ذلك (فى الأزمنة الحديثة) التليفزيون، والسينما، والأدب، والاتحادات المهنية، والمؤسسات التعليمية **educational establishments**، وتنويعة من المنافذ الأخرى، كما أشرح فى القسم الخاص بالسرديات الجماهيرية. وفى الوقت ذاته، فإن السرديات الأنطولوجية ليست على الإطلاق غير ذات صلة **inconsequential** بصياغة السرديات المشتركة والمحافظة عليها. وللمجتمع ككل

نصيب لافت فى القصص والأدوار التى نبنيها لأنفسنا، لأنه يمكن للسرديات أن تُعزِّز أو تُقوِّض السرديات التى تُرسِّخ النظام الاجتماعى ومن ثم تعترض الاشتغال الانسيابى للمجتمع. وهذا هو السبب، كما يشرح باكان (**Bakan 2004: 134**)، فى لماذا يكون دومًا للمؤسسات المهيمنة فى المجتمع 'أدوار وهُويَّات راسخة بالنسبة للتابعين لها الذين ينسجمون مع طبائعها، واحتياجاتها، ومصالحها المؤسسية: رعايا الكنيسة الأتقياء، والسادة والأقنان بالنسبة للأنظمة الإقطاعية، والمواطنين بالنسبة للحكومات الديموقراطية'. وبعبارات جوفمان، فإن الاعتماد المتبادل بين السرديات الأنطولوجية والمشتركة يمثِّل وظيفة لحقيقة أن 'المجتمعات فى كل مكان، إذا ما كان لها أن تكون مجتمعات، لا بد لها من أن تعبِّئ أعضاءها بوصفهم مشاركين مُنظِّمين لأنفسهم فى المواجهات الاجتماعية' (١٩٦٧: ٤٤)[٣].

كما تتطلب السرديات المشتركة أيضًا تعددية أصوات القصص الشخصية المتعددة لكى تكتسب رواجًا وقبولاً، لكى تصبح 'اعتيادية' '**normalized**' داخل الحكايات البديهية **self-evident accounts** للعالم ومن ثم تتلافى الاستقصاء. وكمثال جيد على كيف تتطلب السرديات الجمعية التى يروِّجها النظام الاجتماعى مدخلات من سرديات شخصية توافقية، فإننا نحتاج فقط أن نتذكر أن الألمان فى ظل النازى والبيض الجنوب أفريقيين فى ظل التمييز العنصرى كان يتم تشجيعهما أن يسردوا أنفسهم بوصفهم أسمى عرقيًا. وقد كان يمكن فقط للمشاركة غير المتسائلة لأعداد غفيرة من الأفراد فى فرضية تساميهم الخاص (بكل تفاصيلها التاريخية، والثقافية، والسياسية المصاحبة) أن تُغذى السردية الجمعية فى كل حالة. وكذلك، يجادل لونجينوفيك (**Longinovic : 2004**) بأن الواقع السياسى للبلقان الذى أدى إلى غزو الأقليم بقيادة حلف الناتو عام ١٩٩٩ لم يكن فقط 'اعتياديًا من خلال قصة التاريخ التى تقدمها وسائل الإعلام' وإنما أيضًا من خلال 'ذوات قومية تدربت على أن تقبل فى النهاية مستوى آخر من عدم الأمان باسم الأمن، لتتسامح مع الاجتياحات العسكرية باسم حقوق الإنسان.' إنه هذا الاستعداد من جانب أفراد كثيرين أن يجعلوا سردياتهم الأنطولوجية متوافقة مع سرديات جمعية مُحدَّدة تُغذِّى

الأخيرة وتمنحها شرعية وقوة. وفى الوقت ذاته، فإن السرديات الشخصية يمكن أن تُستخدَم عن عمد لتُربِك النظام الاجتماعى. إذ يمكن أن 'تُحرِّر' ويُشدِّد عليها لكى تقاوم السرديات المهيمنة، لتصوغ سردية بديلة للعالم. وهذا بدقة ما يحاول نسويون كثيرون أن يفعلوه من خلال منح صوت لحكايات خبرة الحياة الأنثوية المتجاهلة أو المقموعة، وغالبًا ما تتوسط الترجمة تلك الحكايات. وهى أيضًا استراتيجية يستخدمها المؤرِّخون الشفاهيون الذين يحاولون أن يعيدوا اكتشاف التاريخ 'من خلال إنقاذه من نسيان الأفراد الذين تم تجاهلهم من قبل' (**Reeves-Ellington 1999: 111**).

وبقدر ما يكون للنظام الاجتماعى أو المجتمع ككل، كذلك يكون للأفراد الآخرين الذين نتفاعل معهم نصيب فى سردياتنا الشخصية، ويكون لهذا أيضًا عواقب سياسية. ويُفسِّر نوفيتز **Novitz** ذلك أنه:

> **توجد صلة حميمة بين الكيفيات التى يعرض بها البشر أنفسهم والكيفيات التى من الممكن أن يسلكوا بها.... وبسبب هذا غالبًا ما نكون مهتمين اهتمامًا كافيًا أن نتحدى القصص التى يحكيها البشر عن أنفسهم. إذ نستحثهم أن يُفكِّروا مُجدَّدًا، وبإعطائهم أسبابًا لفعل ذلك، نحاول أن نُقوِّض إحساسهم بذاتهم. وتوجد عملية سياسية متشابكة تعمل هنا: وهو ما أحب أن أطلق عليه سياسة الهُويَّة السردية التى بموجبها نؤكِّد ونحافظ على مصالحنا الخاصة ليس فقط من خلال تقديم رؤية معينة لأنفسنا، بل من خلال تقويض الرؤى التى يقدِّمها الآخرون عن أنفسهم.**

(١٩٩٧: ١٤٦)

إن سردياتنا الشخصية تعد فى النهاية مهمة للمجتمع وللأفراد الذين نتفاعل معهم لأن 'السرديات الأنطولوجية تُستخدَم لتُحدِّد من نكون؛ وهذا بدوره يمثِّل شرطًا مسبقًا لمعرفة ما نفعل' (**Somers and Gibson 1994 : 61**). إن القصص التى نحكيها لأنفسنا تُوجِّه الكيفية التى نسلك بها وليس فحسب الكيفية التى نفكِّر بها، وأى فعل نأخذه على أنه طبيعى يؤثر على أولئك الذين حولنا. وفى الوقت

نفسه، فى ظل ''أننا لا نكون أكثر (وأحيانًا لا نكون أقل) من المؤلفين المــشاركين لسردياتنا الخاصة' (**MacIntyre 1981 : 199**)، فإن القصص التى يبنيهــا أنـــاس آخرون عنا تكون حيوية لبقائنا الفيزيقى والعقلى وتشكل حتمًــا ســلوكنا. كمــا أن الكيفية التى 'يحكى' ــنا بها آخرون يمكن أن تكون لها تضمينات ملموســة جــدًا بالنسبة لرفاهنا المادى، والمهنى، والاجتماعى، والسيكولوجى. كما أنها يمكــن أن تُعزِّز أو تُدمِّر مسارنا المهنى، إذ تجعلنا نشعر بالارتياح تجاه أنفسنا أو تلقى بنا إلى اليأس، تُحسِّن موقفنا الاجتماعى أو تُحوِّلنا إلى منبوذين **outcasts**. وكل هذا يــؤثر بشكل طبيعى على تطويرنا لسردية عن من نكون وكيف نرتبط بالعالم من حولنـــا، على كيف 'نسرد' أنفسنا. وفى النهاية، نصبح 'مستفيدين من السرديات التى يبدعها آخرون ويدفعونها فى اتجاهنا، أو ضحايا، أو ألاعيب لها' (**Novitz 1997: 154**)

وفى التحليل الأخير، يجب علينا أن نفاوض طريقتنا الخاصة بالتضاربات أو الصراعات المتنوعة بين سردياتنا الأنطولوجية وتلك الخاصة بــالأفراد الآخــرين الذين نتشارك معهم فى الفضاء الاجتماعى، وكذلك التــضاربات مــع الــسرديات الجمعية، لكى يتم تصديقها، واحترامها، والثقة فيهــا – بإيجــاز، لكــى 'يتجنــب ''التخلى الأنطولوجى''' (**Hinchman and Hinchman 1997b : 121**) وبالنــسبة لأولئك الذين يُنقَلون فجأة إلى بيئة ثقافية مختلفة جدًا ويجدون أنه يجب عليهم أن يفاوضــوا صراعًا رئيسًا بين سردياتهم الشخصية وتلك المتداولة فى بيئتهم الجديدة، فإن هذا يمكــن أن يُفضى إلى نوع من الصدمة **trauma**. وتناقش إنجرام **Ingram** تأثيرات هذا التمــزق فى المفقود فى الترجمة لإيفا هوفمان **Eva Hoffman's Lost in Translation** انطلاقًــا من التفاوض 'بين الذات والثقافة':

> **لا يوجد مكان لحواء البولندية Ewa the Polish فــى الــسياق الكنــدى الجديد؛ ومع ذلك فأن تصبح إيفا يضع الطبيعة الاجتماعية المبنية لكــلا هاتين الهُويَّتين موضع التساؤل. ليصبح السؤال بالنسبة لهوفمان، أيهما هى الحقيقية؟**

(التشديد فى الأصل؛ ١٩٩٦: ٢٠٦) .

إن المترجمين الشفاهيين الذين يتعاملون مع اللاجئين وطـالبى حـق اللجـوء يشهدون هذا النمط من الصراع بين القصص الشخصية للمهاجرين وسرديات الثقافـة المُستقبلة بعبارات حيوية جدًا (انظر علـى سـبيل المثـال، **Barsky 1993, 1996; Maryns 2005**). إن طالبى حق اللجوء ليس أمامهم بعامة سوى مساحة قليلة جـدًا للتفاوض على التـسوية بـين سـرديتهم الأنطولوجيـة والـسرديات المؤسـسية والجماهيرية للبلد المُضِيف. ولكى '''يبنوا'' أنفسهم كمطالبين أكفاء' وهو ما يعنى الاختلاف بين الحياة والموت فى حالات عديدة، فإنهم يجب أن 'يتخلوا عن ذاتهـم السابقة وأن يبدعوا، سواء بشكل ناجح أو لا، ذاتًا ''أخرى'' تعد مُلائِمة للقـضية' (**Barsky 2005: 226**). وعلى الرغم من أن المترجمين الشفاهيين يكونون مُوجَّهين صراحة فى عملية طلب اللجوء إلى أن 'يترجموا بالضبط' مـا يقولـه المتقـدم (**Inghilleri 2003: 257**) وأن يمتنعوا عن 'تأويل **interpreting**' أو تعديل قصتهم ليجعلوها مفهومة ضمن الأطر السردية للمجتمع المُستهدَف، فإن البحث يفترض أن بعض المترجمين الشفاهيين على الأقل، خصوصًا أولئك الذين ينتمون إلى المجتمع ذاته الذى ينتمى إليه المتقدمون، يميلون إلى أن 'يحسنوا فى شـهادات المتقـدمين' و'أن يقدموا النصح خلال الإجـراءات الخاصـة بالمـسار الملائـم للأحـداث' (**Inghilleri 2003: 258**) بعبارة أخرى، إنهم يحاولون أن يُـضيِّقوا الفجـوة بـين السردية الشخصية والجمعية أو المؤسسية.

يناقش جيرجين وجيرجين ثلاثة أنماط من السرديات الأنطولوجية: سـردية الاستقرار تصوِّر موقف الفرد بوصفه مستقرًا، مع قدر ضئيل من التغير أو دونمـا تغير عبر الزمن؛ والسردية التقدمية تصوِّر نمط التغير إلى الأفـضل؛ والـسردية النكوصية تشدِّد على نمط الانحطاط أو التغير للأسوأ. وهما يجادلان بأن تطور هذه الأشكال السردية 'ترجِّحها الاحتياجات الوظيفيـة داخـل المجتمـع. إن سـرديات الاستقرار ترجِّحها الرغبة المشتركة فى أن يظهر العالم الاجتماعى بـشكل مـنظَّم وقابل للتنبؤ به؛ وتقدِّم السرديات التقدمية الفرصة للناس أن يروا أنفـسهم وبيئـتهم

بوصفهما قادرين على التحسن؛ ولا تلزم منطقيًا فقط السرديات النكوصية عن تطور السرديات التقدمية، بل إن لها وظيفة تحفيزية مهمة خاصة بها".

(Gergen and Gergen 1997: 175)

إن الترجمة **translating** والترجمة الشفاهية **interpreting** للسرديات الأنطولوجية غالبًا ما تكون مُتحدية إلى أقصى حد. وقد وصف أحد المترجمين الشفاهيين فى مقابلة مع فريق مشروع السبيل إلى العدالة **the Access to Justice** فى جامعة دورام **Durham** فى المملكة المتحدة تأثير حالة إساءة معاملة طفلة على عافيتها الوجدانية **her emotional well-being**:

> **لقد تعودت على الاحتياج إلى أن أذرف الدمع تقريبًا كل ليلة. وقد كان فظيعًا....حين يبكى [طفل أصم] أبكى. حين كان يصرخ، أصرخ. وأنت تعرف أنه مزعج جدًا جدًا - مزعج جدًا. لقد كان شيئًا من أسوأ الأشياء التى فعلتها على الإطلاق فى حياتى. وقد كان مفزعًا لأنه لم يكن لدى من أشركه معى فى هذا.**

(Brennan and Brown 1997: 62)

إن المترجمين الشفاهيين فى محاكمات الحقيقية والمصالحة **Truth and Reconciliation** التى أجريت بعد سقوط حكم التمييز العنصرى فى جنوب أفريقيا كانوا كذلك مفجوعين من تعرضهم لسرديات الضحايا الأونطولوجية المؤلمة جدًا وسرديات مقترفى الجرائم المصاحبة(٤):

> **لقد كانت وظيفة مضنية من العمل الذى استنزف جهدًا فيزيقيًا، وذهنيًا، ونفسيًا. فقد حملنا عبئًا ثقيلاً حين حملنا على عاتقنا العذاب، والفظاعة، والشر المحض لكل هذا. إذ كان على المترجمين الشفاهيين، على سبيل المثال، أن يتلقوا ليس مجرد فجيعة الاستماع أو القراءة للبشاعات، بل كان عليهم أن يتحدثوا بضمير المتكلم إما كضحية أو كمقترف للجريمة،**

لقد جردونى من ملابسى وفتحوا درجًا وحشروا ثديى فى الدرج ثم أغلقوا بعنف الدرج على حلمة ثديى! [أو] لقد وضعتُ المُخدِّر فى قهوته، ثم أطلقت

الرصاص على رأسه. ثم حرقتُ جسده. وبينما كنا نفعل هذا، كنا نستمتع، ونحن نشاهد جسده يحترق، بحفل شواء فى الجهة الأخرى.

إن هذا المقتطف المأخوذ من المادة ٨٧ من تقديم تقرير رئيس لجنة الحقيقة والمصالحة، الفصل الأول، يبرهن على مدى وطبيعة محنة المترجم الشفاهى ويدل على أن السرديات الأنطولوجية يمكن أن تكون من بين أكثر السرديات تطلبًا وتحديًا فى ترجمتها، وخصوصًا فى ترجمتها الشفاهية.

٣-٢ السرديات الجماهيرية

إن السرديات الجماهيرية(٥) مشابهة جدًا لما أشرت إليه من قبل بالسرديات المشتركة أو الجمعية وإن لم تكن مطابقة لها تمامًا. إلا أن مصطلحى السرديات 'المشتركة' و'الجمعية' مصطلحان فضفاضان يميلان إلى أن يُستخدَما خارج أى نموذج مُحدَّد. إنهما يشيران على نحو غائم إلى أى نمط سردى له رواج فى مجتمع معين. وفى المقابل، تضع سومرز وجيبسون فروقًا أرهف بين السرديات الجماهيرية، والتصورية، والشارحة، كما سوف نرى معًا.

إن السرديات الجماهيرية تُحدَّد، فى نموذج سومرز (١٩٩٢، ١٩٩٧) وسومرز وجيبسون (١٩٩٤)، بوصفها قصصًا تصوغها وتتداولها تشكيلات اجتماعية ومؤسسية أكبر من الفرد، مثل الأسرة٦، والمؤسسة الدينية أو التعليمية، ووسائل الإعلام، والأمة. لكن سومرز وجيبسون لا تذكران النسق الأدبى، مع أن الأدب يشكِّل بالطبع مؤسسة من أقوى المؤسسات فى مناثرة السرديات الجماهيرية فى أى مجتمع. وكما يشرح جونز (**Jones 2004 : 715**) بالنسبة للحروب الأخيرة فى يوغسلافيا، فإن 'التلاعب بالأدب غالبًا ما يلعب دورًا حاسمًا فى عملية تشكيل الهُويَّة الإثنية القومية من خلال توليد ''تواريخ زائفة'' "**pseudo histories**" تخلق أو تُعزِّز أساطير قومية'.

وتُقدِّم سومرز (١٩٩٢: ٦٠٤) كأمثلة على السرديات الجماهيرية قصصًا حول 'الحراك الاجتماعى الأمريكى'، و'الرجل الإنجليزى المولود حرًا'، و'قصة الاشتراكية التحريرية'. وإذا ما أردنا مثالاً أحدث، يمكننا أن نجده فى السرديات الجماهيرية العديدة والمتنافسة للحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، أو الحرب على العراق التى شنها 'التحالف' بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية فى ٢٠٠٣ : من المسئول؟ ولماذا وقعت؟ وهل كان من الممكن تجنبها؟ وكم عدد من ماتوا؟ وما شابه. إن السرديات الجماهيرية عن 'الديموقراطية الغربية'، و'الأصولية الإسلامية'، و'االأصولية المسيحية'، و'حقوق المثليين' يتم تداولها كذلك فى نسخ عديدة مختلفة. والأفراد فى أى مجتمع عليهم إما أن يقبلوا نسخ تلك السرديات الجماهيرية الرسمية أو شبه الرسمية أو أن ينشقوا عليها. وهم ينشقون عليها حين 'تتضمن' سردية جماهيرية، سردية صاغتها أى مجموعة ينتمون إليها (الأسرة، الجماعة الدينية، الجماعة المهنية، وما شابه)، 'جوانب لا يستطيع بسهولة الشخص كعضو من جماعة أن يتوافق داخل قصتهم الخاصة عن الهُوِيَّة' (Whitebrook 2001: 145).

إن السرديات الجماهيرية المتداولة فى أى مجتمع يمكن أن تتغير وتتغير فعلاً بشكل لافت، أحيانًا خلال سنوات قليلة، أو حتى شهور. على سبيل المثال، إن برونر (١٩٩٧: ٢٦٩) يصف كيف تغيرت السردية الجماهيرية المهيمنة حول الأمريكان الأصليين فى الولايات المتحدة بشكل سريع جدًا، 'خلال عقد من الزمن بعد الحرب العالمية الثانية'. وقد صوَّرت السردية، فى الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، ماضيًا مجيدًا، وحاضرًا مضطربًا، ومستقبلاً يستلزم التمثل. بينما تُصوِّر السردية الراهنة، على العكس من ذلك، الماضى بوصفه استغلالاً، والحاضر بوصفه حركة مقاومة، وبالتبعية المستقبل بوصفه انبعاثًا إثنيًا (Bruner 1997). إن الأولى، سردية المثاقفة accultration narrative، طبقًا لبرونر، تُصوِّر ما تدعوه الهندى بوصفه آخر غريبًا exotic، رومانتيكيًا، بينما تُصوِّر سردية المقاومة الهندى بوصفه الضحية. إن أى تنويعة لسردية تستمر وتكتسب رواجًا هى بالطبع

إلى حد كبير مسألة بنى القوى المنغرسة فيها النسخ السردية المتنوعة وكذلك التحديد الذى يروّجها به مناصروها ويدافعون به عنها.

إن السرديات الجماهيرية حول أفراد مُحدَّدين ممن يصبحون رمزًا لشعب، أو حركة، أو أيديولوجية، يمكنها أيضًا أن تتغير تغيرًا حادًا عبر الزمن. فقد كان نيلسون مانديلا يُصوَّر على نطاق واسع بوصفه إرهابيًا فى الستينيات وإلى أواخر الثمانينيات بسبب تأييده لاستخدام تكتيكات عنيفة من أجل إنهاء التمييز العنصرى فى جنوب أفريقيا. لكنه بعد أن أخذت حركة مناهضة التمييز العنصرى فى السبعينيات والثمانينيات تكتسب قوة، أصبح رمزًا للمقاومة، وبطلاً عالميًا، وأخيرًا مُنِح جائزة نوبل للسلام عام ١٩٩٣.

وتقدّم دراسات الإعلان أمثلة عديدة على الطرائق الماكرة التى تتكيف وتتوسط بها السرديات الجماهيرية عبر الحدود الثقافية. ويناقش مانداى **(Munday 2004)** الحملة الإعلانية لأدوات التجميل الخاصة بلوريال **the L'Oréal**، التى غيَّرت شعارها الشهير فى ٢٠٠٢ من 'لأننى جديرة به' إلى 'لأنكِ جديرة به' فى محاولة لتلطيف تأثير السردية الجماهيرية الخاصة بأن المجتمعات الديموقراطية الحرة تتشكل من أفراد متمايزين، مستقلين ذاتيًا، متفردين فى صفاتهم. إن الشعار الابتدائى ، فيما يبدو 'المبتكر بوصفه إعلانًا عن 'تمكين' مديرة تنفيذية أمريكية للشركة' **(Munday 2004 : 209)**، قد احتفظ به فى الفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والإسبانية 'لكن وجدت مشكلات ثقافية فى الصين، حيث نُظِر إليه بوصفه فردانيًا فردانية شديدة، وفى فرنسا، نُظِر إليه على أنه يركِّز صراحة على القيمة المالية' **(Munday 2004: 209)**.

كما يتم تكييف السرديات الجماهرية محليًا داخل الثقافة ذاتها استجابة لتطوير إعادات تشكيل الفضاء السياسى والاجتماعى. ويقدّم ناود **(Naude 2005)** أمثلة خلابة حول الطريقة التى شاركت بها الترجمات الباكرة للكتاب المقدس داخل اللغة الأفريقانية [لغة المستعمرين الهولنديين فى جنوب أفريقيا] **Afrikaans** فى إجازة

التمييز العنصرى استجابة 'لاقتناع المستعمرين الهولنديين لجنوب أفريقيا بأنهم شعب الله المختار وبموجب ذلك يمزجون هويتهم القومية الخاصة بهوية بنى إسرائيل فى الكتاب المقدس – الشعب المفصول عن بقية الأمم' (Naude 2005: 27). إن الترجمة الكاملة الأولى (١٩٣٣) ومراجعتها (١٩٥٣) قد شدَّدتا على تنوع الأمم والأنواع وقصد الله أن يفصلهم. غير أن ترجمة بديلة منشورة فى ١٩٨٣، قبل أن تسحب الكنيسة الهولندية التى تم إصلاحها فى جنوب أفريقيا تبرير الكتاب المقدس للتمييز العنصرى فى عام ١٩٨٦ بفترة قصيرة، قد هوَّنت من شأن قضية التنوع العرقى والقومى، كما هو فى الأمثلة التالية (Naudé ٢٠٠٥: ٣٣-٤)؛ (التفاصيل المرتبطة بالموضوع مطبوعة بخط ثقيل):

مثال ١

ترجمة ١٩٣٣/ ١٩٥٣

[... لئلا يختلط هذا الجيل بـ شعوب البلدان الأخرى.]

ترجمة ١٩٨٣

[لقد سمحوا لهذه الأمة أن تختلط بـ الوثنيين **the heathen** (= غير المؤمنين).]

مثال ٢

ترجمة ١٩٣٣/١٩٥٣

[إننا تزوجنا نساء أجنبيات من شعوب الأرض] [ص ٣٤]

ترجمة ١٩٨٣

[... لقد تزوجنا نساء أجنبيات، نساء من الأمم الوثنية.]

مثال ٣

ترجمة ١٩٣٣/١٩٥٣

[لا ينبغى أن تعطى بناتك لـ أبنائهم ...]

ترجمة ١٩٨٣

[لا ينبغى لك أن تسمح لبناتك أن يتزوجن أبناء الوثنيين ...]

وكما يشرح ناود، فإن مصطلحية الزواج الاغترابى **the intermarriage** الخاصة بالنسخة الأسبق، 'التى يمكن أن تكون قد أسىء فهمها بوصفها تشتغل ضمن الفضاء السياسى أو القضائى'، استبدلت بها مصطلحية دينية فى نسخة عام ١٩٨٣، ولذا أصبح من الواضح أن 'الزواج الاغترابى ليس ممنوعًا بين الأمم وإنما بين المؤمنين وغير المؤمنين' (٢٠٠٥: ٣٣).

وتمامًا كما قد يجب على الأفراد أن يفاوضوا الفجوة بين سردياتهم الأنطولوجية والسرديات الجماهيرية والمؤسسية للبلد المُضيف فى سياق عملية طلب اللجوء، فإنه يجب عليهم أيضًا أن يصالحوا بين السرديات الجماهيرية لمجتمعاتهم وتلك الخاصة بالثقافة المتلقية. وتشرح إنغليرى **Inghilleri** أنه:

> **فى حين أن علاقات القوى فى سياق اللجوء تكون متمايزة تاريخيًا وسياسيًا اعتمادًا على بلد الأصل، ... تكون هناك محاولة لتقديم حكايات اضطهاد المتقدمين القائمة على الظروف التاريخية الاجتماعية لبلدانهم. ومن الأمور النمطية تمامًا أن تسمع، فى المقابلات الخاصة باللجوء، تعليقات من قبيل، 'هذا ما يعنيه الاغتصاب هناك، المجتمع لا يقبله'، 'فى بلدى، لا يمكن أن يُوثق فى الشرطة'، 'فى بلدى، لا يوجد نظام اجتماعى'. وفى المقابل، يمكن أيضًا أن يُقدِّم المتقدِّمون المبرِّرات المنطقية لأفعال معينة قائمة على القيم المُدركة للبلد المُضيف فى إيماءة 'عبر ثقافية' للانتباه والتمثل لارتباطها 'الاستراتيجى'.**

(التشديد فى الأصل، ٢٠٠٥: ٧٨)

إن مسئولى وزارة الداخلية البريطانية (المؤسسة البريطانية التى تتعامل مع وتفصل فى طلبات اللجوء) يستدعون بدورهم سردياتهم الجماهيرية لتؤثر فى تقييم كل حالة، كما يكون واضحًا من حقيقة أنهم يُصدِّرون العديد من بياناتهم التى يتحدون بها سرديات طالبى اللجوء بتعبيرات من قبيل 'من الصعب تصديق أن...' و'يبدو من المعقول افتراض ...' **(Inghilleri 2005: 79)**.

إن الأعمال الأدبية والأفلام التى تُهدِّد بأن تُقوِّض السرديات الجماهيرية المحلية غالبًا ما تُشجَب ويمكن حتى أن تُمنَع. وتشرح دينييت (Dennett 2002: 101) أن وداعًا للسلاح لهيمنجواى قد اعتبرت معادية للإيطاليين وأدرجت فى القائمة السوداء إبان حقبة إيطاليا الفاشية لأنها صوَّرت هزيمة إيطاليا فى كابوريتو فى الحرب العالمية الأولى. كما خضعت للرقابة كذلك كل من رواية إريش ماريا ريمارك كل شيء هادئ على الجبهة الغربية **All Quiet on the Western Front** ورواية روجر مارتن دوغارد **Les Thibault** المناهضتين للحرب بسبب رسائلهما المسالمة (Dennett 2002: 101-2). كما يمكن أن توجد أمثلة مشابهة فى كل تراث، وفى كل حقبة تاريخية، على الرغم من أن الأشكال التى تتخذها الرقابة يمكن أن تتفاوت، وأن بعضها يكون أمكر من بعض. إن حذف الإشارات التجديفية وتلك الخاصة بالتابوهات فى الترجمة، سواء كانت نتاج رقابة مؤسسية أو ذاتية، يمكن أن تُؤوَّل كذلك بوصفها محاولة للحماية من التورط أو على الأقل تجنب التورط فى تقويض السرديات الجماهيرية المهيمنة. وفعليًا، فإن تصور التجديف **blasphemy** نفسه، وكذلك ما يعد تجديفيًا، هما مُنتَجان ثانويان لسرديات دينية مُحدَّدة عن العالم، سواء كانت مسيحية، أو مسلمة، أو يهودية، أو بوذية(٧).

إن المترجمين والمترجمين الشفاهيين يلعبون دورًا حاسمًا فى مناشرة السرديات الجماهيرية داخل مجتمعاتهم الخاصة ويضمنون أن كل أفراد المجتمع، بما فى ذلك المهاجرون الجدد، مُنشَّئين ضمن رؤية عالم رائجة فى هذه القصص المشتركة. إلا أن المترجمين يمكن أيضًا أن يكونوا 'مخلصين لأيديولوجيات انشقاقية داخلية بالنسبة للثقافة، أو بالنسبة لارتباطات أو أجندات خارجية بالنسبة للثقافة' (Tymoczko 2003: 201)، ويمكن أن يقودهم هذا إلى أن يموضعوا أنفسهم بشكل مختلف بالنسبة للسرديات الجماهيرية المحلية. على سبيل المثال، لقد ترجمت جماعة جوش شالوم [كتلة السلام] **Gush Shalom** نشرة من نشراتها، الحقيقة ضد الحقيقة **Truth against Truth** (الشكل ٤) لاستمالة المجتمع الروسى فى إسرائيل بشكل خاص. وقد كانت هذه محاولة لـ 'كسر ... الإجماع القومى'، بعبارة أخرى

لتحدى السرديات الإسرائيلية الداخلية حول تاريخ الإقليم وقضايا الصراع الــراهن. ويُقرأ إعلان جوش شالوم [كتلة السلام] لهذه المبادرة على النحو التالى:

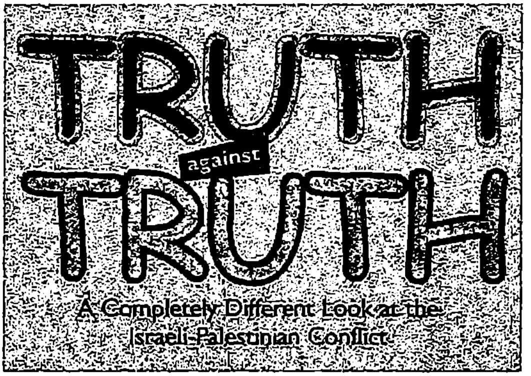
ستوزَّع ليلة يوم الغفران ٦٠ ألف نسخة من نــشرة 'الحقيقــة ضــد الحقيقة' بالروسية كمطوية داخل الجريــدتين المطبــوعتين بالروســية 'فيستى' 'vesti' و'جلوبوس' 'Globus'. وحتى الآن، فقد ظهرت النشرة الجديدة فقط بالعبرية والإنجليزية (وتُرجِمت فى الخارج إلــى الألمانيــة والهولندية، وستظهر الطبعة العربية فى الأسابيع القادمة). وهى تلقــى ضوء جديدًا تمامًا على الصراع الفلــسطينى - الإســرائيلى، أصــوله ومراحله. إن النسخة الروسية هى نسخة طبــق الأصــل مــن الأصــل العبرى، فى المحتوى والشكل على حد سواء. كما أنها تحمل، أيضًا على غلافها التنبيه: 'تحذير! هذا نص مدمِّر. إنه يقــوِّض الأســس الذاتيــة المبنى عليه الإجماع الوطنى!'.(٨)

الحـــــــــقيقة

ضد

الحـــــــــقيقة

نظرة مختلفة تمامًا على الصراع الفلسطينى الإسرائيلى



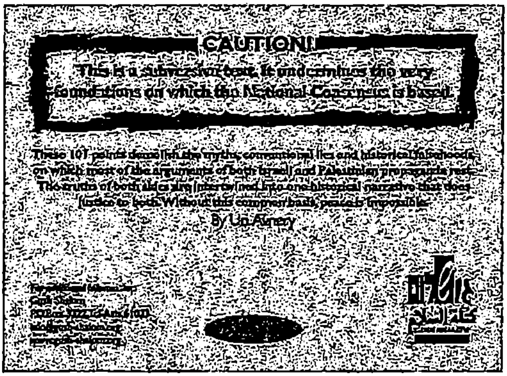
تحذير

هذا نص مُدمِّر. إنه يُقوِّض الأسس الذاتية المبنى عليها الإجماع الوطنى.

هذه ١٠١ نقطة تهدم الأساطير والأكاذيب المتعارفة والأباطيل التاريخية، التى تقوم عليها حجج كل من الدعاية الإسرائيلية والفلسطينية. إن حقائق كلا الجانبين مضفورة فى سردية تاريخية واحدة تنصف كلا الطرفين. وبدون هذا الأساس المشترك، يصبح السلام مستحيلا.

يورى آفنيرى

كتلة السلام



شكل ٤

الحقيقة ضد الحقيقة. وجه وخلفية نشرة كتلة السلام (الترجمة الإنجليزية)

إن المترجمين والمترجمين الشفاهيين يشتركون فى تدوير السرديات الجماهيرية المحلية فيما وراء حدودهم القومية، سواء بما يبذلونه من جهد لتحقيق متابعة أوسع لتلك السرديات أو بأن 'يظهروها' و'يتحدوها' من خلال اللجوء إلى جمهور أجنبى لديه رؤية مختلفة للعالم. وثمة مثال على الحالة الأولى، وهو نص بعنوان 'المأساة الروسية – الشيشانية: الطريق إلى السلام والديموقراطية'، وهى منشورة على موقع وزارة خارجية جمهورية الشيشان الشيشانية. إن النص منشور بالإنجليزية، والروسية، والفرنسية، والإسبانية، والإيطالية، والألمانية. وهكذا تبدأ الترجمة الإنجليزية:

> لقد أعادت القوات الروسية، فى سبتمبر عام ١٩٩٠، غزو الشيشان متجاهلة دروس التاريخ الطويل والوحشى للصراع الروسى الشيشانى.

ومنذ ذلك الحين، أثبتت السنوات الثلاث الأخيرة من الورطة العسكرية والتدمير الكلى فى الشيشان ما كان جليًا للكثيرين منذ البدء – من أنه لا يُمكن أن يكون هناك حل عسكرى للصراع الروسى – الشيشانى. إذ لا يوجد ببساطة حل عسكرى. ذلك أن الصراع يدور حول نزاع سياسى ولذلك لا يمكن أن يُحل إلا حلاً سياسيًا شاملاً(٩).

إن هذه السردية الشيشانية المحلية صيغت وشاعت فى لغات مجتمعات أخرى لتتنافس مع سرديات روسية بديلة تقدّم الإرهاب فى الشيشان بوصفه جذر الصراع الراهن.

إن أمثلة عديدة من الترجمات المُصممَّة لمناهضة السرديات الجماهيرية المحلية من خلال تحديها فى الخارج يمكن أن توجد على موقع وكالة موسكو الأولى لأخبار حقوق الإنسان **the Moscow Human Rights News Agency Prima**، التى تنشر الأخبار الخاصة بانتهاكات حقوق الإنسان، بشكل مبدئى فى روسيا والاتحاد السوفيتى السابق. إن رئيس تحرير الوكالة هو سجين سياسى سابق. وكل الأخبار، والمقالات، والبيانات الصحفية تُترجَم وتُنشَر بالإنجليزية، بوضوح لصالح الجماهير العالمية وليس المحلية. على سبيل المثال، إن إحدى المقالات المنشورة على موقع وكالة بريما، بتاريخ ٢١ فبراير ٢٠٠٥، عنوانها 'السجن الروسى'(١٠). وقد كتبها بافل ليوزكوف **Pavel Lyuzakov** (الحبس الاحتياطى **IZ-77/5**) وترجمها ميشيل جارود **Michael Garrood**، وهى تتحدى سردية جماهيرية معينة تصوِّر سلطات السجن الروسى الحالية بأنها قد توقفت عن استخدام التعذيب، ورفعت القيود عن شراء الأطعمة من محلات السجن، وأنها توفِّر تليفزيونات وثلاجات فى الزنازين. إن المقال يتحدى هذا بسردية مغايرة: وهى أن السجون الاحتياطية **remand prisions** التى يعرفها بالفعل الغرب، مثل بيتروفكا، هى التى تم تحويلها إلى سجون على الطراز الأوربى. أما السجون الحقيقية، مثل 'المعزل خمسة **Isolator Five**؛ المعروف رسميًا بالمنشأة ٥/٧٧، الواقعة فى شارع فايبورج فى موسكو' فإنها لا تزال فحسب سجونًا 'سوفيتية باردة'، 'قذرة'، بل إنها حتى أسوأ فيما يخص مستوى الظّلم والتعسف فى المعاملة التى يوقعها الحراس على السجناء.

ويصبح المترجمون أيضًا متورطين بشكل متزايد فى صياغة السرديات الجماهيرية للجماعات الواقعة خارج موقعهم المحلى تمامًا. وهم يفعلون ذلك عادة لأنهم يؤمنون بما تدافع عنه هذه الجماعات وتشاركهم فى سرديتهم عن العالم، على الرغم من أنه من الحقيقى أيضًا أن بعض المترجمين (من الطلاب) يتطوعون لترجمة مثل هذه النصوص لكى يكتسبوا خبرة فى المجال، دون أن يكونوا ملتزمين التزامًا خاصًا بالسرديات التى تروجها الجماعات المعنية. إن 'هيئة التحرير' the 'Editorial Collective' التى أنتجت كتاب الزباتيون ! وثائق الثورة المكسيكية الجديدة Zapatistas! the New Mexican Revolution (١٩٩٤) [الزباتيون تعنى مؤيدى الثورة المكسيكية، المترجم] تؤيد بوضوح السردية أو السرديات المُفصّلة فى هذا النص ومن قبل حركة الزباتيين على نحو أكثر اتساعًا. وهم يصفون أنفسهم فى التمهيد على النحو التالى:

> **لقد قامت هيئة التحرير بتصور مشروع هذا الكتاب وتنظيمه. نحن عبارة عن ناشطين وثوريين وعاملين وحالمين من حركة تضامن الزباتيين. إننا نعمل مقابل أجر ونعمل أيضًا من أجل أنفسنا. ندفع إيجارات مرتفعة للغاية ولا نحصل على ما يكفى من النوم. نستلهم رؤية الزباتيين لأننا نحلم أيضًا بعالم أفضل.**

يقدّم عمل هذه الجماعة مثالاً جيدًا لتورط المترجمين فى توسيع السرديات الجماهيرية المرتبطة بالدوائر الأجنبية وليس المحلية. إذ "'عُهِد" بالنصوص الإسبانية الأصلية للزباتيين! إلى متطوعين على امتداد شبكة التواصل'، وهم من أنتجوا النص الإنجليزى بعد ذلك. وقد تم ذكر المترجمين جميعًا بأسمائهم، ويتضمن التمهيد أيضًا ملاحظة صريحة توضّح الوعى بمركزية الترجمة والمترجمين فى نشر هذه السردية الجماهيرية إلى ما يجاوز نطاق المكسيك:

ملاحظة على الترجمة:

لقد بذلنا أفضل ما لدينا لنبدع كتابًا يكون فى آن واحد سهل القراءة للناطقين بالإنجليزية وصادقًا بالنسبة للإسبانية الأصلية. وقد كان هناك العديد من قضايا اللغة والترجمة التى جعلت هذا صعبًا. لقد ترجم هذا الكتابَ عددٌ كبيرٌ من

المتطوعين. وقد جعل هذا الجهد نشر هذا الكتاب ممكنًا، إلا أنه جعل الاطراد **consistency** فى الترجمة صعبًا. إذ نعتقد أنه من المهم أن تُترجَم الكلمات ذاتها بالطريقة ذاتها فى كل مرة، وقد تمت مراجعة الترجمات مراجعة كاملة من أجل تحقيق الاطراد. وقد تمثَّلت الصعوبة الأخرى فى الترجمة فى الإسبانية الأصلية. ذلك أن معظم الزباتيين ليسوا متحدثين أصليين للإسبانية. وهو ما يجعل إسبانيتهم أحيانًا قاصرة، والمفاهيم التى يستخدمونها لا يُعبَّر عنها دائمًا بالإسبانية بوضوح، ومن الأصعب حتى أن تُترجَم إلى الإنجليزية. ويفترض أن القراء واعون أن ثمة ترجمات عديدة ممكنة لبعض الكلمات، ويفترض أن يضعوا هذا فى أذهانهم وهم يقرؤون النص.

إن العديد من الصعوبات المُحدَّدة فى هذه الملاحظة يخبُرُها بشكل مطرد المترجمون المحترفون العاملون فى العديد من السياقات. فهى تتضمن الاطراد الاصطلاحى والنوعية اللغوية للنص المنطلق **the source text**. فالزباتيون فى معظمهم متكلمين أصليين للكيشوا **Quechua** [لغة هنود أمريكا الجنوبيين، المترجم]، وليس للإسبانية، إلا أن استخدامهم للإسبانية يتيح لهم أن ينشروا رسالتهم على نطاق أوسع.

وباختصار، إذًا، فإن السرديات الجماهيرية يمكن أن تتسع **be elaborated** ابتداءً داخل سياق محلى ضيق (الأسرة المباشرة، أو مكان العمل، أوالمدينة أو البلد)، لكن بقاءها واتساعها بشكل أكثر يعتمد على صياغتها فى لهجات ولغات وسياقات أخرى غير محلية. وسواء كان الدافع تجاريًا أو أيديولوجيًا، فإن المترجمين والمترجمين الفوريين يلعبون دورًا حاسمًا فى صياغة ومناهضة المدى الكامل للسرديات الجماهيرية الدائرة داخل وحول أى مجتمع فى أى لحظة من الزمن.

٣-٣ السرديات (المجالية) التصورية

كما تُحدِّد المُنظِّرتان الاجتماعيتان، سومرز وجيبسون **Somers and Gibson** **1994: 62** السرديات التصورية بوصفها 'مفاهيم وتفسيرات نبنيها كباحثين اجتماعيين'، وكما تواصلان لتجادلا بأن

التحدى التصورى الذى تطرحه السردية يتمثل فى تطوير معجم تحليلى اجتماعى يمكنه أن يكيِّف النزاع الذى تبنيه الحياة الاجتماعية، والتنظيمات الاجتماعية، والفعل الاجتماعى، والهويات الاجتماعية تكييفًا سرديًا، أى المبنى زمانيًا وعلائقيًا من خلال كل من السرديات الأنطولوجية والجماهيرية.

(١٩٩٤: ٦٣)

مع ذلك، يبدو لى من المعقول والمنتج فى آن واحد أن نمد هذا التعريف ليتضمن السرديات المجالية **narratives disciplinary** فى أى حقل من حقول الدراسة. وهكذا، يمكن أن تكون السرديات التصورية مُحدَّدة بشكل أوسع لأغراضنا الراهنة بوصفها قصصًا وتفسيرات يوسِّعها الدارسون فى أى حقل لأنفسهم وللآخرين بالنسبة لأى موضوع من موضوعات البحث. وتشرح إيويك وسيلبى **(Ewick and Silbey 1995: 201)** أن السرديات، بالنسبة للبحث العلمى، يمكن أن تكون 'موضوعًا للبحث'، أو منهج البحث، أو ناتج البحث، (تمثيل الباحثين)، وتركِّزان، مثل سومرز وجيبسون، على المجال البحثى الخاص بالسوسيولوجيا. إذ تمضيان فى ترسيم هذه الفوارق الثلاثة على ثلاث فئات: 'سوسيولوجيا السرد'، و'السوسيولوجيا عبر السرد'، و'السوسيولوجيا بوصفها سردًا'. إن السرديات التصورية أو المجالية، كما اخترتُ أن أحدِّدها هنا، تقابل الفارق الثالث المُحدَّد من قبل إيويك وسيلبى: السرد بوصفه نتاجًا للبحث، التمثيلات المُوسَّعة من قبل الباحثين(١١).

بل إن كل مجال معرفى، بما فى ذلك دراسات الترجمة، يُوسِّع ويُثرى مجموعة سردياته التصورية الخاصة. ومن ثم؛ فإن نظرية علمية من القرن التاسع عشر تربط البيئة بتراتبية ما للتفوق العرقى هى سردية تصورية من هذا النوع، وكذلك نظرية داروين عن الانتخاب الطبيعى. ويمكن أن يكون لبعض السرديات التصورية تأثير على العالم ككل، كما هو فى حالة كوفير **Cuvier** وداروين، بينما تبقى سرديات أخرى مقصورة على مجتمع الباحثين المباشر فى الحقل المعنى.

وهناك مثال جيد لسردية تصورية فى الإنسانيات مارست تأثيرًا لافتًا يجاوز حدودها المجالية المباشرة، وهى تاريخ الهند البريطانية لميل، المنشور عام ١٨١٧. وكما تشرح نيرانجانا (Niranjana 1990)، فإن هذا التاريخ يرتكز على ترجمات وليم جونز، وويلكنز، وهالهيد وآخرين ليبنى صورة للهنود (سواء الهندوس أو المسلمين) بوصفهم مخادعين وكاذبين. إن نيرانجانا تُنبئنا 'على امتداد الكتاب' أن 'ميل يستخدم المرة تلو الأخرى مع ''الهندوس'' الصفات ''وحشى'' "wild"، و''بربرى''، و''متوحش'' "savage"، و''جلف'' "rude"، وهكذا يشكِّل من خلال القوة الخالصة للتكرار خطابًا مضادًا للفرضية الاستشراقية عن حضارة قديمة' (١٩٩٠: ٧٧٦). وتستمر نيرانجانا لتقتبس من متخصص الهنديات **Indologist** الألمانى ماكس موللر فيما ينص عليه من أن تاريخ ميل 'كان مسئولاً عن بعض المصائب العظمى التى حدثت للهند' (Niranjana 1990: 779). هنا، إذًا، مثال ملموس لسردية مجالية **a disciplinary narrative** تهدف إلى أن تخترق الفضاء الجماهيرى وتشكِّل سرديات جماهيرية خلال حقبة مُحدَّدة من التاريخ.

إن السرديات التصورية الأحدث والأكثر ضررًا بالقدر ذاته التى كان لها تأثير لافت يجاوز حدودها المجالية تتضمن كتاب صوميل هنتنجتون صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمى (١٩٩٦، وانظر أيضًا **Huntington 1993**) والعقل العربى لرفائيل باتاى (**The Arab mind 1973 Raphael Patai's**). لقد صنف صمويل هنتنجتون ، العالِم السياسى فى جامعة هارفارد، حضارات العالم إلى مجموعات منفصلة[١٢] ذات سمات ثقافية 'متأصلة' (أغلبها يتصارع مع القيم الأمريكية 'الخيرة') وتنبأ أن الثقافة ستحل محل الأيديولوجيا بوصفها القضية المبدئية للصراع فى القرن الواحد والعشرين. إن 'الثقافة'، فى هذه السردية، معطى غير قابل للتفاوض[١٣]:

> **إن السمات والاختلافات الثقافية أقل قابلية للتغير ومن ثم فإن تسويتها وحلها أقل سهولة من الاختلافات السياسية والاقتصادية. ففى الاتحاد السوفيتى السابق، يمكن أن يُصبح الشيوعيون ديموقراطيين، كما يمكن**

أن يصبح الأغنياء فقراء وأن يصبح الفقراء أغنياء، إلا أن الروسيين لا يمكن لهم أن يصبحوا أستونيين والأذربيجانيين لا يمكن لهم أن يصبحوا أمريكيين. ففى الصراعات الطبقية والأيديولوجية، السؤال هو 'فى أى جانب أنت؟' ويمكن للناس أن يختاروا الجوانب التى ينحازون إليها وأن يغيروا تلك الجوانب. بينما السؤال، فى الصراعات بين الحضارات، 'من تكون؟'. وذلك هو المعطى الذى لا يمكن أن يتغير.

(Huntington 1993: 27)

إن سردية هنتنجتون 'تضع الغرب بقيادة الولايات المتحدة فى مركز الهيمنة السياسية' (**Longinovic 2004: 4**). وفى كتاب أحدث بعنوان من نحن؟ تحديات لهوية أمريكا القومية **Who Are We? The Challenges to America's National Identity** (٢٠٠٤)، ينظر هنتنجتون إلى المجتمع الأمريكى عبر نفس المنظار الثقافى للمحافظين الجدد ويوسِّع سردية للصدام الداخلى للحضارات، مجادلاً بأن الحرب الجديدة بين أغلبية البلاد البيضاء وسكانها الإسبانيين المتنامين. ويوضِّح نيلسون (**Nelson 2002 : 13**) أنه 'كلما أخذت النخب توظِّف خطابًا يتحدث عن التحديات والصراع مع آخر، فإن هذا... يغذى العنف ويصاحبه'. وفى الواقع، فإن هنتنجتون يذكر صراحة فى موجز مقاله المنشور عام ١٩٩٣ حول الموضوع ذاته فى مجلة الشئون الخارجية **Foreign Affairs**، أنه فى هذا العصر الطافح بالصراع الثقافى يجب على الولايات المتحدة أن تشكِّل تحالفات مع الثقافات المشابهة لها وأن تنشر قيمها أينما أمكن. ويجب على الغرب أن يتوافق مع الحضارات الغريبة إذا أمكن، وأن يواجه حين تكون المواجهة ضرورية.' (التشديد من عندى؛ **Huntington 1993**)[١٤].

لقد أصبح صدام الحضارت لهنتنجتون مرجعًا رئيسًا بالنسبة لإدارة بوش، وارتبطت السرديات التى فرَّخها بالسرديات الجماهيرية الرسمية للحادى عشر من سبتمبر، الحروب على أفغانستان والعراق، وحتى قبل كل هذه الحروب بالحرب فى البلقان. ويصف سميث (**Smith 1997: 206**) كيف يصوِّر الدبلوماسيون

والسياسيون المشكلات فى يوغسلافيا فى التسعينيات 'بوصفها تمثّل ألغاز البلقان الإشكالية **unfathomable**، حيث انخرط الشعب الساخن الدماء فى الكراهيات القديمة' و'رأى بعض قادة البلقان أنفسهم يقاتلون على الجبهات الأمامية فى ''صدام الحضارات'''. ويعلق سميث، فى تعليق ختامى منفصل، هكذا على هذا التعبير المستلهم لهنتنجتون: 'لقد نحت هنتنجتون (**Huntington 1993**) العبارة لتكبسل فرضية أن الصراع المستقبلى ستحدِّده الاختلافات غير القابلة للتقليص بين الحضارات. ويعد استخدامها فى البلقان لتبرير الإبادة الإثنية مثالاً جيدًا على لماذا تُعد مؤذية للغاية' (١٩٩٧: ٢١٢).

ولذا من المُخيِّب لِلرجاء بعض الشيء رؤية عمل هنتنجتون والجهاز التصورى الخاص به مقتبسًا كما هو وبدون أى نقد فى الأدبيات الخاصة بالترجمة، حيث تنتشر كجزء من الاستعارة المشبوهة لكن الشائعة عن 'البينية' **'in-betweenness'** (من أجل نقد رائع لهذه الاستعارة، انظر **Tymoczko 2003**). وتدمج ولف (٢٠٠٠) **Wolf** فرضية هنتنجتون فى عملها كما لو كانت مجرد نظرية أكاديمية أخرى، ودون تنبيه القارئ إلى تضميناتها:

> **يبدو أن المطروح هنا هو أن الثقافات الغربية قائمة على الإقصاء وترسيم الحدود – أى أنها ترسم خطًا فاصلاً بينها وبين الثقافات، والشعوب، والأعراق، والأديان الأخرى. وبالتالى، فإنها تميل إلى أن تمثِّل سلطتها بشكل أساسى عبر ثنائيات ضدية مثل الثنائيات المذكورة من قبل [نحن وهم، الشرق والغرب، العالم الأول والعالم الثالث] أو ثنائيات أخرى مثل الذات/الآخر، المُستعمِر/المُستعمَر، البلدان المتطورة/البلدان المتخلفة. ومع ذلك تسفر ظواهر 'صدامات الحضارة' (Huntington 1996)، عن أشكال مختلفة من التثاقف acculturation، والتوفيق بين المعتقدات syncretism، أو التهجين hybridization، أوالمزج التبسيطى [اللغة الخليط] pidginization. لقد أخذ يحدث تحول درامى فى تمثيل الآخر يتجاوز إلى حد بعيد الانقسام المانوى Manichean للذات والآخر. ويدرك المدافعون عن هذا 'التحول' فى**

الدراسات الثقافية الخطر الماثل ببساطة في قلب هذه الثنائيات المتلازمة، ولذلك يبدو أنهم يفكّكونها من خلال تحليل العمليات المركّبة المتضمَّنة في الاحتكاك الثقافي وتضميناته المتنوعة، ومن خلال التشديد على مفهوم 'الاختلاف' في تشكيل الهوية الثقافية. ولذا، فإن المفهوم المفتاح في الدراسات الثقافية هو التهجين hybridity.

(التشديد من عندي؛ ٢٠٠٠: ١٢٩)

إن سردية هنتنجتون يصعب عليها أن تتنبأ بالتهجين أو التثاقف أو أن تتقبلهما. وتذكر ولف (Wolf 2000: 138)، بعد ذلك، في المقال ذاته أنه 'في حين أن فضاء بابا [الثالث] **Bhabha's [third] space** إبداع طبيعي متولد عن 'صدام الحضارات' الأكثر أو الأقل عنفاً، فإن المفهوم النسوي عن النص البيني **intertext** هو إبداع واعٍ لفضاء بيني **a space-in-between**'. إن استخدام 'الطبيعي' هنا يدل أكثر من ذلك – إن كان بلا شك حسن النية – على قبول لسردية هنتنجتون الشديدة الأذى، على الرغم من التماس ولف الأخير للمفهوم النسوي عن النص البيني **intertext** على أساس أن مفهوم 'صدام الحضارات' يُستبدَل به مفهوم التناغم المتشكل في الفضاء البيني **the space-in-between** الذي يرى الصوت، والنبرة، والإيقاع بوصفهم السمات الرئيسية للكتابة في الكتابات النسائية' (٢٠٠٠: ١٣٩).

كما يبدو أن ملخص ورقة مُقدَّمة ضمن مؤتمر من مؤتمرات دراسات الترجمة الأخيرة في ماسترخت **Maastricht (May 2005)** يعيد تدوير سردية هنتنجتون بأسلوب حتى أقل نقدية (التشديد في الأصل):

إن الترجمة في كثير من الأحيان تتضمن وجوب التوسط بين ثقافتين. وكلما اتسعت الهوة بين الثقافتين المعنيتين، تعاظمت المشكلات التي تتم مواجهتها في الترجمة من ثقافة إلى أخرى. ومع ذلك فإن ما لا يُدرك دائمًا هو حقيقة أن المترجم، بالإضافة إلى الفجوة المألوفة بين الثقافتين، غالبًا ما يُستدعى أيضًا ليُجسِّر الصدع الأيديولوجي الفاصل بين الثقافتين. وفي الحقيقة، فإن الاختلافات الثقافية تميل إلى أن تفوق الاختلافات الأيديولوجية وتصبح عمليًا غير قابلة للتمييز عنها،

خصوصًا حين يكون هناك صدام للحضارات. أو، بالأحرى، كما تكهن صمويل هنتنجتون، الذى نحت عبارة صدام الحضارات، بأن الاختلافات الأيديولوجية تتحول إلى اختلافات ثقافية عندما تدخل الحضارات مسار التصادم(١٥).

إن قدرًا كبيرًا من سردية هنتنجتون وتأثيرها يقع داخل وخارج حقل الترجمة. لقد كان رافايل باتاى، الذى توفى عام ١٩٩٦، عالم أنثروبولوجيا ثقافية ومدير أبحاث فى معهد ثيودور هرزل فى نيويورك. ومن اللافت، من وجهة نظرنا كباحثين فى دراسات الترجمة، أن باتاى أيضًا كان مترجمًا. ويصف أحد كتاب المراجعات كتابه حكايات شعبية عربية من فلسطين وإسرائيل **Folktales from Palestine Arab and Israel** (١٩٨٨) – الذى يتألف من ترجمته، مع تعليقات وافية، لـ ٢٨ حكاية من الأقليم – بأنها ترجمة بالغة الدقة للنص العربى للحكايات الشعبية إلى تعبيرات إنجليزية مكافئة تفى بالمعانى الغزيرة المتضمَّنة فى النص العربى'(١٦). وفى أعقاب فضائح تعذيب سجن أبو غريب فى أبريل ومايو عام ٢٠٠٤ وصف سيمور هيرش من النيويوركر العقل العربى **The Arab Mind** لباتاى بأنه 'الكتاب المقدس للمحافظين الجدد حول سلوك العرب. لقد ظهرت تيمتان فى نقاشاتهم أى المحافظين الجدد– ... الأولى، هى أن العرب لا يفهمون إلا القوة، والثانى، هى أن ضعف العرب الأكبر يتمثل فى العار **shame** والإذلال **humiliation**' **(Hersh 2004)**(١٧). وهناك مقال آخر فى الجاردن يُقرِّر أن أستاذًا فى كلية الولايات المتحدة العسكرية يصف كتاب بتاى بأنه 'على الأرجح الكتاب الوحيد الأكثر انتشارًا وقراءة حول العرب داخل قوات الولايات المتحدة المسلحة' ويواصل ليؤكِّد أنه 'حتى يُستخدَم ككتاب دراسى للضباط فى كلية جى إف كيه لشئون الحرب الخاصة فى فورت براج' **(Whitaker 2004)**. ومرة أخرى، فإننا نرى أن السرديات المُتشكِّلة داخل حدود الأكاديميا يمكن أن تخترق وتخترق بالفعل الخطاب الجماهيرى، ويمكنها أكثر من ذلك أن تغذى السرديات الشارحة الطويلة الأجل، وهى النمط الرابع من السرديات التى تقترحها سومرز وجيبسون (انظر ٣-٤).

هناك مثال أخير لسردية تصورية مؤثرة تأثيرًا شديدًا من مجال آخر، وهى المعروفة فى عالم الإعلان بـ ‘عامل الإزعاج’ 'the 'Nag Factor'، وهى استراتيجية تسويق جديدة ممتازة تصل بالتلاعب بالأطفال إلى أقصى حد’ (Bakan 2004: 119). وكما يشرح باكان، فإن المُعلنين الذين يبيعون منتجات للكبار من خلال أطفالهم (على سبيل المثال، تغليف لعبة بـ ٢٤ غلافًا من أغلفة جعة لابات بلو Labatt Blue beer) يستندون على سرديات تصورية صاغها لهم بعض علماء نفس الأطفال ممن ‘طوروا انقطاعًا علميًا لأنواع مختلفة من الإزعاجات التى يستخدمها الأطفال والتأثيرات المتفاوتة التى يمتلكونها على أنواع مختلفة من الآباء’ (٢٠٠٤: ١١٩). إن هذه السرديات تصف عالمًا يمكن أن يُزعِج فيه الأطفال بطريقتين: ‘بالإصرار’، الانتحاب بشكل متواصل من أجل الرغبة فى مُنتَج معين دون تفسير للسبب، أو ‘بالأهمية’، بإعطاء أسباب قوية للرغبة فى المُنتَج. ويقع الآباء فى المقابل فى أربع فئات. ‘آباء الضروريات الأساسية’ 'Bare necessities' parents' أثرياء إلا أنهم لا يستجيبون لأطفالهم؛ ولذا يتطلب الأمر معهم ‘الإزعاج من خلال الأهمية’. وتتمثل الفئات الثلاث الأخرى فى آباء هم أصدقاء لـ ‘الصغار’ 'kids' pals'، وآباء ‘متساهلون’ 'indulgers'، وآباء ‘مسكنون بالصراع’ 'conflicted'. إن ‘أصدقاء الصغار’ هم الآباء الأصغر الذين يشترون منتجات مثل ألعاب الحاسوب لأطفالهم ولأنفسهم؛ و‘المتساهلين’ هم الآباء العاملون الذين يشترون منتجات لأطفالهم ليعوضوهم عن حقيقة أنهم لا يقضون معهم الكثير من الوقت؛ وأما ‘المسكونين بالصراع’ عادة ما يكن أمهات يزعمن أنهن لا يحببن أن يتساهلن مع أطفالهن إلا أنهن يفعلن ذلك بصورة ما. إن الفئات الثلاث كلها تستجيب للإزعاج بالإصرار. إن باكان، مثل كثيرين آخرين، يُشدِّد على أن استغلال الأطفال فى الحملات الإعلانية له تأثير سلبى ليس فقط على الآباء وإنما أيضًا على الأطفال أنفسهم.

وكما هو مع السرديات الجماهيرية، يستطيع المترجمون والمترجمون الشفاهيون أن يختاروا أن يقبلوا وأن يروِّجوا أو يناهضوا ويتحدَّوا سردية تصورية

معينة. ويصف إس تى آندر (٢٠٠٤) St André كيف أن ترجمة السيد جورج ستاونتون George Staunton الإنجليزية لقانون العقوبات الصينى the Qing penal code فى ١٨١٠ تتجادل مباشرة مع دعاوى جيمس بارو فى كتابه رحلات داخل الصين China Travels in، المنشور فى ١٨٠٦، الخاصة بأن الصينيين 'ظالمون بصورة أساسية فى تعاملاتهم على حد سواء مع بعضهم البعض ومع الأجانب' (St André ٢٠٠٤: ٤)، إذ 'يبيعون أطفالهم عبيدًا' و'يمارسون المثلية الجنسية'، و'يدخنون الأفيون ويقامرون' (٢٠٠٤: ٥). وقد أحال بارو بشكل مطرد إلى قانون العقوبات الصينى مُجادلاً بأنه من حيف ذلك القانون أنه، من بين أشياء أخرى، 'يشجع الناس على عدم المبالاة والقسوة تجاه المنكوبين' (٢٠٠٤: ٥) وفى المقابل، فإن ترجمة ستاونتون 'تكافح لتقدِّم قانون العقوبات الصينى بوصفه شيئًا مفهومًا، ومعقولاً وعادلاً' (٢٠٠٤: ٥)، أنتجته سلسلة من الأباطرة الصينيين ممن كانوا 'عطوفين، ومبدئيين' وممن كانوا 'يلاحظون ويوجهون تطور التشريع القانونى بحيث يستمر فى تلبية احتياجات المجتمع المتطورة للعدالةِ' (٢٠٠٤: ٦). وبالإضافة إلى المقدمة المتعاطفة التى تشدِّد على أن 'الصينيين شعب مثلنا تمامًا' وأن 'أى مديح أو ملام مفرط يعود إلى إساءة فهم الأجانب لهم.' (٢٠٠٤: ٦)، وتتضمن تدخلات ستاونتون إضافة تعليقات تفنِّد بشكل مباشر اتهامات بارو، وإعادة ترتيب وتحرير الجداول التى تذكر بالتفصيل أنماط العقوبات، والغرامات، ودرجات الحداد لجعلها أكثر قابلية للفهم بالنسبة للقارئ الإنجليزى، وتدخل تغيرات رهيفة متنوعة على التركيب والمعجم تعمل بشكل تراكمى على جعل القوانين تبدو أكثر إيجابية وكلية.

ومن اللافت أن إس تى آندر يشرح فى كتابه تاريخ الهند البريطانية History of British India ذى المجلدات الستة الذى ناقشته من قبل فى صفحة ٣٩ [من الأصل الانجليزى] أن 'مصادر معلومات [جيمس ميل] الأساسية الخاصة بترجمات الصين (التى يستخدمها لأغراض المقارنة مع الهند)، تتمثل فى رحلات داخل الهند لجيمس بارو وكتابه حياة اللورد ماكارتنى Macartney Life of Lord

(٢٠٠٤: ٢٧). وقد أشار ميل إلى ترجمة ستاونتون مرة واحدة فقط. وتتمثل 'المفارقة الأخيرة'، فيما يفسِّر إس تى آندر، فى أن 'ترجمة ستاونتون كانت تُستخدَم من قبل البريطانيين كجزء من الجهاز القانونى لحكم السكان الصينيين لهونج كونج بعد عام ١٨٤٤' (٢٠٠٤: ٢٧-٨). ويقدِّم دينيت **Dennett**، مقتبسًا المؤرخ جون ديجينز **John Diggins**، مثالاً مثيرًا آخر على عدم القدرة على التنبؤ بتأثير واستخدام الترجمة، لكن هذه المرة فى سياق إيطاليا الفاشية:

> **لقد نشرت السلطات الفاشية بشكل متعمد عناقيد الغضب لشتاينبك، مفترضة أن المشاهد الريفية المثيرة للاكتئاب ستظهر فضائل الدولة المتحدة the Corporate State للمثقفين الإيطاليين. إلا أن نيران هذه الاستراتيجية قد ارتدت على مطلقيها؛ إذ بدلاً من ذلك أصبح الإيطاليون معجبين بالريف الذى سمح لكتاب مثل شتاينبك وليليان سميث أن يكتبوا مثل هذا النقد الاجتماعى اللاذع.**

(Dennett 2002: 114)

وأيًا كانت نوايا المترجم أو المترجم الشفاهى، فإنه لا توجد ضمانة أن عملهم لن يؤوِّل فى النهاية 'ضد ميولهم'، لأن تمثل ومعنى السرديات الجماهيرية والتصورية يكون دومًا متأثرًا بخصوصيات إنتاجها واستقبالها.

٣-٤ السرديات الشارحة - (الكبرى)

تُحدِّد سومرز وجيبسون (١٩٩٤: ٦١) السرديات الشارحة - (أو الكبرى) بأنها السرديات (التى نكون منغرسين فيها كفاعلين معاصرين فى التاريخ ... التقدم، الانحطاط، التصنيع، التنوير، إلخ.' وتشرح سومرز (١٩٩٢: ٦٠٥) أن السرديات الشارحة يمكن أيضًا أن تكون 'الدرامات الملحمية لزمننا: الرأسمالية فى مقابل الشيوعية، الفرد فى مقابل المجتمع، البربرية/الطبيعة فى مقابل التحضر **civility**'(١٨). وعلى الرغم من أن بورديو **(Bourdieu 1998)** لم يكتب من منظور

سردى، إلا أنه يناقش (ويناهض) سردية شارحة أخرى العالم المعاصر بأكمله منغرس فيها، ألا وهى سردية العقلانية الاقتصادية وما يدعوه 'أسطورة' العولمة.

إلا أنه لا ينبغى أن تُخلط السرديات الشارحة – أو الكبرى بـ 'الحبكات الكبرى' 'masterplots'، التى يحدِّدها آبوت (Abbott 2002: ٤٢) بوصفها 'قصصًا نحكيها مرارًا وتكرارًا بأشكال عديدة ونربطها ربطًا حيويًا بقيمنا، ورغباتنا، ومخاوفنا الأعمق.' وكما يشرح آبوت، فإن الحبكات الكبرى التى 'تشد' السرديات الكبرى، 'تكون أكثر هيكلية وقابلية للتكييف' و'يمكن أن تتكرَّر فى سردية بعد سردية' (٢٠٠٢: ٤٣). على سبيل المثال، إن لسردية سندريللا الشهيرة تنويعات عديدة فى ثقافات مختلفة، إلا أنها جميعًا تشترك فى أحداث وكذلك تيمات تكوينية أساسية مثل الظلم والمكافأة؛ وهذه تُمفصِل حبكة كبرى **a masterplot** يمكن استدعاؤها فى سرديات وسياقات أخرى. ومفهوم الحبكة الكبرى بهذا المعنى أقرب إلى مفهوم 'السكريبت القياسى' **'canonical script'** وهو عنصر خصوصية مهم **Particularity an important element of**، سمة من سمات السردية التى أناقشها فى الفصل الخامس (انظر القسم ٥–١، ص ٧٨ من الأصل الانجليزى).

هناك لوحة لكلى اسمها 'الملاك الجديد' **'Angelus Novus'** تظهر أن ملاكًا يبدو وكأنه على وشك أن يفارق شيئًا يتأمله بثبات. عيناه تحملقان، فمه فاغر، جناحاه منشوران. إن هذه الكيفية هى الكيفية التى يصوِّر بها المرء ملاك التاريخ **the angel of history**. وجهه ملتفت نحو الماضى. وكلما ندرك سلسلة من الأحداث، يرى كارثة واحدة مفردة تظل تراكم الحطام على الحطام وتطوِّحه تحت قدميه. إن الملاك يحب أن يبقى، وأن يوقظ الموتى، ويجعل مما تهشم كلاً. إلا أن ثمة عاصفة تنطلق من الفردوس؛ لتمسك بجناحيه بعنف شديد إلى حد لا يستطيع معه بعد ذلك أن يضمهما. وتدفعه العاصفة على نحو لا تمكن مقاومته إلى المستقبل الذى يدير له ظهره، بينما تتنامى كومة النفايات أمامه صاعدة نحو السماء. إن هذه العاصفة هى ما ندعوه التقدم.

(Benjamin 1999: 249)

وإذا ما عدنا إلى مفهوم سومرز وجيبسون للسردية الشارحة – أو الكبـــرى، سنجد أنه من السهل نسبيًا أن نشخِّص شيئًا مثل التقدم الذى بدأنا به بوصفه ســـردية جماهيرية بسيطة، بوصفه سردية شارحة – أو كبرى. إننا نعرف الآن، من خـــلال الإدراك اللاحق **with hindsight**، أن السردية دامت لعقود وأن حيـــوات الأفـــراد العاديين عبر الكوكب تأثرت بها.ربما تكون الحرب الباردة سردية أخرى من هـــذا النوع. بل إنها لا تزال حتى اليوم تمارس تأثيرًا ما على حيواتنا وعلـــى العلاقـــات الدولية. وبفضل قوة وسائل الإعلام، وهوليوود والأكاديميا الغربيـــة (مـــن أفـــلام جيمس بوند إلى الكتب التى لا تنتهى التى توثِّق وتحلِّل كل تفصيلة يمكن أن تكـــون لها صلة بها)، ارتحلت سردية الحرب الباردة، بتنويعاتها العديدة، بعيـــدًا متجـــاوزة مواقعها الجغرافية المباشرة.

وهناك سردية أخرى واضحة مُرشَّحة بالقوة أن تكون سردية شـــارحة اليـــوم هى السردية الجماهيرية الخاصة بـــ 'الحرب على الإرهاب' **'the 'War on Terror** المدعومة والرائجة بعدوانية عبر عدد هائل من القنوات على امتداد العالم بأســـره، ولذا تكتسب بسرعة منزلة سردية عليا **Super-narrative** تجتاز الحدود الجغرافية والقومية وتؤثِّر مباشرة على حيوات كل واحد منا، فى كل قطـــاع مـــن قطاعـــات المجتمع. إن اختيار الإرهاب **terror** وليس الإرهابيـــة **terrorism** دال هنـــا[١٩] ويطرح مثالاً جيدًا للعمل الخِطابى المطلوب للتداول والتبنى الناجح للسرديات بعامة والسرديات الشارحة بشكل خاص. إن 'الإرهابية' تشير إلى حادث أو مزيـــد مـــن الحوادث التى تتضمن عنفًا، له تأثير موضعى وقابـــل للاحتـــواء. فـــى حـــين أن الإرهاب، فى المقابل، هو حالة عقلية، حالة يمكنها أن تنتشر سريعًا عبر الحـــدود وتحيط بالجميع فى قبضتها. وهى يمكن أن تتمثل فى أنه يجب أن يكون للـــسردية هذا النمط من الاتساع الزمنى والفيزيقى، وكذلك الإحساس بالحتمية **inevitability** أو المصيرية **inescapability**، بحيث تتكيف بوصفها سردية شارحة – أو كبـــرى. إن الإرهاب يُؤشِّر هذه السمات بشكل أفضل كثيرًا من الإرهابية.

ومثل أنماط أخرى من السرديات، فإن السرديات الشارحة يمكن أن توجد نسخ مختلفة وأن تكون مفتوحة بالطبع على التنازع **contestation**. وينطبق هذا حتى على سرديات متغلغلة ومجردة مثل تلك الخاصة بالتقدم، والتنوير، والحداثة. وقد جادل كثيرون بأن 'فكرة التقدم تمثِّل أثرًا من أخطر آثار مشروع التنوير لأنها تفترض أننا نستطيع أن نتحرك إلى الأمام نحو فضاء متحرر من القوة والسيطرة' بينما 'تقدِّم مسيرة ''التقدم'' معسكرات الاعتقال **the gulags**، والمحرقة، والتدهور البيئى، والعصر النووى المحموم **a frenzied nuclear age**' **(Fleming 2004: 42)**.

وهناك سؤال مثير، وهو سؤال لا تطرحه سومرز وجيبسون، وهو كيف يتأتى لسردية شارحة أن تحظى بالتداول الذى تحظى به عبر امتدادات زمنية لافتة وعبر حدود جغرافية شاسعة. هل يعد مستوى معين من هيمنة المجتمع الذى يوسِّع سردية جماهيرية محدَّدة متطلبًا مسبقًا لنمو تلك السردية داخل سردية شارحة عالمية؟ لقد كانت السردية الشارحة للحرب الباردة، على سبيل المثال، مثلها مثل السردية الشارحة للحرب على الإرهاب، بالأساس ابتكارًا من ابتكارات النخبة السياسية الأمريكية، سريعًا ما تبعتها نخب سياسية أخرى عبر العالم. وقد اقتضى تداولها وبلوغها نوعًا من العضلات الاقتصادية والثقافية التى لم يكن يمكن لأحد سوى قوة عظمى أن تجنِّدها. إن هوليوود، وهى أداة فى توسيع هذه السردية الشارحة المُحدَّدة، صناعة ببلايين عديدة.

يمكن أن تكون الهيمنة السياسية والاقتصادية بالفعل هى العامل الأساس المُحدِّد لبقاء وتداول سرديات سياسية شارحة، لكن ماذا عن أنماط أخرى من السرديات الشارحة؟ كيف تأتى للسرديات المسيحية، أو المسلمة، أو البوذية كلها أن تحتل مثل هذا الوضع المركزى والمستمر فى تاريخ الإنسانية؟ واليوم، على الأقل، وعلى الرغم من أن البلدان المسلمة لا تحظى بالقوة السياسية، وإذا حظيت فلا تحظى إلا بالقليل، فإن للسردية الشارحة للإسلام على الأرجح تداولاً أوسع من أى سردية دينية أخرى، مع مئات الملايين من الأتباع على امتداد العالم.

ويقدِّم ألكسندر (Alexander 2002) تحليلاً تفصيليًا إلى أقصى حد لمصفوفة معقدة من العوامل التى شاركت فى قلب المحرقة [الهولوكوست] إلى ما يمكن أن نطلق عليه سردية شارحة. ومما تم بداية 'تقريرها للمعاصرين بوصفها قصة حرب، لا أقل ولا أكثر' (٢٠٠٢: ١٧)، لقد أصبح عنصر الشر فى هذه السردية التاريخية شديد الوطأة للغاية إلى حد أن 'أصبحت المحرقة التمثيل الرمزى المهيمن للشر فى أواخر القرن العشرين' (٢٠٠٢: ٥) وأصبحت 'صدمة الشعب اليهودى صدمة للإنسانية كلها' (٢٠٠٢: ٢٩). وقد كان أحد العوامل فى هذه العملية عاملاً مؤسسيًا، حيث إن: 'وسيلة الإنتاج الرمزى لم تكن محكومة بنظام نازى منتصر بعد الحرب' (٢٠٠٢: ١١) وقد روَّجت حوامل مؤسسية **institutional carriers** مثل مجلة دراسات المحرقة والتصفية العرقية **Holocaust and Genocide Studies** بفعالية فى السردية الجديدة[٢٠]. لكن بالإضافة إلى وصف البنى المؤسسية وبنى القوى التى مكَّنت هذه العملية من أن تتخذ شكلاً، يطرح ألكسندر أيضًا نموذجًا فاتنًا للصدمة الثقافية التى يمكن أن تساعد فى شرح اتساع وانتشار السرديات الشارحة بعامة. ويقر هذا النموذج أنه 'ما من صدمة تؤوِّل نفسها' وأن كل خبرة فجائعية تترشَّح 'انفعاليًا، ومعرفيًا، وأخلاقيًا' عبر شبكة تأويلية. (٢٠٠٢: ١٠). ويدل النموذج على أن أى سردية مقصورة على مجموعة مُحدَّدة ومتموضعة من الأحداث لا يمكنها أن تتحول إلى سردية شارحة. ويجب أن تكون الأحداث ثقيلة الوزن بالنسبة لقيمة ما مثل الشر أو الخطر أو الخير. إلا أنها يجب أيضًا أن تكون متشكلة داخل إطار لا زمنى، إطار لا يومىء إلى إمكانية الحل – على الأقل ليس داخل فترة حياتنا. وكما يشرح ألكسندر، فإن ما نعرفه اليوم على أنه المحرقة قد صيغ ابتداء داخل سردية تقدمية أعاقت إمكانية نشر الصدمة عالميًا لأنها استمرت تربطها بحادث تاريخى محدَّد بدلاً من أن تعاملها بوصفها 'شرًا مقدسًا **a sacred-evil**، شرًا استدعى صدمة مثل تلك الفظاعة والرعب التى كان يجب أن تُميَّز بشكل راديكالى عن العالم وكل أحداثه الصادمة الأخرى' (**Alexander 2002: 27**). لقد كانت 'السردية التقدمية الصاعدة 'قصة' تحرير ضحايا النازية من خلال خلق

نظام عالمى تقدمى وديموقراطى' (٢٠٠٢: ٢٩). وقد حققت المحرقة (بمصطلحاتنا) وضعية سردية شارحة حين بدأت تنبثق هناك... محل القصة التقدمية سردية التراجيديا. نقطة نهاية سردية تحدِّد غاياتها **telos**. ففى الفهم المأساوى الجديد للقتل الجماعى اليهودى، أصبحت المعاناة، وليس التقدم، هى الغاية التى تستهدفها السردية.

(٢٠٠٢: ٣٠)

ويستمر ألكسندر ليشرح أن هذه الوضعية المتعالية، هذا الانفصال عن المحدِّدات الخاصة بأى زمان أو مكان قد وفرت الأساس للتماهى السيكولوجى على نطاق غير مسبوق' (٢٠٠٢: ٣٠).

ويمكن أن تكون العوامل ذاتها التى يصفها ألكسندر بمثل هذا التفصيل فيما يخص المحرقة فاعلة تمامًا فى تحديد حالة المحرقة، قصة تُصبح سردية شارحة حين 'لا يكون هناك ''تجاوز'' لها، حين تكون هناك 'فقط إمكانية العودة إليها: لا التعالى **transcendence** عليها وإنما التطهير **catharsis**' (٢٠٠٢: ٣٠).

وهناك قضية أخرى جديرة بالاستكشاف تتمثل فى الكيفية التى يمكن بها لسردية شارحة راسخة، صامدة أن تكون مُستخدَمة لتعير سردية جماهيرية نامية أو شارحة وزنًا وبروزًا سيكولوجيًا.

إن المحافظين الجدد فى الإدارة الأمريكية يستدعون بشكل متكرر السرديات الدينية ليصوِّروا ما يطلق عليه الحرب على الإرهاب بوصفه حربًا بين العالم المسيحى – اليهودى والعالم الإسلامى. وقد قيل وكُتِب الكثير بالفعل حول استخدام جورج دبليو بوش لمصطلح 'الحرب الصليبية' **'crusade'** في تصريحات مثل 'هذه الحرب الصليبية، هذه الحرب على النزعة الإرهابية' بعد الهجمات على نيو يورك فى ٢٠٠١ مباشرة. كما أعلن إل تى جن وليم جى بويكن، نائب وكيل وزارة الدفاع للمخابرات، كذلك قبل اجتماع دينى فى أوريجين فى ٢٠٠٣ أن المتطرفين المسلمين يكرهون الأمريكيين 'لأننا أمة مسيحية، لأن أسسنا وجذورنا مسيحية – يهودية. **(CBS News 2004)**.

إن آثار استدعاء سرديات شارحة راسخة، بتواريخهـا المُحـدَّدة، لتـرويج سرديات جديدة لا يمكن أن يُتكهَّن بها، لأن هذه التواريخ يمكن أن تُطلِق ترابطـات وتفاصيل مختلفة فى عقول جماهير المرء المباشرين وكذلك المعارضـين الـذين يُقصَد من السردية الشارحة المستدعاة أن تُخـضِعهم أو أن تُكـذِّبهم. إن سـردية الحرب المسيحية – اليهودية ضد المسلمين، بما فى ذلك سردية الحروب الصليبية، تنعش حتمًا سرديات 'الجهاد'، إلا أنها يمكن أيضًا أن تستدعى وتُطلق المزيد مـن التفاصيل المُحدَّدة. على سبيل المثال، إنه لمن المثير تأمل الرابط بـين الممارسـة الصادمة لقطع رءوس رهائن فى العراق عقب الغزو بقيادة الولايات المتحدة فـى ٢٠٠٣، وممارسة مشابهة للصليبيين منذ ما يزيد عن ألف عام مضت، حيث كانوا معتادين على أن يقطعوا رءوس المقاتلين المـسلمين وأن يـستخدموها كقـذائف يقذفونها بقواذف المنجنيق من فوق حوائط أورشليم. وكذلك، يمكن لعقولنا أن تبـدأ فى أن تقارن بسهولة بين حكايات المذبحة التى وقعت فى أورشليم خـلال الحملـة الصليبية الأولى وحكايات الأحداث الواقعة فى الفالوجا فى ٢٠٠٤ بمجـرد مـا أن تُستدعى السردية الدينية الشارحة المتعلقة تحديدًا بالحروب الصليبية. وها هو مثال لحكاية الدخول المسيحى لأورشليم، كما يحكيه واحد من الصليبيين:

> **أما الآن فقد امتلك رجالنا السيطرة على الحوائط والأبراج، وأصـبحت تُرى مناظر رائعة. بعض رجالنا يقطعون رءوس أعدائهم؛ وآخـرون يرمونهم بالسهام، مما يجعلهم يتساقطون من الأبراج؛ آخرون يعذبونهم طويلاً بإلقائهم داخل كرات اللهب. لقد أصبحت أكوام الرءوس والأيدى والأرجل تُرَى فى شوارع المدينة. وأصبح على المرء أن يتلمس سبيله فوق جثث الرجال والخيول. إلا أن هذه لم تكن سـوى أمـور بـسيطة مقارنة بما حدث عند هيكل سليمان [حيث] ... كان الرجال يخوضون فى الدماء إلى ركبهم وأعنة خيولهم. وحقًا فقد كان حكمًا عادلاً وباهرًا من الله أن يمتلىء هذا المكان بدماء غير المؤمنين، بما أنه عانى طويلاً جدًا من تجديفاتهم.**

(Wallbank et al. 1976: 359-60)

وها هى حكاية شاهد عيان مشابهة من الفالوجا فى الخامس والعشرين من ديسمبر عام ٢٠٠٤. إلا أن هذه الحكاية لا يرويها واحد من الغزاة وإنما فرد من أفراد المجتمع المحلى من الجانب المتلقى للعنف:

> **لقد دُمِّرت [الفالوجا] تدميرًا كاملاً، الدمار فى كل مكان. وبدت وكأنها مدينة من الأشباح. لقد كانت الفالوجا معتادة أن تكون مدينة حديثة، لكنها قد أصبحت عدمًا الآن. وأنفقنا اليوم نتجول عبر الحجارة التى كانت تشكِّل مركز المدينة؛ دون أن أرى مبنى وحيدًا يعمل.**

وقد وضع الأمريكيون شريطًا أبيض عبر الطرق ليوقف الأشخاص المتجولين داخل المناطق التى كان لا يزال غير مسموح لهم بالدخول إليها. فتذكرتُ ما كان عليه السوق قبل الحرب، حين لم تكن تستطيع أن تسير عبره بسبب الزحام. أما الآن فقد أصبحت المحلات موسومة بعلامة الإغلاق **with a cross** التى تعنى أنها قد تم تفتيشها وإغلاقها **secured searched and** من قبل قوات الولايات المتحدة. أما الجثث، وبعضها لمدنيين ولمتمردين، فقد كانت لا تزال تتعفن فى الداخل.

كما كانت الكلاب النافقة فى كل مكان من هذه المنطقة، ترقد وسط الشوارع. ووصلت التقارير إلى بغداد عن انتشار مرض الكلب فى الفالوجا ... **(Fadhil 2005)**

وسيظل الملايين يقرأون وسيستمرون فى أن يقرأوا مثل هذه الحكايات عن تدمير الفالوجا، سواء فى أصلها أو من خلال ترجمة. وفى ظل أن سردية الصليبيين كانت تستدعيها جماهيريًا القوة الغازية، وأن أبطال الرواية إلى حد بعيد هم أنفسهم (الغرب المسيحى ضد الشرق المسلم)، فإن أصداء سرديات الماضى الدينية والسياسية ستستمر تتردد بلا شك فى عقول الكثيرين.

وأخيرًا، فلا حاجة بنا إلى قول أن السرديات لا ترتحل عبر الحدود اللغوية والثقافية، ولا تتطور بالتأكيد إلى سرديات شارحة عالمية **global meta-narratives**، دون التورط المباشر للمترجمين والمترجمين الشفاهيين. إن حكاية شاهد العيان

المنشورة فى الجارديان، على سبيل المثال، لعلى فاضل **Fadhil Ali**، وهو دكتور عراقي. ومن المحتمل أنه لم يتذكر أو يكتب كل هذا بالإنجليزيـــة، وأن الحكايـة فـــى بعض مواضعها توسطها بشكل مكثف مترجم أو أكثر من مترجم، مع أنه ما من أحـــد قد أقر بذلك فى هذه الحالة. ومن الجـــدير أيـــضًا بالتوضـــيح أن أعـــداد المتـــرجمين والمترجمين الشفاهيين المحترفين وغير المحترفين المتزايدة تنطلق الآن بفعاليـــة فـــى توسيع سرديات بديلة يمكنها أن تتحدى سرديات زمننا الجماهيرية الظالمة والـــشارحة، وهى القضية التى أتناولها بشكل مفصَّل فى عمل آخر. **(Baker, in press, a)**

مراجع أساسية:

Somers, Margaret (1992)' Narrativity, Narrative Identity, and Social Action: Rethinking
English Working-Class Formation', Social Science History 16(4): 591–630.
Somers, Margaret (1994) 'The Narrative Construction of Identity: A Relational and Network Approach', Theory and Society 23(5): 605–49.
Somers, Margaret (1997) 'Deconstructing and Reconstructing Class Formation Theory:
Narrativity, Relational Analysis, and Social Theory', in John R. Hall (ed.) Reworking
Class, Ithaca NY and London: Cornell University Press, 73–105.
Somers, Margaret R. and Gloria D. Gibson (1994) 'Reclaiming the Epistemological "Other":
Narrative and the Social Constitution of Identity', in Craig Calhoun (ed.) Social Theory and the Politics of Identity, Cambridge MA and Oxford: Blackwell, 37–99.
Whitebrook, Maureen (2001) Identity, Narrative and Politics, London and New York:
Routledge.

قراءات إضافية:

Alexander, Jeffrey C. (2002' (On the Social Construction of Moral Universals: The" Holocaust"
from War Crime to Trauma Drama', European Journal of Social Theory 5(1): 5–85.
Bakan, Joel (2004) The Corporation: The Pathological Pursuit of Profit and Power, London:
Constable & Robinson Ltd.
Baker, Mona (2005) 'Narratives in and of Translation', SKASE Journal of Translation and Interpretation

1(1): 4–13. Available online at www.skase.sk (accessed 15 December 2005).
Barsky, Robert (1996) 'The Interpreter as Intercultural Agent in Convention Refugee Hearings',
The Translator 2(1): 45–63.
Bruner, Edward M. (1997) 'Ethnography as Narrative', in Lewis P. Hinchman and Sandra K.
Hinchman (eds) Memory, Identity, Community: The Idea of Narrative in the Human Sciences,
Albany: State University of New York Press, 264–80.
Burman, Erica (2003) 'Narratives of Challenging Research: Stirring Tales of Politics and Practice', International Journal of Social Research Methodology 6(2): 101–19.
Diriker, Ebru (2005) 'Presenting Simultaneous Interpreting: Discourse of the Turkish
Media, 1988–2003', AIIC Webzine, March–April. Available online at www.aiic.net/
ViewPage.cfm/page1742.htm (accessed 25 September 2005).
Geesey, Patricia (2000) 'Identity and Community in Autobiographies of Algerian Women in
France', in Amal Amireh and Lisa Suhair Majaj (eds) Going Global: The Transnational
Reception of Third World Women Writers, New York and London: Garland Publishing,
173–205.
Gergen, Kenneth J. and Mary M. Gergen (1997) 'Narratives of the Self', in Lewis P.
Hinchman and Sandra K. Hinchman (eds) Memory, Identity, Community: The Idea of Narrative
in the Human Sciences, Albany: State University of New York Press, 161–84.

Inghilleri, Moira (2005) 'Mediating Zones of Uncertainty: Interpreter Agency, the Interpreting Habitus and Political Asylum Adjudication', The Translator 11(1): 69–85.

Lambertus, Sandra (2003) 'News Discourse of Aboriginal Resistance in Canada', in Lynn Thiesmeyer (ed.) Discourse and Silencing: Representation and the Language of Displacement, Amsterdam and Philadelphia PA: John Benjamins, 233–72.

Maryns, Katrijn (2005) 'Displacement in Asylum Seekers' Narratives', in Mike Baynham and Ana De Fina (eds) Dislocations/Relocations: Narratives of Displacement, Manchester: St Jerome Publishing, 174–96.

Naudé, Jacobus A. (2005) 'Translation and Cultural Transformation: The Case of the Afrikaans Bible Translations', in Eva Hung (ed.) Translation and Cultural Change, Amsterdam and Philadelphia PA: John Benjamins, 19–41.

Niranjana, Tesjawini (1992) Siting Translation: History, Poststructuralism, and the Colonial Context, Berkeley: University of California Press.

A typology of narrative 49

الفصل الرابع

فهم كيفية عمل السرديات

سمات السردية ١

لقد ناقشتُ فى الفصل السابق أربعة أنماط من السردية تتوسط خبرتنا بالعالم ورسمت بعبارات عريضة حدود الفحوى السياسية للسردية **narrativity**. وسننتقل فى هذا الفصل والفصل التالى إلى السؤال عن كيف تعمل السرديات بناء على الكيفية التى تبنى بها العالم لنا. وستظل الفحوى السياسية للسردية خيطًا رئيسيًا يمتد عبر هذا الفصل والفصول التالية.

تُركِّز سومرز وجيبسون (١٩٩٤)، وسومرز (١٩٩٢، ١٩٩٧) على أربع سمات مُحدَّدة لما تُطلقان عليه 'السردية المعاد تأطيرها' **'reframed narrativity'**. ويناقش برونر (١٩٩١) نطاقًا أشمل من السمات[1]، يتداخل بعضها مع السمات الأربع المُحدَّدة من قبل سومرز وجيبسون أو أنه يُمدِّدها، بينما توجد سمات أخرى أقل نفعًا بالنسبة لأهدافنا الراهنة. إلا أننى أجمع الطرحين كلما كان ضروريًا لكى أقدِّم نموذج تحليل أكثر تماسكًا وتفصيلاً، مع أخذنا فى الاعتبار تركيزنا الراهن على الترجمة والترجمة الشفاهية. وسيغطى هذا الفصل السمات المحورية الأربع المُحدَّدة من قبل سومرز وجيبسون، أى الزمنية، والعلائقية، والتحبيك السببى، والاستملاك الانتقائى. أما الخصائص الباقية، المستقى أغلبها من برونر، فسيتم تناولها فى الفصل الخامس.

٤-١ الزمنية (زمانية برونر السردية)

يستخدم كل من سومرز وجيبسون (١٩٩٤) وبرونر (١٩٩١) مصطلحين مختلفين – الزمنية **temporality** والزمانية السردية **narrative diachronicity**،

على التوالى - ليشيرا إلى السمة ذاتها. وفى كلتا الحالتين، تُفهَم الزمنية بوصفها مكوِّنة للسردية وليس بوصفها طبقة إضافية لـ 'القصة' أو قابلة للانفصال عنها.

إننى أدرك الزمنية على أنها بنية الوجود تلك التى تصل اللغة فى السردية والسردية، لتصبح بنية اللغة التى تملك الزمنية بوصفها مرجعها الأخير. ولذا تكون علاقتهما تبادلية.

Ricoeur 1981b: 165

إن الزمنية لا تعنى أن الأحداث تُحكى فى الترتيب 'الصحيح' لكى تعكس تكشفها فى الزمن 'الواقعى' أوالزمانى **'real' or chronological time**[٢]. بل تعنى أن السرد 'زمنى بشكل غير قابل للتقليص' **'irreducibly durative' (Bruner 1991: 6)**، بحيث إن عناصر السردية تكون دومًا موضوعة فى تسلسل ما، وأن الترتيب الذى تكون موضوعة فيه يحمل معنى. إلا أنه لا سومرز وجيبسون ولا برونر يناقشون هذه السمة بأى شكل تفصيلى، إلا أنه يبدو مفيدًا أن نستنبط بعض تضميناتها ونستكشف الكيفية التى تؤثر بها على عمل المترجمين أو المترجمين الشفاهيين.

أولاً، إن الزمنية تعنى أن التسلسل يُمثِّل مبدأ مُنظِّمًا فى تأويل الخبرة. ويجب أن تكون مجموعة الأحداث، والعلاقات، والأبطال التى تشكِّل أى سردية – سواء أونطولوجية، أو جماهيرية، أو تصورية – مغروسة فى سياق تتابعى وفى تشكيل زمنى وفضائى يجعلها مفهومة. وكما يجادل برونرحتى حين تكون 'قابلة للتمييز بمصطلحات قد تبدو غير زمنية (كالتراجيديا أو الفارس'، فإن 'تلك المصطلحات توجز فحسب ما تكونه أنماط الأحداث الواقعة عبر الزمن بشكل ماهوى **quintessentially**' (١٩٩١: ٦). وبالنسبة لبرونر، فإن الفضاء ذاته هو جانب من الترتيب الزمنى:

> **حتى وسائل الإعلام غير اللفظية لها تقاليد زمانية سردية، كما هو فى تقاليد شرائط الكرتون من 'اليسار إلى اليمين' ومن 'القمة إلى القاع'**

ونوافذ الكاتدرائيات. وما يباطن كل هذه الأشكال من تمثيل السرد هـو ‘نموذج عقلى’ خاصيته المُحدِّدة هى نمطه الفريد من الأحـداث عبـر الزمن.

(١٩٩١: ٦)

فى حكى السرديات الأنطولوجية، كما هو فى الكتابة السيرذاتية وأنماط متنوعة من المقابلات، ‘نادرًا ما يكون التنظيم الزمنى زمانيًا بشكل صارم’ (**McCormick 2005: 152**)؛ وكذلك يؤكِّد بورديو (**Bourdieu 2000: 298**) أن ‘أى شخص سبق له أن جمع تواريخ حياة يعرف أن الرواة يفقدون بشكل مستمر خيط الترتيب الزمانى الصارم’. وفيما يبدو، فإن معظم الناس يميلون إلى أن يحكوا الأحداث بدمج التنظيم التيمى والزمانى، غالبًا بدون إحالة زمنية دقيقية. إن الافتقار إلى الدقة فى الإحالة الزمنية إذًا ليس مستغربًا فى الحياة اليومية ويمكن أن يعود إلى عوامل عديدة، من ضمنها الصدمة **trauma** وهفوات الذاكرة **memory lapses**. ومع ذلك، تصر سلطات مؤسسية عديدة على ترتيب زمانى صارم للأحداث، ومن هنا إجبار الراوى أن يعيد تجميع الخبرة لتناسب معايير التقدم للمؤسسة. إذ يتضمن البيان الذى يتلوه موظفو الهجرة فى كندا فى بداية الاستماع للاجئ التوجيه التالى لطالب الهجرة: ‘حاول، خلال عرضك، أن تُحافظ على الترتيب الزمانى للأحداث، ولتتفضل بأن تكون دقيقًا بقدر ما تستطيع فيما يتعلق بالتواريخ، والأماكن، وأسماء أى أشخاص تذكرهم خلال استجوابك’ (**Barsky 1993:140**). ويمكن أن تترك إعادة البناء الإجبارية هذه للذاكرة الراوى بإحساس عميق بالارتباك.

ويشرح بارسكاى أيضًا أن المترجمين الشفاهيين فى نظام اللجوء يجب عليهم أحيانًا أن ‘يترجموا معنى الزمن للأشخاص الذين يكونون من ثقافات يُقاس ويُقيَّم فيها الزمن بشكل مختلف’ (١٩٩٣: ١٥٢). إن الزمن والفضاء ليسا واقعين موضوعيين. بل إن الزمن المطلق والفضاء المطلق مُنتجَان تاريخيان وتتوسطهما بشدة البيئة الاجتماعية، بما فيها الاقتصاد.

وتصادق على هذا إعادة البناء الراديكالية لإدراكنا للزمن والفضاء في العقود القليلة الماضية كنتيجة لأشكال التقدم التكنولوجى التى أعادت تشكيل قدرتنا الفيزيقية على الحركة فى الفضاء وسرعة ونطاق انتشار المعلومات.

وإذا عدنا إلى قضية فرض بنية زمنية محدَّدة على حكاية سردية، سنجد أن المترجمين المسئولين عن نسخة عام ١٩٦٩ من النكتة **The Joke** لميلان كونديرا يقصون ويلصقون وأنهم أعادوا ترتيب الفصول ليجعلوها تنتظم فى ترتيب زمانى صارم (**Kuhiwczak 1990**). إذ أقر أحد المترجمين، على الأقل، فى خطاب أرسله إلى الملحق الأدبى للتايمز أنه 'وجد أن نقص الترتيب الزمانى الصارم فى الكتاب مُضلِّل، وحتى مربك' (**Kuhiwczak 1990: 125**). وناقش بولدين (**Bolden 2000**) أمثلة عديدة من العالم الطبي حيث يحوِّل المترجمون الشفاهيون الأسئلة المفتوحة التى تستدعى إجابات بسيطة بنعم أو/ لا إلى طلبات لمعلومات زمنية دقيقة، دون أن يكون الطبيب على علم بضرورة مثل هذا التدخل[٣]. وفى المثال التالى، (المقتبس من بولدين **Bolden 2**٠٠٠: ٣٩٦-٧)، يتوسط المترجم الشفاهى بين مريض يتكلم الروسية وطبيب يتكلم الانجليزية فى مستشفى مدنية كبيرة فى منطقة وسط غرب الولايات المتحدة الأمريكية. وتدل الكلمات المكتوبة بخط ثقيل على تلفظات المترجم الشفاهى الروسية التى لا دراية للطبيب بها[٤].

الطبيب: آه هـ هل لديك مشكلة مع آلام الصدر؟

المترجم الشفاهى: هل لديك ألم فى الصدر؟

المريض: طيب كيف ينبغى لى أن أصوغ هذا، من يعلم. إنه... أحياناً يحدث.

المترجم الشفاهى: مرة فى الأسبوع، مرة كل أسبوعين.

المريض: هذا الأمر يحدث إذًا تبعًا لـ - لظروف الحياة.

المترجم الشفاهى: طيب فى - فى هذه اللحظة المحدَّدة هل ظروف حياتك تسبب لك الألم مرة فى الأسبوع - أم أكثر من مرة؟

المريـــــض: أحيانًا أكثر من مرة.

المترجم الشفاهى: أحيانًا أكثر من مرة.

المترجم الشفاهى: مرة أو مرتين فى الأسبوع ربما.

ترى بولدين **Bolden** أن المترجمين الشفاهيين فى هذا النمط من السياق يصنفون موضوعيًا بشكل انتقائى جوانب من استجابات المريض التى ترتبط باحتمالات طبية معينة، بعبارة أخرى، بمعلومات تتيح لهم أن يصفوا أعراضًا ضمن خطاطة تشفير معينة لتسجيل التاريخ الخاص بالمريض. إن البعد الزمنى لسردية المريض يعد بوضوح حاسمًا وملازمًا لفكر 'تسجيل التاريخ' ذاتها كجزء من عملية التشاور الطبى.

ثانيًا، وكنتيجة ملازمة لذلك، يكوّن التسلسل الذى تُعرَض فيه سردية ما مكوِّنًا لتلك السردية بالمعنى الذى يوجِّه ويقيِّد ترجمة معناها. ذلك أن الكيفية التى نرتب بها العناصر فى سردية ما، سواء ترتيبًا زمنيًا أو فضائيًا، يخلق صلات وعلاقات تحوّل مجموعة الأحداث المعزولة إلى حكاية متماسكة. ولنعاين النسخ التالية لواقعة من يوميات آلان بينيت **Alan Bennett** كتابة الوطن **Writing Home**:

نسخـــة ١

١١ مايو، يوركشير. بعد يوم أو يومين من الحادث فى تشرنوبل، استدعى بارى بريوستير، طبيبنا المحلى، كل المزارعين، وقال لهم أن يحجزوا أبقارهم بالداخل، ونبَّه كل المدارس أن تتوقف عن شرب اللبن. واتصل بوزارة الصحة وبسلطات عديدة أخرى طالبًا معلومات حول احتمالات التلوث إلا أنه لم يحظ بمساعدة من أى نوع.

فى ظل البيئة النصية المصاحبة والسياقية الملائمة، يمكن أن تُوحى هذه النسخة بسهولة بأن بارى بريوستير طبيب مندفع، وغير مسئول، وأن سلوكه وأنه

من المؤكد تقريبًا قد سبَّب فزعًا غير ضرورى بين الجماهير. ولا عجب فى أن وزارة الصحة قد رفضت التعامل معه. بعبارة أخرى، إن عدم الرد من وزارة الصحة يمكن أن يؤوَّل بشكل معقول هنا على أنه نتيجة لتدخل بريوستير المتهور. وما يجعل هذا التأويل معقولاً هو أن تدخل الطبيب بريوستير يُذكَر أولاً، دون إشارات تركيبية أو معجمية تدل على ترتيب زمنى معكوس. والآن فلنعاين واقعة آلان بينيت الفعلية:

نسخة ٢

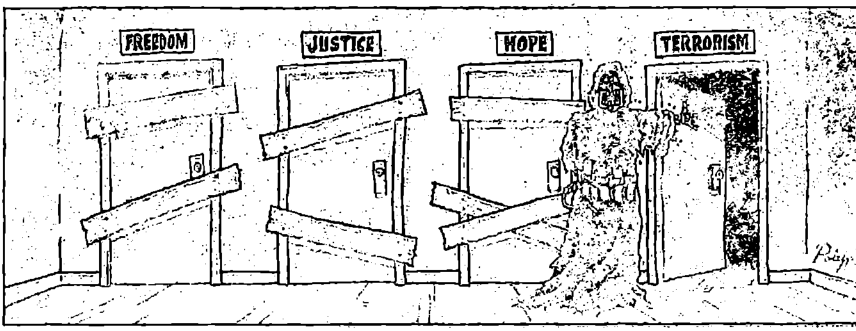
١١ مايو، يوركشير. بعد يوم أو يومين من الحادث فى تشرنوبل، اتصل بارى بريوستير، طبيبنا المحلى، بوزارة الصحة وسلطات عديدة أخرى طالبًا معلومات حول احتمالات التلوث. ولأنه لم يحصل على أى معلومة، ولا أى مساعدة من أى نوع بالفعل، فقد استدعى كل المزارعين وقال لهم أن يحجزوا أبقارهم بالداخل، ونبَّه المدارس أن توقف شرب اللبن. إذ يعتمد البقاء على مثل هؤلاء الناس.

(١٩٩٧: ٢٠٠-١)

وهنا، يُقدَّم تدخل بريوستير بوصفه مسئولاً ونتاجًا لعدم مبالاة وزارة الصحة بالسلامة العامة. فالترتيب الذى تقع فيه الأحداث مهم، وهذا الترتيب عبارة عن وظيفة للسرديات التى يصوغها الناس حول الأحداث المطروحة.

كما أن الترتيب الفضائى للعناصر - المقصود منه غالبًا أن يعكس شكلاً ما من الترتيب الزمنى - هو كذلك مكون من مكونات السرد، كما يمكن أن يُرَى فى كارتون بول فيتزجيرالد 'عالم كبير شرير' 'Big Bad World' (الشكل ٥)، الذى يظهر على صفحة ٣٢ من إصدار أبريل من عام ٢٠٠٥ من ذا نيو إنترناشيونالست.

إن هذا الترتيب الفضائى يحكى قصة. وقراءتى له تمضى على نحو شبيه بهذا. الحرية، والعدالة، والأمل يساء استعمالها وتُنتهك بشكل مطرد. وقد سُدَّت كل السبل المعقولة لبلوغ هذه الحقوق الإنسانية الأساسية. وقد ترك هذا ضحايا غياب العدالة مع خيار واحد فقط هو: الإرهاب. وما من مكان آخر لدى الناس ليمضوا إليه. بعبارة أخرى، إن هذه السردية تصوِّر الإرهاب بوصفه الناتج الحتمى للانتهاكات المنتظمة والواسعة الانتشار لحقوق الإنسان. والآن فلنعاين كيف يمكن لهذه القصة أن تتبدل تمامًا من خلال إعادة ترتيب العناصر، بوضع الباب المكتوب عليه 'الإرهاب' فى البداية. إلا أن قراءة بديلة للصورة المعاد تنظيمها ستصبح حينئذ أن الإرهاب **TERRORISM** يُهدِّد الحرية **FREEDOM**، والعدالة **JUSTICE**، والأمل **HOPE**.



الشكل ٥

Paul Fitzgerald's ' Big Bad World' cartoon, New Internationalist (April 2005)

[ص ٥٣]

إن شيوعه [أى الإرهاب] اليوم يجبر حكومات أن تقدِّم إجراءات تُقيِّد الحريات المدنية، إذ تسمح لهم أن يحتجزوا سجناء دون محاكمة، وأن يقصفوا بلدانًا مثل أفغنستان والعراق، وأن يعذِّبوا أولئك الذين يشتبهون فى نزعتهم الإرهابية لكى

ينتزعوا منهم المعلومات التى يمكن أن تساعد فى حماية بقية المجتمع. إلا أنه لا يوجد بديل ، بما أن الطريق إلى العدالة، والحرية، والأمل، سيظل مسدودًا إذا لم تضع الحكومات نهاية للإرهاب. ويمكن لهذه السردية أن تُستخدم وهى تُستخدَم بالفعل من قبل السياسيين لتبرير تشكيلة من الإجراءات مثل قانون مكافحة الإرهاب the Patriot Act[٥] فى أمريكا الذى يمنح، ضمن أشياء أخرى، مكتب المباحث الفيدرالية – دون أى مبرر معقول – سلطة الولوج إلى سجل الفرد الطبى، أو الدراسى، أو الخاص بالمكتبة أو أى سجلات أخرى وسلطة منع القائمين على هذه السجلات من إعلام الأفراد المستهدفين أن سجلاتهم قد تم الولوج إليها.

إن قانون مكافحة الإرهاب يحوى مادة كاملة عن المترجمين الذين يُعترَف بأنهم عنصر حيوى فيما يطلق عليه سردية الحرب على الإرهاب:

فقرة. ٢٠٥. توظيف المترجمين من قبل مكتب المباحث الفيدرالية.

(أ) السلطة – يُخوّل مدير مكتب المباحث الفيدرالية سلطة الإسراع فى تعيين موظفين كمترجمين لدعم تحقيقات مكافحة الإرهاب والعمليات دون االتقيد بالمتطلبات والتحديدات الفيدرالية الواجبة التطبيق.

(ب) متطلبات الأمن – يتوجب على مدير مكتب المباحث الفيدرالية أن يُرسِّخ متطلبات الأمن هذه بوصفها ضرورية لدائرة الموظفين بقدر ماهى ضرورية للمترجمين الواقعين فى الفقرة الفرعية (أ).

(ج) التقرير – يتوجب على المحامى العامى أن يرفع تقريرًا للجان الخاصة بالسلطة القضائية لمجلس النواب ومجلس الشيوخ عن –

١) عدد المترجمين المعينين من قبل مكتب المباحث الفيدرالية وعناصرأخرى من وزارة العدل؛ و

٢) أى معوقات قانونية أو عملية فى استخدام المترجمين المعينين من قبل وكالات فيدرالية، أو تابعة للولاية State، أو محلية، على أساس دوام كامل، أو غير متفرغ، أو مشترك؛ و

٣) احتياجات مكتب المباحث الفيدرالية لخدمات ترجمة مُحدَّدة في لغات معينة، وتوصيات بتلبية تلك الاحتياجات.

ثالثًا، ينجم عن النقطة السابقة والأمثلة المذكورة أعلاه أن عملية مَوْقَعة الأحداث والشخصيات في الفضاء والزمن ليست مستقلة عن سمة أخرى مهمة للسردية سأناقشها بإيجاز، وهي التحبيك السببي **causal emplotment**. إن الزمنية ليست خاصة فحسب بالماضي والحاضر وإنما خاصة أيضًا، وبشكل حاسم، بالمستقبل. إذ تُسقط دومًا السرديات غاية زمانية هي أيضًا غاية أخلاقية، غرضًا، نبوءة، طموحًا. وهذا هو السبب في أن السرديات تُوجِّه السلوك والفعل. 'إننا نسلك'، فيما تجادل بوليتا **Polleta**، 'بموقعة الأحداث ضمن قصة حياة متكشفة' (١٩٩٨: ١٤٠).

كما تصوغ لاندو نقطة مشابهة فيما يتعلق بالسرديات، وهي أن:

> **اختيار الأحداث وترتيبها تتابعيًا يتضمن اعتبارات السببية وكذلك التعاقب الزمني. ذلك أن السؤال عما سيحدث بعد ذلك لا يمكن الجواب عليه غالبًا بشكل منفصل عن أسئلة كيف حدث ولماذا حدث وعما سيسفر كل هذا. ولذا، على الرغم من أنه يمكن لتفسيرات معينة أن تستدعي قوانين مُحدَّدة لتفسير الأحداث (على سبيل المثال، مبادئ الانتخاب الطبيعي، أو نظرية الوتيرة الواحدة uniformitarianism، أو علم الوراثة)، فإن هذه التفسيرات يجب أن تُميَّز عن الآثار التفسيرية التي ينتجها ببساطة الترتيب التتابعي للأحداث.**

(١٩٩٧: ١١٦)

رابعًا، إن الزمنية تعني أيضًا أن كل شيء ندركه، سردياتنا عن العالم 'حافل بالتاريخ' (**Somers and Gibson 1994: 44**) وأن التاريخ، بدوره، وظيفة للسردية. 'إننا أعضاء في حقل التاريخية بوصفنا رواة' كما يقول ريكور، ولذا تكون 'لعبة الحكي' ذاتها 'متضمنة في الواقع المحكي' (١٩٨١**b: 294**). ويرى ريكور أن هذا

يمكن أن يُفسِّر لماذا تتميز الكلمة الخاصة بـ'التاريخ' في لغات عديدة بـ 'غموض ثرى في تشخيص مسار الأحداث المحكية والسردية التي نبنيها' (b: 294١٩٨١).

إن التاريخية تعنى أن سرديات اليوم تُشفِّر وتُعيد تمثيل سرديات الماضي القريب وكذلك الماضي البعيد(٦). وهذا يمكن أن يعمل لصالح الراوي أو ضده. وكمثال على التأثير السلبي للفشل في الانتباه لهذه السمة في سياق أحداث قريبة نسبيًا، نعاين النص التالي.

'لقد كان شيئًا من أسوأ الأشياء التي رأيتُها في حياتي.' لقد انزعج كارلتون براون إنزعاجًا عميقًا، وهو سمسار سلع رابط الجأش عادة، مما رآه في الحادي عشر من سبتمبر، ٢٠٠١. وهو يقول، 'إن كل ما كان يمكنني أن أفكر فيه هو جعلهم يخرجون من هذا الجحيم'. 'لقد كان كل ما نفكر فيه، قبل أن ينهار المبنى، هو دعونا نجعل هؤلاء الزبائن يخرجون' – خارج سوق الذهب، ذلك هو.... ولحسن الحظ، فيما يقول، 'في اليومين التاليين كنا قد أخرجناهم جميعًا... وقد ضاعف كل شخص أمواله.'

(Bakan 2004: 111)

إن ما يحتمل أن يجده معظم القراء صادمًا في التعليقات السابقة هو افتقارها للحساسية تجاه اللحظة التاريخية المباشرة، السردية الجماهيرية التي تهيمن عليها تفاصيل المعاناة الإنسانية وليس انهيارات سوق الأوراق المالية **stock market crashes**، على الرغم من أن تلك الانهيارات تشكِّل عنصرًا كان يمكن التشديد عليه إلا أنه لم يتم التشديد عليه جماهيريًا. ذلك أن كل التداعيات التي طورناها خلال السنوات القليلة الماضية فيما يتعلق بهذه اللحظة التاريخية المحدَّدة تطرح توقعات مباشرة للتركيز على المعاناة الإنسانية، بما يجعل الانشغال غير المتوقع بالقضايا المالية يُرى القائم به بوصفه متحجر المشاعر إلى أقصى حد. إن تأويلنا لسردية سوق الأوراق المالية **stock exchange narrative** هذه وتقييمنا للسرد الفردي لها مُقيَّدان لا محالة بالأحداث التاريخية الأكبر الراسخين فيها.

إن الجدل الموصوف لدى ساتون (Sutton 1997) حول نص ترجمه عن روندا إيبريا Ronda Iberia فى عام ١٩٩٤ يُظهر جانبًا آخر من جوانب التاريخية: الطريقة التى يكون بها التاريخ وظيفة لسردنا للماضى من منظور موقعنا فى الحاضر. وهذى هى النقطة التى أشعلت الجدل (المصطلحات المرتبطة بالموضوع مبرزة فى نصوص الانطلاق والوصول):

البقرة الوحشية

٢٠ يناير،

فريسنيديلاس دى لا أوليفا (مدريد)

هذا المهرجان تبقيه مجموعة صلبة من التقاليد، فقد حوفظ عليه بشكل معجز على الرغم من اقترابه من العاصمة الملتهمة لكل شىء. إلا أن تأثير مدريد الماص للدماء قد أخفق، هذه المرة، فى أن يفسد المهرجان. والأبطال هم 'اليهود' **'the 'Jews** أو 'الرهبان' **'Friars'**، مجموعة من حوالى أربعين رجلاً شابًا يرتدون حللاً عمالية فاتحة اللون وعلى ظهورهم أجراس من تلك التى تُعلَّق فى رقاب الأبقار. وعلى رأس البقرة، التى تتبعهم، إطار خشبى ينتهى بقرنين بارزين، يتهم بهما العمدة ومساعده. ويقدم 'الغزال' **'the 'spinner** تعليقًا جروتسكيًا (يسمَّى أيضًا 'الخنزير القديم القذر') و'الناسخ' **'the 'scribe**، الذى يطوف حول كتاب للمشاهد الإباحية فى الوقت الذى يطالب فيه بدفع الرسم من المحليين والزائرين على حد سواء. **(Sutton 1997: 67-8)**

ويشرح سوتون أنه لم يكن لديه خيار سوى أن يترجم **judíos** 'الترجمة الواضحة كلمة' بكلمة ''اليهود'' **"Jews"** إلا أنه كان على الرغم من ذلك ''حريصًا أن يضعها بين فاصلتين معكوستين' (١٩٩٧: ٦٨) لكنه لم يستطع أن يجد مكافئًا دلاليًا فى الإنجليزية له النطاق ذاته من المعانى بالنسبة لـ **motilones**. وقد تمثلت إحدى الإمكانيات فى أن تُترجَم بـ **'the shorn-heads'** ''الرؤوس المجزوزة'' أو **'the cropped-tops'** ''الهامات المحصودة''. إلا أن هذا الخيار، كما

يشرح سوتون، كان سيصبح كارثيًا نظرًا لأن 'أى مجاورة نصية لليهود والرؤوس المجزوزة تستدعى على الفور المحرقة' (١٩٩٧: ٦٨). ولذا فقد اختار معنى ثانيًا لـ **motilones** هو، طبقًا لـ قاموس الإسبانية فى الاستعمال **Diccionario de uso del español**، عبارة عن اسم تحقيرى للراهب **a friar**' (١٩٩٧: ٦٨). وعلاوة على ذلك يكتب سوتون أول حرف من الكلمة بالحرف الكبير ويضعها بين فاصلتين معكوستين ليحيِّد الدلالة التحقيرية الحافة بالكلمة الإسبانية ويومئ أن هذا الاستعمال استعمال لمرة واحدة **a one-off usage** (١٩٩٧: ٦٩). وعلى الرغم من ذلك، فإن مركز سيمون ويسنثال **Simon Wiesenthal Center** قد وجد أن المقال، والمهرجان الذى تصوَّره، مُهينًا بدرجة عالية للمجتمع اليهوى، ويقتضى اعتذارًا من مجلة روندا إيبريا **Ronda Iberia**، والتزامًا من المجلة أن تنشر مقالاً فى عدد قادم عن متحف التسامح الخاص بالمركز فى لوس أنجلوس، و'تعهدًا أن ''يطهِّروا محتويات مهرجانات مثل مهرجان 'البقرة الوحشية' من صورهم النمطية العرقية''' (**Sutton 19**٩٧: ٦٩). وفى الرسالة التى تلت هذا، أكَّد مدير روندا إيبريا التنفيذى لمركز ويسنثال أنه '' لا يوجد محتوى معادٍ للسامية فى هذا المهرجان'' ووضَّح أن المهرجان باذخ **extravagant** ومن الصعب تأويله' وأنه 'حتى إن كان فيه جذر معادٍ للسامية، فإنه شيء من المستحيل البرهنة عليه، إذ فُقِد هذا الجذر على مدار السنين' (**Sutton 1997: 69-70**). وقد اتهم المركز، بدوره، المدير التنفيذى لـ روندا إيبريا بـ 'الافتقار إلى الحساسية والمعرفة بالتاريخ' (١٩٩٧: ٦٩). وتطورت الحملة الموجَّهة ضد روندا إيبريا لتتضمن بث قناة + **Canal**+ تقريرًا إخباريًا فى ٢٣ ينايرعام ١٩٩٥ مُزِجت فيه صور من المهرجان مع صور من المحرقة. وقد أدى هذا إلى رفع قضية ضد قناة + من قبل بلدية فريسنيديلاس، وإلى جدل قومى كبير فى جريدة اللومند الإسبانية البارزة حول معنى المهرجان، وتوجب على السفير الأمريكى فى النهاية أن يعتذر لعمدة فريسنيديلاس.

إلا أنه لا يمكن لمَشاهد المهرجان، من وجهة نظر المجتمع اليهودى، أن تنفصل بسهولة عن الممارسات القرووسطية لتمثيل مسرحيات الآلام التى

تصوّر اليهود بوصفهم المسئولين عن موت المسيح، وهو ما كان يعقبه عنف جماهيرى ضد أبناء المجتمع اليهودى[٧]. بل إن هذه الممارسة التاريخية هى أيضًا التى أطلقت الجدل الذى أحاط فيلم ميل جيبسون المُسمَّى دون أى حساسية الآلام **The Passion** [وقد أتت الترجمة العربية آلام السيد المسيح، فنصت صراحة على ما هو ضمنى، المترجم]. وفى المقابل، فإن مهرجان البقرة الوحشية، بالنسبة للمجتمع الإسبانى، هو مجرد مهرجان شعبى آخر. وفى الواقع، فإن سوتون يتعجب لماذا، على الرغم مما يوجد من تشابه، ''لم يتذمر القراء العرب لـ روندا إيبريا مما يقع من مهرجانات خاصة بالمسلمين المغاربة **the Moors** والمسيحيين [هكذا وردت] على امتداد إسبانيا كلها فى سبتمبر' (١٩٩٧: ٧٤) ويرى 'أنها محاولة لتأمل، على سبيل المثال، أن العرب يرون مهرجانات المسلمين المغاربة والمسيحيين [هكذا وردت] بوصفها تمثيلات لهزيمة عسكرية مُشرِّقة فى حين يُؤوِّل ''البقرة الوحشية'' بوضوح من مركز ويسينثال بوصفه احتفاء بالإذلال' (١٩٩٧: ٧٥). ومن اللافت، فيما يلاحظ سوتون، أنه ما من أحد على امتداد هذا الجدال الطويل قد علَّق على استخدام الرهبان **Fairs**.

كما تمثِّل التاريخية أيضًا مصدرًا يرتكز عليه الرواة لكى يُعزِّزوا التماهى مع سردية راهنة ويثروها بتفاصيل ضمنية. ويمكن لنص حول غزو الولايات المتحد عام ٢٠٠١ لأفغانستان وتداعياته، على سبيل المثال، أن يبرز توازيات مع سرديات ماضية عن الصين وهونج كونج لا لكى يوسِّع فقط التفاصيل الملموسة للسردية الجديدة، وإنما لكى يُوسِّع، وهو الأهم، مغزاها الأخلاقى:

الأحد، ١١ ديسمبر، ٢٠٠٤

حرب أفيون جديدة

بن ماسِل

إذا ما نظرت إلى التغيرات فى الاقتصاد السياسى لأفغانستان، يمكنك أن تستخلص أن هذه ليست ''حربًا على الإرهاب' كما تقول واشنطن، ولا هى حرب

خط أنابيب كما يزعم بعض منتقديها. بل إنها تبدو كما لو كانت حـــرب الأفيـــون الأخيرة، بغض النظر عن نوايا كل الأطراف (الأفغان، والأمريكان، والأوروبيين، وسواهم) من المتورطين فيها....

إن أفغانستان لم تكن دومًا أكبر مُنتِج فى العالم للأفيون. وقـــد تمثلـــت أول نقطة تحول فى دعم واشنطن للمجاهدين الأفغان فى قتالهم ضد الاتحاد الـــسوفيتى. حيث كان اقتصاد أفغانستان، قبل التدخل الأمريكى، يقوم إلى حد كبير على زراعة الكفـــاف: **subsistence agriculture** إذ 'حتـــى ١٩٧٢، قـــدَّر الاقتـــصاديون أن الاقتصاد النقدى **the cash economy** كان يُشكِّل أقل من نصف الإجمـــالى بقـــدر قليـــل' (**Barnett Rubin, 'The Political Economy of War and Peace in Afghanistan,' 1999**). إلا أن الحرب ضد السوفيت والشيوعيين الأفغان غيَّرته.

إن قادة المجاهدين – وهم عبارة عن صفوة جديدة صعدت فى أفغانـــستان تـــم تمويلها بأموال أمريكية، وباكستانية، وسعودية – قـــد 'ضـــغطوا علـــى المـــزارعين ليزرعوا الأفيون، وهو محصول جالب للأموال **a cash crop** يمكنهم أخـــذ ضـــرائب عليه. وقد كان خلال هذه الفترة أيضًا أن أخذ إنتاج الأفيون يتزايد' **(Rubin, 1999)**.

لقد كان تدخل الولايات المتحدة فى أفغانستان فصلاً فـــى التـــاريخ الطويـــل للأفيون والإمبراطورية. السكر، والشاى، والقهوة، والدخان، والأفيون....

(Masel 2004)

أمَّا كم طبقة من طبقات هذه السردية الجديدة نحن قادرون على أن نخترقهـــا ونقدِّرها، فسيعتمد جزئيًا على إلى أى مدى نحن متآلفون مع سردية حروب الأفيون التى دارت من ١٨٣٩–١٨٤٢ و١٨٥٦–١٨٦٠. وقد قادت الحرب الأولـــى مـــن هاتين الحربين إلى التنازل عن هونج كونج للبريطانيين فى ١٨٤٣، وقادت الثانيـــة إلى إجبار الصين عام ١٨٥٨ على أن تجيز الأنشطة التبشيرية المسيحية وتُـــشرِّع استيراد الأفيون. وقد بدأت المشاحنات مع التجار البريطانيين المهربين الأفيون إلى الصين وبلغت ذروتها حين قرَّرت الحكومة الصينية حظر استيراد الأفيـــون ثـــم

صادرت ودمرت شحنة بحرية كبيرة فى جوانجشو. إلا أن بريطانيا كانت تتطلع لإيجاد مبرر لمهاجمة الصين لكى تنهى القيود على التجارة الأجنبية. بينما انطلقت الحرب الثانية بسبب بحث الصينيين غير المشروع كما يُزعَم عن سفينة بريطانية فى جوانجشو، وهذه المرة كانت تصاحب القوات البريطانية قوات فرنسية، وروسية، وأمريكية. إن كل هذه العناصر الخاصة بالسردية التاريخية للصين تمنح، إذا ما كان للقارئ مدخل إليها، سردية ماسِل المعاصرة عن أفغانستان أبعادًا معينة وتضمينات أخلاقية تُشكِّل تاريخيتها. إن الارتباط بين إجازة الأنشطة التبشيرية المسيحية فى سردية الصين فى القرن التاسع عشر والدور الذى لعبه الأصوليون المسيحيون فى توجيه السياسة الخارجية الأمريكية فى بعض نسخ السردية المعاصرة لأفغانستان والعراق يمكنه أن يمنح، على سبيل المثال، عمقًا أخلاقيًا معينًا لحكاية بن ماسِل مما يُعزِّز الفرص الخاصة بالتماهى والفعل فيما بين أقسام معينة من جمهوره.

وفى مثال أكثر إثارة على التاريخية لكونه مستخدمًا استخدامًا إبداعيًا ضمن أجندة ناشطة **an activist agenda**، تستلهم هذه النسخة الخاصة بسردية المعاناة السوداء مباشرة مما أثبت أنه سردية تاريخية فعالة إلى أقصى حد للمعاناة اليهودية[٨].

وفيما وراء الكتابة الواعية لـ المحرقة **Holocaust** بالحرف الكبير لإبراز حلقة (أخرى) فريدة وبالقدر ذاته مرعبة من التاريخ، توجد مفردات معجمية عديدة وامتدادات لهذه المفردات تتماثل مع المحرقة اليهودية إلى حد يجاوز مسألة أعداد المقتولين والمعاناة المُتجسِّمة. إذ تُنشِّط مفردات مثل شاهد تذكارى **memorial**، ونصب تذكارية **monuments**، واعتذارات، والشتات **Diaspora**، والشهادة، والأخلاف **descendants**، والناجون **survivors** جوانب عديدة من السردية اليهودية وتجعلها متاحة للمفاوضة العملية للمعاناة السوداء فى العالم الواقعى. كما يوجد ما يشجعنا على أن نفكر فى طرائق تعويض 'الناجين' من المحرقة السوداء بالطريقة ذاتها التى تم بها وما يزال يتم بها تعويض الناجين من المحرقة اليهودية، وعلى أن نحشد لحملة من أجل اعتذارات علنية من الحكومات والجماعات المتورطة فى هذه

المحرقة. وأن نبنى شواهد تذكارية، وأن نعلم أخلاف الناجين السود، وما إلى هذا. كما يُبرز الشتات **Diaspora** أيضًا إمكانية العودة إلى وطن أصلى ما. وبشكل طبيعى، فإنه فى حين أن ناشطين سودًا كثيرين وداعميهم سيخبرون هذه السردية بوصفها تمكينية، فإن أفراد المجتمع اليهودى يمكن أن يروها بوصفها مُهدِّدة، وربما حتى مهينة، لأنها تقوِّض بشكل غير مباشر مكانة المعاناة الفريدة التى حققتها سردية المحرقة المثيرة للجدل.

المحرقة السوداء

من تجارة العبيد إلى الاستعمار

السوداء (سوداء)، صفة تتعلق بالسكان المتنوعين المميزين ببشرة جلد داكنة، بشكل محدَّد شعوب أفريقيا الداكنة الجلد أوسيانيا **Oceania** [جزر وسط وجنوب المحيط الهادى: بولينسيا ومايكرونيسيا وميلانيسيا وأستراليا ونيوزلندا، المترجم] وأستراليا.

الهولوكوست (هولوكوست)، اسم. مذبحة عظمى أو كاملة أو تدمير طائش للحياة.

تمثِّل المحرقة السوداء حدثًا من أكثر الأحداث المُهوَّن من شأنها فى حوليات التاريخ الإنسانى. بل إن المحرقة السوداء تحيل على ملايين الحيوات الأفريقية التى فقدت عبر قرون من الاسترقاق، والاستعمار، والاضطهاد. كما تحيل المحرقة السوداء على أشكال الرعب التى قاساها الملايين من الرجال والنساء والأطفال على مدار الشتات الأفريقى. وبأعداد هائلة، توجد شهادة على أسوأ عناصر السلوك الإنسانى وأقوى عناصر البقاء، من حيث العمق والوحشية.

ومع ذلك لم يتم تشييد نصب تذكارية، ولم يُقدَّم سوى القليل من الاعتذارات. ويظل الأسوأ من كل هذا أن معظم أبناء وأحفاد من عانوا، وكافحوا وماتوا غير واعين بهذه المحرقة فى الوقت الذى مازال يسعى فيه آخرون إلى تجاهلها. ولعله يمكن للمرء فقط أن يتخيل الأذى الفظيع الواقع على نفسية شعب يسعى إلى أن يتجاهل أو يتناسى مآسى ماضيه.

وستحاول الصفحات القليلة القادمة أن تلقى لمحة خاطفة على هذه المحرقـــة. ولعلك تتذكر وأنت تقرأ أن الأمر يتجاوز ببساطة الأعداد والوقائع. ولذا؛ فإنها بمثابة تذكار لأولئك الذين لم يستطيعوا أن يحيوا ليحكوا حكايتهم. إنهـــا تجلّـــة **a tribute** لأولئك الذين كافحوا وماتوا من أجل أن يمكن للآخـــرين أن يحيـــوا. إنهـــا تَـــذكِرة لأخلاف الناجين الذين نسوا أو لا يعرفون. إذ يمكننا بهذه الكيفية أن نُكـــرِّم أولئـــك الذين رحلوا قبلنا وربما أن نخطو بهذا خطوة نحو العلاج الفعلىّ والفهم.

وعلى مستوى نصى، فإنها تقوِّض حرف إتش **H** الكبير فـــى الهولوكوســـت **Holocaust** وتخفِّف تأثيره. إن أولئك المتورطين فى ترجمة أدب من هذا الـــنمط – وهناك مترجمون عديـــدون نشِطـــون (**see Baker, in press, a**) – ســـيريدون أن يعاينوا كيف يمكن الحفاظ على أو تنشيط هذه السمة الخاصة بالتاريخية حين يُنقَـــل النص إلى ثقافة أخرى لكى يخدم بشكل أفضل مصالحهم والأجندة الناشطة لمؤلفها.

وكما شرحت فى الفصل الثانى، فإن السرديات يُعبَّر عنها فى العديد من وســـائل الإعلام. ويُقدِّم الشكل ٦ تعبيرًا بصريًا عن سردية تلجأ، مثل قصة المحرقـــة الـــسوداء المذكورة أعلاه، إلى موقف تاريخى آخر لترسُّخ الرعب وعواقب الظلم المعاصر.



الشكل٦

أعضاء الحملة الشعبية الفلسطينية لمناهضة جدار الفصل العنصرى طارحين أنفسهم كأمريكيين أصليين، رام الله، ٨ أبريل ٢٠٠٤

إن التعليق الوارد أسفل الصورة على إيقاف موقع الجدار يُقرأ على النحو التالي:

إن هؤلاء ليسوا أمريكيين أصليين يحتجون على المعازل **the reserves** في الولايات المتحدة، أو جذب سائح. بل هم فلسطينيون من المعازل الجديدة **the new reserves** (مناطق الجيتو **Ghettos**) التي خلقها جدار الفصل العنصري وبواباته، وأنفاقه، وطرقه، وأقفاله. ويشدِّد الاحتجاج الصامت، لكن الرمزي بعمق، على أننا لن نقبل أن يُنزَع منا تراثنا، وثقافتنا، وحياتنا، وأرضنا كما حدث مع الأمريكيين الأصليين. كما أنهم أيضًا يعلنون ابتداء المؤتمر الممتد لمدة أسبوع المنعقد في رام الله حول مصير القدس. وهم هنا يشدِّدون على أن مقاومتهم ضد جدار الفصل العنصري لن تتوقف قط. إنهم سيقدمون حيواتهم في صراعهم من أجل أرضهم وحريتهم. إن مناطق الجيتو هذه قد تشير إلى أن طريقنا إلى النصر والحرية يمكن أن يكون بعيدًا. إلا أن مقاومتنا الطويلة الأجل يمكن أن تكون هي الحل الوحيد لحريتنا. أو على العكس، يمكننا أن نتطلع إلى مستقبل مثل مستقبل الأمريكيين الأصليين. إن ذلك تحديدًا هو ما يريد الصهاينة أن يفرضوه على شعبنا(٩).

وبعيدًا عن استدعاء سردية مجتمع آخر استأصله وقضى عليه مستوطنون استعماريون، فإن سردية الأمريكيين الأصليين – وليس، على سبيل المثال، سردية المواطنين الأصليين الأستراليين – تخدم غرضًا آخر هنا، لأنها تبرز الدور الذي تلعبه الولايات المتحدة الأمريكية في سردية نزع الملكية الفلسطينية. وتتعزز هذه الرسالة في الاحتجاج الذي يمارسه الناشطون في الصورة، الذي يخاطبون فيه جميعًا 'السيد بوش'، وهكذا يكشفون عن قناعتهم بأنه – بوصفه ممثلاً للولايات المتحدة الأمريكية – مسئول عن إنهاء نزع ملكيتهم، و/أو يملك المفتاح لإنهاء هذا.

إن التاريخية، كمورد، متاحة بالقدر ذاته للأطراف المهيمنة وتتيح لها أن تصوغ سرديتها الشارحة الخاصة. ويقدِّم كيبل مثالاً جيدًا من الغزو الأول للعراق في يناير عام ١٩٩١. إذ يجادل بأن اختيار لفظ الحلفاء **Allied** [الترجمة العربية

الحديثة، وليس المنتمية إلى زمن الحرب العالمية، هى التحالف، المترجم] ليصف مجموعة البلدان المشتركة فى الغزو،

يستلهم فى حنين إلى الماضى بلاغة الحرب العالمية الثانية. مثل كل التماثلات الهتلرية الموجهة ضد صدام حسين، فإنه يمثِّل استخدامًا محفوزًا أيديولوجيًا للتاريخ من قبل القوات التى تقودها الولايات المتحدة ووسائل إعلامها الدعائية لتسكت تواريخ أخرى عديدة – خصوصًا الأدوار الإمبريالية للولايات المتحدة والمملكة المتحدة فى الشرق الأوسط وعلى نحو أكثر عالمية... وتنشد أن تضفى الشرعية على المذابح من خلال إقامة توازٍ بين الحلفاء الذين يقاتلون هتلر الشرير مع الـ... حرب ضد صدام.

(Keeble 2005: 43)

وأخيرًا، غالبًا ما تُشفِّر سرديات أنثروبولوجية وعلمية علاقة ضمنية بين الخطية بوصفها متصلا زمنيًا أو فضائيًا و'التطور' بمعنى التقدم من حالات الوجود الدنيا إلى حالات الوجود العليا. إن هذه السردية الخلفية تسمح للمؤسسات السياسية المهيمنة 'أن تفرض سرديات تاريخية خطية على حضارات مختلفة'، ومن ثم فإنها تؤدى، بدورها إلى أن 'تُشرْعِن وتمدد الهيمنة الاستعمارية'

.**(Niranjana 1990: 775)**

٤-٢ العلائقية (التأليفية الهرمنيوطيقية)

إن كلاً من العلائقية **relationality** (بمصطلح سومرز وجيبسون) والتأليفية الهرمنيوطيقية (ضمن إطار عمل برونر)[١٠] تعنى أنه من المستحيل بالنسبة للعقل الإنسانى أن يفهم أحداثًا منفصلة أو خليطًا من الأحداث التى لا تتشكل بوصفها سردية:

إذ تسم هذه الخاصية الهرمنيوطيقية السرد فى بنائه وفهمه على حد سواء. لأن السرديات لا توجد، كما كانت، فى عالم ما واقعى، منتظرة هناك بأناة وبشكل

سرمدى لتنعكس بصدق فى نص. بل إن بناء سردية ما ... هو بصورة لافتة أكثر من مجرد 'اختيار' أحداث إما من الحياة الواقعية، أو من الذاكرة، أو من الوهم ثم وضعها فى ترتيب ملائم. وتحتاج الأحداث نفسها أن تُشكَّل فى ضوء السردية الإجمالية.

(Bruner 1991: 8)

إن للعلائقية تضمينات مباشرة على الترجمة والترجمة الشفاهية. ويوضِّح كليفورد (**Clifford 1998: 689**) أنه فى ترجمة موريس لينهاردت[١١] للكتاب المقدس إلى الهويلوية **Houailou** (وهى لغة ميلانيزية)، 'ما كان يمكن أن يوجد استيراد بسيط لألوهية غربية داخل المشهد الدينى الميلانيزى'. إذ لا يمكن لعلائقية السرديات أن تسمح بمثل هذا الاستيراد المباشر لـ 'أجزاء' من سرديات أخرى. بينما ينظر أنثروبولوجى آخر، هو جودفراى لينهاردت **Godfrey Lienhardt**، إلى 'مشكل وصف كيف يفكِّر أعضاء قبيلة بعيدة بالنسبة لآخرين' بوصفه 'مشكل ترجمة'، ويصر على 'أنه حين نحاول أن نحتوى تفكير مجتمع بدائى[١٢] فى لغتنا وفئاتنا، دون أن نعدِّل أيضًا هذه اللغة وهذه الفئات لكى تتقبله، فإنه يبدأ جزئيًا فى فقد المعنى الذى يبدو أنه يحتويه' (١٩٦٧: ٩٧). وفى عملية استيراد عناصر من سردية أخرى، فإن كلاً من السردية الأصلية وسرديتنا الخاصة يُعاد تشكيلها لا محالة.

ويقدِّم كون (**Kuhn 1999: 36**) مثالاً مفيدًا آخر مأخوذًا من المجال العلمى. حيث يشرح أن كلاً من النظريات الأرسطية والنيوتنية تصوغ تعميمات حول المادة والحركة، وأن كلاً منهما تستخدم مفاهيم القوة، كم المادة والثُقل فى صياغة هذه التعميمات. ومع ذلك، فإن بعض التعميمات الأرسطية غير متوافقة مع الفيزياء النيوتنية 'إلى حد أن إثراء المعجم التصورى النيوتنى بمصطلحات أرسطية (أو العكس) سيبنى تناقضات فيما يخص ظواهر طبيعية قابلة للملاحظة داخل اللغة ذاتها (التشديد فى الأصل) مع نتيجة مؤداها أن 'اللغة التى تحتوى مثل هذه التناقضات لا يمكنها أن تتعامل بنجاح مع الطبيعة' (١٩٩٩: ٣٦).

وعلى الرغم من أن كليفورد، ولينهاردت، وكــون لا يــستخدمون مفهــوم السردية في نقاشهم لهذه النقاط، فإن الأمثلة التي يناقشونها مع ذلك تثبت تضمينات العلائقية كما هي متصورة داخل النظرية السردية. إذ يوضحون استحالة صــياغة سردية متسقة – سواء كانت دينية، أو أنثروبولوجية، أو علمية – على أساس ترقيع **a patchwork** لعناصر مستمدة من سرديات مختلفة. إن السردية تتشكل من أجزاء مختلفة تُشكِّل كلاً، إلا أن حيوية واتساق ذلك الكل يعتمدان على كيــف 'تتــشابك' الأجزاء 'معًا'، كيف 'تتألف لتعيش معًا' (**Brunner 1991: 8**). ذلك أنه إذا كــان من الممكن عزل أجزاء سردية ما وتأويلها بدون الرجوع إلى تشكيل مبنى وإلــى وضعها الاجتماعي والثقافي، وإذا كان من الممكن تأويل ســرديات أخــرى دون تكييفها بشكل متزامن لسردياتنا الخاصة وتكييف ســردياتنا الخاصــة لهــا، فــإن الترجمة والإثنوجرافيا يشكلان في هذه الحالة أفعال توسط أبسط وأقل تورطًا كثيرًا مما يبدو. لكن في ظل أن السردية على ما هي عليه، فإن المترجم والإثنــوجرافي يعيدان بالضرورة على السواء بناء السردية من خلال النسج معًا لتشكيلات جديــدة نسبيًا أو بدرجة كبيرة في كل فعل من أفعــال الترجمــة، وإعــادة تــسكين هــذه التشكيلات الجديدة في محيطات زمنية وفضائية. إن كل تشكيل جديد يُعدِّل ويعيــد تأويل السرديات التي دخلت في صياغته. وإحدى نتائج هذه العملية هي أن ترجمــة سردية إلى لغة وثقافة أخرى تُسفر حتمًا عن شكل من أشكال 'التلوث'، مما يمكــن بموجبه أن تصبح السردية الأصلية مُهدَّدة بالتخفيف أو التغيير. وهذا يُفسِّر الــسبب في لماذا أصرت البعثات التبشيرية المتورطة في استعمار مجتمعات مثل الفلبين أن يحتفظ المترجمون بكلمات مفاتيح مثل **Dios** الخــالق و**Virgen** الــسيدة العــذراء باللاتينية أو القشتالية .(**Rafael 1993**)[١٣] مستبدلين بهذه الكلمات كلمــات محليــة، تأتي مُحمَّلة بوجوهها العلائقيــة الخاصــة، مخــاطرين بـــ 'خلــط المعتقــدات والممارسات الدينية ''الوثنية'' بالمعتقــدات والممارســات الكاثوليكيــة' (**Rafael 1993: 29**). إلا أن الحفاظ على كلمات مفاتيح في لغة أجنبية لا يمكنــه أن يقمــع العلائقية وعواقبها. وأحد أسباب هذا هو أن الكلمات الأجنبية تُجلب كمصدر آخــر

لتلبية الاحتياجات القائمة، كما هى مصوغة فى السرديات المحلية. ويُقدِّم رافائيل أدلة على هذا:

> **فى استماع المتحولين المحليين للألفاظ المسيحية غير المترجمة، فإنهم يدركونها على ما هى عليه: دوال معتمة بدون مدلولات سابقة فى التاجالوجية [لغة أسترونيزية يتحدث بها أهل التاجلوج فى الفلبين، المترجم]. وقد شكَّلت تلك الألفاظ فراغات متكررة momentary blanks فى التطور الدلالى للغة الدارجة. وليمسكوا بالألفاظ غير المترجمة كان عليهم أن يميزوا تكرار تلك الفجوات وأن يروا فيها سلسلة كاملة من التداعيات الممكنة التى كان لها فقط أوهن صلة بالرسالة الأصلية للقس. بعبارة أخرى، إن عدم قابلية العلامات المسيحية للترجمة ذاته كان يمكن أن تُعاد قراءته بطرائق مختلفة من قبل المتحولين المحليين. إذ بدلاً من جعل سلطة علامة الله وسلطة القس ظاهرة بشكل غير قابل للجدل، عرضت تلك الألفاظ إمكانية تفادى الوزن الكامل للقصد التبشيرى.**

(Rafael 1993: 117)

وتناقش كَهف (**Kahf 2000**) نتيجة مثيرة لاستخدام لفظ فى ترجمة مُحمَّلة سلفاً بمعنى علائقى فى ثقافة الوصول **the target culture**، ولذ فإنها تشوش بشدة السردية المنطلق **the source narrative**. إن النص المنطلق المتناول هو مذكراتى لهدى شعراوى **Mudhakkirati Huda Sha'rawi's (My Memoris**، ١٩٨١)، [من اللافت أن النص العربى صادر بعنوان مذكرات هدى شعراوى، دون ياء المتكلم!، المترجم] وقد ترجمتها إلى الإنجليزية مارجوت بدران عام ١٩٨٦ بعنوان سنوات الحريم: مذكرات امرأة مصرية نسوية **Harem Years: Memoirs of an Egyptian Feminist** . وقد كانت هدى شعراوى (١٨٧٩ – ١٨٤٧) رائدة لحركة حقوق المرأة فى العالم العربى ومناصرة للتغير الاجتماعى فى مصر. وقد قررت المترجمة كما يبدو أن تستخدم الكلمة الإنجليزية **harem** حريم بدلاً من الترجمة القياسية للكلمة العربية حرم **harim** لأنها استشعرت أن الكلمة الثانية لن تكون مألوفة بالنسبة للقارئ. وتُلاحِظ كهف ملاحظتين فيما يتعلق بهذا الاختيار. الملاحظة الأولى

هى أنه يُفضِّل استخدام كلمة غير مألوفة فى هذا السياق لأنها 'ستنتزع القارئ من نمط التوقعات المريح وستخلق خبرة قراءة أكثر تحديًا وتحويلية' (Kahf 2000: 165). وتتمثل الملاحظة الثانية، وهى الأكثر أهمية، فى أن شعراوى تستخدم كلمة حريم مرة واحدة فقط على مدار ٤٥٧ صفحة، بينما تستخدمها النسخة الإنجليزية ٢٥ مرة فى المقدمة وحدها ومرات أكثر كثيرًا جدًا فى الملاحظات الختامية والتعليقات. إن كلمة حريم harem (أو حرم harim) إذًا ليست كلمة فعالة فى المذكرات العربية لأنها لا ترسم حدود فئة دالة بالنسبة لشعراوى. إن كلمة حريم كلمة دالة على النظرة الخارجية إلى الداخل. وتمثِّل مصطلحات شعراوى المنظور السردى للتطلع الخارجى الذاتى للكاتبة إلى العالم والحركة حول العالم بطرائق تبدو طبيعية لها (والتى يصعب أن تكون أكثر تقييدًا من المدارات الخاصة بمتوسط المرأة الفكتورية أو الإدوارية المنتمية إلى الطبقة ذاتها).

(Kahf 2000: 165)

ويتمثل الأثر الرئيس لهذه الاستراتيجية فى أن السردية العربية اصطبغت بالصبغة الحريمية **haremized**، فى ظل قضايا مثل أن يصبح عزل النساء هو البؤرة الأساسية، على الرغم من أن هذا ليس مبدأ منظِّمًا لمصدر السردية **the source narrative**. كما أن استخدام حريم يوجِّه نظر قارئ الإنجليزية إلى تأويل مختلف جدًا للمواد البصرية فى النص المنطلق:

> **إن إحدى الصور الموضوعة فى القسم الخاص بالإجازات عليها تعليق يقول، 'هدى وصديقة يقفان فى ملابس ريفية مصرية. لقد كان التأنق فى الملبس طريقة مفضلة لتزجية وقت الفراغ لدى الحريم' (٤٧). إن الجملة الثانية تُذكِّر القارئ بالمفهوم المُؤطِّر the framing notion 'حريم'، على الرغم من أن الكلمة ليست فى النص المصاحب أصلاً. إلا أن ما يومئ إليه التعليق هو إقرار أن الضجر ennui كان يمثِّل سمة مُحدَّدة لـ 'حياة الحريم' ويتطلب مجهودًا خاصًا من التسلية لتخفيفه. إن هذا المفهوم الخاص بـ 'الحريم' كمكان للتسليات التافهة يعامل النساء اللائى كن موضوعًا لهذه الملاحظة معاملة الأطفال.**

(Kahf 2000: 165)

وهكذا يطلق استخدام هذا العنصر الواحد من العالم السردى لثقافة الوصول مجموعة من التأويلات التى تمثل وظيفة لسياقها العلائقى الخاص فى السرديات الجماهيرية لقراء لغة الوصول.

إن المترجمين والمترجمين الشفاهيين يتجنبون أيضًا فى بعض الأحيان استخدام مكافئ دلالى لمفردة فى نص أو تلفظ الوصول حين يكون أو يصبح ذلك المكافئ راسخا فى مجموعة مختلفة ويحتمل أن تكون سلبية من السرديات فى ثقافة الوصول. وتعد هذه مرة أخرى وظيفة من وظائف العلائقية، ذلك أنه من المستحيل أن تستخرج مفردة من سردية معينة أو مجموعة من السرديات وأن تُعاملها بوصفها وحدة دلالية مستقلة. إن الترجمات الإنجليزية التالية الموضوعة أسفل الشاشة المأخوذة من فيلم محمد بكرى التسجيلى جنين جنين(١٤)، الذى عرض فى ٢٠٠٢ مسجلاً الهجوم الإسرائيلى على معسكر جنين فى الضفة الغربية المحتلة، تمثل الأمر(١٥). إن المتحدثين كلهم رجال فلسطنيون ونساء فلسطينيات من أعمار وخلفيات تعليمية مختلفة، يصفون تدمير المعسكر فى أبريل ٢٠٠٢، بعضهم أيضًا يتذكر هجمات مشابهة على منازلهم خلال الانتفاضة الأولى. ونبرز المفردات المرتبطة بالموضوع بأحرف ثقيلة:

مثال ١

''لسه بندوَّر شهدا من تحت الأرض''.

الترجمة المباشرة

We are still pulling martyrs from underneath the ground.

الترجمة الإنجليزية أسفل الشاشة

We are still pulling victims out of the rubble.

مازلنا نرفع الضحايا من بين الأحجار.

مثال ٢

''متخلفين عقليًا استشهدوا عندنا، معاقين استشهدوا عندنا، أطفال استشهدوا عندنا، نساء استشهدوا عندنا''.

الترجمة المباشرة

We have mentally retarded people who have been martyred ؛we have disabled people who have been martyred ؛we have children who have been martyred ،we have women who have been martyred .

الترجمة الإنجليزية فى أسفل الشاشة

They Killed some mentally disabled people, children and women in the camp.

لقد قتلوا بعض الأشخاص المعاقين عقليًا، والأطفال والنساء فى المعسكر.

مثـــــال ٣

''خلال دائرة قطرها ٣٠ متر بس وجدنا عشر شهداء''.

الترجمة المباشرة

Within a circle of no more than 30 metres in circumference, we found ten martyrs.



شكل ٧

القطة من جنين جنين

الترجمة الإنجليزية فى أسفل الشاشة

مازلنا نرفع الضحايا من بين الأحجار.

In an area of 30 metres we discovered 10 corpses.

فى نطاق ٣٠ متراً اكتشفنا ١٠ جثث.

فى لقطة أخرى، يصف طبيب فلسطينى كيف توجه، بينما كانت تُقصف منطقته من الطائرات الإسرائيلية خلال الانتفاضة الأولى، إلى أشخاص عديدين مصابين ونجح فى أن يُنقذ حياة عديدين منهم، ليكتشف فحسب عندما توقف القصف أن ابنه (عميد) قد أصيب وأنه كان يرقد فى مكان ما قريب ينزف حتى الموت:

مثـــال ٤

"بعد ما توقف إطلاق النار بدا الجيران بالصياح، ويقولوا عميد استشهد، عميد استشهد".

الترجمة المباشرة

After the shooting stopped, the neighbours began to shout, saying Ameed has been martyred ،Ameed has been martyred.

وكما هو فى كل الأمثلة السابقة، فإن الترجمة الإنجليزية أسفل الشاشة الخاصة بهذا الإطار تقمع كل إشارة إلى الشهادة

After the cease-fire the neighbours started shouting that Ameed my son was dead.

بعد توقف إطلاق النيران بدأ الجيران يصيحون أن عميد ابنى قد مات.

ففى كل الأمثلة السابقة الواردة أعلاه، تجنبت الترجمة الإنجليزية فى أسفل الشاشة ترجمة الكلمة العربية شهيد وكل مشتقاتها بمكافئها القياسى فى الإنجليزية، وهو **martyr**[١٦]. ويبدو من المعقول افتراض أن هذه الاختيارات محفوزة برغبة فى تجنب تداعيات الأصولية الإسلامية، والنزعة الإرهابية، والتفجيرات الانتحارية

التى تثيرها بسهولة هذه الكلمة كجزء من السرديات المناهضة للمسلمين والمناهضة للعرب الرائجة فى الغرب. إن الكثيرين من المتحدثين العرب الذين يستخدمون كلمة شهيد، بما فى ذلك الفلسطينيون الذين أجريت معهم مقابلات فى هذا الفيلم التسجيلى، معارضون معارضة كلية لأى فعل من أفعال العنف على أى من الجانبين. إن كلمة شهيد مغروسة، فى العربية، فى مجموعة سرديات مختلفة جدًا وأقل 'عسكرية' بدرجة بعيدة. إذ تُستخدَم بشكل عام لتشير إلى أى شخص يُقتَل على نحو عنيف، خصوصًا فى الحرب. وقد أشير على نطاق عريض إلى إيهاب الشريف، السفير المصرى الذى خُطف وقُتِل فى العراق فى يوليو ٢٠٠٥، فى وسائل الإعلام المصرية بأنه شهيد(١٧). إن الوصف بكلمة شهيد إذًا ليس بالضرورة – أو حتى بشكل رئيس – جزءًا من سردية مقاومة عنيفة. بل إنها تُستخدَم على نطاق واسع فى الخطاب اليومى لتشير إلى أى شخص فى الجانب المتلقى للعنف فى موقف صراع، سواء اختار أن يكون متورطًا فى ذلك الموقف أو لم يختر. لكن أيًا كان استخدامها الراهن فى الثقافة المنطلق، فإن مكافئها الدلالى القياسى فى الإنجليزية يُنشِط لا محالة مجموعة من السرديات الغربية التى توفِّر إطارًا مختلفًا، وفى هذه الحالة، تأويليًا غير مرغوب فيه إلى حد بعيد بالنسبة لأولئك الذين يجب أن يعتمدوا على الترجمة الإنجليزية فى أسفل الشاشة ليفهموا الفيلم التسجيلى(١٨).

إن العلائقية، مثل سمات أخرى للسردية، تعمل بوصفها قيدًا وبوصفها موردًا لصياغة سرديات جديدة. ويمكن الإفادة منها لحقن نص أو خطاب الوصول بمعانى ضمنية مستمدة من الكيفية التى تعمل بها مفردة معينة فى السرديات الجماهيرية أو الشارحة الرائجة فى سياق الوصول، وهكذا يعتِّم حمولتها العلائقية فى البيئة المنطلق أو يهون من شأنها. ويقدم تيكنر **Tekiner** مثالاً لافتًا فى نقاشه للترجمة الإنجليزية القياسية للكلمة العبرية **ezrahut**، التى يجادل بأن:

الاستخدامات الصهيونية لمصطلح **'nation'** 'قوم'، و**'national'** 'قومى'، و**'nationality'** 'قومية' من الصعب بالفعل أن تُفهم وأن تفسَّر لأنها تُستمَد من

مفاهيم غير مألوفة للأمريكيين. وعلاوة على ذلك، فإن معانيها الحقيقية يتم تعتيمها بشكل متعمد من خلال ترجمات عادة ما تكون مغلوطة من العبرية إلى الإنجليزية.

إن المثال الرئيس للخداع، الذى تتبع منه الأمثلة الأخرى، هو الترجمة المقبولة لقانون إسرائيل للمواطنة **Israel's Law of Citizenship** بـ قانون 'القومية' **'Nationality' Law**. وفى النص العبرى الأصلى، الكلمة هى إزراهوت **ezrahut**، الترجمة الصحيحة لها هى 'المواطنة' **'citizenship'**.

ولن يقع لمتوسط الملاحظين المتحدثين الإنجليزية أن يعترضوا على ترجمة المواطنة **ezrahut** بـ 'القومية' **'nationality'** لأن 'المواطنة' **'citizenship'** و'القومية' **'nationality'** مصطلحان قابلان للتبادل فيما بينهما فى الولايات المتحدة، وكذلك فى معظم المجتمعات الديموقراطية. إلا أنهما فى إسرائيل يشكلان مكانتين منفصلتين ومختلفتين تمامًا. ذلك أن المواطنة **citizenship (ezrahut)** يمكن أن يحملها العرب واليهود على حد سواء، بينما القومية **(le'um)**، التى تمنح حقوقًا أعظم مما تمنحه المواطنة بقدر لافت، لا يمكن أن يزعمها سوى اليهود وحدهم.

(Tekiner 1990: 20)

إن تحليل تيكنر لاختيار القومية **nationality** بوصفها مكافئة للمواطنة **ezrahut** فى حالة إسرائيل تقدم برهنة ملموسة جدًا على الكيفية التى يمكن أن تشتغل بها العلائقية بوصفها موردًا **a resource** وليس قيدًا **a constraint**. كما أنه يبرز أيضًا العالم الحقيقى الذى تصوغه نتائج الاختيارات السردية فى أمثلة فردية للترجمة والترجمة الشفاهية، والرهانات المؤسسية فى هذه الاختيارات.

٤-٣ التحبيك السببى

بينما تعلى العلائقية أن كل حدث يجب أن يتم تأويله ضمن تشكيلة أوسع من الأحداث، فإن التحبيك السببى **causal emplotment** 'يمنح دلالة للحالات المستقلة،

ويفوق نظامها الزمانى chronological والفئوى categorical’ (Somers 1997: 82).
إذ إنه فقط عندما يتم حبك الأحداث ‘تتخذ معنى سرديًا’، لأنه حينئذ تكون ‘مفهومة من منظور إسهامها وتأثيرها على ناتج مُحدَّد’ (Polkinghorne 1995: 5). بعبارة أخرى، إن التحبيك يتيح لنا أن نزن الأحداث ونفسرها بدلاً من أن نعدِّدها، بحيث نحوِّل مجموعة من القضايا propositions إلى سلسلة مفهومة يمكننا أن نكوِّن رأيًا حولها. وهكذا تُشحن الأحداث المُصوَّرة بدلالة معنوية وأخلاقية. ولأن التحبيك السببى متأصل inherent فى السردية narrativity، فإن بعض الدارسين يجادلون بأن السردية ‘مرتبطة ارتباطًا حميمًا بحافز أخلقة الواقع، إن لم تكن وظيفة له.’ (White 1987a: 14). وهذا الحافز يتجلى فى التحبيك السببى.

وبعبارات ملموسة، فإن التحبيك السببى يعنى أن شخصين يمكن أن يتفقا على مجموعة من ‘الوقائع’ أو الأحداث لكنهما يختلفان بقوة حول كيف يفسرانها فى علاقتها ببعضها البعض. على سبيل المثال، إن إحدى سرديات صراع الشرق الأوسط تُصوِّر الاغتيالات الإسرائيلية المستهدفة لأشخاص محددين Israeli-targeted assassinations بوصفها رد فعل على الهجمات الإرهابية الفلسطينية، بينما تُصوِّر سردية أخرى التفجيرات الانتحارية الفلسطينية بوصفها نتاجًا يائسًا وحتميًا لإرهاب الدولة الإسرائيلية. إن المناصرين للسرديتين المتنافستين يمكن أن يقبلوا أن تقع الأحداث (أو الوقائع)، وحتى أن يتفقوا حول تفاصيل كل حدث (من فعل ماذا، وأين، ومتى)، لكنهم يختلفون بقوة حول كيف ترتبط الأحداث ببعضها البعض، وما الذى يحفِّز الفاعلين فى كل مجموعة من الأحداث. وكذلك، تبرهن دراسة بينفورد (Benford 1993) عن حركة تخفيض الأسلحة النووية فى الثمانينيات أن أعضاء مجموعات مختلفة ممن اصطفوا مع السردية العريضة لتخفيض الأسلحة النووية اختلفوا اختلافًا صاخبًا حول الأسباب الخاصة بالتهديدات النووية: إذ اعتقد بعضهم أنها نتاج انحطاط عام فى الأخلاق، بينما رأى آخرون أن صناعة السلاح the defence industry أو الرأسمالية بشكل أكثر عمومية هى التى قادتها، وظل آخرون يعتقدون أن السبب يعود إلى الولايات

المتحدة الأمريكية، أو الاتحاد السوفيتى، أو أنها ببساطة نتاج تهريب التكنولوجيا. إن المجموعات المختلفة لم تكن تناقش المكونات المفردة للسردية: إذ لم يناقش أحد مكاسب صناعة السلاح، أو حقيقة أن التكنولوجيا كانت تتطور بإيقاع مجنون، ولا أن الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى كانا يتنافسان من أجل السيطرة. لكنهم اختلفوا حول كيف ترتبط كل هذه العناصر ببعضها البعض وعلاقتها الدقيقة بالتهديد النووى. وهكذا يتيح لنا التحبيك السببى أن نأخذ مجموعة الأحداث ذاتها وأن ننسجها فى قصص 'أخلاقية' مختلفة جدًا. وربما يكون السمة الأهم للسردية، لأنه يُحدِّد سببًا لمجموعة من الأحداث التى تساعدنا فى أن نُحدِّد مسار الأفعال الذى ينبغى أن نسير فيه، وهذا يسمح لنا بدوره أن نلجأ إلى آخرين ممن يزون 'عواطفهم أو مصالحهم الخاصة منعكسة فى ذلك الخيار لمشهد اجتماعى ما' .(Bennett and Edelman 1985: 160)

إن التحبيك غالبًا ما يبرز فقط من خلال تسلسل وترتيب الأحداث. والحكاية التالية هى إحدى حكايات الضحايا العديدة المقدمة إلى لجنة الحقيقة والمصالحة فى جنوب أفريقيا الناتجة عن سقوط نظام التمييز العنصرى. إن هذه الحكاية المُحدَّدة مذكورة فى مسقط رأسى المشهور جدًا لأنتيج كروج **Antje Krog's much acclaimed Country of My Skull**: [ص ٦٧]

ذلك الصباح فعلتُ شيئًا لم أفعله قط من قبل. كان زوجى لا يزال فى مكتبه مشغولاً بحسابات أعمالنا. صعدتُ إليه ووقفتُ خلف مقعده. ووضعتُ يدى تحت ذراعيه ودغدغته ... بدا مندهشاً وسعيدًا بشكل غير متوقع.

"والآن؟" سأل.

"سأذهب لأعد الشاى"، هكذا قلتُ.

وبينما كنتُ أصب الماء على أكياس الشاى، سمعتُ هذه الضوضاء المدمرة. ستة رجال اجتاحوا حجرة مكتبنا كالعاصفة وفجَّروا رأسه. وقد كانت ابنتى ذات السنوات الخمس حاضرة... وفى عيد الكريسماس من ذلك العام وجدتُ خطابًا على

مكتبه: 'ياوالد الكريسماس الحبيب، أرجوك احضر لى دبًا كبيـرًا نـاعم الملمس بعينين ودودتين... فأبى قد مات. ولو كان هنا لما كنتُ أزعجتُك.' لقد وضعتُها فى مدرسة داخلية. وفى صبيحة اليوم الذى كنتُ أصطحبها فيه إلى هناك ثُقِب أحد إطارات السيارة. قالت 'هل رأيت'، ''أبى لا يريدنى أن أذهب هناك... إنه يريدنى أن أبقى معك.... لقد شاهدتُه وهو يموت، ويجب أن أكون معك وأنت تمـوتين...، إنها الآن مراهقة وقد حاولت مرتين الانتحار'

(Krog 1998: 43)

إن التحبيك السببى فى هذه السردية الأنطولوجية يتحقق فحسب من خلال التسلسل والترتيب الزمنى. وبدون أى علامات لغوية صريحة، نـؤوّل محـاولتى انتحار الابنة المراهقة كنتاج لفاجعة مشاهدتها لقتل أبيها. ولا توجد حاجة للتصريح بالصلة بين مجموعتى الأحداث. كما يمكن أن يُقرأ ارتباط سببى ضمنى آخر فـى التسلسل، وهو 'وفى عيد الكريسماس من ذلك العام وجدتُ خطابًا علـى مكتبـه: 'ياوالد الكريسماس الحبيب، أرجوك احضر لى دبًا كبيرًا نـاعم الملمس بعينين ودودتين ... فأبى قد مات. ولو كان هنا لما كنتُ أزعجتُك.''' وقد تـوحى 'لقد وضعتُها فى مدرسة داخلية'، بأن وضع الابنة فى مدرسة داخلية – ربما – كـان عبارة عن محاولة لخلق مسافة ما بينها وبين تلك الذكريات المؤلمة، بما يتيح لهـا أن تتجاوزها.

كما يوجد جانب آخر من جوانب التحبيك يرتبط بوزن الأحـداث ومنحهـا دلالة، ربما بوصفها أزمات **crises** ذات حجم معين أو نقاط تحـول فـى سـياق السردية الكلية. وتفسِّر لاندو (**Landau 1997**) أن الـسردية الداروينيـة، بـسبب تشديدها على الانتخاب الطبيعى، غالبًا ما تصوغ ما تصوِّره بوصفه سلـسلة مـن اللحظات الحرجة ضمن إطار عمل للتحول من خلال الصراع، على الرغم من أنها تجادل بأنه ما من حدث يمثل على نحو متأصل أزمة أو تحول. وعلاوة على ذلك، 'ما أن تكتسب الأحداث ذلك المعنى، فإنها يمكن أن تصبح مرتبطة بلحظات أزمـة

أو تحول موجودة فى أنواع أخرى من السرديات، مثل ''السقوط والافتداء'' "fall and redemption"، أو ''الامبراطورية والانحطاط'' "empire and decline"، وهكذا يمكنها أن تتخذ دلالات حافة تتجاوز كثيرً سياقاتها الأصلية' (**Landau 1997: 116**). ونستطيع أن نرى فى دراسة ألكسندر (**Alexander's 2002**) الشديدة التفصيل حول تطور سردية المحرقة كما نعرفها اليوم، كيف أن تلك المجموعة من الأحداث قد عوملت أولاً بوصفها أزمة، انحرافًا ما شكَّل خرقًا خطيرًا للأخلاق، ومع ذلك كان من الممكن إختباره عقلانيًا، والتنبه إليه، ثم منعه من الحدوث مرة أخرى منعًا باتًا. وبالتعرف عليها بوصفها أزمة، يمكن وضع الأحداث المتناولة فى سياق سردية تطورية وعدت بحل ومستقبل أفضل. لكن ما أن يعاد بناء الحدث بوصفه نقطة تحول، حتى لا تصبح هناك إمكانية للعودة إلى عالم ما قبل المحرقة، ولا يمكن أن يكون هناك افتداء **redemption** – ومع انحطاط السردية التطورية **the progressive narrative**،... بوصفها ''المحرقة'' تصبح التمثيل المهيمن للفاجعة'، ويجادل ألكسندر بـ 'أنها تتضمن السر المقدس، ''الكمال المرعب''، للتقليد المتعالى' (٢٠٠٢: ٢٨-٩). وربما أن شيئًا مشابهًا لهذا يحدث مع سردية الحادى عشر من سبتمبر. إذ توجد أدلة متنامية على أنها قد أخذت تتشكل بصورة فاعلة بوصفها نقطة تحول فى تاريخ العالم الحديث.

إنها هذه السمة الخاصة بوطأة الحدث وليس تفاصيل الحدث نفسه هى ما يمثِّل غالبًا موضوع النزاع من قبل الأفراد والجماعات الواقعين خارج السردية المهيمنة أو ما أصبح يشكل السردية المهيمنة. وفى حالة وطأة الحادى عشر من سبتمبر، تأتى واحدة من أشهر المحاولات جماهيرية من إمانيويل أورتز **Emmanuel Ortiz**، وهو شاعر أمريكى من أصول مكسيكية/بورتوريكية من الجيل الثالث. كتبها بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لمهاجمة البرجين، لقد أشعلت 'قصيدة لحظة صمت لأورتز' (**Ortiz 2002**) جدلاً لافتًا فى ذلك الوقت لأنها أطَّرت أحداث الحادى عشر من سبتمبر ضمن سياق اللحظات التاريخية الفارقة

التى يتم تهميشها فى سردياتنا الراهنة وإن كان يمكن أن تبدو وطأتها أثقل كثيرًا إذا ما وضعت فى الاعتبار عوامل مثل عدد الحيوات المفقودة أو طول فترات المعاناة الإنسانية وطبيعتها. وتبدأ القصيدة بهذا المقطع:

- قبل أن أبدأ هذه القصيدة، أود أن أطلب منك أن تشاركني
لحظة صمت
تكريمًا لأولئك الذين قضوا فى مركز التجارة العالمى وفى البنتاجون
فى الحادى عشر من سبتمبر الماضى.
كما أود أيضًا أن أطلب منك
أن تمنح لحظة صمت
لكل أولئك الذين أُنهِكوا، أو سُجِنوا، أو اختفوا، أو عُذِبوا،
أو أُغتُصِبوا، أو قُتِلوا ثأرًا لتلك الهجمات،
للضحايا فى أفغنستان والولايات المتحدة معًا.

يبرز الشاعر هنا انفصاله عن السردية الجماهيرية الرسمية حتى قبل أن ينتهى المقطع الأول. وتتسم المقاطع التى تلى هذا المقطع بمد فترة الصمت مع كل حدث تاريخى يُصوَّر بوصفه أجدر بأن يُعامَل كنقطة تحول: يوم كامل من الصمت لعشرات الآلاف من الفلسطنيين المقتولين من القوات الإسرائيلية المحمية من الولات المتحدة؛ ستة أشهر للعراقيين الذين ماتوا نتاج أحد عشر عامًا من العقوبات؛ شهرين من الصمت للسود الواقعين تحت التمييز العنصرى فى جنوب أفريقيا؛ تسعة شهور من الصمت لموتى هيروشيما ونجازاكى؛ عامًا من الصمت لملايين الموتى فى فيتنام.

إن وطأة الأحداث والعناصر المتنوعة لسردية ما، بما فى ذلك الشخصيات، يمكن أن تتغير فى الترجمة لتنتج نمطًا مختلفًا من التحبيك السببى. وتُقدِّم لنا كهف (**Kahf 2000**) مرة أخرى مثالاً لافتًا على هذا فى نقاشها للكيفية التى 'شكَّل بها ''أفق التوقعات'' الخاص بالكتابة من وعن نساء عربيات ومسلمات' سنوات

الحريم لمارجوت بدران' (٢٠٠٠: ١٤٨) فى العالم الناطق بالإنجليزية. وتتمثل إحدى سمات النسخة الإنجليزية فى مبالغتها فى أهمية أوربا والشخصيات الأوربية فى النص الأصلى، مذكراتى **Mudhakkirati**:

> **إن نص سنوات الحريم يستخدم بشكل متكرر الاسم الخاص بزوجة رشدى باشا، يوجين لى برون الذى له مفعول إبراز أوربيتها بدلاً من أن يبرز حقيقة كونها زوجة مصرى بارز. فى حين أن شعراوى لم تدعُ صديقتها بأى شىء سوى 'حرم Haram [زوجة] رشدى باشا.' وليس هذا سوى انعكاس لاحترام شعراوى للياقة، والألقاب، ومكانة الأعلى seniority، إلا أنه أيضًا يلفت انتباه القارئ لمنزلة زوجة رشدى باشا فى سياقها المصرى. إن مذكرات شعراوى ترسم بالتأكيد صورة صداقة حميمة مع مدام رشدى، وتنقل بدران إحساس شعراوى بأن لصديقتها تأثيرًا عميقًا وممتدًا عليها. '... حتى بعد وفاة [مدام رشدي] شعرت أن روحها تنير السبيل أمامى' (Badran, 82). وتمنح النسخة الإنجليزية وزنًا أكبر لأهمية هذه الفقرة ، بتشديدها على صداقة شعراوى مع امرأة أوربية، مما لها فى النسخة العربية من خلال الموقع الذى ترد فيه. إذ تغلق هذه الفقرة القسم الثالث من النص الانجليزى، بينما توجد فى النص العربى فى ثنايا الفصل. وفى المقابل، يحذف النص الانجليزى شعورًا مشابهًا لشعراوى وهى تحكى عن صديقة أخرى لها بعد موتها، تلك المرأة المصرية النسوية ملك حفنى ناصف: ... ومع أن شعراوى فى مذكراتـــ (ـــها)، تذكر حبها للأميرة أمينة زوجة الخديوى توفيق وإعجابها بها، قبل ذكرها لمدام ريشار، وهى صديقة أوربية لأمها، فإن النص المترجم يعكس ترتيب ذكرهما.**

Kahf 2000: 158-9

إن أنماط التحبيك السببى يمكن أن يتم تغييرها بمكر فى الترجمة عبر التأثير التراكمى لتحويلات ثانوية نسبيًا تقرض وزنًا مختلفًا للعناصر الخاصة بالسرد الأصلى.

كما يمكن أيضًا أن يعاد تشكيل أنماط التحبيك السببى بشكل خطير، سواء بشكل متعمد أو خلاف ذلك، ببساطة عبر اختيار المكافئات فى عملية الترجمة

أو الترجمة الشفاهية. إذ انبنت الحجج الرئيسية، فى قضية من قضايا الإرهاب فى مكتب المباحث الفيدرالية، ضد سامى العريان(١٩) وسبعة آخرين، على ترجمات كلمات عديدة فى تفريغات الأحاديث، والتنصت على المكالمات، وشرائط الفيديوا المصادرة. وقد استمعت المحكمة إلى أن لكلمة ''''جهاد'' معانى عديدة ، منها ''استفراغ ما فى الوسع والطاقة إلى أقصى حد'' **"striving for the utmost"**، وكذلك ''الحرب فى سبيل الله'' **"holy war"**، اعتمادًا على السياق. والحديث عن ''الذبح والنحر'' – خصوصًا خلال الإجازات الشتوية – يمكن أن يحيل على ما يخص العشاء' .**(Laughlin 2005)** وقد حاول مترجم مكتب المباحث الفيدرالية، تحسين على، المحصور بين الدفاع والادعاء، أن يتجه وجهة وسطًا. إذ كان ملتزمًا بأن يدافع عن بعض اختياراته فى بعض الحالات وأن يقر بأن بعض الكلمات العربية قابلة لتأويلات بديلة فى حالات أخرى:

لقد اتفق كلا الجانبين أن 'البازلاء' **'chickpeas'** تُضاف إلى 'الحمص' **'hummus'**. إلا أنهما انقسما حول إذا ما كان 'الحمص' شفرة لجماعة 'حماس' الإرهابية. كما أنهما لم يتمكنا أيضًا من أن يتفقا حول إذا ما كانت كلمة عربية يبدو نطقها هكذا **'ka-tuh-yee'** تشير إلى 'كتائب' **'brigades'** أو 'قطائف' .**'pancakes'** وكقاعدة عامة، فإن ممثلى الادعاء الفيدراليين قد دافعوا عن أن كلمات المُدَّعى عليهم **the defendants' words** تحمل معانى عنيفة، أو أنها شفرة لشيء شرير يرتبط بالإرهاب، بينما دافع محامو الخصوم عن أنها كلمات عادية، بريئة.

وقد وقع المترجم فى منطقة ما فى الوسط.

لقد كان يُقلِّب صفحات قاموسه الانجليزى – العربى والكلمات العربية الأصلية فى النصوص المُفرَّغة لكى يُفسِّر لماذا كان أحيانًا يكتب كلمة 'جهاد' وكلمة 'انتفاضة' بالحرف الكبير وأحيانًا أخرى لا يكتبهما هكذا.

لقد قال، 'لقد كنت أكتب بالحرف الكبير الحدث – المعركة – وليس الكلمة العامة ''جهاد''. كما قال إن كلمة 'جهاد' المكتوبة بالحرف الصغير تعنى 'بذل

أقصى جهد ممكن لتحقيق هدف ما.' كما أن كلمة انتفاضة المكتوبة بالحرف الصغير تعنى 'ثورة عامة'. بينما كانت تعنى كلمة 'انتفاضة' المكتوبة بالحرف الكبير الثورة الفلسطينية.

...

لقد سأل محامى الخصوم ستيفن برنشتاين إذا ما كانت 'الشهادة' تعنى دومًا 'الانتحار من أجل قضية ما' وقد أجابه على أنها يمكن أن تعنى أن يُقتَل المرء من قبل العدو.

(Laughlin 2005)

وفي النهاية، فإن إعادة تشكيل التحبيك السببى ليس ببساطة وظيفة لاختيارات المترجم/المترجم الشفاهى، فى معظم الحالات. بل إن أشكالاً مختلفة من التدخل من قبل فاعلين آخرين، فى ارتباطها باختيارات الترجمة، غالبًا ما تساهم فى صياغة السرد المعاد تشكيله، كما هو فى هذه الحالة:

لقد كان أحد دروس اليوم بالإنجليزية: تمهيدًا حول معنى كلمة 'نقح' **'redacted'.**

وقد عنى ذلك أن 'المتروك'، فيما قاله على للمحلفين، يشير إلى أسطر مفقودة ضمن كومة من النصوص المفرغة يبلغ طولها قدمًا. وقد أخذت [محامية الخصوم ليندا] مورينو تحصى أعداد الأسطر التى نقحها ممثلو الادعاء من صفحة إلى أخرى. وقد تمثلت وجهة نظرها فى: أن ممثلى الادعاء يركزون على المعلومات التى يأملون فى أنها ستثبت قضيتهم. فى حين كان محامو الخصوم يأملون فى أن يظهروا أن المعلومات التى تعطى صورة أتم وأكثر معقولية للمدَّعى عليهم كانت مستبعدة.

وحين تجاوز عدد الأسطر المُنقَّحة ٥٠٠، أوقف قاضى المحكمة الجزئية الأمريكى جيمس إس. مودى مورينو عن توجيه المحلفين إلى المعلومات المفقودة.

إذ قال لها، 'إن ما لم تسمعيه أكثر بكثير مما سمعته.' (Laughlin 2005)

وكما يمكن أن يُرَى من هذا ومن المثال السابق المأخوذ من كهف، فإن أنماط التحبيك السببى مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بسمة أخرى من سمات السردية، أعنى الاستملاك الانتقائى الذى سأنتقل إليه الآن.

٤-٤ الاستملاك الانتقائى

تجادل سومرز وجيبسون (Somers and Gibson 1994) بأن السرديات تُبنى طبقًا لمعايير تقيمية تُمكِّن وتُوجِّه الاستملاك الانتقائى لمجموعة من الأحداث أو العناصر من التشكيلة الهائلة للأحداث المفتوحة النهاية والمتداخلة التى تشكِّل الخبرة. وكذلك يرى وايت (White 1987a : 10) أن 'كل سردية، مهما بدت ''مكتملة''، تُبنى انطلاقًا من مجموعة من الأحداث التى كان يمكن أن تكون مُضمَّنة إلا أنها تُرِكت'.

إذ لكيما تُصاغ سردية متماسكة a coherent narrative، فمن المحتم أن يتم استبعاد بعض عناصر الخبرة وأن يتم تفضيل عناصر أخرى. لكن ما الذى يوجِّه هذه العملية من الانتقاء؟

ويفترض سومرز أن هذه العملية تكون مدفوعة تيميًا: إن تيمات مثل ''الزوج بوصفه المُعيل''، أو ''تضامن الاتحاد'' "union solidarity" أو ''النساء يجب أن يكن مستقلات قبل كل شيء'' ستستملك انتقائيًا وقائع العالم الاجتماعى، وتنظمها فى نظام ما، وتقيِّم معياريًا هذه التنظيمات.

(١٩٩٢: ٦٠٢)

كذلك ينص بولكنغورن (Polkinghorne 1995: 7) على أن الحبكة هى ما يُوجِّه اختيار الأحداث لكى تُنسَج فى سردية ما، وهو ما يُحدِّده بـ ''الخيط التيمى'' الذى يتيح للراوى أن يُصوِّر العناصر الفردية للقصة بوصفها جزءًا من سردية

تتكشف إلى أن تبلغ ذروتها فى ناتج معين. بل إن حتى الحوليات، التى لا يكون لها شكل سردى صريح، تختار أن تُسجِّل الأحداث فيها وفق تيمات عامة مثل المعارك البارزة، أو المجاعات، أو العنف، وهكذا تُفلح فى أن تصورّ 'عالمًا الفاقة فيه حاضرة فى كل مكان، والندرة فيه هى قاعدة الوجود، وكل فعاليات الإشباع الممكنة متناقصة أو غائبة أو توجد تحت التهديد الوشيك بالموت' (**White 1987a: 11**).

إلا أن ثمة ما هو أكثر للاستملاك الانتقائى ببساطة من مجرد التيمة أو الموضوع المركزى للسردية. ويذكر وايت (**White 1987a**) أن مؤرخ الحوليات قد سجل معركة بواتييه **the Battle of Poitiers** الواقعة عام ٧٣٢م [١١٤هـ، وهى معركة دارت فى رمضان عام ١١٤هـ/أكتوبر فى موقع يقع بين مدينتى بواتييه وتور الفرنسيتين، وكانت بين قوات مسلمين تحت لواء الدولة الأموية، بقيادة والى الأندلس عبد الرحمن الغافقي من جهة، وقوات الفرنجة والبورغنديين بقيادة شارل مارتل من جهة أخرى، وانتهت بانتصار قوات الفرنجة وانسحاب جيش المسلمين بعد مقتل قائده عبد الرحمن الغافقى، المترجم [إلا أنه لم يسجل معركة أخرى مهمة جدًا وقعت فى العام نفسه :معركة تور **the Battle of Tours**. وحتى إذا كان مؤرخ الحوليات على علم بهذه المعركة، كما يتساءل وأيت، 'ما هو مبدأ المعنى الذى يقتضى أو قاعدة المعنى التى تقتضى منه أن يسجلها؟' (١٩٨٧a: 9). وجوابه هو الآتى:

إنها ليست مجرد مسألة تيمة أو موضوع مركزى إذًا بل أيضًا مسألة موقعنا فى الزمان والمكان، وتعرضنا لمجموعة معينة من الجماهير، سرديات تصورية وشارحة تشكِّل إحساسنا بالدلالة. ويصف مانويل جيرز وآخرون **Manuel Jerez et al**. مثالاً مثيرًا من ترجمة الطلاب التى تكشف هذه العملية الخاصة بالانتقائية:

También ha podido observar cómo en ejercicios de interpretacin consecutive,

dos estudiantes que interpretan un mismo discurso omiten un mismo dato, en

este caso una referencia histórica: en una clase reciente un discurso enumeraba
los crيmenes de los nazis durante la Segunda Guerra Mundial y se referيa a la
matanza de seis millones de judíos, de una Quinta parte de la población polaca y
de 25 millones de soviéticos. Estaú ltima cifra se omitيa en ambos casos, llegando una estudiante a afirmar que había dudado de lo que había oído por
parecerle disparatado pese a ser tan <histrico> como los otros dos.

[لقد شهدت أيضًا، خلال جلستى تــدريب متتــاليتين علـــى الترجمـــة الشفاهية، كيف أن طالبين من القائمين بالترجمة الشفاهية يحذفان من الكلام ذاته المنطلق منه المعلومة ذاتها، وهى فى هذه الحالـــة إشـــارة تاريخية: لقد أحصى الكلام المنطلق منه جرائم القتل التى كان النـــازى مسئولاً عنها خلال الحرب العالمية الثانية وأشار إلـــى مذبحـــة لـــستة ملايين يهودى، وخمس السكان البولنديين، و٢٥ مليون روســـى. لقـــد حُذف هذا الرقم الأخير فى كلتا الحالتين [فى نسختى الوصـــول]، وقـــد أوضحت طالبة منهما أنها شكت فيما سمعته لأنه بدا لها هـــراء، علـــى الرغم من أنه 'تاريخى' تمامًا بقدر ما هما الرقمان الآخران].

(٢٠٠٤: ٧٠)

إن الاستملاك الانتقائى، سواء كان واعيًا أو دون عتبة الوعى، يملك تأثيرًا على العالم. وتعليقًا على الطريقة التى يفسِّر بها الرحالة البريطـــانيون استكـــشاف أفريقيا فى أواخر القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر يستنتج برات (Pratt 1994: 208) من أنه قد تم 'على نطاق واسع إقصاء السكان القـــائمين من بيئتهم'، أن 'المرء لا يمكنه أن يمنع نفسه من أن يـــرى فـــى هـــذه المـــشاهد

الطبيعية اللفظية المُخلاة من السكان فى كتب الرحلات الإعداد الأيديولوجى للإخلاء السكانى الذى كان فى سبيله للحدوث.' ولعل هذا هو السبب فى لماذا غالبًا ما يمثِّل اختيار ووزن الأحداث فى أى سردية محور نزاع لتلك السردية. ويمكننا أن نرى مثالاً على هذا فى النقد التالى للسردية المهيمنة على يوغسلافيا:

لقد جسَّدت يوغسلافيا، خلال التسعينيات، أشباح الصدام الحضارى الذى أعلنه هينتنجتون، حيث كانت مجهزة بتأثير الترجمة ووسائل الإعلام العالمية للبحث عن سردية سياسية مبسطة إلى حد بعيد. وقد قلصت هذه الترجمة المهيمنة تعددية المعانى المتأصلة فى البلقان الأُصلية إلى يوغسلافيا المنهارة داخليًا، وإلى المشاعر المحمومة والعنف اللاعقلانى بين الجماعات الإثنية التى قسَّمتها الاختلافات الدينية المتأثرة بثقافات أخرى. وقد أصبح اسم يوغسلافيا اسمًا شِعاريًا emblematic لمجمل إقليم البلقان، إذ كلما كانت تنظر وسائل الإعلام العالمية كانت تعتم التعقيدات القائمة من خلال تصديرها لقصص الكراهية القَبَلِيَّة وتحفز التدخل العسكرى لكى تخضع التدخلات العسكرية الأشد. وقد أصبحت هذه الترجمة مهيمنة فى الرؤية العالمية للبلقان التى حذفت على نحو ما تعددية الإقليم التى كان من المفترض أن تعمل على استعادتها[٢٠].

(Longinovic 2004: 3-4)

وهناك مثال آخر مزعج على الاستملاك الانتقائى، فيه انخراط مباشر للمترجمين، يتعلق بجماعة موالاة تُدعى ميمرى **MEMRI** معهد بحوث إعلام الشرق الأوسط. إذ نشر بريان ويتكر **Brian Whitaker**، فى الثانى عشر من أغسطس، مقالاً فى الجارديان بعنوان 'معهد بحوث إعلام الشرق الأوسط الانتقائى' 'Selective Memri'، وقد بدأ على النحو التالى:

لقد أخذت أتلقى، مؤخرًا من وقت لآخر، هدايا صغيرة من معهد كريم فى الولايات المتحدة. وقد كانت هذه الهدايا عبارة عن ترجمات رفيعة المستوى لمقالات من الصحف العربية التى يرسلها إلى المعهد بالبريد الإلكترونى كل بضعة

أيام، دون أي مقابل على الإطلاق.... كما تصل هذه الرسائل الإلكترونية أيضًا إلى سياسيين وأكاديميين، وكذلك إلى الكثيرين من الصحفيين الآخرين. وعادة ما تكون القصص التى تحتويها مثيرة.... وكلما وصلتنى رسالة إلكترونية من المعهد، يتلقى العديد من زملائى فى الجارديان هم أيضًا رسالة وعادة ما يرسلون لى نسخًا مما يردهم من رسائل – وأحيانًا مع تذييل يقترح على إذا ما كنتُ أود أن أتحرى القصة وأكتب عنها.

(Whitaker 2002)

إن ميمرى [معهد بحوث إعلام الشرق الأوسط]، كما يكتشف ويتكر، قد أسسه كول إيجال كارمون، وهو ضابط سابق فى جهاز الاستخبارات الإسرائيلية[٢١]. والقصص التى ينتقيها للترجمة 'تتبع نمطًا مألوفًا: إما أنها تعكس بصورة سلبية شخصية العرب أو أنها تقدم بصورة ما الأجندة السياسية لإسرائيل' **(Whitaker 2002)**. ويصر هاريس **(Harris 2003)** كذلك على أن ''ميمرى [معهد بحوث إعلام الشرق الأوسط] ينخرط فى ممارسة نشر مقتطفات انتقائية ومنزوعة من سياقاتها من الصحافة العربية بصور يمكنها أن تقدِّم معارضى الاحتلال الإسرائيلى بوصفهم متطرفين دينيين أو معادين للسامية'[٢٢]. ويصف عمدة لندن، كين ليفنجستون، ميمرى بأنه منظمة 'مُموَّلة بصورة جيدة جدًا' 'تخصَّصت فى العثور على مقتطفات من وسائل إعلام عربية لتداولها فى الغرب. وتميل الترجمة والانتقاء للمقتطفات إلى تصوير الإسلام فى أضواء سلبية جدًا'

(Livingstone 2005: 4)

ويصف موقع ميمرى الخاص **(http1://memri.org)** المنظمة على النحو التالى – من اللافت أن استخدام استعارة الجسر استخدامًا صريحًا غالبًا ما يستدعى تصوير الترجمة بوصفها ممارسة تمكينية وأخلاقية بشكل متأصل **an inherently empowering and ethical practice**:

إن معهد بحوث إعلام الشرق الأوسط (ميمرى) يستكشف الشرق الأوسط من خلال وسائل إعلام الإقليم.إذ يُجسِّر ميمرى فجوة اللغة القائمة بين الغرب والشرق الأوسط، من خلال توفيره ترجمات متواقتة من وسائل الإعلام العربية، والفارسية، والعبرية، وكذلك التحليل المبتكر للاتجاهات السياسية، والأيديولوجية، والفكرية، والاجتماعية، والثقافية، والدينية فى الشرق الأوسط.

إن ميمرى، الذى تأسس فى فبراير ١٩٩٨ لينشر الجدال حول سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، هو منظمة ٥٠١ (**c organization**) مستقلة، غير متحيزة، غير هادفة للربح. ويقع مركز قيادة ميمرى فى واشنطن دى سى وله مكاتب فرعية فى برلين، ولندن، والقدس، التى يحتفظ ميمرى فيها أيضًا بمركزه الإعلامى. وتترجم أبحاث ميمرى إلى الإنجليزية، والألمانية، والعبرية، والإيطالية، والفرنسية، والإسبانية، والتركية، والروسية.

ولعله يمكننا أن نلاحظ عرضًا هنا أن من اللغات الثلاث المستهدفة من ميمرى، وهى (العربية، والفارسية، والعبرية)، العبرية فقط هى المُدرجة ضمن مجموعة لغات الوصول التى تتم الترجمة إليها. ومما تقرره الصحافة حول عمل المنظمة، ويقتبسه ميمرى بفخر على موقعه، ويؤكده كل من تحليل ويتكر، وهاريس، وليفنجستون عن نمط السردية التى تسعى ترجمات ميمرى إلى ترويجه عبر استملاكها الانتقائى الحذر:

'ميمرى، جماعة لاغنى عنها تترجم هذيانات **ravings** الصحافة السعودية والمصرية ...' **Weekly Standard, April 28, 2003**

'إننى معجب كل الإعجاب بما حققته ميمرى من عمل ...فى فضحها المُكرَّس لمعاداة العرب للسامية. ذلك أنه إلى أن أخذت ميمرى تبذل جهدها فى مراجعة وترجمة مقالات من الصحافة العربية، لم يكن هناك سوى وعى جماهيرى شاحب جدًا بهذا المشكل فى الولايات المتحدة. وبفضل ميمرى، تم كشف قناع هذه الظاهرة القبيحة وقد لفت الانتباه إليها كتاب أمريكيون عديدون.' **U.S. Rep. Tom Lantos, May 1**، ٢٠٠٢.

www.memri.org – إن ما يفعلونه بسيط جدًا، لا تعليق ولا شـــىء آخـــر. ما يفعلونه هو أنهم يترجمون فحسب ما يقوله السعوديون فى المساجد، وما يقولونه فى جرائدهم، وما يقولونه فى بيانات الحكومة، ومـــا يقولونـــه فـــى صـــحافتهم.'
October 1, 2002, BBC

ومن الجدير بالملاحظة أن ترجمات ميمرى قد شكلت المصدر الرئيس لـــ 'الأدلة' فى الملف المُسلَّم لشرطة العاصمة فى ٢٠٠٤ للمطالبـــة بطـــرد الـــدكتور يوسف القرضاوى من بريطانيا. وقد كان الدكتور القرضـــاوى رئـــيس الرابطـــة الإسلامية فى بريطانيا فى ذلك الوقت وكان يعد واحدًا من أكبر العلماء المـــسلمين سلطة فى العالم' (Livingstone 2005: 2). ويوضِّح بينيت وإدلمان Bennett and (Edelman 1985: 164)، فى سياق إقرارهما أن كل القصص هـــى عبـــارة عـــن تمثيلات انتقائية للواقع، أن القضية مع الانتقائية هى هل التمثيل a representation يقولب الواقعَ المنبثق فى قوالب لفظية من الصور النمطية، أم أنه يُقـــدِّم معلومـــات جديدة انطلاقًا من مآزق، وألغاز، وتناقضات غير مألوفة من النوع الـــذى يُحفِّـــز التفكير النقدى والوعى الذاتى بسلوك حل المشكلات'. كما أنهما يجـــادلان عـــلاوة على ذلك بأن 'معظم مخزون الصيغ السياسية يُنحِّى مادة التفكير والفعـــل النقـــدى ويستبدل بهما أفكارًا متحققة ذاتيًا ولوازم الفعـــل الاعتياديـــة habituated action 'imperatives. (١٩٨٥: ١٦٤).

ويوضِّح مؤسس ميمرى، فى تفنيده لهجوم ويتكـــر فـــى اليـــوم التـــالى، أن 'مراقبة وسائل الإعلام العربية بعيدة كل البعد عن أن يقوم بها شخص واحد. بـــل إن لدينا فريقًا من عشرين مترجمًا يقومون بذلك.' ويقرِّر هارل الاعتمـــاد الـــشديد على المترجمين فى برامج إسرائيلية مشابهة لـــ 'الدعاية والحرب النفسية وأحيانًـــا المعلومات المضللة' فى هارتز، وهى واحدة من أبرز الصحف الإسرائيلية مكانة:

> **فى أكتوبر ١٩٩٩، كشف علوف بين** Aluf Benn **فى هارتز أن أعضاء وحدة [الحرب النفسية] استخدموا وسائل الإعلام الإسرائيلية ليـــشدِّدوا على تقارير ضمنها الوحدة التى نجحت فى أن تضعها فـــى الـــصحافة**

العربية. وقد أعلن أن التقارير الإخبارية قد ركَّزت على التورط الإيرانى وتورط حزب الله فى النشاط الإرهابى.

لقد كان ضباط الحرب النفسية على صلة بالصحفيين الإسرائيليين الذين يغطون العالم العربى، يعطونهم مقالات مترجمة من الصحف العربية (التى كانت مخترقة من جيش الدفاع الإسرائيلى) ويحثون الصحفيين الإسرائيليين أن ينشروا الأخبار ذاتها هنا.

وقد كان المقصود من ذلك تعميق الإدراك بالتهديد الإيرانى فى الرأى العام الإسرائيلى.

(Harel 2005)

إن انتقاء، وفى بعض الحالات 'اختراع'، نصوص تساعِد فى تشكيل سردية مُحدَّدة لثقافة 'عدو'، هو إذاً ممارسة موثَّقة جيدًا تعتمد فى الغالب اعتمادًا شديدًا على خدمات المترجمين والمترجمين الشفاهيين. إن هذه السرديات التى يساعد المترجمون والمترجمون الشفاهيون فى نسجها معًا، بالاعتماد أساسًا على سمة الاستملاك الانتقائى، بعيدة عن أن تكون بريئة. إلا أن الاستملاك الانتقائى المتعمد هو بالطبع سمة يمكن لكل طرف من الطرفين أن يستغلها بدرجة أكثر أو أقل فعالية، بالاعتماد إلى حد بعيد على الموارد التى يجعلونها متاحة تحت تصرفهم. وفى مقاله فى الجارديان، يقترح بريان ويتكر أنه ينبغى على العرب أن يستخدموا الترجمة ليدافعوا عن أنفسهم ضد شيطنة برامج من هذا النمط:

بقدر مَا يتعلق الأمر بالعلاقات بين الغرب والعالم العربى، فإن اللغة تشكل عائقًا يديم الجهل ويمكن أن يُعزِّز إساءة الفهم بسهولة.... وليس من الصعب أن نرى ما يمكن للعرب أن يفعلوه ليواجهوا ذلك. ويمكن لمجموعة من شركات الإعلام العربية أن تتفق معًا وتنشر ترجمات لمقالات تعكس بشكل أكثر دقة محتوى صحفها.

(Whitaker 2002)

وبعد هذا بحوالى عام أو قريب من ذلك، تأسست منظمة تُدعى عرب ضد التمييز **Arabs Against Discrimination**، وقد أتت تقريبًا كاستجابة مباشرة

لاقتراح ويتكر (www.aad-online.org). وتعتمد هذه المنظمة أيضًا اعتمادًا شديدًا جدًا على الترجمة لترويج سردية مضادة لما يعتقدون أن العرب يدافعون عنه وكذلك تعرض أنماطًا من العرقية والتمييز فى المجتمع الإسرائيلى. كيف نقرِّر أى نمط من الاستملاك الانتقائى يكون مشروعًا يعتمد على موقع سرديتنا، بما فى ذلك إحساسنا بالتحبيك السببى فى سردية الشرق الأوسط فى هذه الحالة. إن الفصل السابع سيشتبك بشكل أكثر مباشرة مع قضية كيف نقيِّم السرديات الفردية والمتنافسة لنحدِّد إذا ما كانت جديرة بتأييدنا.

وهناك عامل أخير ومرتبط بهذا يُوجِّه عمليات استملاكنا الانتقائى يتمثل فى 'قيمـ'نا الخاصة – القيم التى نشترك فيها كأفراد أو مؤسسات – وحكمنا فيما يتعلق بإذا ما كانت العناصر المنتقاة تُشكِّل سردية معينة تُدعِّم أو تقوِّض تلك القيم. إن مفهوم 'القيم' ذاته يفترض أنه أيًا كان ما يتم تبنيه كما هو من قبل فرد أو جماعة يُنظر إليه فى ضوء إيجابى، حتى إن كان من وجهة نظر سرديتنا فإننا قد نعده خطأ أو حتى جديرًا بالاستهجان. ويستشهد باكان (Bakan 2004) بالعديد من مدراء الشركات التنفيذيين الذين يجادلون بحرارة ضد الأعمال الاستثمارية الضخمة متبنين أسبابًا وجيهة خاصة بهم. إن ميلتون فريدمان، الحائز على جائزة نوبل والاقتصادى البارز، 'يعتقد أن الأخلاقية الجديدة فى مجال الأعمال الاستثمارية هى فى الواقع لاأخلاقية immoral'

(التشديد من عندى Bakan 2004: 33؛)، بل إن حتى هانك ماكنيل Hank McKinell، الرئيس التنفيذى لشركة فايزر الذى يعتقد أن شركته مُكرَّسة لفعل أفضل ما يمكنها للمجتمع، 'يُقر أن المصلحة الذاتية لأى شركة تمثِّل، ويجب أن تمثِّل، الدافعية الأساسية وراء إنجازات شركته' (Bakan 2004: 47). إن الفوائد الخاصة بالمساهمين إذًا هى ما يُوجِّه قائمة القيم الخاصة بالأعمال الاستثمارية للشركات، بغض النظر عن الأفراد الذين يديرونها. وهذا يعنى أن فى كل الممارسات والسرديات التى تُشكِّلها الشركات، 'يتم التشديد على قيم معينة فى الوقت الذى يتم فيه التهوين من شأن قيم أخرى'، طبقًا لمبدأ الفائدة الطاغى (دانى

شيشتير Danny Schechter، صحفى متخصص فى عمـــل الـــشركات حـــائزعلى جائزة فى الصحافة) (in Bakan 2004: 51). ولا شـــك أن 'وقـــائع'، وأحـــداثًا'، و'حُججًا' معينة يتم التشديد عليها أو التهوين من شأنها طبقًا للمبدأ ذاتـــه. إذ تـــنم العملية ذاتها بشكل مثير للجدل عن الكيفية التى ننتقى بها العناصر لننسج أى نمـــط من أنماط السردية – الأنطولوجية، أو الجماهيرية، أو التصورية.

إن الزمنية، والعلائقية، والتحبيك السببى والاستملاك الانتقائى تمثِّل السمات المحورية للسردية. إذ تستمد السمات الأربع بشكل أســـاس مـــن عمـــل ســـومرز (Somers 1992, 1994, 1997) وسومرز وجيبسون (Somers and Gibson 1994). وسيغطى الفصل القادم سمات أخرى إضافية نوقشت، وإن كان بشكل موجز، لـــدى برونر (Bruner 1991.)

مراجع أساسية:

Bruner, Jerome (1991) 'The Narrative Construction of Reality', Critical Inquiry 18(1): 1–21.

Somers, Margaret (1992) 'Narrativity, Narrative Identity, and Social Action: Rethinking

English Working-Class Formation', Social Science History 16(4): 591–630.

Somers, Margaret (1994) 'The Narrative Construction of Identity: A Relational and

Network Approach', Theory and Society 23(5): 605–49.

Somers, Margaret (1997) 'Deconstructing and Reconstructing Class Formation Theory:

Narrativity, Relational Analysis, and Social Theory', in John R. Hall (ed.) Reworking

Class, Ithaca and London: Cornell University Press, 73–105.

Somers, Margaret R. and Gloria D. Gibson (1994) 'Reclaiming the Epistemological "Other":

Narrative and the Social Constitution of Identity', in Craig Calhoun (ed.) Social Theory and

the Politics of Identity, Cambridge MA and Oxford: Blackwell, 37–99.

قراءات إضافية:

Damrosch, David (2005' Death in Translation ،'in Sandra Bermann and Michael Wood (eds)

Nation, Language, and the Ethics of Translation, Princeton NJ and Oxford: Princeton

University Press, 380–98.

Harvey, Keith (2003a) Intercultural Movements: 'American Gay' in French Translation, Manchester:
St Jerome Publishing.
Jacquemet, Marco (2005) 'The Registration Interview: Restricting Refugees' Narrative
Performance', in Mike Baynham and Anna De Fina (eds) Dislocations/Relocations: Narratives
of Displacement, Manchester: St Jerome Publishing, 197–220.
Jacquemond, Richard (1992) 'Translation and Cultural Hegemony: The Case of French-
Arabic Translation', in Lawrence Venuti (ed.) Rethinking Translation, London and New
York: Routledge, 139–58.
Kahf, Mohja (2000) 'Packaging "Huda": Sha'rawi's Memoirs in the United States Reception
Environment', in Amal Amireh and Lisa Suhair Majaj (eds) Going Global: The Transnational Reception of Third World Women Writers, New York and London: Garland
Publishing, 148–72.
McMurran, Mary Helen (2000) 'Taking Liberties: Translation and the Development of the
Eighteenth-Century Novel', The Translator 6(1): 87–108.
Pratt, Mary Louise (1994) 'Travel Narrative and Imperialist Vision', in James Phelan and
Peter J. Rabinowitz (eds) Understanding Narrative, Columbus: Ohio State University Press,
199–221.
Rafael, Vicente L. (1993 [1988]) Contracting Colonialism: Translation and Christian Conversion
in Tagalog Society Under Early Spanish Rule, Durham NC and London: Duke University Press.

الفصل الخامس

فهم كيف تعمل السرديات

سمات السردية ٢

إضافة إلى السمات الأربعة المناقشة فى الفصل السابق، فإن بعض السمات الواردة لدى برونر (Brunner 1991) جديرة باختبارها ببعض التفصيل. وتتضمن هذه السمات: الخصوصية **particularity**، والنوعية **genericness**، والمعيارية **normativeness** (بما فى ذلك القياسية والخرق **breach canonicity and**)، والتراكم السردى **narrative accrual**.

٥-١ الخصوصية

إن نقاش برونر لهذه السمة من سمات السردية موجز إلى أقصى حد، إذ لا يمتد لما يجاوز مجرد فقرة وحيدة؛ كما أنه يدمجها أيضًا مع النوعية **genericness**، وهى سمة أخرى يناقشها بشكل منفصل (انظر ٥-٢). وفيما يتلو سألقى نظرة أكثر تدقيقًا على تضمينات الخصوصية وسأحاول أن أفض اشتباكها مع النوعية، وإن كان برونر نفسه يستخدم مصطلح 'النوع' **'genre'** دونما تمييز تحت كلا العنوانين ودون تحديد له. وفى سياق البدء بقضايا التعريف، فإن برونر **(Brunner 1991: 6-7)** يعنى بالخصوصية أن السرديات تشير إلى أحداث مُحدَّدة وأشخاص مُحدَّدين لكنها مع ذلك تفعل هذا ضمن إطار عمل أعم من 'أنماط القصة' يمنح الحوادث معاناها وفحواها. و'بفضل الانغراس فى النوع'، على نحو ما يشرح برونر 'يمكن أن يتم ''ملء'' الجزيئات السردية حين تكون مفقودة من الحكاية' (١٩٩١: ٧). ويبدو أن

برونر يعنى بـ 'النوع'، فى هذا المثال المحدَّد خطوط القصة النوعية generic story outline (الحبكة plot، أو القصة story أو الحكاية histoire بمصطلحات علم السرد) وليس النوع بمعنى نمط النص مثل 'الرواية'، و'المقال الافتتاحى' 'editorial'، و'الموال القصصى' 'ballad' وما إلى ذلك. إن خطوط القصة النوعية بهذا المعنى هى عبارة عن 'حبكات كبرى' 'master plots'، كما تُفهم من قبل نحاة السرد narrative grammarians وإلى حد ما من قبل دارسى الفولكلور – قصص هيكلية تربط سلسلة من العناصرالخام بطرائق مختلفة. وبشكل عام، فإن السردية الفردية المستمدة من خط قصصى معين يمكن أن تتنوع فى التفاصيل (الأسماء، الأزمنة والأمكنة، فروق الشخصيات) إلا أنها فى النهاية مجرد تنويعة على ذلك الخيط القصصى الهيكلى[1]. وفى دراسات الفلكلور، تُفهرس الموتيفات [أى الوحدات التحفيزية المتكررة، المترجم] فهرسة دقيقة بما يتيح تتبع تطورها وتحققاتها المختلفة عبر الثقافات واللغات. إن أ المُشفِّرة لـ 'ب' على سبيل المثال، ستدل على حضور موتيف 'الحيوانات' فى الحبكة، وستدل 'ق' على 'الثواب والعقاب'، وستدل 'س' على 'الفكاهة'. كما يمكن أن تُشتق تركيبات أخرى من هذه الرموز؛ على سبيل المثال تدل 'ل' على موتيف الحبكة المعكوسة the plot motif of 'reversal'، و'ل١٦٢' هو رقم الموتيف الخاص بعنصر الحبكة 'البطلة المتواضعة الأصول تتزوج الأمير'. بينما فى نظام فهرسة آخر للحكايات الكاملة المعروف بعنوان تصنيف آرن – طومسون Arne-Thompson Typology، إذ يشار إلى حكاية كاملة بوصفها نمطًا type a فى حين يشير مصطلح الموتيف إلى حدث مفرد أو إجراء سردى narrative procedure. وبإفادتهم من أحد نظامى التصنيف أو من كليهما، يجد دارسو الفولكلور أنفسهم قادرين على أن يعقدوا صلة صريحة بين النسخة المحلية لقصة معينة و'النموذج القياسى' 'the canon' الذى تنتمى إليه:

> **إن النسخة الفلسطينية من قصة سندريلا... لا تُدعى سندريلا، إلا أنها مع ذلك تنتمى إلى نمط آرن طومسون ٥١٠، الذى هو الرقم المحدد لسلسلة**

قصص سندريلا. وهذه الواقعة البسيطة تمثل جانبًا من أهم جوانب قابلية الحكايـــة للترجمـــة، لأن المـــرء لا يتـــرجم فقـــط مـــا هـــو جزئـــى a particular وإنما أيضًا ما هو كلـــى a universal. إن الواقعـــة الكليـــة، واقعة أن ثمة نموذجًا قياسيًا بحبكات متمفصلة تعـــرض انتظامًـــا كافيًـــا لإجراء تصنيف مُرقَّم، تضع النموذج القياسى فـــى القلـــب مـــن عمليـــة الترجمة. إذ لو لم يوجد النموذج القياسى، لأعيقت إمكانية ترجمة الحكاية.

(Muhawi 1999a)

وبعيدًا عن الحكايات الشعبية، فإن كل سردياتنا تُشتق من مجموعـــات مـــن الخطوط القصصية الهيكلية مع موتيفات متكررة، ويمكـــن لهـــذه المجموعـــات أن تختلف فى مجملها أو فى تفاصيلها المُحدَّدة عبر الثقافات. وفى الترجمة، غالبًا مـــا يتم تكييف النصوص المنطلق منها **source texts** وحتى أنواع كاملة بحيث تستدعى خطوطًا قصصية شائعة جماهيريًا، كما هو فى حالة ترجمـــات كرويـــوا رويكـــو **Kuroiwa Ruiko** للروايات البوليسية الغربية إلى اليابانية فى القرن التاسع عـــشر. ويوضح سيلفر (**Silver 2004**) كيف كيَّف رويكو حبكاته ليجعلها أقرب إلى الخـــط القصصى المعروف بـــ 'قصة المرأة الـــسامة' **dokufu-mono the**، وهـــى مـــن نوعية كتابات التسلية **writing gesaku** التى كانت شائعة جدًا خلال حقبة ميجـــى [حقبة ميجى (من ١٨٦٨ إلى ١٩١٢) هى حقبة الحكومة المستنيرة التـــى قـــضت على النظام الإقطاعى وبدأت عمليات التحديث فى اليابان من خلال استعارة النماذج الغربية، وقد كان هذا الاسم أيضًا هو اللقب الرســـمى للإمبراطـــور موتـــسوهيتو، والمعروف بميجى تينو، المترجم]. وأحد الموتيفات الرئيـــسية فـــى هـــذا الخـــط القصصى هو 'المكافأة على الفضيلة والمعاقبة على الرذيلة' (**Silver 2004: 192**). وتحكى رواية قـــضية ليـــروج **L'Affaire Lerouge** (١٨٦٦) لأميـــل جابوريـــا **Emile Gaboriau** قصة محامٍ اسمه نويل، وهو ابن غير شرعى لنبيل ثرى يزعم أنه وريثه الشرعى ويحاول أن يحرم أخاه غير الشقيق من وراثته. ويقتـــل نويـــل ممرضة تعرف أنه ابن غير شرعى، ويُكتشف هذا. وفى الصفحات الأخيـــرة مـــن الرواية، التى يعيد رويكو كتابتها بما يتوافق مع تقاليـــد روايـــة التـــسلية، تتـــصب

الشرطة فخًا لنويل فى شقة عشيقته جولييت. إن النص المنطلق منه، فـــى ترجمـــة إنجليزية لقضية ليروج، يعرض الحوار التالى بين العاشقين:

تصرخ [جولييت] بعنف 'لا بد من أن يكون هناك مهرب!'.

'نعم،' يجيب نويل، 'طريقة واحدة. ...إنهم سيثقبون القفل. ويرفعـــون المزاليج عن كل الأبواب ويكسرونها بها؛ وهو ما سيمنحنى الوقت.'

جولييت ... تندفع إلى الأمام لفعل هذا. يخرج نويل المستند إلى حافـــة المدفأة مسدسه الساقية، ويوجهه إلى صدره.

لكن جولييت ... تدرك الحركة، فترمى نفسها بتهـــور علـــى عـــشيقها لتمنعه من إصابة هدفه، إلا أن حركتها كانت عنيفة جـــدًا ممـــا جعـــل المسدس ينطلق. لقد نفذت الطلقة، واخترقت الرصاصة معـــدة نويـــل. فأطلق صرخة رهيبة.

لقد جعلت جولييت موته عقابًا رهيبًا؛ فلم تفعل شيئًا ســـوى أن أطالـــت سكرات موته.

لقد ترنح لكنه لم يسقط، وأسند نفسه على حافة المـــدفأة، بينمـــا كـــان يتدفق الدم بغزارة.

'لن تقتل نفسك' صرخت، 'لن تقتل. إنك ملكى؛ أحبك'.

(Silver 2004: 194: 194-5)

إن رويكو، الذى يعيد تسمية البطلين بـــ مينورو **Minoru** وراى **Rie**، يعيد تشكيل هذه النهاية بشكل كامل على النحو التالى:

'اهرب معى إلى أمريكا!' [قالت مينورو.]

إن المرأة الشابة، المقهورة تمامًا، لم يكن بوسعها أن تستجمع دمعـــة واحدة. لقد كانت صامتة لبرهة، ورأسها متدلية، لكن يبدو أنها كانـــت تحزم أمرها.

'لقد أسأتُ الحكم عليك بشكل سيء. إذ لا يجب على المرء أن يتحـــدث عن الفرار فى وقت مثل هذا، حين يكون كل شيء فى حالـــة فوضـــى.

من فضلك مارس حياتك بنعومة هنا والآن، ولتقل إنك ملكى. وإذا قتلت نفسك بنعومة، فإن حبى لن يتغير قط. سأموت معًا معــك. وإذا بقيــت تقول بعد سماعى أقول هذا إنك غير متأكد، وإنــك تريــد أن تهــرب، سأطلق عليك الرصاص فورًا. ... لا بأس - أيهما سيحدث؟ هل ستموت معًا معى؟ أم أنك ستُقتل بيدى؟ وبناء على جوابك سأصبح إما زوجتــك إلى الأبد أو عدوتك.'

'سامحنى، راى. إننى ملكك إلى الأبد.'

'معًا إذًا؟'

'انتحار ناعم.'

'لا يمكننى أن أكون أسعد مما أنا فيه.'

(Silver 2004: 195)

وهكذا تنتهى القصة بأسلوب انتحار العاشقين اليابانى. ويقدِّم سـيلفر أمثلــة أخرى على الكيفية التى كيَّف بها رويكو الروايات البوليسية الغربيــة لتقاليــد أدب التسلية gesaku ويفترض أن 'شعبية ترجمات رويكو للروايات البوليسية يمكــن أن تكون قد اعتمدت جزئيًا على تناغمها العرضى على نطاق واسع مع الشكل المحلى الموجود سلفًا' (٢٠٠٤: ١٩٢) .

إن سردياتنا غير الخيالية عن العالم، بقدر ما يمكنها أن تكون منفصلة عــن السرديات المتشكلة فى الحكايات الشعبية أو الأنواع الخيالية بعامة، تكــون مبنيــة أيضًا على خطوط قصصية هيكلية. وأحد تلك الخطوط القصصية ذلك الخط الــذى يناقشه بنيت وإدلمان فى سياق الولايات المتحدة، وهو:

ملحمة الحكومة ووكلائها المواجهين 'وقائع الحياة' المستعصية مثــل خداع الشيوعيين، أو لا أخلاقية المجرمين، أو كراهية العمل الــصادق الذى يضخِّم صفوف المتلقين للرعاية الاجتماعيــة وكتــل العــاطلين. ...وعلى الرغم من أن التقدم الممكن قياسه هزيــل فــى ظــل أعــداء المجتمع الراسخين، فإن معظم الفصول الواقعة فى ملحمــة 'المجتمــع

المعبأ للقتال' المتواصلة تُختتم بمقترحات آملة فى الدفاع عن الحياة الرغدة فى مواجهة هجوم آخر من قبل خصومه الألداء.

(١٩٨٥: ١٥٦)

ويفترض برونر أن الخطوط القصصية الهيكلية تمكننا من أن نفهم السرديات الفردية وأن نملأ التفاصيل المفقودة. وعلى سبيل المثال، فإن سردية الفتى المتودد لفتاة تقدِّم فى معظم الثقافات حبكة كبرى **a master plot** لقصص فردية عديدة وتطلق معادلات أو افتراضات معينة ترتبط بالمواعدة (السرية)، ومنح الهدايا، وممانعة الفتاة فى البداية لمفاتحاته، وما شابه. بل إنه حتى حين تُترك هذه التعينات للسردية، فإنها يمكن أن تكون ناشطة فى شكل فرضيات مسلم بها، لأنها تشكِّل جزءًا من إطار العمل الافتراضى الذى تكون السردية راسخة فيه. حين شبَّه عام ١٩٣٣ قاضى المحكمة العليا فى الولايات المتحدة لويس برانديز النقابات بأنها وحوش فرانكنشتاين، لم يكن يستخدم فحسب حيلة بلاغية ليأسر انتباه جمهوره. ذلك أنه بمجرد ما أن أبرز هذا التماثل مع تنويعة محدَّدة لهذا الخط القصصى الخاص بخروج الوحش عن السيطرة، حتى أصبح من الممكن بسهولة لجمهوره أن يستدل على أن 'الحكومات تخلق النقابات، مثلما خلق إلى حد كبير فرانكشتاين وحشه، بحيث إنها، النقابات مثل الوحش، ما أن توجد حتى تهدِّد بامتلاك سلطة خالقيها' (**Bakan 2004: 1**[٤٩]).

إن الموتيفات والخطوط القصصية الهيكلية التى يتحقق داخلها تعين السردية تشكِّل تأويلنا للأحداث والخطابات بطرق أخرى. على سبيل المثال، فإن آبوت (**Abbott 2002: 44**) يجادل بأن الحبكة الكبرى **masterplot** الخاصة بمحاكمة رجل أسود ظلمًا لمجاوزته لمكانه قد خدمت أو. جى. سيمبسون جيدًا وهو يُحاكم على قتله لزوجته الأمريكية البيضاء وحكم عليه فى عام ١٩٩٥ بأنه غير مذنب. ومن منظور مختلف تمامًا، تبرهن برات (**Pratt 1994**) فى دراستها الرائدة لسرديات الرحلات فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والرؤى الإمبريالية التى

كانت تساندها كيف أن قصص الرحلات هذه كانت تفيد من موتيف التنقيب الكلاسيكى، أو بمصطلحاتنا من الخيط القصصى الهيكلى للتنقيب. إن هذا الخط القصصى يصوِّر البطل وهو ينطلق فى بيئة وعرة وخطرة لكى يستعيد لمجتمعه تلك الكنوز التى كانت تنتمى إليه بحق. وتجادل برات بأن الحبكة 'تتفق تمامًا مع التصميم الإمبريالى الأوربى' لأنها كانت 'مترسبة سلفًا بشكل ثابت فى وعى كل أوربى سبق له أن سمع حكاية خرافية' (١٩٩٤: ٢٠١) ولذا كانت مصدرًا قويًا لتشريع الاستكشاف. ومن المثير أن برات تجادل بأن الحكايات الأسبق كانت شخصية جدًا فى نبرتها وتدور حول طموحات ومثابرة المستكشفين الأفراد الراوين للقصة كما خبروها أو كما رغبوا فى أن يخبروا رفاقهم الأوربيين بها. بعبارة أخرى، لقد كانت سمات تلك السرديات الأسبق راسخة فى خط قصصى هيكلى مختلف. وتشرح برات الحركة داخل مستويات أعلى من التجريد كما هى مدركة فى موتيف التنقيب فى سرديات الاستكشاف اللاحقة على النحو التالى:

> **إن المرء يتشكك فى أن تصور مهمة حضارية خيرة يظهر فيما بعد، حين تكون هناك مهمة إمبريالية كاملة تتطلب الخداع. ولذا فلم يكن إلا مع الإسبان فى أمريكا قبل ثلاثمائة عام، وكذلك اليوم، فى تصريحات البيت الأبيض حيث تحل 'الديموقراطية' و'الحرية' محل 'الرفاهية' و'الخلاص' كلما تمت مساواة الخيرات بالتدخل الإمبريالى.**

(١٩٩٤: ٢٠٥)

وتأتى الخطوط القصصية مزودة بأنماط شخصية تمثل 'دافعيتها وشخصيتها مكونًا متكاملاً وغالبًا ثابتًا من مكونات الحبكة الكبرى' (**Abbott 2002: 148**). وفى المجال القانونى، على سبيل المثال، تُسقط المحكمة خصائص معينة على أنماط مختلفة من المُدَّعى عليهم والشهود؛ بما يمكن معه للحبكات الكبرى إذًا أن 'تمتص تعقيد الطبيعة الإنسانية للمدعى عليهم داخل بساطة النمط' (٢٠٠٢: ١٤٨). وعلاوة على ذلك، فإن أنماط الشخصية **character types** ليست مقصورة على

الشخصيات الفردية؛ بل إنها يمكن أيضًا أن تعكس خصائص جماعة كاملة. وغالبًا ما تصورِّ السرديات الاستعمارية المُستعمَرين إما بوصفهم متخلفين وفي احتياج للحماية والتوجيه من مجتمع أكثر تطورًا، أو بوصفهم متعطشين للدماء وخطرين، أو الاثنين معًا. وقد صوَّرت السردية الأنثروبولجية التقليدية الأنثروبولوجي بوصفه ممثلاً مُتنقلاً لمجتمع متقدم والمجتمع موضوع الدراسة بوصفه مستقرًا، سرمديًا، بدائيًا حتى إذا كان يمكن أن يكون لهذا المجتمع تاريخ طويل جدًا من الإزاحة والهجرة (**Baynham and De Fina 2005: 88**). وقد صوَّر إضفاء الأخلاقية على الخطوط القصصية للطبقات الوسطى فى أوربا القرنين السادس عشر والسابع عشر النساء بوصفهن 'أكثر أخلاقية بالفطرة من الرجال ... كائنات مستقيمات، محتشمات، ملائكيات ... يتوجب أن يكون تأثيرهن على الرجال المتوحشين هو أن يُمدِّنَّهم ويُعلِّمنهم بسبل عيسى المسيح الأنعم، والألطف، والأرق (**Robinson 1995: 155-6**). وفى القرن التاسع عشر، مثّلت سرديات الشرق الاستشراقية أناسه بوصفهم متهتكين **licentious** وغير أخلاقيين؛ بينما تمثِّل سرديات الإقليم الغربية، اليوم، البشر ذاتهم،خصوصًا النساء الشرقيات، بأنهم مكبوتون جنسيًا وفى حاجة للتحرر. إن كل أنماط الشخصية هذه تبرزُ بشكل لافت فى مخزون القصص التى تعزز سرديات ذلك الزمن.

٥-١-١ أصداء الخطوط القصصية المتكررة

يمكن أن يكون للخطوط القصصية المتكررة صدى بالنسبة لجماعات أو ثقافات معينة، فى ظل النتيجة الخاصة بأن أعضاء هذه الجماعات يميلون إلى أن يجدوا سرديات فردية تعكس صدى هذه الخطوط القصصية المُصدَّقة بدرجة عالية. ويجادل ماكآدامز (**McAdams 2004**) فى مقال بعنوان 'الانعتاق والسياسة الأمريكية **Redemption and American Politics**' بأن الجمهوريين فازوا فى انتخابات الولايات المتحدة فى ٢٠٠٤ لأنهم كانوا حكَّائين أفضل **better storytellers** من الديموقراطيين(٢)، وخصوصًا لأنهم يستخدمون سردية شعبية عن الانعتاق ليؤطِّروا حملتهم الانتخابية:

لقد درَّب الحزب الجمهورى المُرشَّحين وشحذ رسائلهم بحيث تتردد أصداؤها عميقًا مع قصة الحياة التى تعد عزيزة على قلوب الأمريكيين. إنها سردية الانعتاق – وهى عبارة عن قصة تدور حول بطل برىء فى عالم خطر يلتزم بمبادئ بسيطة ويقهر المعاناة والمصاعب فى النهاية. وهذه قصة يحب الكثيرون من الأمريكيين الراشدين المنتجين والمكترثين – الديموقراطيين، والجمهوريين، والمستقلين – أن يقصوها عن حيواتهم الخاصة. ومع ذلك، فقد وجد الجمهوريون السبل للحديث عن الحياة العامة والقضايا السياسية التى تعزِّز هذه القصة.

(McAdams 2004: B14)

وكباحث نفسى متخصص، فإن ماكآدمز كان يدرس هو وطلابه القصص التى يحكيها الناس عن أنفسهم – سردياتهم الأنطولوجية – وقد وجدوا أن الأمريكيين الراشدين، سواء كانوا ليبراليين أو محافظين، 'يميلون إلى وصف حيواتهم بوصفها تنويعات على سكريبت عام' يشير إليه ماكادمز بـ 'الذات المنعتقة **the redemptive self**':

تمتلك قصة الذات المنعتقة فى الحياة الأمريكية تيمتين رئيستين. تتمثل التيمة الأولى فى اعتقاد أننى كنتُ، كطفل صغير، محظوظًا، أو مباركًا، أو مفضلاً بصورة ما، حتى والآخرون من حولى يعيشون المعاناة والألم. إننى البطل البرئ، المختار لمصير خاص، جلى. وبينما أرتحل متقدمًا فى عالم خطر، أتوقف إزاء حقائق بسيطة؛ وقيم الخير واللياقة الأساسية.

...

أما التيمة الرئيسية الثانية فى قصة الذات المنعتقة فهى قهر المصاعب والمحن. وبشكل خاص غالبًا ما يحكى الأمريكيون الراشدون المكترثون والمنتجون قصصًا عن حيواتهم تقودهم فيها الأحداث السلبية عاطفيًا مباشرة إلى المكافأة. وتتخذ هذه القصص أشكالاً عديدة مختلفة. إذ يكون بعضها قصص تكفير تصف تحولاً دينيًا من الخطيئة إلى

الخلاص؛ وبعضها قصص حراك اجتماعى صاعد تصوّر التحول الاقتصادى الاجتماعى من الأسمال البالية إلى التبجيل والثروات. بينما تحكى قصص التعافى كيف استعاد أشخاص مرضى أو مدمنون صحتهم أو رزانتهم. كما ترسم قصص التحرر التحول من شعور المرء بكونه مستعبدًا إلى الشعور بكونه حرًا. ومن فراتكلين إلى أوبرا، من هوارشيوا آلجير Horatio Alger إلى برامج الاثنتى عشرة خطوة، والفلكلور والثقافة الأمريكيان يوفران كنوزًا دفينة لسرديات الانعتاق التى نستعير جميعًا منها (بشكل لاواعٍ) فى صياغة قصص حيواتنا.

(McAdams 2004: B14)

إن نجاح الجمهوريين فى استغلال هذا الخط القصصى الفعال فى جذب الناخبين الأمريكيين فى ٢٠٠٤ يصبح أكثر قابلية للفهم حين يتم إبراز الصلة بين السردية الأنطولوجية والسردية السياسية:

لقد لعبت هجمات الحادى عشر من سبتمبر و'الحرب على الإرهاب' دورهما على أتم وجه فى قصة الذات المنعتقة. فالإرهاب والحرب يظهران لنا أن العالم مكان خطر، ولم ينعتق unredeemed. وفى أوقات الأزمة، يجب على الشخصيات الأمريكية الخيرة أن تستدعى أعمق مخزون من الإيمان والأمل الراسخين.

إن العالم الخطر هو نوع العالم الذى يبدو بشكل لاواعٍ أن بطل الذات المنعتقة الخير والقوى يتوقعه. وفى ظل ظروف المحنة، سيقاتل القتال الخير the good fight. وسيحافظ على إيمانه. وفى النهاية، فإن معاناته تفسح السبيل إلى الانعتاق. وعلى مدار الطريق، فإنه يمكن حتى أن يعتق آخرين.

(McAdams 2004: B14)

وتُوضِّح سومرز وجيبسون (Somers and Gibson 1994: 73-4) أن 'مدى وطبيعة أى مجموعة معينة من السرديات المتاحة للاستملاك يكونان دومًا مُحدَّدين تاريخيًا وثقافيًا'، وهو ما يعنى أن سردية الانعتاق لن يكون لها بالضرورة صدى

كبير خارج نطاق السياق الأمريكى، ولا بالطبع بالنسبة لكل الدوائر الانتخابية داخل ذلك السياق.

٥-١-٢ تقويض الخطوط القصصية المألوفة

يمكن أن تتم السخرية بشكل متعمد من الخطوط القصصية المألوفة لتوصيل رسائل اجتماعية وسياسية. إن فيلمى شريك **Shrek** وشريك٢ **Shrek2** الناجحين نجاحًا ساحقًا يتخذان خيطًا قصصيًا لحكاية خرافية نمطية ويقوّضانها من أجل توصيل مغزى جيد جدًا. إذ على حد ما يصوغ أول الفيلمين المغزى، 'الأمير ليس فاتنًا. والأميرة ليست نائمة. والصديق لا يساعد. والغول **the ogre** هو البطل. ولن تعود الحكايات الخرافية هى ذاتها مرة ثانية'(٣). وينتهى شريك ٢ بفيونا، الأميرة التى تحولت إلى كائنة قبيحة حين قبّلها غول وليس أمير، إلا أنها ترفض أن تتجرع الجرعة السحرية التى تعيدها إلى جمالها السابق وتختار بدلاً من ذلك أن تبقى كما هى مع الغول الذى تحبه. إن مغزى السردية جلى: الحياة لا تنصب على الجمال الخارجى والممتلكات المادية. إن هذا التبنى لسردية الحكاية الخرافية التقليدية ينصحنا ألا نحكم على الآخرين بمظهرهم. إذ تتحدى، بشكل خاص، الشخصية الرئيسية شريك على نحو مباشر صورنا النمطية:

> **إنه، للوهلة الأولى، كائن قبيح. إنه شريك، غول أخضر ذو أذنين عريضتين وطبع شرس لا يتردد قط فى أن يتخلص من غازات جسده التى لا حاجة له بها. ... إلا أننا ندرك على الفور أنه حبُّوب، سهل القياد pushover، عطوف softie يسلك فحسب بشكل وضيع ومشاكس ornery؛ لأن كل شخص يعتقد، تمامًا، أنه وضيع ومشاكس.**

(Howe 2001)

وهاهو مثال على توظيف أكثر تضاربًا لخط قصصى شهير وشديد الارتباط بالموضوع؛ ويعتمد هذا المثال المُحدَّد على ممارسة مُحدَّدة للترجمة، من خلال الكتابة المصاحبة على الشاشة لكلام المتحدث، لتحقيق الأثر. إنه شريط فيديو

بعنوان أخبار من العراق **News from Iraq** تم تداوله على شبكة الانترنت في أكتوبر عام ٢٠٠٤ وأصبح متاحًا للتحميل منذ ذلك الحين من موقع اسمه **Visit4info**(٤). وهو يُظهر مراسلة صحفية تقابل ما يبدو أنهم مقاتلون عراقيون في تكريت، معقل صدام حسين الأول. إن مقدمة المراسلة الصحفية تمثِّل نموذجًا لتضليل وسائل الإعلام **media hype** الذى اعتدنا أن نتوقعه:

> **لقد أصبحت مدينة تكريت الواقعة هنا فى شمال العراق، والتى كانت فيما مضى معقل القوات الموالية للديكتاتور المأسور صدام حسين، واقعة الآن بشكل صارم تحت سيطرة القوات الأمريكية. أم أنها؟ إن هؤلاء الأعضاء فى حركة المقاومة العراقية الذين مازالوا موالين لصدام حسين يظنون خلاف ذلك.**

يمكن رؤية أول ملمح للتضارب فى اختيار حركة المقاومة العراقية. ذلك أن هذا غير مُمثّل إلى حد بعيد لتغطية وسائل الإعلام الرسمية فى العالم الناطق بالإنجليزية، حيث يغلب أن يكون اللفظ المُستخدم هو المتمردون **insurgents**، أو فى صورته الأقل ذاتية المقاتلون. كما أن الاختيار أيضًا يسقط كل اللاعبين السياسيين فى ذلك الإقليم فى فئة واحد (مقاتلى المقاومة الموالين لصدام حسين)، ومن ثم فإنه يحاكى محاكاة ساخرة الخط القصصى الاختزالى بدرجة عالية للمحافظين الجدد الذين يُصوِّرون الصراع فى العراق بوصفه صراع الشر (صدام ورفاقه) فى مقابل الخير (أمريكا وحلفائها). إن هذا الكاريكاتير للجماعات العراقية المختلفة المقاتلة للاحتلال يتم التشديد عليه من خلال إبراز وجوه كل العراقيين الظاهرين فى الشريط مُغطَّاة؛ إذ يبدو 'غياب وجوههم' هذا متوافقًا مع تصويرهم بوصفهم جماعة واحدة ذات هدف واحد.

وعلى الرغم من أن العراقى الذى تُجرى معه المقابلة يتحدث إنجليزية مفهومة تمامًا، فإن كل شىء يقوله يُعاد (بالانجليزية) فى الشريط السينمائى فى أسفل الشاشة. وفى البداية، يظهر الرجل العراقى جادًا تمامًا، ليعلن بنبرة رتيبة تم التدريب عليها كثيرًا جدًا تخون طبيعة 'العرض الساخر' للشريط: الأمريكيون

يقولون أكاذيب. كل يوم تغدو قواتنا أقوى، كل يوم نقترب أكثر من هدفنا فى دحر الكفار **the infidel** ...' إن استخدام الكفار يتقابل مع الاختيار الإيجابى بشكل مصطنع من قبل من كتب التقرير الصحفى لـ حركة المقاومة، ويمضى كاريكاتير المحافظين الجدد فى وضع الجماعات المختلفة، بما فى ذلك اللاعبون السياسيون العلمانيون والدينيون على السواء، فى الفئة ذاتها. ويتوقف 'مقاتل المقاومة' العراقي عندئذ، ليشير إلى الشريط السينمائى المكتوب عليه كلامه أسفل الشاشة، ويسأل 'مـ ... ماذا تكون هذه؟' وتجيبه المراسلة الصحفية 'لا شيء، استمر'. ويحاول أن يتجاهل الكتابة المصاحبة على الشاشة وأن يستمر مع بلاغة 'دحر الكفار من وطننا'. لكنه يتوقف حينئذ مرة أخرى بحدة ويسأل، لكن هذه المرة بأسلوب أوضح فى كوميديته، 'أهى كتابة لكلامى على الشاشة؟' وبداية من هذه اللحظة تتداعى المقابلة بقدر ما يصبح 'مقاتل المقاومة' هذا أكثر كوميدية، وهو يتساءل عن الحاجة لتحويل كلامه بالإنجليزية إلى كتابة ويؤكد أنه 'درس الإنجليزية فى الجامعة الأمريكية الدموية فى القاهرة'. وتحاول المراسلة الصحفية أن تهدأه بقولها إنها تستطيع أن تفهم إنجليزيته، إلا أن هذا ينتج رد فعل أكثر إثارة فى كوميديته: 'يا... إنك... إنك ترين كيف يتعطفون علينا بوضعهم لكلامنا مكتوبًا على الشاشة'.

وبعد تبادلهما لهذه العبارات القليلة، خصوصًا حين يلاحظ أن كلام رفيق آخر له من 'مقاتلى المقاومة' لم يُصحب بكتابة له على الشاشة، لا يمكنه أن يكبح غضبه (الكوميدى) ويمضى خارج نطاق اللقطة على الشاشة. وتعود المراسلة لتخاطب الجمهور، واصفة الموقف الخطير فى العراق بنبرة جادة جدًا، وينتهى الشريط بعودة المقاتل العراقى إلى الشاشة، وهو يومئ بشكل كوميدى فى الخلفية ويصرخ بأنه لا يستطيع أن يفهم إنجليزية المراسلة الصحفية.

إن هذه محاولة أكثر تضاربًا لهدم الخط القصصى للخير والشر وهما يتقاتلان فى عالم خطر، فى ظل وسائل إعلامنا 'الحرة'، الجادة الديموقراطية وهى تستدعى آخر حدث فى هذه المعركة النبيلة إلى غرف معيشتنا. إذ بدلاً من هدم

توظيف معين لمعركة الخير والشر فى سياق العراق، يبدو أن شريط الفيديو هـذا يقوّض السردية الكاملة للأبطال البواسل، الجادين من أى نوع وعلـى أى جانـب. وفى ثنايا فعله لذلك، فإنه يلفت أيضًا الانتباه إلى خطاب وسائل الإعـلام المهـيمن ويسخر من أوضاع معينة داخل هذا الخطاب. وعلى سبيل المثال، فإن المـشاحنات حول كتابة كلام المتحدث على الشاشة يلفت الانتباه إلى ميل وسائل الإعلام الغربية لتمثيل الآخر، خصوصًا الآخر العربى، بوصفه غير قابل للفهم وفى حاجـة إلـى الترجمة – حرفيًا ومجازيًا.

٥-٢- النوعية

إن تعريف برونر للأنواع (١٩٩١: ١٤)، بقدر ما يقدم من تعريف، مـوجز جدًا – إنها ''نوعيات'' السرد المعروفة: الفارس، الكوميـديا الـسوداء، المأسـاة، رواية التربية **Bildungsromn**، الرومـانس، الهجـاء الـسياسى **satire**، ملحمـة الرحلات **travel saga**، وما شابه'. إلا أنه يمكن أن يضاف إلى هذه القائمة أمثلـة من الأنواع غير الأدبية – غير المناقـشة لـدى برونـر – ويمكـن أن تتـضمن الافتتاحيات، والعقود القانونية، وتقارير شـهود العيـان **eyewitness reporters**، وقوائم التسوق **shopping lists**، وقوائم الطعام، والمقالات الأكاديميـة، ومقـابلات المجلات والوثائق، ضمن أنواع أخرى عديدة. إن أطر عمل السرد الراسخة هـذه 'تمد كلاً من الكاتب والقارئ بـ ''نماذج'' ملائمة ومألوفة تـساعده فـى تحديـد المهمة التأويلية فى فهم الوقائع الإنسانية – هذه التى نسردها لأنفسنا وكـذلك تلـك التى نسمع الآخرين يحكونها' (١٩٩١: ١٤).

إن برونر يميز أيضًا ما يدعوه 'شكل حبكة' النوع وشكل الحكى المرتبط بـه ويدرك أن 'ترجمة ''طريقة حكى'' النوع إلى لغة أو ثقافة أخـرى لا يوجـد فيهـا تتطلب توسطًا لغويًا أدبيًا طازجًا' (١٩٩١: ١٤). إن هذه الطريقة فى الحكى ليـست طبقة خارجية تجميلية تطلى فحسب محتوى السردية. بل إن طرائق الحكى المتعارف عليها 'تَعُدُّنا سلفًا لاستخدام عقولنا وحساسياتنا بطرائق معينة' (١٩٩١: ١٥).

إن النوع، إذًا، عبارة عن إطار عمل متعارف عليه يوجِّه تأويلنا بعدد من الطرائق المختلفة. وبداية، فإن المعرفة النوعية تزود الخبرة السردية بالاتساق **coherence** والتلاحم **cohesiveness** والإحساس بالمحدودية. إنها تتيح لنا أن ندركها كتمثيل لممارسة تواصلية قابلة للتعرف عليها لأنها دالة ومتمايزة. كما أنها تشجعنا أيضًا أن نسقط خصائص معينة على الخبرة السردية: وقائعية **factuality**، جدية، فكاهة، فتنة **glamour**. فلا يتوقع من قصيدة أن تكون 'وقائعية' **'factual'**، في حين يمكن لمقال علمي أن يكون كذلك. إن هذه التوقعات بالطبع محدَّدة بالثقافة. إذ يمكن لمحاضرة أكاديمية أن تتسم في العالم الناطق بالإنجليزية ببعض التمديدات الفكاهية وتظل مأخوذة بجدية ومعاملة بوصفها 'وقائعية' في محتواها، إلا أن استخدام الفكاهة في ثقافات أخرى يمكن أن يُقوِّض صدق السردية المفصَّل في المحاضرة. ويذكر نايدا (**Nida 1998: 27**) مشكلاً عبر ثقافي مشابهًا يرتبط بالكتاب المُقدَّس. إذ يشرح نايدا أن أحد المترجمين قد وجَّه انتباهًا خاصًا للسمة الشعرية لبعض أقسام الكتاب المُقدَّس لكنها مع ذلك مطبوعة على أنها نثر لأنه 'أراد أن يدرك الناس أن ما هو مكتوب حقيقي'. ذلك أن الشعر، كما يبدو، يرتبط بقوة بالمحتوى الخيالي في ثقافات كثيرة.

إن الأنواع تُشفِّر الأدوار المشاركة وعلاقات القوة. ذلك أن الطرف الضعيف، المهمش فقط تحت شكل من أشكال التهديد من خصم أقوى هو من سيلجأ إلى النوع الخاص بـ 'الالتماس' **'the genre of 'petition**. إن صدور الالتماس يشكِّل في حد ذاته محاولة لتشكيل سردية مصوَّر فيها الطرف الملجوء إليه بوصفه قويًا وغير منصف أو قليل الفطنة بمعنى ما، والطرف القائم بالالتماس (والذي يمكن أن يشمل مئات وحتى آلاف المُوقِّعين) مُهمَّش لكنه أسمى أخلاقيًا وقادر على أن يستند على 'قوة الناس'[٥]. وفي المقابل، فإن البيانات الصحفية عادة ما تكون مرتبطة بجماعات يُنظر إليها، إن لم تكن بالضرورة قوية، إما بوصفها شرعية أو ترغب في أن تصوِّر نفسها على هذا النحو. إن البيانات الصحفية يصدرها نمطيًا موظفو الحكومة الرسميون والشركات الكبرى، إلا أنها تصدر أيضًا بشكل متزايد

من الجماعات الناشطة التى تقع خارج نطاق التيار الرئيسى للمجتمع. والبيان الصحفى، كنوع، هو جزء من سردية تصوِّر أولئك الذين يُصدرون البيان بوصفهم كيانًا متماسكًا وشرعيًا ويملك شكلاً من أشكال السلطة، سواء كانت مستمدة مما يدعوه بوزرديو رأس المال الاجتماعى أو من موقف أخلاقى. وهكذا، يمكنه أن يُصوِّرموقف السلطة المؤسسية أو التحدى الأخلاقى، إلا أنه لا يُصوِّر موقف الخضوع.

وهكذا، يحتاج المترجمون أن يكونوا واعين بمساهمة الشكل النوعى فى تشكيل سرديات معينة بما أن الكيفية التى يمكن أن يُشفِّر أو يبرز بها نوع معين أدوارًا مشاركة تتباين عبر الثقافات، وكذلك تفعل تأثيرات العالم الفعلى فى تشكيل سردية المرء داخل نوع معين.

٥-٢-١ وسائل تمييز النوع المُحدَّد

إن بعض الأنواع تكون مرتبطة بوسائل تمييز مُحدَّدة، أو مؤشرات تشكيل السياق **contextualization cues** بمصطلحات جومبرز (**Gumperz 1992**). حيث تؤشر هذه الوسائل التمثيل النصى للنوع موضع التناول و/أو تطلق مجموعة من التوقعات والاستدلالات المرتبطة به. ويمكن أن تكون هذه المؤشرات معجمية – كما هو فى حالة 'كان ياما كان'، والتعبيرات الشبيهة التى تفتتح الحكايات الخرافية فى لغات عديدة – أو تركيبية، كما هو فى استخدام العروض الأكاديمية للأزمنة المضارعة والماضية للتمييز بين ما هو مذكور فى المقال ذاته وما هو مذكور فى البحث الذى يعرضه المقال (**Baker 1992: 100**). كما يمكن أن تكون بنيوية. ويشرح مهوى **Muhawi** أن 'التكرار الثلاثى مجاز أساسى من مجازات العقدة فى الحكايات الشعبية. إذ يجب أن تتكرر الصيغة ثلاث مرات لكى تكون فعالة، ...كما يجب أن يحاول البطل ثلاث مرات قبل أن ينجح' (**1999 b: 229**).

كما يمكن أيضًا أن تكون وسائل التمييز، أو مؤشرات تشكيل السياق، بصرية، بما فى ذلك السمات الطباعية مثل استخدام الحروف المائلة، أو اختيار

اللون، أو أسلوب معين فى الرسم يمكنه أن يميز النوع كما هو فى حالة الكارتون، ومن هنا يكون السرد غير الوقائعى والفكاهى أو الساخر. إن غلاف كتاب شيرى سيمون النوع فى الترجمة **Sherry Simon's Gender in Translation** ، الصادر عن دار روتليدج عام ١٩٦٦، مقسوم رأسيًا إلى حيزين لونيين: الجانب الأيسر، الذى يشغل فضاء أكبر من الجانب الأيمن، لونه أزرق. والجانب الأيمن، الذى يشغل فضاء أصغر، لونه وردى. فى حين أن الغلاف الخلفى أزرق بالكامل. وفى العالم الناطق بالإنجليزية غالبًا ما يرتدى المواليد الجدد والأطفال الصغار الأزرق إذا ما كانوا ذكورًا والزهرى إن كنَّ إناثًا؛ ولذلك فإن الغلاف يُشفِّر للقراء جزءًا من السردية الأكاديمية الغربية للنوع: إننا نعيش فى عالم يهيمن عليه الذكور. بينما لا تعنى هذه الألوان، فى ثقافات أخرى، المعانى ذاتها، ولذا فإن سردية عالم يهيمن عليه الذكور كما هى مصوغة فى الأنواع النسوية الغربية يجب أن تُبرز بشكل مختلف، أو لا تُبرز قط، على الغلاف الأمامى.

إن وسائل التمييز المرتبطة بأنواع مختلفة غالبًا ما تكون إذًا مُحدَّدة ثقافيًا. ويمتد تحديد الثقافة هذا إلى حقيقة أن الأنواع، فى أجزاء مختلفة من العالم، يمكن أن تكون 'مُجنَّسة' 'gendered'. إذ يجادل مهوى ١٩٩٩ (a, 1999b) تحت الطبع **Muhawi** بأن الحكاية الشعبية العربية نوع مُجنَّس **a gendered genre**، لأن فى العالم العربى كما يوضح،

رواة الحكايات الشعبية من النساء. وليس فقط النساء هن الرواة، بل لقد كانت النساء هن الجمهور التقليدى للحكايات الشعبية. فالحكاية الشعبية العربية شكل فنى للمرأة ترويه النساء للنساء، وقد كان كلامها هو الذى كيَّف هذا الشكل الفنى على مدار العصور.

Muhawi 1999a

ولهذا عواقبه بالنسبة للكيفية التى يمكن أن يُترجَم بها النوع، ذلك أنه إما أن يتم الاحتفاظ بالصوت النوعى للمؤلف أو أن يتم تدميره، اعتمادًا على الخصوصيات المرتبطة بسياق معين والأجندة الأوسع المتواجدة فيها الترجمة.

ويقدّم هارفى (Harvey 1998, 2003a) أمثلة مثيرة لترجمة ما يمكننا أن نطلق عليه النوع 'المجنسن' لقص المثليين **the 'sexualized' genre of gay fiction**.

إن الأنواع المختلفة، بما فى ذلك الأنشطة اللفظية وغير اللفظية المتواجدة فيها، غالبًا ما تكون مرتبطة أيضًا بسمات شكلية معينة مثل الطول، والمدة **duration**، والمحتوى التيمى، والنبرة **pitch** والجهارة **loudness**، ومستوى الرسمية **formality**، وزمكانية المشهد **setting**. ومرة أخرى، فإن هذه السمات ليست تجميلية **cosmetic**. وهى فى صورتها الحدية، يمكن أن تُحدِّد إذا ما كان سلوك معين قابلاً أصلاً للفهم. ويطرح ماكنتاير **MacIntyre** مثالاً جيدًا يوضِّح تأثير زمكانية المشهد:

> **لو أننى فى وسط محاضرتى عن أخلاقيات كانط كَسرت فجأة ست بيضات فى سلطانية وأضفت إليها الدقيق والسكر، مواصلاً خلال كل هذا تأويلاتى الكانطية، فإننى لم أؤدِ فعلاً قابلاً للفهم، لأننى كنت ببساطة أتبع التسلسل الموصوف من فانى فارمر Fanny Farmer [نوع من الحلوى الأمريكية، المترجم].**

(١٩٨١: ١٩٤-٥)

وفيما وراء مسألة إمكانية الفهم، فإن هذه السمات تساهم أيضًا فى تشكيل دائرة السرديات الفردية داخل الحدود النوعية المرتبطة بها. وبينما يتوقع من تقرير شاهد عيان أن يُركِّز على حوادث خطيرة وعادة مؤلمة جدًا، ومن ثم أيًا كان ما يُعرَض بوصفه يقع داخل هذا النوع يكون محقونًا ضمنيًا بهذه المعانى، فإن خطبة سياسية تُؤدَّى بنبرة ناعمة سيتم تلقيها، فى المقابل، بوصفها غير مؤثرة، أو بتعبير عامى 'مائعة'.

وعلى الرغم من ذلك، فإن التطابق بين النص الفردى والنوع المتجسد فيه نادرًا ما يكون تامًا. وأحد أسباب هذا هو أن الناس المختلفين يتخذون قراراتهم بناء على إلى أى مدى يرغبون فى أن يتطابقوا مع تقاليد النوع أو أن ينحرفوا عنها، وهذا فى حد ذاته يبرز جوانب معينة من سردياتهم الأنطولوجية – سواء كانوا.

يريدون أن يصوِّروا أنفسهم بوصفهم، على سبيل المثال، منضبطن، أو مغـــامرين، أو مؤتمنين، أو ماهرين. وعلاوة علىَ ذلك، فإن التلاعب بالأعراف وهدمها هو فى حد ذاته عرف فى بعض الأنواع. ويعد الإعلان مثالاً على هذا. إن إعـــلان ألفـــا روميو الذى يظهر فى مجلة راديو تايمز البريطانية فى سبتمبر عام ٢٠٠٢ يتـــألف من قائمة خصائص معروضة وكأنها قائمة طعام، على النحو التالى:

قائمة الطعام

مدى ألفا الجديدة ١٥٦

مُحرِّك مزدوج ١. ٨

مُحرِّك مزدوج ٢. ٠

ناقل سرعة يدوى كهربائى هيدروليكي

نظام – Q ٢. ٥، ٦ سيلندار ٢٤ صمام،

مُحرِّك دفع توربينى بالديزل

و

المُحرِّك المزدوج الجديد١. ٦

مواصفات قياسية جديدة

أربع حقائب هوائية

مراقبة المناخ

مِقْوَد مرن مكسو بالجلد

لوحة تحكم من التتانيوم

ضمان صيانة لمدة ثلاث سنوات من التاجر

طرازان جديدان

لوسو	فيلكو
تنجيد جلد	مقاعد ريكارو الرياضية
مذياع/مشغل أسطوانات مُدْمَجة	أو تنجيد جلد
مساند رأس خلفية ثلاثية	حليتان ملوَّنتان للجانبين
وأحزمة أمان للوسط	أدوات تعليق رياضية
عجلات ١٥ سبيكة معدنية	عجلات ١٦ سبيكة معدنية
غسالات للكشافات	لوحة تحكم من الكربون

Menu

The New Alfa 156 Range

1.8 T. Spark

2.0 T. Spark

2.0 Selespeed

2.5 V6 24v/Q-System

2.4 JTD

and the

New 1.6 T. Spark

New standard specification

Four airbags

Climate control

Leather steering wheel

Titanium effect console*

3 Year Alfacare Dealer Warranty

Two new versions

Lusso	Veloce
Leather upholstery	Recaro sports seats
Radio/Cd player	or Leather upholstery
Third rear headrest and	Body colour side skirts
3 point centre seatbelt	Sports suspension
15" Alloy wheels	16" Alloy wheels
Headlamp washers	Carbon effect console

وتظهر أسفل هذا النص صورة السيارة، متبوعة بعبارة: 'مازال لعابك يسيل؟'

وهذا ليس إلا مثالاً على التلاعب الإبداعى المبنى على النوع الذى يدعم ولا يدمر السرديات التجارية المتوافقة مع الإعلان كنوع. بعبارة أخرى، إن التلاعب يشكل فى هذه الحالة عرفًا مُدْمَجًا من أعراف النوع ذاته ومن ثم ليست له فحوى تدميرية على هذا النحو.

٥-٢-٢ المحاكاة الساخرة وتدمير الأنواع

إن إعلان ألفا روميو يستغل الأعراف النوعية ليصوغ سرديات إعلانية نمطية، لا يدمِّر أى سرديات مهيمنة أو يقوض تلك السرديات التى نتوقع أن نواجهها فى النوع الإعلانى. ويشير حاتم وماسون **Hatim and Mason** إلى هذا النمط من السيولة فى تمييز واستغلال حدود النوع بـ 'تعددية التوظيف' **'multifunctionality'** ويريان أن المترجمين 'سيسعون إلى أن يحافظوا فى الترجمة على التضارب النوعى **the generic ambivalence**' للنصوص الناتجة (١٩٩٠: ١٤١). إلا أنه يمكن لأعراف النوع أيضًا أن تُستغل على نحو استراتيجى لتقوِّض السرديات المهيمنة المتشكلة فى الوسيط النوعى المختلف ذاته أو نفسه. إذ بدلاً من صفحة حقوق الطبع المعتادة التى كنا معتادين أن نراها فيما ينـد عن الحصر من المواد المطبوعة، تبرز زاباتستا! وثائق الثورة المكسيكية الجديدة، **Revolution Zapatistas! Documents of the New Mexican** (١٩٩٤) قسمًا بعنوان 'ضد حقوق الطبع' **'Anti-Copyright"** فى قائمة المحتويات. إن هذا القسم يتحدى بشكل مباشر نوع المطبوعات التجارية الواسعة الانتشار:

ضد حقوق طبع النص © دار أوتونوميديا، المحررون، والمساهمون.

Text anti-copyright © 1994 Autonomedia, editors, and contributors.

يمكن أن تتم قرصنة هذا الكتاب وأن يُقتبس منه دون مقابل لغير الأغراض التجارية.،

شريطة أن يؤول جزء من أى دخل ناتج عن هذا إلى مجتمعات المــواطنين الأصليين والقرويين المحلية فى جنوب المكسيك.

برجاء إبلاغ المحررين والناشرين على العنوان التالى:

أوتونوميديا

صندوق بريد ٥٦٨ محطة وليامزبيرج

بروكلين، نيو يورك ١١٢١١-٠٥٦٨ الولايات المتحدة الأمريكية

...

Autonomedia

POB 568 Wiliamsburg Station

Brooklyn, New York 11211-0568 USA

...

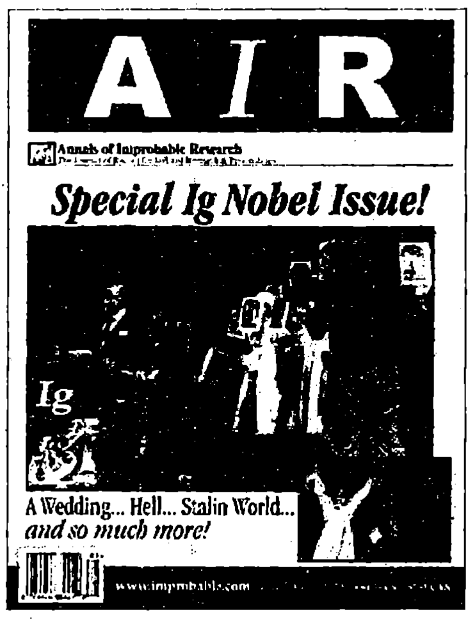
سيتم التبرع بجزء من المبالغ الناتجة عن نشر هذا الكتاب لزاباتستاس.

الرقم الدولى القياسى للكتاب: ١-٥٧٠٢٧-٠١٤

ISBN: 1-57027-014

إن محاكاة سرديات اليوم المهيمنة محاكاة ساخرة لتقويض علاقــات القــوة والنفوذ القائمة فى المجتمع تشكِّل إجراء شائعًا جدًا يرتكز فى أغلب الأحوال علــى فهمنا للأشكال والأعراف النوعية ليعبِّر عن وجهــة نظــره. وطبقًــا للـسرديات التصورية، على سبيل المثال، فإنه توجد دوريات فكاهيــة عديــدة تحــاكى نــوع المجلات العلمية محاكاة ساخرة لكى تقوِّض سردية البحث العلمى بوصفه قاطعًــا، وملحًا، ودالاً، ومترابطًا منطقيًا بدرجة عالية. وتتضمن أمثلة هذا التوظيف الساخر للأنواع العلمية مجلة البحــث التافــه(٦) **Insignificant the Research Journal**

ومجلة النتائج غير المنتجة[٧] Journal of Irreproducible Results the. بـــل إن حوليات البحث غيـــر المحتمـــل[٨] (the Annals of Improbable Research AIR) ترعى احتفالاً بديلاً بـــ 'جوائز أى جى نوبل'، الذى يعقد كل خريف فى هارفارد، قبـــل الاحتفال 'الفعلى' مباشرة فى استوكهولم. إن الحروف الأولـــى AIR ذاتهـــا تـــستدعى بالطبع تعبير 'هواء ساخن [مجرد كلام، أو طرقعة حنـــك، المتـــرجم]' 'hot air' فـــى الإنجليزية، وهو مُحدَّد فى قاموس كوبيلد الإنجليزى Cobuild English Dictionary the بأنه 'دعاوى أو وعود تصاغ لتؤثر فى الناس إلا أنها على الأرجح لن تحدث قط'. إنها تساهم فى فضح زيف سردية العلم بوصفه مترابطًا منطقيًا.



الشكل ٨

الهواء (حوليات البحث غير المحتمل): الغلاف الأمامى لإصدار يناير/فبراير عام ٢٠٠٢

Figure 8 AIR (Annals of Improbable Research :(Front cover of the January/February 2002 issue

[نظرًا لصعوبة الكتابة داخل الشكل، سأترجم ما يوجد فى كل شـــكل تبعًـــا لتواليه فى كل شكل من أعلى إلى أسفل، المترجم]

الهواء

حوليات البحث غير المحتمل

إصدار نوبل الخاص عن الأجسام المضادة

زفاف ... جحيم ... عالم ستالين ...

وما هو أكثر من ذلك



الشكل ٩

(حوليات البحث غير المحتمل): الغلاف الأمامى لإصدار سبتمبر/أكتوبر ٢٠٠٤

Figure 9 AIR (Annals of Improbable Research): Front cover of the September/October 2004 issue

إصدار خاص عن القطط

حوليات البحث غير المحتمل

قُطيطة الحرب الباردة

قطط لا متناهية

... وما هو أكثر كثيرًا!

HM Department of Vague Paranoia

PREPARING FOR EMERGENCIES
WHAT YOU NEED TO KNOW

Welcome to the Preparing for Emergencies website.

In an effort to worry the public and convince them to vote for us again next year, and because George Bush asked us to, this website includes the common sense advice found in the Preparing for Emergencies booklet, and information on what the government is doing to protect the country as a whole. (Hint: we're praying *really, really* hard.) National editions of the booklet will be available here when we can be arsed to get translators to put them into your crazy moon languages.

From 2nd August, translations of the booklet into 16 languages will be available on this website. They will be in: Arabic, Bengali, Chinese, English, Farsi, French, Greek, Gujarati, Hindi, Kurdish, Punjabi, Somali, Turkish, Urdu, Vietnamese and Welsh. In the meantime, just assume that we don't care about you.

You will also be able to order copies of the booklet in audio tape, large print, and Braille formats. We wouldn't have bothered, but Blunkett insisted.*

* David Blunkett, then Home Secretary of Britain, is blind.

الشكل ١٠

الاستعداد للطوارئ

Figure 10 Preparing for Emergencies

www.preparingforemergencies.co.uk

قسم إتش إم للبارانويا الملتبسة

الاستعداد للطوارئ

ما تحتاج أن تعرفه

مرحبًا بكم في موقع الاستعداد للطوارئ

سعيًا منا إلى إزعاج الجماهير وإقناعهم أن يصوِّتوا لنا مرة أخرى العام القادم، ولأن جورج بوش طلب منا أن نفعل هذا، فإن هذا الموقع يتضمن نصح الحس العام القائم بكتيب الاستعداد للطوارئ، والمعلومات الخاصة بما تفعله الحكومة لحماية البلاد ككل. (تنويه: إننا نصلي فعلاً، فعلاً بكل جوارحنا.) وستصبح النسخ القومية من الكتيب متاحة حين نستطيع أن نهز أردافنا لنحصل على مترجمين يمكنهم ترجمتها إلى لغاتك القمرية المعتوهة.

وبداية من الثانى من أغسطس، ستصبح ترجمات الكتيب إلى ست عشرة لغة متاحة على هذا الموقع. إذ ستتم ترجمتها إلى: العربية، والبنغالية، والصينية، والإنجليزية، والفارسية، والفرنسية، واليونانية، والغوجاراتية، والهندية، والكردية، والبنجابية، والصومالية، والتركية، والأوردية، والفيتنامية، والويلزية. وفى هذه الأثناء، عليك أن تفترض أننا لا نكترث بشأنك.

كما سيكون بوسعك أيضًا أن تطلب نسخ الكتيب على شرائط مسموعة وبالحروف الكبيرة، وبطريقة برايل. لم نكن نرغب فى الإزعاج، إلا أن بلانكيت أصر(*).

كما توظِّف استراتيجية مشابهة، تتضمن المحاكاة الساخرة للتشكيل النوعى ذاته لتقويض السرديات الأكاديمية، ببناء الموقع المحكم لجامعة المؤخرات [أو المتشردون] على المقاعد University of Bums on Seats (www.cynicalbastards*.com/ubs/index.html)، [*تعنى المتشككين الأوغاد، المترجم] واسم نائب مستشاره عن حق ألن المستريب Alan Dubious (MAD, TOTP, DipSHiT).

يمكن أيضًا أن تُوظَّف أعراف النوع لتقويض السرديات الجماهيرية الراهنة. وهناك موقع آخر للسخرية، هو الاستعداد للطوارئ Preparing for Emergencies، يسطو على عنوان كتيب معلومات حقيقى كان يُوزَّع على المنازل البريطانية فى عام ٢٠٠٣، مع إتاحة نسخ مترجمة فى عدد من اللغات. إن موقع السخرية يعيد إنتاج حتى التشكيل البصرى، والألوان ذاتها، والإخراج ذاته لهذا الكتيب. فقط النص هو المختلف(٩).

وكنتيجة طبيعية لتقويض السرديات الجماهيرية المهيمنة، يمكن أن توظَّف أيضًا أعراف النوع لتسخر من الشخصيات العامة البارزة المرتبطة بتلك

(*) دافيد بلانكيت، وزير داخلية بريطانيا آنذاك، كفيف.

السرديات. إن سردية دونالد رامسفيلد التهكمية المـــشهورة جـــدًا لهـــارت ســـيلى **Hart Seely** كشاعر عظيم قائمة على إعـــادة صياغة بيانـــات **pronouncements** رامسفيلد الفعلية فى بعض الأنواع الرسمية مثل البيانـــات **briefings** والمقـــابلات بوصفها شعرًا.

The Unkown

As we know,

There are known knowns.

There are things we know we know.

We also know

There are known unknowns.

That is to say

We know there are some things

We do not know.

But there are also unknown unknowns,

The ones we don't know

We don't know.

غير المعروف

كما نعرف،

يوجد معروفون معاريف.

كما توجد أشياء نعرف أننا نعرفها.

كما نعرف أيضًا

معاريف معروفين.

وهو ما يعنى

أننا نعرف أنه توجد بعض أشياء

لا نعرفها.

إلا أنه يوجد أيضًا مجهولون مجاهيل،

أولئك الذين لا نعرف

أننا لا نعرفهم.

١٢ فبراير، ٢٠٠٢، قسم بيانات الدفاع الأخبارية

Feb. 12, 2002, Department of Defense news briefing

Clarity

I think what you'll find,

I think what you'll find is,

Whatever it is we do substantively,

There will be near-perfect clarity

As to what it is.

And it will be known,

And it will be known to the Congress,

And it will be known to you,

Probably before we decide it,

But it will be known.

وضــوح

أعتقد أن ما ستجده،

أعتقد أن ما ستجده هو،

أيًا كان ما نفعل بشكل جوهرى،

سيكون وضوحًا شبه تام

بالنسبة لما هو.

وسيكون معروفًا،

وسيكون معروفًا للكونجرس، وسيكون معروفًا لك،

ربما قبل أن تقرِّره،

لكنه سيكون معروفًا.

٢٨ فبراير، ٢٠٠٣، قسم بيانات الدفاع

Feb. 28, 2003, Department of Defense briefing

A Confession

Once in a while,

I'm standing here, doing something.

And I think,

'What in the world am I doing here?'

It's a big surprise.

اعتـــــراف

من حين لآخر،

أقف هنا، أفعل شيئًا ما.

وأفكر،

'ما الذى أفعله فى العالم هنا؟'

إنه مفاجأة كبرى.

١٦ مايو، ٢٠٠١، مقابلة مع النيو يورك تايمز.

لقد صيغت سردية رامسفيلد التهكمية كشاعر عظيم صياغات خِطابية وبصرية فى وسائط عديدة، بما فى ذلك موقع سليت **Slate website** (الذى نشر 'القصائد' الأصلية)، وجريدة الجرديان فى بريطانيا، وأخيرًا فى شكل كتاب **(Seely 2003b)**. ويضيف كل وسيط إلى الصياغة اللاحقة للسردية بطريقته، من خلال الارتكاز دائمًا على التلاعب النوعى بتصريحات رامسفيلد، وكذلك ألفتنا بالأعراف النوعية وخطاب الصحافة والنقد الأدبى، لإنجاز التأثير. على سبيل المثال، يبرز موقع سليت مقالاً لهارت سيلى يحاكى خطاب الصحافة الجادة:

شعر د. إتش. رامسفيلد

الأعمال الأخيرة لوزير الدفاع

لهارت ستيلي

وضعت الأربعاء، ٢ أبريل، ٢٠٠٣،

فى تمام الساعة ١٠: .٣ صباحًا بتوقيت المحيط الهادي

وزير الدفاع دونالد رامسفيلد رجل متعدد المواهب. فهو لا يقود فقط الحرب فى العراق، بل لقد كان طيارًا، وعضوًا فى الكونجرس، وسفيرًا، ورجل أعمال، وموظفًا حكوميًا. إلا أن أمريكيين قليلين جدًا من يعرفون أنه أيضًا شاعر.

وإلى الآن، لم يحظ شعر الوزير إلا بجمهور قليل ومتشكك: صحفيى البنتاجون. وكل يوم يُتحف رامسفيلد المراسلين الصحفيين بمقاطعه الحيوية المرتجلة. إلا أن قليلين جدًا منهم من يبدو أنهم يقدِّرونه.

إلا أنه ينبغى علينا جميعًا أن ننصت. ذلك أن شعر رامسفيلد مفارق **paradoxical**: إنه يستخدم لغة لعوبًا ليتناول الموضوعات الأكثر كآبة: الحرب، الإرهاب، الموت الجماعى. ومعظمها خاص بعدم المباشرة والمراوغة: إنه لا يواجه موضوعاته رأسًا وإنما يتعرج، على نحو يجعل انقلابات الدلالات **inversions** والتكرارات تختلط وتخدع. إن عمله، باختصاصه بالإيقاعات

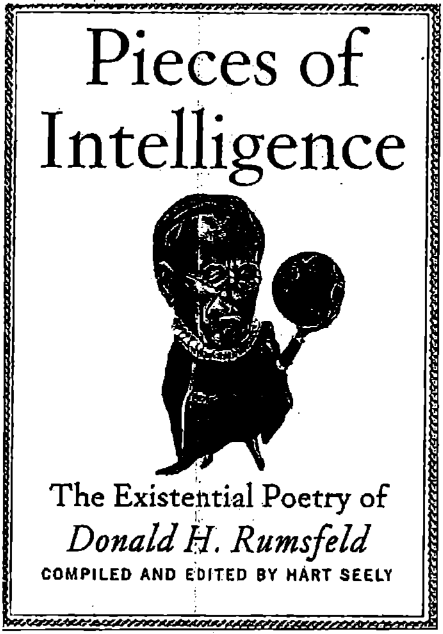
المكسورة للعامية الصريحة يذكّر بوليام كارلوس ولياMز'. وإن كان بعض القـراء يمكن أن يجدوا أن موهبة رامسفيلد فى التصريحات اليومية الارتجالية فائتة بقـدر ما هى موهبة فرانك أوهارا.

Seely 2003a

إن العبارة التصديرية لكتاب هارت سيلى نماذج من الذكاء: الشعر الوجودى لدونالد رامسفيلد **Pieces of Intelligence: The Existential Poetry of Donald H. Rumsfeld** (Seely ٢٠٠٣b) تحاكى خطاب النقد الأدبى، بما فى ذلك تصديرات الأعمال الأدبية المهمة، إلا أن الغلاف الأمامى يخون على الفور الطبيعة التهكمية لمحتوى الكتاب:

إن شعر دى. إتش. رامسفيلد يقتضى (كما هو معروف للمتخصصين فى الأدب) أن يُقرأ جهرًا. ذلك أن روائع رامسفيلد، مثلها مثل ملاحم هوميروس، أو شعر الشوارع الأمريكى الأفريقى الحديث، تولدت كارتجال شفاهى... أثناء البيانات الإخبارية ومقابلات وسائل الإعلام، إذ يُضمّن رامسفيلد بهدوء الهايكو [نوع من الشعر اليابانى يتألف من بيت واحد مكون من ١٧ مقطعًا صوتيًا، المترجم]، وسوناتات، وشعرً حرًا، وتحليقات من التخييلات الغنائية فى استجاباته، غارسًا الأبيات داخل النسخ الكاملة لجلساته.

وكل هذه التلاعبات النوعية تساهم في السردية الساخرة المباشرة عن رامسفيلد كشاعر عظيم. وهذا، بدوره، يستدعى بشكل تهكمى سردية رامسفيلد بوصفه متكلمًا مُفككًا ورديئًا و، الأهم من ذلك، سردية القيادة السياسية لأمريكا بوصفها مشوّشة وراضية عن نفسها، ومثارًا للسخرية وليست مصدرًا للإلهام.



الشكل ١١

غلاف كتاب هارت سيلى نماذج من الذكاء :الشعر الوجودى لدونالد

أتش. رامسفيلد

Figure 11 Book cover of Hart Seely's Pieces of Intelligence: The Existential Poetry of Donald

H. Rumsfeld

المكتوب على الغلاف: [نماذج من الذكاء: الشعر الوجودى لدونالد إتش. رامسفيلد، تأليف وتحرير هارت سيلى]

ربما يكون أكثر شكل من أشكال التقويض القائم على النوع للسردية المهيمنة راديكالية هو 'تشويش الثقافة' **'culture jamming'**، و'ممارسة المحاكاة الساخرة للإعلانات والسطو على لوحات الإعلانات لتغيير صورها بشكل كارثى' **(Klein 2000: 280)**. وتعد هذه وسيلة فعَّالة للرد على فقدنا المتواصل للفضاء والخصوصية، فقدنا للسيطرة على بيئتنا. إن مناهضى الإعلانات **Adbusters**، كما هم معرفون، يجادلون أنه بما أن معظمنا فى وضع لا يمكننا فيه أن نسترجع عن طريق الشراء هذه الفضاءات وأن نعرض رسائلنا، فإنه يحق لنا أن نرد بالمقابل

على صور الثقافة الشائعة **corporate culture**. إن مناهضى الإعلانات يـصوغون ‘‘سرديات مضادة تخترق أسلوب التواصل الخاص بشركة مـا لإرسـال رسـالة مناقضة بشدة للرسالة المقصودة’’ (**Klein 2000: 281**). ولعله يمكن أن يُنظر إلـى الرسوم على الحائط [الجرافيتى] والعبارات السياسية التى تزيِّن أجزاء كبيـرة مـن الجدار المُقام من قِبل إسرائيل لعزل السكان الفلسطينيين فى أجـزاء مختلفـة مـن الضفة الغربية وغزة بوصفها تنويعة على استراتيجية ‘تشويش الثقافة’ هذه.



هو أن تقاوم



المال الأمريكي
التمييز العنصرى الإسرائيلي

الشكل ١٢ و١٣
تنويعة على تشويش الثقافة - رسوم حائط وشعارات على جدار العزل الإسرائيلي
Figures 12 and 13 A variant of culture jamming – graffiti and slogans on Israel's separation wall

٥-٢-٣ ضبط الأنواع

فى لحظات مختلفة من التاريخ وفى أماكن مختلفة من العالم تميل بعض الأنواع إلى أن تكون أكثر 'ضبطًا' 'more policed' أو مسيطرًا عليها بشدة عن سواها، مع مستويات أعلى من صرامة النظام التى تخدم بشكل عام مصالح من فى السلطة. وفى الواقع، فإن الترجمة ذاتها تم ضبطها فيما مضى بعناية بوصفها نوعًا. إذ لم يكن بوسع النساء خلال عصر الإصلاح أن يترجمن سوى الأعمال الدينية فحسب (Krontiris 1992: 10). ولذا حين قررت مارجريت تايلر Margaret Tyler أن تترجم عملاً دنيويًا، الرومانس الإسبانى مرآة المآثر والفروسية الأميرية A Mirrour of Princely deeds and Knighthood، فى عام ١٥٧٨، كان لا بد لها من أن تستعطف القارئ فى التصدير لكى يسامحها على هذا الانتهاك (Krontiris 1992: 17).

إن ضبط الأنواع يؤثر على حيواتنا بصور تزيد أو تقل أهميتها. إذ لكيما تكون الترجمة الرسمية لوثيقة من الوثائق التى تنتمى إلى مجموعة محددة من الأنواع مثل شهادات الميلاد أو الشهادات الأكاديمية سارية المفعول، فإنها يجب أن تتسم بصيغة الشهادة، التى ينص عليها القانون، وهذه الصيغة تتباين من بلد إلى آخر (Mayoral Asensio 2003: 84). وعلى الرغم من أن تأثير هذا النمط الخاص بالبيئة النوعية المسيطر عليها يكون منظمًا تنظيمًا صارمًا بدرجة عالية، فإنه محدود نسبيًا. وهناك مثال أكثر تطرفًا يتمثل فى حكم مكتب مراقبة الأصول الأجنبية التابع لوزارة الخزانة بالولايات المتحدة US Treasury's Office of Foreign Assets Control المعروف اختصارًا بـ (OFAC) فى سبتمبر ٢٠٠٣ بأن معهد المهندسين الكهربائيين والألكترونيين المعروف اختصارًا بـ (IEEE) هو الوحيد الذى يمكنه أن ينشر أبحاثًا علمية لمؤلفين إيرانيين فى مجلاته إذا كانت المقالات مستنسخة 'كما هى'، أى بدون أى تعديل للأسلوب أو المحتوى، وبدون ترجمة. وقد كان معهد المهندسين الكهربائيين والألكترونيين يطلب:

التوافق على أنه لا حاجة إلى ترخيص لأعضائه المتطوعين ليسألوا أسئلة أو يقدموا تعليقات للمؤلفين فى إيران حول النسخ المُسلَّمة لمنشأة الولايات المتحدة، ولأعضائه المتطوعين أن يُعدوا النسخة للنشر، بما فى ذلك الترجمة، وإعادة تنظيم الفقرات أو الجمل، وتصحيح التركيب، والنحو، وهجاء الكلمات وعلامات الترقيم، واستبدال الكلمات الملائمة بغير الملائمة، وإعداد النص للطباعة[١٠].

وفى رده على المعهد بتاريخ ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٣، أكد مدير مكتب مراقبة الأصول الأجنبية أن الأنشطة الموصوفة أعلاه 'ستُشكِّل شرط الخدمات الممنوعة على إيران، بصرف النظر عن حقيقة أن مثل هذه التبادلات هى جزء من أنشطة النشر المعتادة للمنشأة فى الولايات المتحدة'[١١].

• وبقدر ما يكون النوع منظمًا تنظيمًا صارمًا أو مضبوطًا بشدة فى أى لحظة من لحظات الزمن، بقدر ما يستطيع أولئك الذين فى السلطة أن يسيطروا بإحكام على الولوج إليه من قِبل أعضاء المجتمع وأن يسيطروا كذلك على 'الفضاء السردى' لأولئك المنخرطين فى الحدث المرتبط به. فى حين أن المتوقع فى العالم العربى هو أن تستخدم كل الأنواع المكتوبة اللغة العربية الكتابية القياسية وليس أى تنويعة من تنويعات اللغة المنطوقة فى البلدان العربية المختلفة. إذ حين قررَّ مصطفى صفوان أن يترجم عطيل لشكسبير إلى العامية (العامية المصرية) عام ١٩٩٨، كان واعيًا أن الفجوة المصطنعة بين اللغة العربية الكتابية القياسية والعامية مفروضة ومضبوطة من القوى المهيمنة فى العالم العربى لكى 'تُجرِّد الجماهير والمثقفين من قواهم' (**Hanna 2005: 119**). إن اختيار العامية المصرية كوسيط لترجمة تراجيديا رفيعة لا تعمل فقط على إعطاء صوت للجماهير المغلوبة على أمرها لكنها أيضًا تُحرِّر الوعى العربى 'من وحدة مُصطنعة سلفًا تقمع الاختلاف وتُخفِّض من قيمة التنوع'

Hanna 2005: 119

٥-٢-٤ التحويلات النوعية فى الترجمة

تزخر الأدبيات الخاصة بالترجمة بأمثلة يتم فيها أحد أمرين إما تكييف النصوص المنطلق منها لتقاليد نوع معين فى ثقافة الوصول أو نقلها كما هى دون أي اعتبار واجب للفروق الخاصة بالتقاليد النوعية. وتقدم شيباموتو سميث **shibamoto smith** (٢٠٠٥) أمثلة عديدة على الحالة الثانية فيما يتعلق بفئة قصص الرومانس الغربية واليابانية. وأحد أسباب هذا هو أن المظهر الفيزيقى والسلوك العام لكل من الأبطال والبطلات فى هذه الرومنسات مختلفان تمامًا: إذ يحظى الأبطال الغربيون بذكورة مذهلة، ويتمتعون بخبرة جنسية مفرطة، كما أنهم متحفظون، إن لم يكونوا باردين' وفى المقابل تجد البطلات الغربيات 'جميلات جمالاً فائقًا'، كما أنهن 'ذكيات ذكاء مدهشًا و/أو مخلصات وأخلاقيات بشكل مدهش' (٢٠٠٥: ٩٩). هذا فى حين أن الأبطال اليابانيين ليسوا إلا 'مجرد رجال لطفاء، عاديين، يسلكون بأشكال نسبيًا عادية' والبطلات اليابانيات 'لسن بالضرورة ذوات جمال فادح وطاغٍ جنسيًا' (٢٠٠٥: ١٠٠). إن هذه الفروق، طبقًا لشيباموتو سميث، لا تتدخل بعامة فى ترجمة الرومانسات الغرامية من عينة هارلكوين **Harlequin romances** إلى اليابانية، والنتيجة هى أن الشخصيات المتحدثة باليابانية فى هذه الرومانسات المستوردة 'تقطن الحقول الاجتماعية ''الغربية'' وتأتى ردود أفعالها – أيًا كان مدى ملائمتها داخل تلك الحقول الاجتماعية – بطرائق ليست هى الطرائق التى يتحدث، ويسلك بها العاشقون اليابانيون، ويبلغون بها ''نهاياتهم السعيدة'' فى روايات الرومانس المنتجة محليًا' (٢٠٠٥: ٩٩).

كما يمكن أيضًا أن يُترجَم النص المنطلق منه إلى نوع مختلف كلية، مما ينتج عنه أحيانًا خلق نوع جديد سواء فى الثقافات المنطلق منها أو فى ثقافات الوصول. وقد كانت تُستخدم التعليقات والمواد التقديمية فى ترجمات أواخر القرن التاسع عشر لتعيد تأطير حكايات مجموعة أولستر الكوميدية الأيرلندية بوصفها وثائق تاريخية أو طبوغرافية **(Tymoczko 1999: 210)**[١٢]. وتوضِّح بوليزى

[ص ٢٠٦ وما بعد] (Polezzi 2001: 206ff). أنه لا يوجد نوع مُحدَّد لكتابة الرحلات فى الإيطالية إلا أن الترجمات قد 'أنتجت' جسدًا من أدب الرحلات الإيطالى، أو على الأقل صورة منه، لصالح الجماهير الأجنبية واستهلاكها. وتتضمن التحويلات النوعية فى الترجمات الإنجليزية للكتب الإيطالية عن التبت تعديل العناوين لتتوافق مع تقاليد أدب الرحلات، وفى النهاية إعادة تشكيل السردية المنطلق داخل نوع مختلف جدًا فى نص الوصول (Polezzi 1998: 331). وما ابتدأ بوصفه 'كتابة علمية أو شبه علمية' فى الإيطالية يصبح 'رحلات مغامرات واسعة الانتشار' فى الإنجليزية.

ويقدِّم وصف ريفيز- إيلنجتون (Reeves-Ellington' 1999) لمقاربتها الخاصة لترجمة نصوص التاريخ الشفاهى أمثلة عديدة على تأثير التحويلات النوعية فى الترجمة. وتتبع الترجمة التالية للمقتطف المقتطع من خطاب امرأة بلغارية متعلمة تعليمًا جامعيًا عمرها ٧٥ عامًا تقاليد الكتابة الأكاديمية، وهى استراتيجية معقولة فى ظل أن المقتطف المشار إليه مقصود منه أن يُستخدَم فى ورقة بحث عن سرديات عمل النساء البلغاريات:

كان موت أمى المبكر لحظة من أحزن لحظات حياتى. لقد ماتت بمرض القلب وعمرها ٤٥ سنة وكنت ما أزال فى المدرسة الثانوية. لكننى أعتقد أن حياة القرية القاسية قد قتلتها. كانت تعمل مُدرِّسة، وكان لديها عمل تعمله فى القرية، وعمل تعمله فى الحقل. لقد كانت الظروف قاسية قسوة لا يمكن تخيلها. كانت الأرض جبلية وقاحلة. ثم كان عليها أن تعاون زوجة أبيها. ببساطة تامة لقد كان لحياة القرية الخشنة تأثير وخيم عليها، وتوفيت مبكرًاجدًا.

(Reeves-Ellington 1999: 114)

إن هذه الترجمة تُكيِّف السرد الشفاهى لتقاليد النثر المكتوب بعامة وهذا النوع الخاص بأوراق البحث الأنثروبولوجية على نحو خاص، وتهدف عمومًا إلى تجويد درجة الوضوح من خلال التخلص من الحذف والأخطاء الثانوية، مع تقليص

حالات التكرار وإيجاز الجمل الطويلة. وكما توضّح ريفيز- إيلنجتون فإنه ‘بقدر ما أن مثل هذه المقتطفات راسخة بشكل منتظم بوصفها نصوصًا صغيرة داخل أوراق البحث، فإن المقتطف المترجم يوافق توقعات الجمهور ويحقق تناصًا نوعيًا generic intertextuality داخل المدى البلاغى للغة الوصول’ (١٩٩٩: ١١٦). ومع ذلك، فإن هذه الترجمة تقمع بوضوح الصوت الفردى للمتكلم، وتضعف من طاقة وديناميةالسردية الأنطولوجية، وإن كانت لا تستأصل التأثير الانفعالى للأصل. ويصبح هذا أوضح إذا ما قارنها بترجمة بديلة تقدّمها ريفيز- إيلنجتون ترجمة تعالج سمات الشفاهية ذاتها بوصفها عناصر شعرية:

أمى

قلت لك، ألم أقل

إن لحظة من أقسى لحظات حياتى

لحظة أعتقد أنها أثرت تأثيرًا قاسيًا جدًا على مصيرى

لحظة موت أمى المبكر

لقد ماتت أمى وأنا ما أزال فتاة فى المدرسة الثانوية.

لقد ماتت أمى وعمرها ٤٥ سنة

بمرض القلب.

إلا أننى أعتقد

أن أمى ماتت بسبب حياة القرية القاسية.

الظروف قاسية قسوة لا يمكن تخيلها.

وعمل المدرسة

وعمل القرية

وتلك الحقول الجبلية

القاحلة

لقد كان يجب عليها أن تساعد فى كل ذلك

ذلك وزوجة أبيها.

ببساطة تامة

لقد أثرت عليها حياة القرية القاسية تأثيرًا سيئًا

وتوفيت مبكرًا جدًا

أمى.

Reeves-Ellington 1999 : 118

إن هذه الترجمة تتبنى نظام كتابة **a transcription system** يسمح للمتـــرجم أن يعيد إنتاج أنماط توصيل الكلام بحيث تؤثر على ما تـــدعوه إيلنجتـــون ريفيـــز 'التناص النوعى المزاح **displaced generic intertextuality**: الكتابـــة الـــشعرية مألوفة لقراء نص الوصول لكنها تقع فى سياق غير متوقع، أى سياق ورقة بحـــث عن موضوع خاص بالتاريخ' (١٩٩٩: ١١٨-١٩). إن إيلنجتون - ريفيز تحـــافظ على تكرارات مثل أمى/ قاسية/ أقسى/ قاسيًا ليس فقط لأنها سمة من سمات كـــلام هذه المتحدثة وإنما أيضًا لأن العبارات المتكررة 'من ضمن صيغ مـــستخدمة فـــى الأغانى والمواويل القصصية التقليدية السلافية الجنوبية ... كما هو واضح فى أى منتخب معاصر لأغانى النساء الشعبية البلغارية' (١٩٩٩: ١١٧).

٥-٣ المعيارية/ القياسية والخرق

بالنسبة لبرونر، فإن خرق النصوص القياسية هو ما يجعل سردية ما جديرة بأن تُحكى وهو ما يتضمن أن المادة التى لا تتضمن شكلاً مـــا مـــن الابتكـــار أو الخرق لا تشكِّل سردية فى رؤيته. وفى الواقع، فإن برونر يجادل فى نقاشـــه لـــــ 'المعيارية' - بشكل منفصل - كسمة من سمات الـــسردية، بأنـــه 'لأن 'قابليتهـــا للحكى' كشكل من أشكال الخطاب ترتكز على خرق التوقع التقليدى، فإن الـــسردية بالضرورة تكون معيارية' (١٩٩١: ١٥). ويبدو من المنطقى، فى ظـــل المقاربـــة المتبناة فى هذا الكتاب، افتراض أن الخرق ليس شرطًا مسبقًا للسردية وإنمـــا أنـــه كامن **inherent** فيها، أى أنه جزء من الإمكانية الداخلية للسرد[١٣]. كما يبدو مـــن

المعقول أيضًا أن نناقش القياسية/الخرق والمعيارية كسمة واحدة وليس بوصفهما منفصلين كما يفعل برونر.

لقد أوضحتُ، فى الفصل الثانى، أن كل السرديات، بما فيها السرديات العلمية، تشارك فى عمليات شرعنة وتبرير هى فى النهاية سياسية فى فحواها. وهذه الوظيفة المعيارية تباطن الدور المركزى الذى تلعبه فى ضبط الشرعية الثقافية. وبما أن الوظيفة المعيارية للسردية تمثِّل تيمة تمتد على امتداد هذا الكتاب، ولأننى ناقشت من قبل أمثلة عديدة 'لنص قياسى ضمنى' يتم 'اختراقه أو انتهاكه أو الانحراف عنه' (Bruner 1991: 11) لتشويش شرعية خيط قصصى أو نوع قياسى، فإن النقاش التالى سيقتصر على جوانب المضمون المعيارى للسردية الذى لم أتعامل معه حتى الآن تعاملاً مباشرًا، خصوصًا المشاركة وإمكانية الفهم المعيارية.

إن المعيارية تمثِّل سمة لكل السرديات، وليس فقط السرديات المهيمنة. ولذلك، فإن التنشئة الاجتماعية داخل أى نظام سردى 'سيكون لها جانبها القمعى' (Hinchman and Hinchman 1997b: 235). وتبرهن بوليتا (Polletta 1998: 155) على أن السرديات 'تميل إلى إعادة إنتاج أشكال الفهم المهيمنة حتى حين تُستخدَم من قبل الحركات المعارضة'، وتوضِّح هذا من خلال حقيقة أن إمكانية فهمها تستمد من التوافق مع الحبكات المألوفة، أو بمصطلحاتنا من الخطوط القصصية. وتميل مثل هذه الحبكة فى قصص الحركات الغربية الحديثة إلى أن 'تسند العصيان إلى فاعلين مستقلين، أفراد' (Polletta ١٩٩٨: ١٥٥) وليس العلاقات التى تُشكِّل نسيج المجتمع والمنغرس داخلها بثبات فاعلون أفراد. ومن ثم فإن المشاركين فى حركات اجتماعية يمكن أن ينتهوا بإعادة إنتاج الكثير من العالم السردى ذاته الذى بدأوا فى تحديه.

وتوضِّح بوليتا (Polletta 1998: 142) أنه فى حين أن منظرى السرد 'يختلفون حول عدد الحبكات الموجودة تمامًا، وإلى أى مدى هى عالمية تمامًا'،

فإنهم على الرغم من ذلك يتفقون على أن 'القصص غير المتطابقة مع المخزون الثقافى للحبكات إما أنها ليست قصصًا أو غير قابلة للفهم'. وهذا يعنى أن حتى خروقات الخطوط القصصية القياسية يجب أن تكون منجزة داخل حبكات معيارية مُحكَمة **circumscribed, normative plots** إذا كانت أصلاً قابلة للفهم.

وهكذا، فإن إويك وسيلبى (**Ewick and Silbey 1995: 221**) تُؤكِّدان أن شرطًا من شروط تحدى الهيمنة 'معرفة القواعد' التى يجب أن تلعب وفقها السلطات المهيمنة وأولئك الذين يرغبون أن يدمروها. ويعنى هذا، فى الممارسة، على سبيل المثال، أنه بدلاً من حماية مُوكِّلين هامشيين من أساليب وادعاءات المحكمة ومطالبتهم أن يجيبواعلى الأسئلة التى قررها سلفًا المحامون، يمكن أن يشرح المحامى للمُوكِّلين طبيعة لعبة المحكمة. وبدلاً من صياغة سيناريو **scripting** للمُوكِّلين، يمكن أن يشرح المحامى لهم أن ثمة سيناريو وما يلزم عن ذلك السيناريو. وبدلاً من 'إلغاء الطبيعة المبنية اجتماعيًا للدعوى'، يمكن للمحامى أن يُمكِّن المُوكِّل من 'أن يشارك فى تلك البنية' (**Ewick and Silbey: 221**).

إن قابلية فهم وصدى خطوط قصصية معينة تتنوع عبر الزمن والثقافات، كما رأينا فى القسم ٥-١. كما أن معيارية السردية، كا يشرح برونر، 'ليست نهائية تاريخيًا أو ثقافيًا. ويتغير شكلها مع انشغالات العمر والظروف المحيطة بإنتاجها' (١٩٩١: ١٦). والمترجمون بعامة واعون بهذا، وغالبًا ما يتركز توسطهم على جعل نص الوصول قابلاً للفهم مع المحافظة على الخرق المحدَّد المُشفَّر فيه. ويمكن رؤية مثال مثير على هذه العملية التى ناقشتها فى عمل آخر (**Baker, in press, b**) فى اختيار الترجمة السينمائية فى فيلم محمد بكرى الوثائقى جنين جنين، الصادر عام ٢٠٠٢ الراصد لـ 'الغارات' الإسرائيلية فى معسكر جنين فى الضفة الغربية المحتلة[١٤]. وفى موضع من مواضع الفيلم الوثائقى، يعبر رجل فلسطينى عجوز عن صدمته مما حدث وعدم مبالاة العالم الظاهرة والامتناع عن التدخل. إذ يُنهى مساهمته قائلاً،

''أنا عارف والله العظيم، والله العظيم، بيتنا ما صار بيت''.

وهو ما يعنى حرفيًا بالإنجليزية **'What can I say, by God, by God, our home is no longer a home'** فى حين أتت الترجمة المصاحبة لهذه اللقطة:

ماذا يمكننى أن أقول؟ ولا حتى فيتنام كانت بهذا القدر من السوء.

What can I say? Not even Vietnam was as bad as this.

ولكى يوصّل فداحة الموقف لجماهير العالم المحكوم تصورها للفداحة بالهيمنة السياسية للولايات المتحدة الأمريكية – بعبارة أخرى لكى يجعل سردية جنين جنين قابلة للفهم لجمهور غربى، وبشكل خاص أمريكى – فإن المترجمين للفيلم يعيدون تشكيل سياق الحدث من خلال استدعاء سردية يفترض فيها أنها تتضمن أصداء أخلاقية لأولئك المشاهدين. إن الخيط القصصى القومى المُؤطّر داخله التلفظ الأصلى، والمُستدعى من خلال استخدام 'بيت'، ليس إلا واحدًا من الإقصاءات المتكررة عن أراضى أسلاف الراوى، الفقد المتكرر لبيت بعد بيت، وشتات الفلسطينيين عبر العالم، والوضع المألوف لمعسكرات اللاجئين اللانهائية المضغوطين فيها جيلاً بعد جيل والمجبورين أن يعدوها بمثابة 'البيت'. ولم يكن لهذا الخط القصصى، فى عام ٢٠٠٢، إلا صدى ضئيل جدًا فى الولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص، ويبدو أن المترجمين للفيلم قد حكموا عليه بأنه غير قابل للفهم بالنسبة للجماهير الغربية. ومن ثم استبدلوا به هنا حدثًا تاريخيًا يعد مفهومًا بالنسبة للأمريكيين وبشكل مقصود ويستدعى خيطًا قصصيًا مألوفًا لهم.

إن هذا المثال يجسد الخرق والمعيارية. إذ تُقارن مأساة جنين بفيتنام وليس بكشمير على سبيل المثال، لكى تصبح [ص ٩٩] قابلة للفهم فى سياق الهيمنة السياسية الأمريكية.



الشكل ١٤

- لقطة من جنين جنين

[ماذا يمكننى أن أقول؟ ولا حتى فيتنام كانت بهذا القدر من السوء.]

وفى الوقت ذاته، فإن خرق السردية المهيمنة آنذاك لإسرائيل على أنها بلد مسالم ضغير تحت التهديذ وأن الولايات المتحدة الأمريكية تلعب دور الوسيط الأمين فى المنطقة مُبْرَز بشكل واضح. لقد كان يمكن للمترجمين أن يستدعوا حدثًا أحدث وأكثر حتى تداولاً بين المشاهدين المستهدفين، وهو الحادى عشر من سبتمبر، إلا أنهم باختيارهم لفيتنام يصورون أمريكا بوصفها معتدية ومقترفة للعنف، وليس بوصفها وسيطًا أمينًا، حتى فى الوقت الذى يُعاد فيه تأطير مأساة جنين لتصبح قابلة للفهم بالنسبة للجماهير الأمريكية. وهكذا ينجح المترجمون فى آن واحد فى أن يضمنوا إمكانية الفهم وأن يحتفظوا بالخرق المُشفَّر فى الصناعة الفعلية للفيلم.

وأخيرًا، فإن المعيارية ليست مقصورة على ضبط السرديات. بل إنها تعمل أيضًا على دفعنا بشكل مباشر أو غير مباشر إلى المشاركة فى تلك السرديات، إلى لعب أدوار محدَّدة معياريًا داخلها، حتى فى الحالات التى يمكن ألا يكون فيها بشكل ظاهر دافعية واضحة لفعل ذلك. كما أن دارسى الحركات الاجتماعية مثل بوليتا

Polletta (1998)، على سبيل المثال، يتساءلون ما الذى يجبر الناشطين على أن يشتركوا فى سرديات معينة وأن يشاركوا فى أنشطة مجهدة انفعاليًا وغالبًا خطيرة فيزيقيًا. إلا أن تفسيرهم لهذه الظاهرة يدور حول البعد المعيارى للمشاركة:

الأدوار المقدرة تقديرًا عاليًا داخل المجتمعات يمكن أن يتأتى لها أن ترتبط بمذهب الفعالية بطريقة تجعل المشاركة مطلبًا للدور. وفى المرحلة المبكرة من حركة الحقوق المدنية، كانت الفعالية مرتبطة بـــ - المطلوب معياريًا - من مرتادى الكنيسة؛ فى ١٩٦٠، وأصبح الطالب **student** مرتبطًا بالناشط، أصبح 'هوية اجتماعية مُقدَّرة' تدعم الدوافع الانتقائية للمشاركة.

(Polletta 1998: 143)

٥-٤ التراكم السردى

إن برونر **(Bruner 1991: 18)** يتحدث حول التراكم السردى **narrative accrual** بوصفه الأسلوب الذى 'نلحم به القصص معًا لنجعل منها كلاً من نوع ما' (١٩٩١: ١٨). وأحد السبل التى يتحقق بها هذا، طبقًا لبرونر، يكون من خلال 'فرض فروع الاستلزام السببى التاريخى' **'the imposition of the boughs historical-causal entailment'** مثلما هو فى ادعاء أن اغتيال الأرشدوق فرانز فيرديناند تسبَّب فى اندلاع الحرب العالمية الأولى (١٩٩١: ١٩). كما أن الدعاوى المتكرِّرة (الأسبق) بأن اجتياح الولايات المتحدة الثانى للعراق فى ٢٠٠٣ أطلقته هجمات الحادى عشر من سبتمبر على نيو يورك يمكن أن تعد مثالاً آخر لفروع الاستلزام التاريخى السببى، إذا قبلنا أنه لم يتم قط تأكيد الارتباط بين نظام صدام وتلك الأحداث. وطبقًا لبرونر مرة أخرى، فإنه توجد استراتيجية أخرى لتحقيق التراكم السردى تتمثل فى الاتساق بسبب المعاصرة **coherence by contemporaneity**، وبموجب ذلك يفترض أن تكون الأحداث مترابطة ببساطة لأنها

تقع فى الوقت ذاته (١٩٩١). وفى الأزمنة الحديثة، يمكن أن يعد التراكم السردى بكلا هذين المعنيين 'نتاجًا لمجمل عمل التلقين الرمزى **symbolic inculcation** الذى يشارك فيه الصحفيون والمواطنون العاديون مشاركة سلبية و، قبل كل ذلك، يشارك عدد معين من المثقفين مشاركة فعالة' .**(Bourdieu 1998: 29)**

إن تعريف برونر للتراكم السردى، فى حدود التعريف الذى يُقدِّمه، محدود للغاية. ولعله يمكننا، لأغراضنا هنا، أن نعيد تعريف التراكم السردى بشكل أكثر اتساعًا بوصفه ناتج العرض المتكرر لمجموعة من السرديات المرتبطة المُفضية فى النهاية إلى تشكيل الثقافة أو التقاليد أو التاريخ. إن هذا التاريخ يمكن أن يكون شخصيًا، كما هو فى حالة السرديات الأنطولوجية. كما يمكن أن تكون جماهيرية، بما فى ذلك السرديات المؤسسية والتعاونية **institutional and corporate narratives**، وهكذا تفضى فى النهاية إلى تشكيل السرديات الشارحة. ويمكن أن تكون تصورية، حيث يمكننا أن نتحدث عن تراكم سردى يُشكِّل تاريخ مجال أو مفهوم مُحدَّد يخترق المجالات. وفى كل هذه الحالات، تكون القضية هى ما الفروع وما الذى لا يقع خارج نطاق هذا التعريف المُعدَّل للتراكم السردى.

إن سردياتنا الأنطولوجية ليست أكثر من تنويعات على مخزون القصص المتاحة فى ثقافتنا؛ وتجمع هذه القصص باستمرار المزيد من التفاصيل، وتكتسب المزيد من العمق، وتتكاثر عبر عملية التراكم السردى. وفهمنا لحياتنا ولما نفعله وكيف نفعله لنحيا فى المجتمع هو منتج ثانوى لمخزون القصص التى نتعرض لها بداية من الطفولة وما بعدها. ويقول ماكينتاير **MacIntyre** 'احرم الأطفال من القصص' 'وستتركهم متلعثمين متوترين بلا سيناريو فى أفعالهم وكلماتهم' (١٩٨١: ٢٠١). ويوضِّح برونر أنها بمجرد ما أن تحقق مستوى معينًا من التداول داخل ثقافة ما، حتى تبدأ التراكمات السردية فى أن تكون لها قوة القيد. إن 'الثقافة'، كما يشرح، 'تعيد دومًا بناء نفسها من خلال ابتلاع مصفوفتها السردية'

.(١٩٩١: ١٩) وسواء كان مقصودًا من التراكمات السردية أن تعمل أو لا تعمل على هذا النحو، فإنها تُرسِّخ القوانين التأويلية والسلوكية، وهذه القوانين هى التى 'تُشكِّل القياسية التى تسمح لنا بأن ندركها حين يحدث خرق وكيف يمكن أن يُفسَّر' (١٩٩١: ٢٠). إن سردياتنا الأنطولوجية تقيدها وتقويها فى آن واحد هذه العملية. وبحكم رسوخه بثبات فى ماضٍ جمعى 'يتيح لنا 'إحساسنا بالانتماء إلى هذا الماضى القياسى ... أن نشكِّل سردياتنا المنحرفة عنه مع الحفاظ على التوافق مع القانون' (١٩٩١: ٢٠). ويطرح ماكينتاير وجهة نظر مشابهة عندما يصف الرؤية السردية للذات – بوصفها معارضة لمعالجة سارتر وجوفمان للذات بوصفها منفصلة، بدون تاريخ – على النحو التالى:

إن قصة حياتى مغروسة دومًا فى قصة تلك المجتمعات التى أستمد منها هويتى. إننى مولود بماضٍ؛ ومحاولة فصلى عن ذلك الماضى، بالصيغة الفردية، يعنى تشويه علاقاتى الحاضرة. ذلك أن امتلاك هوية تاريخية وامتلاك هوية اجتماعية يتطابقان. (١٩٨١: ٢٠٥)

إن السرديات الجماهيرية التى تروجها مؤسسات قوية مثل الدولة أو وسائل الإعلام لا تبرز فحسب تلك العناصر التى تستملكها انتقائيًا، وإنما تفرضها أيضًا على وعينا من خلال العرض المتكرر لها، وهى العملية التى يصفها بورديو بـ 'التغذية الرمزية المتناقطة' **'symbolic dripfeed'** (١٩٩٨: ٣٠) ويعمل النظام القانونى بطريقة مشابهة. ويوضح برونر أنه بقدر ما يلح القانون على مثل هذا التراكم للقضايا بوصفها ''سوابق' **"precedents"**، وبقدر ما تكون ''القضايا'' سرديات، يفرض النظام القانونى عملية منظمة من التراكم السردى' (١٩٩١: ٢٠). إن مثال النظام القانونى مفيد لأنه يظهر أيضًا كيف تشكِّل جزئيًا عملية التراكم السردى وظيفة للهيمنة. بل إن حتى أمثلة الشقاق والنزاع داخل النظام القانونى تساهم فى النهاية فى تعزيز السردية القانونية الإجمالية عبر الزمن.

على سبيل المثال، لقد تركزت قضية بلسي ضد فيرجسون Plessy v. Ferguson (163 U. S. 537, 1896) حول هل كان عزل السود فى عربات قطارات منفصلة طبقًا لتشريع لوزيانا فى ذلك الوقت دستوريًا. وقد كان رأى الأغلبية فى هذه القضية لصالح تأييد التشريع، فيما عدا ذلك المنشق الوحيد، وهو القاضى هارلان **Justice Harlan**. وكما يظهر تفسير ميرتز (**Mertz 1996**) للقضية، فإن معارضة القاضى هارلان عضّدت كلاً من السردية القانونية الإجمالية والبنية الاجتماعية القائمة فى ذلك الوقت. ولقد كان عليه، لكى يفنِّد الآراء المُعبَّر عنها فى هذه القضية، أن يلجأ إلى قضايا قانونية سابقة وإلى التعديل الثالث عشر فى الدستور، وبالتالى إلى عملية التراكم السردى فى هذا المجال من خلال تداول التصديق ومنحه لتنويعات معينة من السردية القانونية. وفيما يتعلق بالبنية الاجتماعية القائمة، فقد كان القاضى هارلان حريصًا فى شقاقه ألا يبدو مُهدِّدًا للقطاع الأبيض من المجتمع أو توازن القوى بين الأعراق. ولذا فقد عرض المشكل على نطاق واسع بوصفه مشكل عدم عملية وإزعاج مرتقب بالنسبة للحزب المهيمن وليس إساءة استعمال لحقوق الحزب الأضعف: إذا أصرت خادمة ملونة أن تركب فى العربة ذاتها مع امرأة بيضاء تعمل فى خدمتها، ويمكن أن تكون فى احتياج لرعايتها الشخصية أثناء السفر، فإنها تخضع للتغريم أو السجن على إظهارها لمثل هذا الحماس فى أداء الواجب' [مقتبس لدى ميرتز] (**Mertz 1996: 146**).

إن تراكم أى شكل من أشكال السرديات، بما فى ذلك السرديات الجماهيرية، يتحقق عبر قنوات متنوعة وليس عبر الحفاظ بشكل كامل على المؤسسات المهيمنة للمجتمع. وتصوغ الجماعات الناشطة والمهمَّشة نسخها السردية عبر سلسلة كاملة من المنتديات ووسائل الإعلام. إذ توزع منشورات، وتصدر بيانات صحفية، وتطلق مناشدات، وتنظم مسيرات ترفع فيها بوسترات، وتهتف بشعارات، وتستخدم العديد من أشكال الاحتجاج الأخرى.





الأمن الوطنى يراقبك!

الخوف يبيع هل تشترى؟

إن عملية القياسية والخرق ذاتها المغروسة فى التراكم السردى والواضحة فى قضية بليسى ضد فيرجسون التى ناقشناها فيما سبق يمكن أن نراها فاعلة هنا أيضًا. إن الرسوم الكارتونية مثل رسم باول فيتزجيرالد فى الشكل (٥) وحتى ملصقات الاحتجاج الموضوعة على النوافذ، والتيشيرتات والملصقات الصغيرة[١٥] badges التى تسخر من سيطرة الأمن المهيمنة وتتحداها لا يمكنها سوى أن تساهم فى صناعة سردية الإرهاب الأوسع حتى والجماعات الناشطة العديدة تشرع فى تقويضها. إنها فى النهاية هذه السمة للتراكم السردى التى تُمكِّن من انتشار السرديات الشارحة أو الكبرى للتقدم، والتنوير، والإرهاب العالمى، والديموقراطية الغربية، وما إليها، حتى فى الوقت الذى تنطلق فيه جماعات متنوعة فى المجتمع للتحدى وتقوِّض بعض تلك السرديات ذاتها.

إن سمات السردية المناقشة فى هذا الفصل والفصل السابق عليه ليست منفصلة عن بعضها البعض؛ بل إنها تتداخل لا محالة وتعتمد على بعضها البعض اعتمادًا شديدًا. إذ لا يمكن للتاريخية (بُعد الزمنية، القسم ٤-١)، والتراكم السردى، والقياسية والخرق أن تكون منفصلة انفصالاً تامًا، ولم تنتج لتعامل بوصفها سمات منفصلة. وينطبق الشىء ذاته على كل سمات السردية الأخرى: إن السلاسل الزمنية والفضائية تشارك فى صياغة أنماط التحبيك السببى؛ كما يُدرك التحبيك السببى جزئيًا بدوره عبر الاستملاك الانتقائى، وهكذا. وليس المقصود من نقاش هذه السمات تحت عناوين منفصلة سوى بيان بعض الطرائق المعقدة التى تتوسط بها السردية خبرتنا بالعالم.

مراجع أساسية:

Alexander, Jeffrey C. (2002) 'On the Social Construction of Moral Universals: The "Holocaust"
from War Crime to Trauma Drama', European Journal of Social Theory 5(1): 5–85.

Bennett, W. Lance and Murray Edelman (1985) 'Toward a New Political Narrative', Journal
of Communication 35(4): 156–71.

Bruner, Jerome (1991) 'The Narrative Construction of Reality', Critical Inquiry 18(1): 1–21.

Ehrenhaus, Peter (1993) 'Cultural Narratives and the Therapeutic Motif: The Political
Containment of Vietnam Veterans', in Dennis K. Mumby (ed.) Narrative and Social Control: Critical Perspectives, Newbury Park CA: Sage, 77–118.

Ghosh, Bishnupriya (2000) 'An Affair to Remember: Scripted Performances in the "Nasreen
Affair"', in Amal Amireh and Lisa Suhair Majaj (eds) Going Global: The Transnational Reception
of Third World Women Writers, New York and London: Garland Publishing, 39–83.

Reeves-Ellingto, Barbara (1999) 'Responsibility with Loyalty: Oral History Texts in Translation',
Target 11(1): 103–29.

Silver, Mark (2004) 'The Detective Novel's Novelty: Native and Foreign Narrative Forms in
Kuroiwa Ruiko's Ketto no hate', Japan Forum 16(2): 191–205.

قراءات إضافية:

Ewick, Patricia and Susan S. Silbey (1995) 'Subversive Stories and Hegemonic Tales: Toward

a Sociology of Narrative', Law & Society Review 29(2): 197–226.
Gergen, Kenneth J. and Mary M. Gergen (1997) 'Narratives of the Self', in Lewis P.
Hinchman and Sandra K. Hinchman (eds) Memory, Identity, Community: The Idea of Narrative
in the Human Sciences, Albany: State University of New York Press, 161–84.
Hermans, Theo (1982) 'P.C. Hooft: The Sonnets and the Tragedy', Dispositio: Revista
Hispánica de Semitica Literaria VII (19–20): 95–110.
Muhawi, Ibrahim (1999b) 'On Translating Palestinian Folktales: Comparative Stylistics and
the Semiotics of Genre', in Yasir Suleiman (ed.) Arabic Grammar and Linguistics, Richmond:
Curzon Press, 222–45.
Pratt, Mary Louise (1994) 'Travel Narrative and Imperialist Vision', in James Phelan and
Peter J. Rabinowitz (eds) Understanding Narrative, Columbus: Ohio State University Press,
199–221.

الفصل السادس

تأطير السرديات في الترجمة

يواجه المترجمون والمترجمون الشفاهيون خيارًا أخلاقيًا أساسيًا مع كل تكليف: إذ لكي يُعيدوا إنتاج الأيديولوجيات القائمة بوصفها مُشفَّرة في السرديات المتشكلة داخل النص أو التلفظ، أو لكي يفصلوا أنفسهم عن تلك الأيديولوجيات، فإن هذا لا يكون، إذا ما كان ضروريًا، إلا من خلال رفض ترجمة النص أو ترجمته شفاهيًا في سياق معين أصلاً. وفي ظل أنهم اعتياديًا في وضعية تتيح لهم رفض التكليف، فإن 'قبول العمل... يتضمن التواطؤ' (Séguinot 1988: 105)[1] وفيما وراء هذا الخيار الأساسي، يمكن للمترجمين والمترجمين الشفاهيين أن يلجأوا، وبالفعل يلجأون، إلى استراتيجيات متنوعة لتقوية أو تقويض جوانب مُحدَّدة من السرديات التي يتوسطونها، سواء بشكل صريح أو ضمني. وتُمكِّنهم هذه الاستراتيجيات من أن يفصلوا أنفسهم عن الموقف السردي للمؤلف أو المتحدث، أو أن يُبرزوا، بدلاً من ذلك، تعاطفهم معه.

إن هذا الفصل يعاين بعض الطرائق العديدة التي يبرز أو يُقوِّض أو يُعدِّل بها المترجمون والمترجمون الشفاهيون - بالتعاون مع الناشرين والمحررين، وفاعلين آخرين من المنخرطين في التفاعل - جوانب من السردية (أو السرديات) المُشفَّرة في النص أو التلفظ المُنطلَق منه. وبما أنني حدَّدت السمات المرتبطة بالسردية في الفصلين الرابع والخامس، فإنني أنتقل الآن إلى المفهوم العريض لـ التأطير **framing** لاستكشاف كيف يمكن أن تُعاد مفاوضة هذه السمات لتنتج سردية مشحونة سياسيًا في السياق المُنطلَق منه. والفرضية الممتدة على مدار هذا الفصل هي أن المترجمين والمترجمين الشفاهيين ليسوا مجرد متلقين سلبيين للتكليفات من

الآخرين؛ بل إن الكثيرين منهم يبادرون بمشروعاتهم الخاصة فى الترجمة ويختارون بفعالية نصوصًا ويتطوعون بترجمة أعمال تساهم فى صياغة سرديات مُحدَّدة. كما أنهم ليسوا محترفين منفصلين، غير مسئولين يبدأ وينتهى تدخلهم بمجرد توصيل منتج لغوى فحسب. بل إن المترجمين والمترجمين الشفاهيين، مثلهم مثل أى جماعة أخرى فى المجتمع، مسئولون عن النصوص والتلفظات التى ينتجونها. ذلك أنهم، سواء بشكل واعٍ أو غير واعٍ، يترجمون نصوصًا وتلفظات تشارك فى إبداع، ومفاوضة ومساجلة الواقع الاجتماعى.

٦-١ التأطير، وغموض الإطار، وفضاء الإطار

إن التصورات المرتبطة بـ الأطر، وأطر العمل، والتأطير تُستخدَم بطرائق متعددة من قبل باحثين يعملون ضمن تقاليد بحثية مختلفة. وهى غالبًا ما تُستخدَم أيضًا بالارتباط مع مفهوم الخطاطة **schema** أو المُخطَّط **schemata**. وهذان الأخيران يشيران بعامة إلى تلك 'التوقعات الخاصة بالأشخاص، والموضوعات، والأحداث، والخلفيات الزمنية والمكانية **settings** فى العالم' التى يجلبها معهم المشاركون إلى التفاعل (**Tannen and Wallat 1993: 60**). وهذا التعريف للمخطط يتداخل تداخلاً لافتًا مع تصور جوفمان لإطار العمل، خصوصًا حين يتحدث عن 'إطار عمل أو أطر عمل جماعة' بوصفه 'نسق معتقداته، نظريته فى الكون''' .(١٩٧٤: ٢٧) وفى المقابل، تنبثق الأطر من التفاعل ذاته بوصفها مُشارِكة فى تطوِّير 'معنى ما تنخرط فيه الفعالية، كيف يعنى المتحدثون ما يقولونه' (**Tannen and Wallat 1993: 60**). ويفترض التعريف السابق لإطار العمل هكذا نسقًا من المعتقدات والتوقعات الثابتة، بينما يشدِّد تعريف الأطر على الطبيعة الدينامية للتفاعل.

وعلى الرغم من أن جوفمان يسبغ على الأفراد الفاعلية فى الجدال بمعنى أن المُشارِك فى الجدال لا يتلقى الأطر فحسب، وإنما 'يبادر أيضًا بالفعل، اللغوى

والفيزيقى على السواء، انطلاقًا من هذه الإدراكات' (١٩٧٤: ٣٤٥)، فإنه والكثيرين من أنصاره يُركِّزون بوضوح على مسائل التأويل بدلاً من التدخل الفاعل والواعى لتأطير حدث ما للآخرين؛ ومن ثم فإن اهتمام جوفمان ينصب على كيف 'يوطد تأطير الفرد للفعالية إشباع المعنى **meaningfulness** بالنسبة له'(١٩٧٤: ٣٤٥، التشديد من عندى). وفى المقابل، يُعالج التأطير، فى الكثير من الأدبيات الخاصة بالحركات الاجتماعية، بوصفه عملية تدال نشطة **an active process of signification**؛ إذ تُعرَّف الأطر بوصفها بنى استباقية **structures of anticipation**، حركات استراتيجية يُبادر بها بشكل واع لكى تُمثِّل حركة أو موقفًا مُحدَّدًا داخل منظور معين. وعلاوة على ذلك تُفهَم عمليات التأطير على أنها تُوفِّر 'آلية يستطيع الأفراد من خلالها أن يرتبطوا أيديولوجيًا بأهداف الحركة وأن يصبحوا مشاركين محتملين فى أنشطة الحركة' (**Cunningham and Browning 2004: 348**). وأنا أتبع هذا التراث البحثى المُحدَّد فى تعريف التأطير بوصفه استراتيجية فعالة تتضمن الفاعلية ونستطيع بواسطتها أن نشارك بشكل واعٍ فى بناء الواقع.

وهناك مثال جيد على الطريقة التى تُشفَّر بها عمليات التأطير فى الترجمة يناقشه بيهل (**Behl 2002**). والإطار الذى يتناوله هو إطار 'الوحى' فى سياق الموروثات الدينية. ويخبرنا بيهل أنه فى القرن السابع عشر أثبت الإثنوجرافى الزرادشتى موباد شاه أهمية هذا الإطار فى مدرسة العقائد الدينية الخاصة به، حيث قسَّم وصنَّف الطوائف الدينية بصورة عامة طبقًا لإذا ما كان دينها مُوحَى به أم غير موحى به. وكما يشرح بيهل، فإن إحدى الطرائق الأساسية التى كان يُميِّز بها المجتمع الإسلامى المحلى نفسه عن الهندوس كان من خلال إيضاح أن الهندوس لم يكن لديهم كتاب موحى، أى 'أنهم لم يتلقوا وحيًا إلهيًا من السماء' (٢٠٠٢: ٩١). وهكذا أصبح الإطار مُحدَّدًا بالنسبة لأى حوار لاحق مع الهندوس: إننا نملك الحقيقة لأنها نزلت من السماء وعرضت فى شكل كتاب؛ ولذلك لكى يثبتوا أنهم يملكون حقيقة وأنها هى الحقيقة ذاتها، فإننا يجب أن نثبت أن شرطًا مُماثلا يتحقق

بين الهندوس' (٢٠٠٢: ٩١-٢). ولذا تمثلت المهمة الرئيسية بالنسبة لأى مترجم يريد، مثل الأمير دارا شيكو (Prince Dara Shiko 1615-1615)، أن يقيم حوارًا بين المجتمعين المحليين فى أن يبرهن على أن الهندوس أيضًا كانت لديهم كتب سماوية عبَّرت عن نفس الحقيقة الروحية(٢). بعبارة أخرى، لقد توجب على الأمير شيكو أن يؤطِّر بفعالية النصوص الدينية الهندوسية بوصفها 'سماوية' و'مُوحَى بها'. إذ من بين كل الأطر الأخرى التى يمكن أن يتشكل داخلها سياق هذا الحوار، يعد سياق 'الوحى' هو السياق الأكثر فعالية.

إن الترجمة يمكن أن تُرَى بوصفها إطارًا مستقلاً بذاته، سواء بمعناه الحرفى أو الاستعارى. ويستخدم دربر Draper الترجمة بوصفها استعارة فى نقاشه للاستراتيجيات البلاغية المُستخدمة لتؤطِّر العنف السياسى منذ سبتمبر ٢٠٠١:

لقد برَّرت الولايات المتحدة الأفعال التى اتخذتها بعد الحادى عشر من سبتمبر بترجمة كل العنف الأصلى، أى أشكال العنف العديدة والمتنوعة التى لا تدعمه، إلى لغة الوصول الخاصة بـ 'النزعة الإرهابية terrorism'، وشجَّعت بالتبعية قوى عالمية رئيسية أخرى مثل روسيا والهند على أن تترجم المعارضة العنيفة بشكل مماثل. إن مثل هذه الصيغة من الترجمة تتضمن نقل المثال الخالص للعنف إلى خطاب النزعة الإرهابية. وهذا النقل دائمًا ما يصاحبه عمل النسيان والحذف للسياق التاريخى للعنف لكى يُفرِّغه من كل معنى. إن ترجمة فعل عنيف بوصفه نزعة إرهابية ومن ثم يجسِّد الفعل بوصفه سلعة لسلبية خالصة، سلعة يمكن حينئذٍ أن تكون منقوشة مع إيحاءات أخلاقية أو سياسية من أى نوع يعدها المترجم ملائمة. ومثل هذه الترجمة يمكن وفق هذا أن تكون مُروَّجة ترويجًا كبيرًا بالنسبة للجماهير المحلية والعالمية. وهذه القابلية العالمية لترجمة خطاب الإرهاب the Terror discourse يمكن أن تُرَى من خلال الشيوع اللافت لتصور النزعة الإرهابية الظاهرة ليس فقط لدى البلدان المتحالفة مع الولايات المتحدة وإنما حتى لدى أكثر أعدائها عنادًا. وقد كان أسامة بن لادن، على سبيل المثال، سريعًا فى

نعت الأمريكان بوصفهم مناصرين لـــ 'الإرهاب الشرير' 'bad terror' بينما يضع نفسه هو فى صف 'الإرهاب الخير.' (Draper 2002)

بعبارة أخرى، إن الإرهاب يُستغَل عن عمد بوصفه – أو 'يُترجَم إلى' – ما يمكننا أن نطلق عليه 'إطارًا أكبر' 'a 'master frame لتنظيم ســـرديات خـــصوم الولايات المتحدة السياسيين وتجريدهم من كل تاريخية وكذلك من كل دافعية مـــن الممكن أن تكون، إنْ لم تكن مُبرَّرة، قابلة للفهم.

إن الترجمة يمكن أيضًا أن تُعامل بوصفها إطارًا بمعنـــى أقـــل اســـتعارية. ويمضى بومان (Bauman 2001: 168) فى نقاشه لـــلأداء فـــى مقابـــل التواصـــل الحرفى، واللذين ينظر إليهما بوصفهما أطرًا تأويلية تُوَجِّه الكيفية التى نفهـــم بهـــا الرسائل، ليدرج فى القائمة عددًا إضافيًا من تلك الأطر التأويلية(٣). وهـــذه القائمـــة تتضمن ' الترجمة، التى تكون فيها الكلمات المنطوقة لتتـــرجم بوصـــفها المكافئـــة للكلمات المنطوقة أصلاً فى لغة أو شفرة أخرى'.

إن هذا الفصل سيحاول أن يثبـــت، فيمـــا وراء هـــذه الوظيفـــة التأطيريـــة الأساسية، أن الترجمة تعمل بوصفها إطارًا تأويليًا بطرق شتى عديـــدة، وإن كـــان بعضها يظل خفيًا على الملاحظة المباشرة من قبل معظم القراء و/أو المـــستمعين. بعبارة أخرى، إن الترجمة 'ليست ببساطة إطارًا تأويليًا وإنما أداء يحيط بأى عـــدد من الأطر التأويلية' (Muhawi، تحت الطبع).

٦-١-١ غموض الإطار

إن المجموعة ذاتها من الأحداث يمكن أن تُؤطَّر بطرائق مختلفـــة لتُـــروِّج سرديات متنافسة(٤)، بتضمينات مهمة بالنسبة لأطراف الصراع المختلفة؛ وهو مـــا ينتج عنه غالبًا غموض الإطار **frame ambiguity**. على سبيل المثال، إن أشكالاً من الصراع العنيف يمكن أن تُؤطَّر بوصفها 'حربًـــا'، أو 'حربًـــا أهليـــة'، أو 'حـــرب عصابات'، أو 'أعمالاً إرهابية'، أو حتى 'صراعًا أقل حدة' (Chilton 1997: 175).

ويُفسِّر سميث (Smith 1997) هذه العملية بالنسبة للصراع الشيشانى والأحداث فى البوسنة والهرسك. إذ إن أولئك الذين يؤيدون القضية الشيشانية يصرون على أن صراعهم مع روسيا هو حرب بين دولتين أو حرب استقلال، بما أن 'القول بخلاف ذلك يعنى الاعتراف بما كانت الحرب تُخاض من أجل أن تنفيه – وهو سيادة روسيا على أرض الشيشان' (Smith 1997: 204). وفى حالة البوسنة والهرسك، فإن تأطير ما حدث هناك ما بين ١٩٩٢ و١٩٩٥ بوصفه حربًا أهلية لم يكن مقبولاً كذلك بالنسبة للحكومة ومؤيديها، وأحد أسباب هذا هو أن إطار الحرب الأهلية لا يسمح بإقرار أنماط معينة من جرائم الحرب التى يتم إقرارها داخل إطار الحرب بين الدول (Smith 1997: 205)(٥). بعبارة أخرى، إن للتأطير عواقب ملموسة بالنسبة لأولئك المتأثرين بالعملية.

إن غموض الإطار، 'الشك الخاص الذى ينشأ حول تعريف الموقف' (Goffman 1974: 302)، غالبًا ما يَخْبُره أطراف الصراع المختلفون بوصفه ناتجًا ثانويًا للمحاولات المتنافسة فى شرعنة نسخ مختلفة من السردية المرتبطة بالصراع. وقد أجرت بلوم – كولكا وليبز Kulka and Liebes–Blum ، مستفيدتين من هذا المفهوم، ٢٢ مقابلة مع ٣٦ جنديًا إسرائيليًا ممن خدموا فى الأراضى المحتلة ورصدتا ثلاث طرائق أطروا بها الانتفاضة الفلسطينية:

> **إن الإطارين المحوريين اللذين ينبثقان هما إطار القانون والنظام الذى يؤطِّر الجيش فى الدور المتحول وغير المألوف لشرطة الشغب المسئولة عن 'قمع الاضطرابات'، وإطار الحرب الذى يحافظ على الدور التقليدى للحرب ويؤطِّر الانتفاضة بوصفها اندلاعًا آخر للصراع المتواصل... كما يمكن أن يكون الإطار الثالث ما يُسمَّى إرهاب الدولة State Terror، بما يجعله يحدِّد أفعال إسرائيل فى الانتفاضة بوصفها عدوانًا غير مشروع مما يُطلق أفكار رفض الخدمة [فى الجيش].**
>
> **Blum-Kulka and Liebes 1993: 45**

إن هذه الطرائق المختلفة فى تأطير الانتفاضة تقود إلى أفعال مختلفة من جانب الجنود الأفراد، إلا أن بلوم – كولكا وليبز وجدتا أيضًا أن جنودًا كثيرين

يتأرجحون بين إطارين أو اثنين؛ بعبارة أخرى تظل لديهم شكوك حول تحديد الموقف.

وإذا كان غموض الموقف سمة من سمات الحياة اليومية، فإننا يجب إذًا أن نتوقع أن يكون هذا منعكسًا فى النصوص والتلفظات التى نترجمها ونؤولها، إلا أن هذا الغموض غالبًا ما ينفك أو يتعتم فى الترجمة. ويقدِّم لنا تحليل الملك – العبد **The Slave -King** لبونيج (Bongie 2005)، الترجمة الإنجليزية لرواية بوج جارجال **Bug-Jargal** لفيكتور هوجو، مثالاً على هذه الظاهرة. وبينما يكشف نص هوجو توجهًا منقسمًا على ذاته تجاه العبودية، فإن النسخة الإنجليزية تجل غموض هذا الإطار وتقدِّم للقارئ سردية غير ملتبسة ضد العبودية. وسأناقش بإيجاز بعض الأمثلة على كيف يُنجَز هذا التأثير خِطابيًا (انظر القسم ٦–٣–١).

كما يمكن أيضًا أن يُستغل غموض الإطار فى الترجمة. وقد ناقشت فى بحث لى تحت الطبع (**Baker in press, b**) خلافًا مهمًا حول معنى كلمة واحدة، هى كلمة ولاية **wilaya**، فى شريط لأسامة بن لادن بثته قناة الجزيرة فى ٢٩ أكتوبر عام ٢٠٠٤، فى غمرة انتخابات الولايات المتحدة. ومبدئيًا، فإن ولاية يمكن أن تعنى إما 'دولة' **'state'** بمعنى أمة/ بلد أو 'ولاية' **'state'** بالمعنى الحديث اليوم لمنطقة انتخابية. وقد اختار مترجمو الجزيرة على نحو عام المعنى الأول، بينما اختار مترجمو (ميمرى) معهد بحوث إعلام الشرق الأوسط، – وهو معهد إعلامى للمحافظين الجدد، ناقشت أنشطة ترجمته من قبل تحت عنوان 'الاستملاك الانتقائى' – المعنى الثانى:

ترجمة الجزيرة[٦]

In Conclusion, I tell you in truth, that your security is not in the hands of Kerry, nor Bush, nor al-Qaida. No.

Your security has automatically guaranteed its security.

وختامًا، أقول لكم بصدق إن أمنكم ليس بأيدى كيرى، ولا بوش، ولا القاعدة. كلا.

أمنكم فى أيديكم أنتم. وكل دولة لا تعبث بأمننا ستضمن بشكل تلقائى أمنها الخاص.

ترجمة ميمرى (الأقواس المعقوفة، والمواد الموضوعة بين أقواس والمكتوبة بحروف مائلة فى الأصل)(٧)

Your security is not in the hands of kerry or Bush or Al-Qa'ida. Your security is in your own hands, and any] US [state] wilaya [that does not toy with our security automatically guarantees its own security.

أمنكم ليس فى أيدى كيرى أو بوش أو القاعدة. أمنكم فى أيديكم أنتم، وأى [ولاية] من [الولايات المتحدة] لا تعبث بأمننا تضمن بشكل تلقائى أمنها الخاص.

لقد أصر ميمرى أن بن لادن 'هدَّد كل ولاية من ولايات الولايات المتحدة، [و] ... عرض صفقة انتخابية على الناخبين الأمريكيين – نوعًا من العفو عن الولايات التى لن تنتخب بوش'، وأن 'إعلام الولايات المتحدة أساء ترجمة كلمتى ''أى ولاية **ay wilaya**'' (التى تعنى ''كل ولاية من من ولايات الولايات المتحدة'(٨). إن جوان كول، أستاذ التاريخ فى جامعة ميتشجن وصاحب الموقع النشط تعليق وافٍ **Informed Comment** (**www.juancole.com**)، يُفنِّد هذا التأويل:

إن بن لادن يقول إن مثل هذه 'الولاية' لا ينبغى أن تعبث بأمن المسلمين. إنه لا يستطيع على الأرجح أن يظن أن رود إيلاند فى وضعية تتيح لها فعل ذلك. كما لا يمكن أن يكون يشير إلى الكيفية التى تصوِّت بها الولاية، لأنه يبدأ بقوله إن أمن الأمريكيين ليس فى أيدى بوش أو كيرى. أى أنه نبذهما كمتساويين ولا تأثير لهما بذاتهما ولذاتهما(٩).

وقد عملت ميمرى والنوافذ الإعلامية الراغبة فى ذلك آنذاك بقوة على توظيف غموض الإطار الممكن الذى أطلقه استخدام كلمة ولاية لتنشِّط ما يمكن أن

نطلق عليه إطار 'التدخل فى انتخابات الولايات المتحدة'. كما عمل الناشطون المعارضون لنمطهم فى السياسة بقدر مساوٍ من القوة على نفى غموض الإطار الممكن وتقويض محاولات المحافظين الجدد على التلاعب به.

٦-١-٢ فضاء الإطار

وبعيدًاعن غموض الإطار، من المهم أن نلاحظ أن معاملة التأطير بوصفه استراتيجية فعَّالة وواعية لا تعنى أنه خاضع لأنماط متنوعة من القيود أو أن الفاعلية ليست مُقيَّدة بالسياق الذى تُمارس فيه. ويُعد مفهوم جوفمان عن فضاء الإطار **frame space** مفيدًا جدًا هنا ويمُكننا اقتراضه لكونه مصوغًا صياغة تتوافق مع بؤرة اهتمامنا الراهنة.

إن المشاركين فى أى تفاعل يلعبون أدوارًا مختلفة (مذيع، مؤلِّف، مترجم، نائب عام، مُحاضِر، ضابط جيش، والد)، ويدخلون فى التفاعل بقدرات مختلفة (متكلم، قارئ، مُخاطَب رئيس، مُسترق للسمع، مُتنصت)، ويتخذون أوضاعًا مختلفة تجاه الحدث والمشاركين الآخرين (داعمين، غير منحازين، غير مبالين، دخلاء غير عارفين، ملتزمين). إن الناتج الكلى لكل هذه الإمكانيات يُشكِّل ما يدعوه جوفمان فضاء إطار المشارك[١٠]. وفضاء الإطار هذا 'موزَّع توزيعًا معياريًا'، مما يعنى أن إسهامًا ما يعد مقبولاً حين يظل ضمن فضاء الإطار الموزَّع على المتكلم أو الكاتب ويعد غير مقبول حين يقع خارج ذلك الفضاء (**Goffman 1981: 230**). ويقدِّم جوفمان مثالاً مثيرًا لجانب خاص من أعمال فضاء الإطار ينبغى أن يساعد فى شرح ارتباط هذا المفهوم بالمترجمين والمترجمين الشفاهيين:

ولنضع فى الاعتبار أن مذيعى الشبكة الوطنية – مذيعى الأخبار، ومنسقى البث الإذاعى برنامج **program M.C.s** – فى الأوقات الرئيسية يوصلون بشكل مميز رسائل قصيرة تكاد تكون إذا ما تحدثنا تقنيًا خالية من الأخطاء، وأنهم يعملون وفق التزام خاص بفعل ذلك، سواء كانت هذه الرسائل حديثًا طازجًا، أو قراءة

جهيرة، أو استظهارًا من الذاكرة. وفى الواقع، على الرغم من أن الحديث العادى يكون زاخرًا بأخطاء تقنية لا تتم ملاحظتها بوصفها أخطاء، فيبدو أن المذيعين مدرَّبون على إدراك ما لدينا من صور نمطية ثقافية حول إنتاج الكلام، أى أنه بشكل اعتيادى يكون بلا تأثيرات، وزلات، وسقطات **boners**، ونبوات **gaffes**، أى أنه بلا أخطاء **unfaultable**. ومن المثير أن هذه الالتزامات المهنية تولِّد، فيما يبدو، معاييرها الخاصة المُباطِنة لها بالنسبة للمستمعين وللمتكلمين على السواء بمجرد ما أن تترسخ، إلى حد أن الأخطاء التى يجب علينا أن نكون مدربين لغويًا أن نسمعها فى الحديث العادى يمكن أن تكون واضحة وضوحًا جليًا للأذن غير المدربة حين تواجهها فى الحديث الإذاعى. ولعله يمكننى أن أضيف أن ما يمكن أن يفسِّره المرء هنا بوصفه 'اختلافًا فى المعايير' هو ما أدعوه اختلافًا فى فضاء الإطار الموصوف **prescribed frame space**.

(١٩٨١: ٢٤٠)

إن المترجمين والمترجمين الشفاهيين، مثلهم مثل المذيعين، يسلكون داخل فضاء إطار يشجع الآخرين أن يسبروا كل جانب من جوانب سلوكهم اللغوى، وسلوكهم غير اللغوى فى حالة المترجمين الشفاهيين. كما يحيط فضاء إطارهم أيضًا بحدود فاعليتهم الخِطابية، على الرغم من أنه من الممكن كما هو مع أى نمط من أنماط القيود مراوغة أو تحدى هذه القيود. ومن أفضل طرائق فهم التأثير المقيد لفضاء الإطار فى الترجمة طريقة تبنى استراتيجية التأطير الزمنى والمكانى التى تتحاشى الاحتياج إلى التدخل تدخلاً لافتًا فى النص ذاته. وستتم مناقشة هذه الاستراتيجية بعد ذلك مناقشة تفصيلية فى هذا الفصل (القسم ٦-٢).

كما يمكن للمترجمين والمترجمين الشفاهيين أن يفيدوا من مسارات أخرى تتيح لهم أن يحقنوا الخطاب بصوتهم الخاص (بعبارة أخرى أن يؤطروا سرديته بفعالية) فى الوقت الذى يبرزون فيه قصدهم للبقاء داخل فضاء الإطار الموصوف لصالح نشاطهم. ويمكن لهذه المسارات أن تبرز، على السطح، أن أى انحراف عن

فضاء الإطار الموصوف إما أن يكون غير مقصود أو أنه 'ينتهك معنى الملاءمة الخاص بالمنتهك ولا يكون مسموعًا [أو مقروءً] كسمة مميزة بالنسبة إليه' (Goffman 1981: 231)، إن أفرا بين Aphra Behn فى تصديرها لترجمتها الإنجليزية لـ حورات حول تعدد العوالم المأهولة لفونتنيل Fontenelle's Entretiens sur la pluralite des mondes habite تفيد من المسار التقليدى للاعتذار لتتفادى الانتقاد الممكن لسيرها خارج فضاء إطارها كمترجمة:

> لقد حاولتُ جاهدةً أن أعطيكم المعنى الحقيقى للمؤلف، وحرصت على أن أكون قريبة من كلماته بقدر ما يمكن؛ إلا أننى اضطررتُ أن أضيف القليل فى بعض المواضع، ولولا ذلك ما كان يمكن للكتاب أن يكون مفهومًا.

(1688: 76 cited in Knellwolf 2001: 102)

ويوضِّح تصدير بين Behn بعد ذلك السبب الحقيقى لتدخلها، دون الاعتراف بالصلة بين نفورها من مشروع فونتنيل وضرورة 'أن أضيف القليل'، مما يجعلها تسير خارج فضاء إطارها:

> إن تصميم المؤلف يجعل من هذا الجزء فلسفة طبيعية بطريقة أشد ألفة مما فعل أى كاتب آخر، ويجعل كل شخص يفهمه... لكن إذا كنتم تعرفون أفكارى مقدمًا، فإننى يجب أنَ أخبركم بحرية أنه قد أخفق فى تصميمه؛ لأنه فى سعيه لجعل هذا الجزء من الفلسفة الطبيعية مألوفًا تحول إلى السخرية؛ إذ دفع بمفهومه الجامح عن تعددية العوالم إلى قمة المغالاة، إلى حد أنه من المؤكد تمامًا سيربك أولئك القراء الذين لا يتمتعون بحكم وحكمة التمييز بين ما هو صلب بحق (أو، على الأقل، محتمل) وما هو ساخر ومُحلِّق.

(1688: 76-7; cited in Knellwolf 2001: 103)

لقد استنكرتْ بين بوضوح محاولة فونتنيل جعل الفلسفة الطبيعية مألوفة ومستوعبة ليزود القراء 'الذين لا يتمتعون بحكم وحكمة التمييز بين ما هو صلب

بحق ... وما هو ساخر ومُحلِّق'، بأسلوب العلم الشعبى اليوم. ومن منظورها، فإن فونتنيل قد بسَّط أفكارًا معقدة 'على حساب متطلبات الحقيقة الخاصة بها' (Knellwolf 2001: 104). إن السرديات الجماهيرية والتصورية المغروس فيها منظورها تصوِّر العلم بوصفه قوة، بوصفه مجال خبراء تُبحَث وتُناقش فيه أمور خطيرة بدقة من قبل صفوة عارفة، وبوصفه بعيدًا عن تفاهة وجهل المجتمع العادى. إن إضافاتها 'القليلة' وإعادات صياغتها إذًا يمكن أن تُرَى بوصفها استراتيجيات تأطير مُصمَّمة لتجعل النص المنطلق على توافق مع موقفها السردى الخاص، تجعله يتوافق داخل فضاء الإطار الموصوف من أجل الخطاب العلمى.

سوف أحاول فيما تبقى من هذا الفصل أن أحدِّد وأقدِّم بشكل أكثر تفصيلاً أمثلة للطرائق التى يمكن أن يؤثر بها التأطير وإعادة التأطير فى الترجمة، بما فى ذلك الطريقة التى تفيد بها هذه العملية من سمات السردية مثل الزمنية، والاستملاك الانتقائى، والنوعية فى إعادة تشكيل أنماط التحبيك والتأثير فى المنظور السردى للقارئ أو المستمع. إذ يمكن أن تفيد عملية (إعادة) التأطير (re reframing) أن تفيد عمليًا من أى مورد لغوى أو غير لغوى، ومن الوسائل اللغوية المصاحبة **paralinguistic devices**، مثل التنغيم، وطبوغرافيا الموارد البصرية مثل اللون والصورة، ووسائل لغوية عديدة مثل تحولات الزمن، والإشاريات **deixis**، وتحويل الشفرة، واستخدام الكنايات التلطيفية **euphemisms**، وغير ذلك كثير. إذ حين قام الرقباء بتوجيه كوستاس فينتسانوس **Kostas Venetsanos**، ناشر الترجمة اليونانية لكتاب الأمير لميكافيللى عام ١٩٦٩، أن يحذف أجزاء النص التى تعد هدَّامة، نفَّذ التغيرات المطلوبة لكنه ترك هوامش بيضاء فى المواضع المقتطعة، ومسافة حرف زائد للتشديد على إبراز أجزاء أخرى هدَّامة بالقدر ذاته أو حتى أكثر (**Sotiropoulou 1996: n.p.; in Asimakoulas**). إن هذه السمة البصرية، التى لا معنى لها بذاتها، عملت كاستراتيجية تأطير فى هذا السياق، لتلفت انتباه القارئ لتأثير الرقابة، مبرزة الإحساس بالقهر الذى يعايشه القراء الذين يعيشون تحت حكم الطغمة الشديد القسوة، وتخلق إحساسًا بالتواطؤ بين الناشر اليونانى والمترجم وقرائه.

وفى ظل القائمة المفتوحة النهاية للوسائل التى يمكن أن تُستخدَم فى تأطير وإعادة تأطير السرديات فى الترجمة، فإن النقاش الذى يلى هو لا محالة توضيحى أكثر منه شاملاً. إذ سأقصر نفسى هنا على التأطير الزمنى والمكانى، والتأطير عبر الاستملاك الانتقائى، والتأطير بواسطة التسمية **framing by labelling**، وإعادة موضعة المشاركين – أربع استراتيجيات رئيسية لتوسط السردية أو السرديات المصوغة فى النص أو التلفظ المنطلق.

٦-٢ التأطير الزمانى والمكانى

إن التأطير الزمانى والمكانى يتضمن اختيار نص معين وإقحامه فى سياق زمانى ومكانى يُبرز السردية التى يُصورِّها ويُشجِّعنا أن نُرسِّخ روابط بينه وبين السرديات القائمة التى تمس حيواتنا، على الرغم من أن أحداث السردية المُنطلَق منها يمكن أن تكون موضوعة ضمن إطار عمل زمانى ومكانى مختلف جدًا. إن هذا النمط من الإقحام لا يتطلب المزيد من التدخل فى النص ذاته، على الرغم من أنه لا يستبعد بالضرورة مثل هذا التدخل.

إن جونز **Jones** واعٍ بوضوح بالديناميات التأويلية للموقع الزمانى والمكانى حين يعبِّر عن قلقه حول ترجمة فاسكو بوبا **Vasko Popa** أثناء حرب كوسوفو (٢٠٠٤: ٧١٩). فهو يُوضِّح أنه على الرغم من أن بوبا كتب فى سبعينيات القرن العشرين، حين كان من الممكن استخدام 'صور سمات العرق الصربى... مثل أسطورة كوسوفو أو مجاز الذئب بوصفه طوطمًا قبليًا' استخدامًا إيجابيًا لاستكشاف الجذور الثقافية للمؤلف، فى الوقت الذى الذى بدأ فيه جونز يترجم الأعمال المختارة لبوبا فى أواخر التسعينيات كانت قد أخذت تهيمن القومية الهائجة على المنطقة. إن ترجمة هذه النصوص على خلفية 'إساءة الاستخدام القاتلة للتصوير من قبل القوميين الصربيين' وفى الوقت الذى دلت فيه 'الذئاب البيض' على سبيل المثال على زمرة الموت المناهضة للمسلمين، كان من الممكن بسهولة منح

المصداقية للسرديات الجديدة (Jones 2004: 719). ذلك أن المعنى (أو المعانى) والإمكان التأويلى لنص أو تلفظ ما دائما ما يتشكل إذًا بشكل حاسم من خلال موقعه أو موقعها المكانى والزمانى.

وهناك مثال شديد الدلالة بصورة خاصة على التأطير الزمانى والمكانى يتضمن الترجمة يتمثل فى أداء ١٠٢٩ قراءة لمسرحية ليسستراتا Lysistrata فى ٥٩ بلدًا[١١] يوم ٣ مارس ٢٠٠٣ (الشكل ١٥) [وليسستراتا هو اسم امرأة، إلا أنه يعنى فى الوقت ذاته ''هى من تحل الجيوش''،المترجم]. إن مسرحية ليسستراتا لأرستوفان هى عبارة عن كوميديا مناهضة للحرب حول مجموعة من النساء الإغريقيات اللائى يتحدن لينهين الحرب البلوبونيزية من خلال السيطرة على مبنى الخزينة العامة ويمتنعن عن ممارسة الجنس مع رفقائهن، إلى أن يقرِّر الرجال فى النهاية أن يلقوا أسلحتهم ويتفاوضوا على حل سلمى للصراع. وقد كان على بعض قراءات ٢٠٠٣ أن تتم سرًا، بسبب الخوف من الاضطهاد ـــــ فى شمال العراق، وإسرائيل، والصين، ضمن أماكن أخرى[١٢]. لقد أصبح هذا التعبير العريض المدهش عن الاحتجاج ضد غزو العراق ممكنًا عبر 'نوع من المترجمين والمقتبسين adaptors الكرماء الذين قدموا نصوصهم دونما مقابل على هذا الحدث المعروض مرة واحدة!'[١٣].

وفى ١٩٧١، ترجم ديونيسس دايفرس Dionyses Divares، مستخدمًا اسمًا مستعارًا هو جيورجوس فيرجوتس GiorgosVergotes، منتخبًا من المقالات السياسية لبريخت إلى اليونانية بعنوان 'نصوص سياسية' Politika Keimena. وقد كانت اليونان آنذاك تحت حكم الطغمة الشديدة القسوة، وقد كان دايفرس ضالعًا فى دعوة القراء لتأويل النص بوصفه تعليقًا شارحًا على الموقف فى اليونان' (Asimakoulas, 2005). إن نقد بريخت الشديد لألمانيا النازية 'تحول إلى تعليق على الموضوع من قبل المترجم الذى يتحدث من خلال بريخت' (Asmakoulas, in progress)، بشكل يربط على نحو غير مباشر سردية الظلم فى ألمانيا النازية

بالممارسات الظالمة للمستبدين الفاشيين الذين حكموا البلاد. وقد تحقق هـذا مـرة أخرى من خلال غرس النص المنطلق منه فى سياق زمانى ومكانى يبرز سـرديته ويسقطه على خلفية زمكانية جديدة. وفيما يتعلق بالتأطير المكـانى، يقـدِّم واتـس **(Watts 2000)** مثالاً مثيرًا يشرحه انطلاقًا من سرديات التحـرر مـن الاسـتعمار **decolonization** فى الستينيات فى أمريكا الشمالية لكونه قد تـشكل حـول مفهـوم الأصل أكثر مما تشكل حول مفهوم الشتات. ويتعلق المثال الذى يناقـشه بالتـأطير الخاص بعتبات نص مدونة العودة إلى أرض الـوطن **the paratextual framing of Cahier d'un retour au pays natal** للـشاعر الكـاريبى الفرانكفـونى أيمـى سيزار **Aimé Césaire**.



فعل مسرحى للمنشقين

الشكل ١٥

مشروع **Lysistrata**

إن عتبات النص the paratexts للطبعات المختلفة للقصيدة التى ظهرت فى ذلك الوقت، بما فى ذلك الطبعات المزدوجة اللغة وكذلك الترجمة الانجليزية عام ١٩٦٩، 'تزيح' القصيدة لتوفِّر وجهة نظر سرديةِ جمهور أمريكا الشمالية، إما من خلال محو أصولها الكاريبية كلية أو ربط هذه الأصول بالتيمة المحورية للأفريقية. إن تصدير ترجمة ١٩٦٩ 'يموضع المُدوَّنة Cahier the تمامًا فى سياق التحرر الأفريقى من الاستعمار والتجديد الثقافى' (Watts 2000: 39). وفى إحدى الطبعات المزدوجة اللغة للقصيدة المنشورة عام ١٩٧١، يعلن الغلاف الخلفى أن هذا العمل 'سيلهم أولئك الذين من أفريقيا وأماكن أخرى) (التشديد فى الأصل Watts 2000: 39). وكما يشرح واتس، فإن هذا المحو للكاريبية والتقليل من شأنها دال؛ إذ يعنى أن 'الجزء التيمى الكبير من القصيدة الذى يصف فيه سيزار الخنوع the abjection والانعتاق الممكن لأرض الوطن the pays natal، مارتينيك Martinique، يُدغم elided ويصبح، بشكل ضمنى، استهلالاً لتأكيدات المدونة Cahier للأفريقية' (Watts 2000: 39). ومرة أخرى، فإن وجهة النظر السردية يتم إبرازها أو قمعها فحسب من خلال التأطير (أو إعادة التأطير) المكانى و/أو الزمانى.

وتتضمن الاستراتيجية التالية، الاستملاك الانتقائى للمادة النصية، التدخل فى النص ذاته، بدلاً من الاعتماد على السياق لتشكيل جوانب معينة من السردية أو السرديات التى يُصوِّرها.

٦-٣ الاستملاك الانتقائى للمادة النصية

إن الاستملاك الانتقائى للمادة النصية يُدرك فى أنماط الحذف والإضافة المُصمَّمة لتقمع، أو تبرز، أو تُشكِّل جوانب معينة لسردية مُشفَّرة فى النص أو التلفظ المنطلق منه، أو جوانب من السردية أو السرديات الأوسع المغروس فيها.

لقد ناقشتُ فى الفصل الرابع الإستملاك الانتقائى على نطاق واسع بوصفه سمة من سمات السردية، وأعطيت أمثلة لنصوص اختيرت للترجمة من قِبل

منظمات مثل ميمرى [معهد بحوث إعلام الشرق الأوسط] لتشكِّل سـردية جماعـة ثقافية مُحدَّدة بوصفها متطرفة، أو خطيرة، أو إجرامية. وهنا، أريد أن أركِّز علـى الاستملاك الانتقائى داخل ترجمات فردية، بوصفها واضحة فـى أنمـاط الحـذف والإضافة القابلة للتتبع فى النص نفسه. ولا يعنى هذا التخلى عـن أهميـة أنمـاط المستوى الأعلى من الانتقائية، سواء فيما يتعلق بـاحتواء أو اسـتبعاد نـصوص مُحدَّدة، أو مؤلفين مُحدَّدين، أو لغات، أو ثقافات بعينها. إن الأدب يزخـر بأمثلـة تُظهر كيف ولماذا يتم تتبع هذه الأنماط بنشاط. ويكفى هنا مثالان قبل أن نواصـل معاينة أنماط الانتقائية داخل النص.

ولكى يتم استبعاد المؤلفين اليهود، كان برنامج الرقابة المُطبَّق فى ظل الحكم النازى يتطلب أن تُسلَّم كل ترجمة لعمل قصصى للموافقة عليها، بناء على معلومة من المعلومات التى توفرها الخلفية العرقية للمؤلف (**Sturge 2002: 155**). إن هـذا النمط من المستوى الأعلى للانتقائية يؤكِّد أن الصوت الـسردى لمجموعـة دينيـة كاملة قد تم محوه بشكل مؤثر وأن السرديات الجماهيرية الألمانية ظلت منيعة ضد تأثيرها. وفى سياق مختلف جدًا، ولأسباب مختلفة جدًا يصف ستيكونى وتـوريس ريز (**Stecconi and Torres Reyes 1997**) نمطًا مشابهًا مـن إلغـاء الاختيـار **deselecting** لمجموعة معينة من المؤلفين فى ثلاث منتخبـات مـن الترجمـات المنشورة فى الفلبين فى ١٩٧١ و١٩٧٥. وتتمثل خلفية هذا الـنمط المُحـدَّد مـن الانتقائية فى حركة مقاومة وطنية شجبت، ضمن أشياء أخرى، 'نظامًا تعليميًا أنشأه المستعمرون الأمريكيون' لتؤكِّد أن الفلبينيين يبقون 'مغتربين عن أنفسهم وقـيمهم' (١٩٩٧: ٧١). وفى هذا السياق، يغدو واضحًا لماذا لم يُبرز منتخب من المنتخبات الثلاثة مُؤلفًا أنجلو أمريكيًا واحدًا. وفى ظل منح الأولويـة لترجمـات النـصوص الأدبية من آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية، وكذلك النصوص الوطنيـة المكتوبـة باللغات المختلفة للفلبين، رفضت هذه المنتخبات الهيمنة الأدبية الأنجلـو أمريكيـة وشاركت بشكل متزامن فى تشكيل سردية كان من الممكن فيها للمقاومة الفلبينيـة المحلية أن تُؤطَّر بوصفها جزءًا من حركة عالمية أوسع لتقرير المصير(١٤).

٦-٣-١ الاستملاك الانتقائى فى الأدب

فيما يتعلق بالاستملاك الانتقائى داخل النص، فقد ظل باحثو الترجمة الأدبية بشكل خاص لفترة طويلة مهتمين بأنماط الحذف التى تنتج عن ممارسة الرقابة، بما فى ذلك الرقابة الذاتية، على الرغم من أنهم لا يقاربون اعتياديًا هذه القضية من منظور سردى. وتعد مناقشة الرقابة فى أدب الأطفال لدى لوبيز (Lopez 2000) مثيرة على وجه الخصوص. وبينما تؤكد لوبيز العديد من أنماط الرقابة المألوفة آنذاك فى ظل حكم فرانكو، بما فى ذلك قمع المكونات الجنسية والدينية التى كانت تقوّض السرديات الرسمية للنظام، فإنها تعرض أيضًا أمثلة عديدة لنمط أقل شيوعًا من الانتقائية. إذ تظهر كيف أنه يمكن لجوانب سردية ما أن تكون مراقبة بشكل متكرر فى النص المُنطَلَق منه لكن يُحتَفَظ بها فى الترجمات.

وفى حين أن طبعات النصوص الإنجليزية المنطلق منها مثل طبعات رولد داهل وإنيد بليتون Roald Dahl's and Enid Blyton's 'مُنقّاة' من المكونات الموسومة بالعرقية وبرهاب الأجانب فى سردياتنا الجماهيرية الراهنة، فإن الترجمات الإسبانية لهذه النصوص تستمر فى الاحتفاظ بالمكونات الأصلية للسردية سليمة، وحتى تبرزها. إن طبعة إنيد بليتون 'المعدَّلة' عام ١٩٨٦ لـ خمسة سقطوا فى المغامرة Adventure Five Fall into تقرأ 'لقد حدقت فيه الفتاة' 'The girl stared at him'، إلا أن الطبعة الإسبانية عام ١٩٩٠مع ذلك تقول :

'La niña que parecía un gitano le contempló con fijeza'

(' الفتاة، التى بدت مثل غجرية، حدقت فيه عن قصد') . (López 2000: 33) وبالمثل، بينما تظهر فى الطبعة الحالية المنطلق منها 'لقد كانت له عينان لامعتان بغيضتان – يا، لقد كنت مرعوبًا !' 'It had nasty gleaming eyes - oh, I was frightened!' تظهر فى الترجمة الإسبانية على هذا النحو

Sus ojos eran crueles y relucيan. Todo lo demلs estaba demasiado oscuro. ‹Quizلs era el rostro de un negro! ‹Oh, qué miedo he pasado!'

(لقد كانت عيناه قاسيتين وتلمعان. والظلام يخيم فلا ترى أى شىء آخر. ربما كان هناك وجه رجل أسود. يا، كم كنتُ خائفًا (López 2000: 34). (!وبينما انتزعت من الطبعة الإنجليزية كل الإشارات إلى الأصل الإثنى للعاملين فى مصنع ويلى ونكا Willy Wonka فى طبعة رولد داهل تشارلى ومصنع الشوكولاته Charlie and the Chocolate Factory، تستمر الترجمات فى ربط لونهم بلون الشيكولاته. (López 2000: 34) وتستخلص لوبيز أن أنماط سلوك 'مجتمع وقيمه الأخلاقية لا تكون منعكسة فقط فى التعديلات النصية المقدمة فى ترجمات أعمال أجنبية، ... وهى منعكسة فى حالة إسبانيا أيضًا فى الوفاء للطبعات الأولى من النصوص التى تم تعديلها فى بلدانها الأصلية .(2000: 30) 'إن هذا 'الوفاء ''fidelity' يمنح السرديات غير المراقبة حياة جديدة فى زمان ومكان مختلفين ويتيح لها أن تظل متداولة ومن ثم أن تستمر فى المشاركة فى تشكيل المنظورات السردية للجمهور المستهدف.

وتقدم تيموسكو (Tymoczko 1999) أمثلة مثيرة جدًا للتأطير من خلال الاستملاك الانتقائى للمادة النصية فى سياق حركة الاستقلال الأيرلندية فى القرنين التاسع عشر والعشرين. إذ توضِّح أنه كان يجب من أجل كوخولين، بطل العصور الوسطى الذى ما زال يقف تمثاله فى مكتب البريد العام فى دبلن بوصفه ممثلاً للكفاح الأيرلندى، 'أن تعاد كتابة وحكاية قصته – أو، بشكل أكثر ملائمة، قصصه – بطرائق تكون مختلفة عن تلك الموجودة فى النصوص الأيرلندية المبكرة' (١٩٩٩: ٨٠). وبصورة أصلية حكاية مستقلة، حادثة تصف قتالاً بين كوخولين وأخيه فى الرضاعة فير دياد Fer Diad تم دمجها فى نقطة من نقاطها فى ملحمة توين بو كولينيى Cúailnge Táin Bó [الإغارة على ماشية كولي]، محور التراث الأيرلندى، وبعد ذلك 'أصبحت شعارية وكنائية فى الترجمات الإنجليزية لـ T B C ككل' – على الرغم من أنها 'لم تكن حتى جزءًا أصليًا من الحكاية' (١٩٩٩: ٨٠). وكما تواصل تيموسكو الشرح، فإن أهمية دمج هذه الحادثة فى أهم نص للقومية الأيرلندية تكمن فى مغزاها، أى أن 'العنف تجاه صديق المرء وأخيه

محزن إلا أنه ضرورى إذا ما كان للمرء أن يفى بـولاءات جماعتـه (وواجباته الوطنية)، (١٩٩٩: ٨١). وأخيرًا، فى ظل هذه الدافعية ومع الأخذ فى الاعتبار أن معظم القراء الأيرلنديين فى تلك المرحلة لم يكن بمقدورهم أن يصلوا إلى تراثهم إلا من خلال وساطة الإنجليزية، 'لقد أصبحت حادثة فير دياد فى الترجمة الإنجليزية المغزى المُمثِّل لـ نت ب ك [توين بو كولينيى، الإغارة على ماشية كولينيى]، الذيل الذى هز الكلب' (**Tymoczko 1999: 82**). وفى الوقت نفسه، فقد كانت هناك عناصر فى التراث الأدبى الأيرلندى تعزِّز الصور النمطية الإنجليزية القائمة؛ وهذه الصور النمطية 'تسند إلى الأيرلنديين حب العنف، والاستعداد للقتال، والنزوع إلى سهولة الغضب، وحب العراك، والانفعالات العنيفة التى تقود إلى هجمات دون ما يوجبها من استفزاز'' (**Tymoczko 1999: 23**). وعلى العكس من هذه الخلفية، قُمعت الأوصاف المُهينة لـ 'تحول كو كولين **Culainn Cú** وهو فى حومة معركته' فى ترجمات ستاندش أو جرادى **Standish O' Grady** التى لم تتضمن أكثر من مجرد إحالة عابرة إلى الفقرة فى تعليق فى الهامش ومناقشة سخيفة حول أن التعليق المشار إليه يحيل على 'فكرة أن قامته استطالت فى المعركة' (التشديد من عندى، **Tyoczko 1999: 22**)، فى حين أن هذا التحول فى الواقع يجعل كو كولين 'كائنًا شائهًا، وبشعًا، ولا شكل له، ولم يسمع عنه' (**1969: 152; Kinsella cited in Tymoczko 1999: 22**). وفى ظل أن الصور النمطية الإنجليزية القائمة عن الأيرلنديين كانت تستخدم لتشكيل سردية استعمارية لا يمكن فيها أن يوثق فى أن يحكم الأيرلنديون أنفسهم بسبب أمزجتهم وانفعاليتهم العنيفة، فإن أى ترجمة تعيد إنتاج هذه الصور النمطية لا يمكن لها سوى أن تعضد الأجندة الاستعمارية لبريطانيا.

وتظهر بونجى (**Bongie 2005**) كيف أن الترجمة الإنجليزية الأولى لرواية فيكتور هوجو **The Slave-King** الملك–العبد، حول العبودية، **Bug-Jargal** بوج جارجال، تطبِّق الاستراتيجية ذاتها – الماثلة فى التأطير بواسطة الاستملاك الانتقائى – ليكيف السردية إلى سردية تصوِّر على نحو لا لبس فيه العبودية

بوصفها 'مؤسسة ''وضيعة'' "dastardly'' institution" في احتياج إلى الاستئصال' (٢٠٠٥: ٦). لقد نُشرت عام ١٨٨٣، حين كان يُناقَش تشريع إلغاء العبودية في البرلمان البريطاني وقبل أن يصبح قانونًا بعام واحد، ولذا، فإن الترجمة(١٥) 'انتهزت كل فرصة لكي ...تُكيِّف الرواية لمتطلبات الخطاب المنادى بالإلغاء abolitionist discourse' (Bongie 2005: 6). إن قصة بوج-جارجال تدور حول الكابتن ليبولد دو أوفيرى Leopold d'Auverney، وهو ضابط فرنسي يصادق عبدًا أسود اسمه بيرو Pierrot(١٦). ويتكشف أن بيرو هو بوج-جارجال، قائد ثورة العبيد الذى سيفضى فى النهاية فى الحياة الواقعية (وليس فى رواية هوجو) إلى تشكل جمهورية هايتى السوداء المستقلة. وفى ثنايا الرواية، يُنقذ بيرو دو أوفير D'Auverney مرتين من قبضة متمرد خلاسى شرير اسمه هابيرا Habibrah. وفى المرة الثانية التى ينقذ فيها بيرو دو أوفير يسأل صديقه الأبيض إذا ما كان مسرورًا بالطريقة التى أسفرت عنها الأمور. وردًا على هذا يجعل هوجو، فى الرواية الأصلية، دو أوفير ببساطة يحتضن بوج جارجال ويستعطفه ''لا تتركنى قط مرة أخرى، لتبقَ معى بين البيض؛ لقد وعدته برتبة فى الجيش المستعمِر' (Hugo 2004: 192; cited in Bongie 2005: 9). ففى الملك-العبد، يمتد رد دو أوفير بشكل لافت إلى المدى التالى:

> **'راضٍ!' صرختُ - ''ألا يفترض أن أكون راضيًا بأطهر وأسمىَ صداقة شهدها العالم فى أى وقتٍ من الأوقات؟ نعم، أخى، إن صداقة بوج جارجال، مآثر إحسانه النزيه، ستبقى محفورة فى قلبى طالما مازال ينبض؛ وعلى الرغم من أن لون بشرته مختلف عن لون بشرتى، وأن بلدًا آخر قد أنجبه، فإنه يُفترض أن يكون أخى. ألسنا أطفال الكائن الأعظم ذاته، الذى بالنسبة إليه اللون والمناخ فروق غير معروفة؟ أستعطفك لا تتركنى بعد ذلك - ابقَ معى وسط البيض، وسأمنحك رتبة فى الجيش المُستمِر.'.**

(Hugo 1833: 253-4P cited in Bongie 2005: 9-10)

وفى الوقت نفسه، يحذف مترجم الملك – العبد امتدادات النص التى تقـوِّض الموقف السردى الذى يريد أن يشكِّله. وهاهو مثال على هذا:

Sans doute pour se délasser des travaux auxquels ils avaient été condamnés toute
leur vie, les nègres restaient dans une inaction inconnue à nos soldats, même retirés
sous la tente. Quelques-uns dormaient au grand soleil, la tête près d'un feu ardent;
d'autres, l'oeil tour à tour terne et furieux, chantaient un air monotone, accroupis
sur le seuil de leurs ajoupas, espèces de huttes couvertes de feuilles de bananier ou de
palmier, dont la forme conique ressemble à nos tentes canonnières.
(Hugo 2004: 115)

[فى إطار بحثهم عن الاسترخاءِ من الأعمال التى حُكِم على كل حيـواتهم بها، كان الزنوج فى حالة من الخمول الذى لا تجده بين جنودنا، حتى حين يعودون إلى خيامهم. إذ كان بعضهم ينام فى الخارج فى الشمس، ورؤوسهم على مقربة من النيران الحارقة؛ بينما كان هناك آخرون، فى عيونهم نظرة تجمع ما بـين الـبلادة والامتلاء بالغضب، يغنون نغمة رتيبة وهم يجلـسون القرفـصاء علـى عتبـاتِ أعشاشهم **ajoups** – نوع من الأكواخ المغطاة بأوراق الموز وسـعف النخـل ذات شكل مخروطى يشابه شكل خيامنا الناقوسية.] (التشديد من عندى)

(Bongie 2005: 10-11)

فى الملك – العبد تُترجم هذه الفقرة على النحو التالى:

كثيرون من الزنوج الفقراء (على أجسادهم علامات سياط، أوقعهـا علـيهم سيد قاس، ربما مات الآن، لكنها لم تزل بعد) سرعان ما يتمددون نائمين، فى أمان

واعٍ، على الأرض الحارقة؛ وبما لا يبعد بأقدام كثيرة عن نيران مشتعلة. بينما يتمدد آخرون الآن، ممن كانوا قد نسوا مع العبودية الغثاء، بلا خوف من صوت قامعهم، وهم يتغنون بنغماتهم الرتيبة على عتبات أعشاشهم الصغيرة، أو أكواخهم المفتوحة، المغطاة بأشجار الموز والنخيل، والمشابهة، بشكلها المخروطي، خيامنا العسكرية.

(Hugo 1833: 101; in Bongie 2005: 10-11)

وهناك أمثلة عديدة للتأطير بواسطة الاستملاك الانتقائي في التمديد السابق، بما في ذلك الحذف الواضح للمقارنة غير المغرية بين 'خمول' العبيد السود والطابع النشط للجنود البيض، وكذلك تقديم قضية القمع. إذ تصبح رواية الملك–العبد، من خلال التدخلات المتراكمة للمترجم، خصوصًا الأمثلة العديدة من الإضافة والحذف، رواية يتعلم فيها كل من البطل والقارئ كيفية جديدة أكثر إنسانية في هم عالمهم بين الثقافي' **(Bongie 2005:10)**. إن السردية الأصلية، ببوج جارجال تتبنى توجهًا عاطفيًا منقسمًا على نفسه بدرجة أكثر بكثير تجاه قضية العبودية، إلا أن غموض الإطار هذا ينحل في الترجمة.

٦-٣-٢ الاستملاك الانتقائي في وسائل الإعلام

وهناك مثال أحدث على التأطير بواسطة الاستملاك الانتقائي يُناقش لدى منداي **(Munday 2002)**. إن إحدى القصص التي هيمنت على وسائل الإعلام في آخر عام ١٩٩٩ وبقدر كبير في عام ٢٠٠٠ كانت قصة إليان جونزالز، الكوبي ذي الست سنوات الذي أنقذت البحرية الأمريكية القارب الصغير الذي حاول أن يهرب فيه هو ووالداه من كوبا بعد أن انقلب. وفي حين فُقدت أم الولد عندما انقلب القارب، كان أقرباؤه في ميامي وأبوه في هافانا أصبح متورطًا في معركة طويلة حول الاحتجاز **custody**. إن منداي يحلل ثلاث ترجمات إنجليزية لعمود من صفحتين عن هذه القصة لجبريال جارسيا ماركيز ظهر أولاً في المجلة الكوبية الشيوعية الشباب الثائر **Juventud Rebelde**. وقد نشرت إحدى الترجمات

الإنجليزية، لإديث جروسمان **Edith Grossman** فى النيو يورك تايمز فى ٢٩ مارس ٢٠٠٠. وتتضمن الأجزاء المحذوفة المناقشة لدى منداى فى هذه النسخة تفاصيل من قبيل 'بناء على طلب راهبة مستثارة، انتزع ضابط شرطة هواتفهم المحمولة' (٢٠٠٢: ٩٠)، فى إشارة إلى جدتى الولد خلال رحلتهما إلى ميامى ليزورا حفيدهما. فالأجزاء المحذوفة عمومًا عبارة عن مواد تُصوِّر سلطات الولايات المتحدة تصويرًا سلبيًا (**Munday 200**). وفى هذه الحالة المُحدَّدة، تُعزِّز المادة المقموعة سردية رجال ونساء الشرطة الأمريكية بوصفهم عدوانيين وخشنين وميالين إلى معاملة العامة بازدراء؛ ولهذه السردية شيوع ما فى كل من الولايات المتحدة وخارجها، كما أنها متناولة بالتفصيل فى العديد من أفلام هوليود. كما يُبرز منداى أيضًا حذف ٨٠٠ كلمة قرابة نهاية المقال؛ وهذا الجزء يناقش تاريخ العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وكوبا ويحلل الأصداء المحتملة لأحد مرشحي الرئاسة (أل جور) فى الحملة الرئاسية الانتخابية التالية فى عام (٢٠٠٢). وينبغى ملاحظة أن جارسيا ماركيز مؤيد صريح لفيدل كاسترو ومنتقد لسياسة الولايات المتحدة الخارجية؛ وموقفه السردى حول هذه القضايا يُقوِّض لا محالة سردية الولايات المتحدة الرسمية للصراع. إن النيو يورك تايمز بشكل مثير للجدل أكثر اصطفافًا إلى حد بعيد مع السرديات الرسمية المتداولة للاتجاه السائد فى الولايات المتحدة مما عليه، لنقل، ذا نيشن **Nation The**.

إن دعاوى التلاعب السردى من خلال الحذف و/أو الإضافة فى الترجمة تُصاغ بشكل متكرر فى وسائل الإعلام فيما يتعلق ببيانات شخصيات 'مارقة' مثل صدام حسين وأسامة بن لادن. ويُوضِّح مقال نشرته بى بى سى نيوز فى ١٠ نوفمبر عام ٢٠٠١ أن جريدة الفجر الباكستانية **Dawn** تقتبس خطأ من بن لادن وهو يقول إن القاعدة تمتلك أسلحة كيميائية ونووية وتعتزم أن تستخدمها ضد أمريكا (التشديد من عندى):

بينما تحمل الجريدة الناطقة بالإنجليزية رسالة واضحة من بن لادن أنه قادر على الوصول إلى هذه الأسلحة، فإنه لا يدعى مثل هذه الدعوى فى النسخة الأوردية من الجريدة.

... تقتبس النسخة الإنجليزية من جريدة الفجر تصريحًا لبن لادن يقول فيه: 'إذا استخدمت أمريكا أسلحة كيمائية ونووية ضدنا، حينئذٍ سيمكننا أن نرد بأسلحة كيمائية ونووية. إننا نمتلك هذه الأسلحة كرادع.'

ويسأل السيد مير **Mir** بن لادن آنذاك من أين حصل على هذه الأسلحة، وهو ما يرفض زعيم القاعدة أن يجيب عليه.

إلا أن بن لادن لا يُهدِّد، فى النسخة الأردية من المقال، باستخدام الأسلحة النووية والكيميائية.

'إن الولايات المتحدة تستخدم الأسلحة الكيميائية ضدنا وقد قررت أيضًا أن تستخدم الأسلحة النووية. لكن حربنا ستستمر،' هذا ما يقوله، وفقًا لترجمة بى بى سى الخاصة لمقال أوصف **Ausaf**.

إن النسختين الأخريين متشابهتان جدًا فيما عدا هذا، على حد ما تقول وحدة المراقبة فى البى بى سى(١٧).

تميل عمومًا الصحافة الجماهيرية فى معظم البلدان إلى تضخيم الجوانب الحسَّاسة فى السرديات الجماهيرية من أجل ترويج انتشار الجريدة. كما تميل أيضًا إلى أن تجتر السرديات الرسمية، خصوصًا فى الأنظمة الأقل ديموقراطية، لكيما تتقرب إلى النظام أو على الأقل تتجنب المواجهة معه. وفى هذه الحالة، فإن وضع التهديد بالأسلحة النووية والكيميائية على لسان بن لادن يبدو أنه يخدم كلا الغرضين على نحو جيد جدًا. إذ يبدو أن حكومة باكستان قد تأثرت جماهيريًا بالسردية الشارحة للحرب على الإرهاب مبكرًا جدًا منذ ذلك الحين، ومن المثير للجدل أن تبقى فى صف آلة حرب الولايات المتحدة وأن تُحكم قبضتها على سكانها. إن ترجمة ذا دون [الفجر] تنمّق هذه السردية بتفاصيل مُدعِّمة وتُحكِم قبضتها على الوعى الجماهيرى.

ليس من السهل دومًا أن يُفسَّر الاستملاك الانتقائى داخل النص فى حالة الترجمات القائمة على الشبكة العنكبوتية، كما هو فى أى ترجمة مصدرها ليس

واضحًا. إذ بدون معرفة من وراء موقع دبليو دبليو دبليو دوت ويلفيرستيت دوت كوم www.welfarestate.com الذى تظهر عليه الترجمة التالية، وبدون معلومات عن الشخص الذى قام بالترجمة، من الصعب تفسير الحذف الواضح للتفاصيل الواردة أدناه (وهى بارزة فى الترجمة الانجليزية المقابلة لنص المقال العربى). إلا أننا نقدم هنا أولاً الترجمة الإنجليزية المنشورة على الموقع[١٨].

ترجمة مقال الجنازة فى صحيفة مصرية

الوفد، الأربعاء، ٢٦ ديسمبر ٢٠٠١، المجلد ١٥ عدد ٤٦٣٣

أخبار وفاة بن لادن والجنازة منذ ١٠ أيام

إسلام آباد

أعلن مسئول بارز فى حركة طالبان الأفغانية أمس عن وفاة أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة، وذكر أن "بن لادن" كان يعانى من مضاعفات خطيرة فى الرئتين ومات موتًا طبيعيًا وهادئًا. وأكد المسئول الذى طلب أن يبقى اسمه مجهولاً فى تصريحات لصحيفة "أبوزرفر" الباكستانية أنه حضر جنازة بن لادن بنفسه ورأى وجه بن لادن قبل الدفن فى تورا بورا منذ ١٠ أيام. وأشار إلى أن الجنازة حضرها ٣٠ من مقاتلى القاعدة وكذلك أفراد أسرته وبعض الأصدقاء من طالبان. وفى حفل التشييع إلى مثواه الأخير تم إطلاق وابل من الأعيرة النارية فى الهواء. وأكد المسئول أنه من الصعب تحديد موقع دفن "بن لادن" لأنه طبقًا للتقليد الوهابى لا يوضع شاهد على القبر. وأكد أنه من غير الوارد على الإطلاق أن تكتشف القوات الأمريكية أى أثر لـ بن لادن.

ليس واضحًا لماذا تم هنا قمع القصف الأمريكى المستمر لمنطقة تورا بورا (انظر الأصل والترجمة الخلفية على ظهر الصفحة).

[ترجمة الترجمة الانجليزية المقابلة لأصل المقال العربى المنشور فى الوفد، المترجم]

أخبار وفاة وجنازة بن لادن منذ ١٠ أيام

أعلن مسئول بارز فى حركة طالبان الأفغانية أمس عن وفاة بن لادن، زعـــيم تنظيم القاعدة **organization Al-Qaeda**(*)، وأوضـــح أن بـــن لادن عـــانى مـــن مضاعفات خطيرة فى الرئة ومات موتًا طبيعيًا وهادئًا. أكد المسئول الذى رفــض أن يكشف عن اسمه، فى بيان لصحيفة 'أوبزرفر' أنه حضر جنـــازة بـــن لادن بنفـــسه ورأى وجه بن لادن قبل الدفن فى تورا بورا منذ عشرة أيام. وأشار أن الجنازة قـــد شهدت حضور ٣٠ من مقاتلى القاعدة، وأفراد الأسرة، وبعض الأصدقاء من طالبان. وقد تم إطلاق وابل من الرصاص لتوديعه وهو فى سبيله إلى مستقره الأخير. وقـــد أكد المسئول صعوبة تحديد المكان المدفون فيه بن لأن قبره قد سُوِّى بالأرض طبقًـــا [لتقاليد] المذهب الوهابى الذى ينتمى إليه. كما أكد أن مكان الدفن يمكن أن يكون قـــد تلاشى بسبب القصف الجوى المستمر لمنطقة تورا بورا خلال الأسبوعين الماضيين. واستبعد أن تنجح القوات الأمريكية فى العثور على أثر 'بن لادن'.

ليس واضحًا لماذا تم هنا قمع القصف الأمريكى المستمر لمنطقة تورا بـــورا (انظر الأصل والترجمة الخلفية على ظهر الصفحة). قد يُخمِّن المـــرء أن مـــالكى الموقع يقللون على نحو متعمد من شأن العدوان الأمريكـــى، إلا أن هـــذا لا يبـــدو متوافقًا مع المواد الأخرى الموجودة على الموقع، لأنها توحى بتوجه نقدى وغيـــر متعاطف مع السياسات الأمريكية الداخلية والخارجية.

(*) الكلمة المستخدمة تنظيم، وهى تعنى organization، لكنها تعنى أنه يقع خارج نطاق مؤسسات المجتمع السائدة. وتميل إلى أن تستخدم من مجموعات غير شرعية، أو عسكرية، أو إرهابية.

طالبان تعلن وفاة بن لادن
وتشييع جنازته منذ ١٠ أيام

إسلام آباد - أ. ش. أ:

أعلن مسئول بارز في حركة طالبان الأفغانية أمس عن وفاة أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة وأشار الي أن «بن لادن» كان يعاني من مضاعفات خطيرة بالرئة ومات بشكل طبيعي وهادئ. أكد المسئول الذي رفض ذكر اسمه في تصريحات لصحيفة «أبزرفر» الباكستانية انه حضر جنازة بن لادن بنفسه ورأي وجه بن لادن قبل الدفن في تورا بورا منذ ١٠ أيام. وأشار الي أن الجنازة حضرها ٣٠ من مقاتلي القاعدة وأفراد الأسرة وبعض الأصدقاء من طالبان. وتم اطلاق وابل من الأعيرة النارية لتوديعه الي مثواه الأخير. وأكد المسئول صعوبة تحديد المكان الذي دفن فيه «بن لادن» لأن قبره سوي بالأرض طبقا للمذهب الوهابي الذي ينتمي اليه. وأكد احتمال طمس مكان الدفن بسبب القصف الجوي المستمر منذ أسبوعين لمنطقة تورا بورا. واستبعد أن تنجح القوات الأمريكية في العثور علي أثر «بن لادن».

Back-translation:

News of Bin Laden's Death and Funeral 10 Days Ago

Islamabad

A prominent official in the Taliban Afghan movement yesterday announced the death of Bin Laden, the leader of Al-Qaeda organization,* and indicated that Bin Laden had suffered from serious complications in the lung and died naturally and calmly.

The official, who refused to reveal his name, asserted in a statement to the Pakistani 'Observer' newspaper that he attended Bin Laden's funeral himself and saw Bin Laden's face before the burial in Tora Bora ten days ago. He mentioned that the funeral was attended by 30 Al-Qaeda fighters, members of the family, and some friends from the Taliban. A hail of bullets were fired to bid him farewell on the way to his final resting place.

The official confirmed the difficulty of specifying the place where Bin Laden was buried because his grave was flattened

according to the [tradition of the] Wahabi sect to which he belongs. He confirmed that the burial site might have been obliterated because of the continued aerial bombardment of the Tora Bora region for the past two weeks. He thought it unlikely that American forces would be able to find any trace of 'Bin Laden'.

*** The word used is tanzeem, which does mean organization, but generally one that lies outside the mainstream institutions of society. It tends to be used of illegal, militant, or terrorist groups.**

٦-٣-٣ الاستملاك الانتقائى فى الترجمة الشفاهية

إن التأطير من خلال الاستملاك الانتقائى يبرز أيضًا فى الترجمة الشفاهية، وإن كان ربما بدرجة أقل. إذ يقدّم جاكوميت (Jacquemet 2005) أمثلة عديدة فى سياق التعامل مع اللاجئين الكوسوفيين من خلال مكتب المفوضية العليا للأمم المتحدة للاجئين فى تيرانا عاصمة ألبانيا فى عام ٢٠٠٠. لقد أصبح الموقف فى ألبانيا رهيبًا فى تلك المرحلة، مما كان ناتجه أن الكثيرين من الألبانيين الذين لم تطأ قدمهم قط كوسوفو أخذوا يزعمون أنهم كوسوفيون لكى يفروا من البلاد. وهو ما جعل موظفى الأمم المتحدة يحوّلون إجراء المقابلة إلى عملية قضائية مشكّلة لتقرير الهوية الحقيقية لكل راغب فى أن يكون لاجئًا. لقد طوّروا نظامًا صارمًا يتّبعه دارسو الحالات والمترجمون الشفاهيون، وقد اشتمل على قمع سرديات طالبى الجوء والتركيز بدلاً من ذلك على النبرات اللغوية **accents**، والملابس، ومعرفتهم

بأقليم كوسوفو وتقاليده. وفى المثال التالى، شابة صغيرة راغبة فى أن تكون لاجئة (ل) تزعم أن جنودًا صربيين قد هاجموها. المترجم (م) يسألها عن لون زيهم ويترجم ما يعتقد أنه مرتبط بسؤاله إلى الإنجليزية لدارس الحالة (د):

١٠ م **çfarë kanë uniforme pasë?**

(ماذا كان زيهم؟)

٢٠ ل **Kur na–**

(متى نحن –)

٣٠ م **çfarë kanë ngjyre pasë?**

(أى لون؟)

٤٠ ل

ngjyrë –unë kur jam ardhë vetëm për shqipni kam pa ma së shumti serb–

(لون – خلال قدومى إلى ألبانيا معظم من رأيتهم كانوا صربيين)

٥٠ **qashù -ngjyrën me ishin ata ngjyrë ushtarake–**

(كان عليهم لون – لون عسكرى، مثل هذا)

٦٠ م **çfarë?**

(أى لون؟)

٧٠ ل **[points to ngjyra ajo sikur sweater green]**

(مثل ذلك اللون)

٨٠ م **[points to green sweater] kjo?**

(هذا اللون؟)

٠٩ ل e si ajo–

(نعم مثل ذلك –)

١٠ م (لــ د) هذا اللون [مشيرًا إلى سترة خضراء]

١١ الزى – الزى

١٢ د ها ها القوات الصربية/

١٣ م الشرطة الصربية

١٤ د ها ها

١٥ ل kry edhe me maska në–

(وعلى رؤوسهم أقنعة)

١٦ م (ل د) ببعض الأقنعة =

١٧ ل këndej na kanë vjedh- kur kemi ardhè ne na kanë=

vjedhé=

(سرقونا – حين أتينا إلى هنا سرقونا =)

١٨ م (لــ د) = لكنه ليس حقيقيًا

(Jacquemet 2005: 212)

إن المترجم يعرف أن الشرطة الصربية ترتدى زيًا أسود. وبمجرد ما أن حدَّدت المرأة الشابة زى مهاجميها بأنه أخضر (وهو ما يمكن أن يكون راجعًا لهفوة من هفوات الذاكرة الناتجة عن خبرة فجائعية)، يقرِّر أن دعواها كاذبة وببساطة يتغاضى عن إسهامها فى الصف ١٧. إن سرديتها الأنطولوجية قد نُبذت آنذاك، وأصبحت حالتها حادثة أخرى فى السردية المتطورة لغش الألبانيين

لموظفى الأمم المتحدة لكى تجد سبيلاً للدخول إلى بلد أكثر ازدهارًا نسبيًا. ولنقارن هذا مع التوجه الأكثر خيرية المتبنى تجاه الشهود والمُدَّعى عليهم فى سياقات أخرى. فى محاكمة جون ديمتانجوك **John Demjanjuk**، على سبيل المثال، صحَّح المترجمون ومشاركون آخرون بشكل متكرر زلات اللسان بالنسبة للتواريخ والأماكن دون نبذ السرديات المرتبطة بالموضوع بوصفها كاذبة، كما يمكن أن يُرَى فى الأمثلة التالية:

المُدَّعى العام (بالعبرية): متى اندلعت الحرب الألمانية الروسية؟

شاهد (بالعبرية): ٢٢-٦-١٩٢١.

هيئة المحكمة (بالعبرية): ٤١.

المترجم الإنجليزى (ترجمة لاحقة، بعد هيئة المحكمة): الشاهد قال ١٩٢١؛ وقد صححت هيئة المحكمة: ١٩٤١.

(Morris 1995: 34)

شاهد (بالألمانية): البعض قال إنهم لن يسافروا إلى إسرائيل.

المترجم: ... إلى ألمانيا؛ الشاهد قال إسرائيل، إلا أنها يجب أن تكون ألمانيا.

(Morris 1995: 35)

إن اختيار المادة لإبراز، أو إضافة، أو قمع جوانب من السردية الحاضرة هو إذًا مسألة السردية الأوسع المترسخة فيها الترجمة أو الترجمة الشفاهية، وكل قرار يتخذه المترجم أو المترجم الشفاهى يساهم فى تشكيل أو تكييف هذه السردية الأوسع.

٦-٤ التأطير بواسطة التسمية

إننى أشير بـ التسمية **labelling** إلى أى عملية خطابية تتضمن استخدام وحدة معجمية، أو لفظ، أو عبارة لتحديد شخص، أو مكان، أو جماعة، أو حدث،

أو مكون أساس آخر فى سردية ما. إذ يمكن أن يكون الفارق كبير إذا كنا ندعو حزب المعارضة فى الولايات المتحدة حزب الديموقراط أو الحزب الديموقراطى، كما يشرح سيلفرشتين Silverstein:

> **'ديموقراطى Democratic' أم 'ديموقراط Democrat؟' إن نشطاء الحزب الجمهورى يعلّمون سياسييهم هذه الأيام أن يتجنبوا استخدام الاسم الأول، والأقدم، والرسمى الذى ينتهى بصيغة النسبة '-ic' وأن يستخدموا الصيغة الثانية، بدون النسبة. ولنتذكر أنه يوجد بالنسبة للموالين السياسيين خطر حقيقى فى أن صيغة النسبة '-ic' ستوصِّل بشكل متزامن معنى الكلمة البادئة بحرف دى صغير the lower-case d-word، democratic، على نحو ما يكاد أن يكون أولئك الأشخاص الآخرون.**

[التشديد من عندى] (٢٠٠٣: ٩-١٠).

إن أى نمط من أنماط التسمية المستخدمة للإشارة إلى أو تحديد عنصر أساس أو مشارك أساس فى سردية ما يوفِّر، إذًا، إطارًا تأويليًا يُوجِّه ويُقيِّد استجابتنا للسردية المتناولة. ويُفسِّر هذا الدافعية الخاصة باستخدام كنايات تلطيفية فى سياقات عديدة. ويقول رينولدز مُتحدثًا عن الحملة الإعلانية لمونسانتو جى إم Monsanto GM:

> **من المثير أن لفظى 'المعدَّلة وراثيًا genetically modified' وحرفيهما الأولين its acronym 'GM' لا يظهران فى الإعلان، على الرغم من أن هذه الطريقة أكثر الطرق المستخدمة شيوعًا فى الإشارة إلى الظاهرة. وقد أوضح بارتل بوجل هيجارتى Bartle Bogle Hegarty أن (العميل مطالب بأن يستخدم هذا اللفظ فى أدنى الحدود، نظرًا لكونه يُعد مشحونًا انفعاليًا emotive ومثيرًا للاشمئزاز off-putting فى مناخ المستهلك – ولذلك لن يسمح للقارئ أن يتجاوز ذلك ليقرأ وجهة النظر' ... 'التكنولوجيا الحيوية للطعام Food biotecnology' هى المصطلح الكنائى التلطيفى على امتداد الحملة.**

(2004: 350, fn 3)

إن مثل هذه الكنايات التلطيفية euphemisms يزخر بها المجـال الـسياسى والتجارى. لقد نحتت اليابان الإمبريالية الكناية التلطيفية 'نساء التسرية [سـراري] comfort women' لتشير بها إلى النساء الشابات اللائى كنّ مُجبرَات على تقـديم خدمات جنسية للقوات اليابانية قبل وخلال الحرب العالمية الثانيـة. واليـوم، فـإن تعبير 'civilian contractors' 'المتعهدين المدنيين' كثيرًا ما يكـون فـى سـياق أفغانستان والعراق كناية تلطيفية لـ 'القتلة المأجورين hired guns' و'المرتزقـة mercenaries'، و'neighbourhoods' 'الجيرة' فى فلسطين المحتلة كناية تلطيفيـة لـ 'المستوطنات الاستعمارية'، وتعنى 'rationalization' 'العقلنة' فعليًا تـسريح الكثير من الموظفين. وكذلك، فإن تسمية جريدة المملكة المتحدة ذا صن The Sun لقصف العراق الهائل فى ١٩٩١ بأنه غارة على بغـداد blitz on Baghdad (١٨ يناير ١٩٩١) هو كناية تلطيفية 'تُقلِّص المذبحة إلى لعبة من ألعاب الجناس الناقص a game of alliteration' (Keeble ٢٠٠٥: ٤٣) . إن المتـرجمين والمتـرجمين الشفاهيين يميلون إلى أن يفخروا بأنفسهم على إبداعهم فى التعامل مع مثـل هـذه السمات اللغوية الفارضـة للتحـدى، وأحيانًـا دون مراعـاة الخلفيـة الـسياسية والاجتماعية المستخدمة فيها.

التسمية المضادة استراتيجية مثيرة جديرة بالبحـث فـى سـياق الترجمـة والترجمة الشفاهية، خصوصًا فى المواقـع الناشـطة. انظـر بيكـر Baker (in press,a) من أجل نقاش عمل مجموعات مثل بلبلات ومترجمون من أجل الـسلام Babels and Translators for Peace.

وتتضمن أمثلة التسمية المضادة

- إف بى آى مكتب المباحث الفيدرالية (مكتب الرعب الفيدرالى)
- آى أو إف (قوات الهجوم الإسرائيلية Israeli Offence Forces) بدلاً من آى دى إف (قوات الدفاع الإسرائيلية Israeli Defence Forces)

إن التسمية المضادة هى الاستجابة النشطة على الاستخدام المنتظم لكنايات تلطيفية فى المجال السياسى – محاولة متعمدة لإزالة التشويش والتقويض Nukespeak (Chilton 1982)، Massacrespek (Keeble 2005) و Marketspeak (Herman 2005).

إن الأسماء[١٩] والعناوين بشكل خاص تمثِّل وسيلة تأطير قوية بالمعنى المطروحة به هنا. وسيركِّز هذا القسم على أنظمة التسمية والعناوين المتنافسة للنصوص كأمثلة للطريقة التى تقيِّد بها وسائل التسمية تأويل السرديات.

٦-٤-١ أنظمة التسمية المتنافسة

إن أنظمة التسمية المتنافسة[٢٠] إشكالية فى الترجمة بصورة خاصة. ويشرح ماكنتاير **MacIntyre** الصعوبة على النحو التالى:

يمكن أن تكون هناك أنظمة متنافسة للتسمية، حيث توجد مجتمعات محلية وتقاليد متنافسة، إلى حد أن استخدام اسم يعنى فى آن واحد أنك تصوغ دعوى حول شرعية سياسية واجتماعية وتُنكر دعوى منافسة. ولنتناول كمثال اسمى المكان المتنافسين [يطلقان على مدينة تقع فى إيرلندا الشمالية، المترجم] 'دويرى كومسيل **Doire Columcille**' بالإيرلندية و'لندنديرى **Londonderry**' بالإنجليزية.... إذ يعنى استخدام أحد الاسمين إنكار شرعية الآخر. وبناء على ذلك، لا توجد طريقة لترجمة '**Doire Columcille**' إلى الإنجليزية، إلا باستخدام '**Doire Columcille**' وإلحاق شرح لها. إذ لا تترجم 'لندنديرى' 'دويرى كومسيل'؛ كما لا تترجم '**St. Columba's oak grove**' مرج بلوط القديس كولومبيا'، لأنه فى الإنجليزية لا يوجد مثل هذا الاسم.

إن ما يكشفه هذا هو أن تسمية الأشخاص والأماكن فى مثل هذه المجتمعات ليست تسمية فقط لمجرد التسمية؛ وإنما هى أيضًا تسمية لغرض. فالأسماء تُستخدم بوصفها بطاقة هوية **identification** لأولئك الذين يشتركون فى نفس المعتقدات،

والتبريرات للسلطة الشرعية، وما شابه. إن مؤسسات التسمية تُجسِّد وجهة نظر المجتمع وتُعبِّر عنها، كما تُجسِّد وتُعبِّر بشكل مميز عن تقاليده المشتركة في الاعتقاد والبحث.

(التشديد فى الأصل 1988:378)

ماذا فى الاسم؟

لقد كان اسم ديرى **Derry** الأصلى داير كالجايغ **Daire Calgaigh**، وهو ما يعنى 'مرج بلوط كالجاش **oak grove Calgach**'. وفى القرن العاشر أعيدت تسميتها إلى **Doire Colmcille** دويرى كومسيل، أو ' **the oak grove of St Columbia** مرج بلوط القديس كولومبيا'، فى ذكرى قديس القرن السادس الذى أسس أول مستوطنة رهبانية **monastic settlement** فى المكان. ومع ذلك، ففى عام ١٦٠٩ حين قررت الحكومة الإنجليزية أن تزرع ديرى **Derry** كما ينبغى، وقَّعت اتفاقية تعاون مع لندن أن تمدها بالمستوطنين اللازمين لذلك. ولتخليد ذكرى هذه الواقعة تمت إطالة اسم المدينة الجديد إلى لندنديرى **Londonderry**.

وحتى نشوب الاضطرابات، اختصر الناس بيسر اسم المدينة إلى 'ديرى' **'Derry'**. ومع ذلك، فإن ما أطلقه أى شخص آنذاك أصبح فجأة معيارًا لرؤاهم السياسية، إذ يؤكد الاتحاديون البروتستانتيون بشكل متشدد الاسم الكامل لندنديرى **Londonderry**، بينما يقلِّصه الجمهوريون الكاثوليك بالقدر ذاته من الإصرار إلى ديرى **Derry**. وعلى الرغم من أن المدينة ما تُزال تُدعى رسميًا لندنديرى **Londonderry**، ففى عام ١٩٨٤ أعيدت تسمية مجلس المدينة بـ مجلس مدينة ديرى **Derry City Council**.

إن النزاع على التسمية يتواصل حتى اليوم، ليقلب مجرد عملية شراء بسيطة بشكل اعتيادى لتذكرة حافلة إلى حقل ألغام سياسى؛ ويمكنك أن تحكم ببساطة على موقف البعض من الصراع من خلال ملاحظة إذا ما كانوا يردون على قولك ديرى **Derry** بالقول المؤكِّد لندنديرى **Londonderry** أو العكس. وستجد على امتداد

البلاد، لكن بصورة خاصة فى المناطق الحدودية، كشطًا مُهينًا لأعمـدة العلامـات الإرشادية.

وتجنبًا لاستفزاز أى شخص، يمكن أن تسمع فى الإذاعة المـذيعين يقولـون كلا الاسمين معًا – 'ديريستروكلندنديرى **DerrystrokeLondnderry**' – تقريبًـا ككلمة واحدة.

ولحسن الحظ، ليس كل شخص يأخذ نزاع ديرى/لندديرى بجدية شديدة، ففى بلفاست، على سبيل المثال، يسقط المهرجون كلا الإمكانيتين، ويختارون بدلاً مـن ذلك 'ستروك سيتى' البسيطة!

(Smallman et al. 1998: 687)

إن تعليق ماكنتاير الموجز لا يفى بما عليه الموقف الأيرلندى من تعقيد(٢١). وتُعرف الآن المدينة والمقاطعة المرتبطتان بهذا فى شمال أيرلندا بـــ ديرى **Derry** أو لندنديرى **Londonderry**، أعتمادًا على الموقع السردى للمتكلم. واعتمادًا أيـضًا على الموقع السردى للمتكلم، تُشتَق **Derry** ديرى إما مـن **Doire** دويـز أو مـن **Doire Columcille** دويرى كومسيل، الاسم الأصلى لتلك المنطقة، أو أنها صـيغة مختصرة لـــ **Londonderry** لندنديرى. إن هذه المنافسة المتواصلة علـى أسـماء المكان تعكس تاريخًا عنيفًا وسرديات ذلك التاريخ المتـصارعة بـشدة. إن دليـل الكوكب الوحيد **the Lonely Planet guide** للمنطقة يُقدِّم نسخة من هذه الـسردية، وهى تبدأ على هذا النحو:

مقاطعة ديرى

تتمثل الجاذبية الرئيسية للمقاطعة فى مدينة ديرى (دويـر) **(Derry Doire)** ذاتها، حيث يحتضنها بشكل شعرى امتداد نهر فويل. إلا أن ثمة حزنًا رهيبًـا فـى التناقض ما بين الشعور الدافئ بالمدينة ذاتها وماضيها القريب الذى تعلـوه نـدوب الظلم والمرارة. وبعد هزيمة هيو أونيل **Hugh O'Neill** فـى عـام ١٦٠٣، أخـذ

يُزرَع جزء المقاطعة الداخلى من ديرى بشكل منتظم بالمستوطنين الإنجليز والاسكتلنديين. ولاتزال المدن البروتستانتينية الشديدة العناد تستدعى وتحقق تاريخ التمييز العنصرى الطائفى ...

(Smallman et al. 1998 : 685)

إن دليل الكوكب الوحيد يذكر ديرى **Derry** فقط فى عنوان مدخله عن المنطقة ولا يذكر لندنديرى **Londonderry** كمدخل فى الكشاف، وهو ما يميز الموقع السردى لمؤلفيه بشكل واضح تمامًا.

وفى سياق التاريخ الأيرلندى، ظل شين فين **Sinn Fein** يرفض أن يقبل تقسيم أيرلندا بوصفه تقسيمًا شرعيًا فى ظل المعاهدة الأنجلو – أيرلندية عام ١٩٢١. ويومئ هذا الرفض عبر الاستخدام المنتظم لـ المقاطعات الست ليشير إلى ما يُعرَف على أوسع نطاق بـ شمال أيرلندا، أوأولستر، أو أيرلندا الشمالية. إن هذه الاختيارات ليست قابلة للتبادل فيما بينها، وما من واحدة منها تعد 'محايدة'. إذ يومئ اختيار المقاطعات الست بشكل واضح إلى موقع سردى مُحدَّد، موقع يرى المقاطعات الست لأولستر – أى، فيرماناغ، وأرما، وتيرون، وديرى/لندنديرى، وأنتريم، وداون – بوصفها تقع بشكل مؤقت وغير شرعى تحت الحكم البريطانى. كما أن المترجم أو المترجم الشفاهى الذى يتجاهل تضمينات هذا الاختيار ويترجم ببساطة المقاطعات الست بـ أيرلندا الشمالية، أو أولستر، أو شمال أيرلندا يُقوِّض حتمًا الموقع السردى للمؤلف أو المتكلم. إلا أنه فى الوقت ذاته، للمترجمين والمترجمين الشفاهيين مواقعهم السردية الخاصة بهم وهم مسئولون عن مشاركتهم فى تشكيل وتداول السرديات الجماهيرية. ولذلك يجب عليهم أن يتخذوا قرارات مبنية على المعرفة وحذرة فى هذا الصدد كما هو فى الجوانب الأخرى من حياتهم المهنية والاجتماعية.

كذلك يُقدِّم اختيار الضفة الغربية فى مقابل يهودا والسامرة مثالاً آخر لأسماء المكان المتنافسة فى سياق صراع الشرق الأوسط. إن يهودا والسامرة اسمان من

الكتاب المقدس لمنطقتى جنوب ووسط فلسطين، الواقعة حاليًا تحت الاحتلال الإسرائيلى. إن اسمى هذين المكانين مغروسان فى السردية الصهيونية التى تعد فيها الضفة الغربية وشريط غزة، بالإضافة إلى إسرائيل ما قبل ١٩٦٧، الوطن الطبيعى لليهود. وهكذا، فإن الاستخدام غير النقدى لـ يهودا والسامرة يومئ مباشرة إلى الموقع السردى للمتكلم أو الكاتب؛ إذ يغرسهما داخل السردية الصهيونية سواء كان المستخدمون يشتركون فيها بشكل واعٍ أو غير واعٍ. إن المترجمين والمُحرِّرين العاملين فى وحدة مراقبة البى بى سى يتبنون استراتيجية مثيرة فى التعامل مع هذا المشكل. إذ حين يقتبسون من السياسيين الإسرائيليين أو يعيدون توظيف مقتطفات من الصحف الإسرائيلية، يميلون إلى أن يتركوا الإحالة الأصلية للمكان كما هى ويعقبونها بإيضاح فى أول مرة تُذكر فيها فقط بـ الضفة الغربية، كما هو فى الأمثلة التالية (المواد ذات الصلة مُشدَّدة):

إن عرض خطط البناء فى يهودا والسامرة [الضفة الغربية] يُشكِّل مناورة أخرى لرئيس الوزراء أرئيل شارون. ويالها من مصادفة غريبة أن يظهر رئيس الوزراء فجأة، تحديدًا فى ليلة انعقاد مؤتمر الليكود، بوصفه 'البانى الأكبر لـ يهودا والسامرة'. ومرة بعد أخرى يبادر رئيس الوزراء بمناورات فاشلة ويعتقد أنه مازال هناك أولئك الذين يصدقونه. السيد رئيس الوزراء، لم يعد هناك أى شخص يصدقك(٢٢).

فى المستقبل، ستكون هناك حاجة لإخلاء المزيد من المستوطنات فى يهودا والسامرة [الضفة الغربية] – لا لأنها عادلة، بل لأنه لا يوجد خيار إذا أردنا أن نبقى دولة يهودية وديموقراطية'، وقد اقتبسه مكتب السيد أولمرت وهو يقوله لقادة المستوطنين(٢٣).

إن المقتطف الأول مأخوذ من صحيفة حتزوف **Hatzofe**؛ وهو مقتطف من مقتطفات عديدة تُرجِمت من مصادر أخبار وموجودة فى مقال يعلق على الاستجابات فى الشرق الأوسط على مخططات إسرائيل لتوسيع المستوطنات. وأول

ذكر لـــ يهودا والسامرة متبوع بإيضاح الضفة الغربية بين قوسين معقوفين. بينمـــا يُترك الذكر الثانى، داخل الاقتباس، دون أن يُتبع بهذا الإيضاح. والمثـــال الثـــانى مأخوذ من مادة من مواد الـــ بى بى سى الإخبارية، التى تقتبس إيهـــود أولمـــرت، نائب رئيس وزراء إسرائيل، الذى يُعبِّر عن معارضته للمـــستوطنات. لكـــن مـــرة أخرى تُتبع يهودا والسامرة بإيضاح الضفة الغربية بين معقوفين واضحين. وعلـــى الرغم من أن أولمرت يعارض المستوطنات، فإنه لا يفعل ذلك لأنه لا يشارك فـــى السردية الصهيونية، 'لا لأنه عادل' (فى كلماته)، وإنما لأسباب براجماتية. ولـــذلك فإن استخدامه لـــ يهودا والسامرة متسق مع منظوره السردى.

وحين احتل الجيش الإسرائيلى دير غسانة والجانب الشرقى كله من فلسطين فى ١٩٦٧، بدأت نشرات الأخبار تتحدث عن احتلال قوات جيش الـــدفاع للـــضفة الغربية **news bulletins**. إذ لا يمكن لتلوث اللغة أن يصبح أكثر وقاحة مما هو فى مصطلح الضفة الغربية. غربية ماذا؟ وضفة ماذا؟ إن الإحالة هنـــا إلـــى الـــضفة الغربية لنهر الأردن، وليس لفلسطين الشرقية. إن الضفة الغربية لنهر عبارة عـــن موقع جغرافى – وليست بلدًا ولا وطنًا.

(Barghouti 2003)

إن عنوان مقال الـــ بى بى سى الأول، الملحق به المقتطف المـــأخوذ مـــن حتزوف **Hatzofe**، هو 'غضب الصحافة من مخططات سكنى الـــضفة الغربيـــة' (التشديد من عندى). وتُقرأ الفقرة الأولى من المقال على النحو التالى (المـــواد ذات الصلة مُشدَّدة): 'لقد أدانت الصحف فى الشرق الأوسط المخططات التـــى أعلنتهـــا الحكومة الإسرائيلية لبناء ١٠٠٠ مسكن فى المستوطنات اليهوديـــة فـــى الـــضفة الغربية.'

إن ما يحدث هنا على ما يبدو هو أن مترجمى ومحررى الـــ بى بى ســـى ابتكروا طريقة لإبراز انفصالهم عن السردية الصهيونية مع حفاظهم علـــى البقـــاء داخل نطاق فضاء إطارهم الموصوف كصحفيين ومترجمين(٢٤). أولاً، إن الأقواس

المعقوفة حول ما يلى من إيضاح تُنبِّه القارئ إلى حقيقة أن هذا إضافة من المترجم، ومن ثم إبراز قصد المترجم فى أن يبقى داخل فضاء إطاره الموصوف؛ إن العبارة المثيرة للجدل يهودا والسامرة يُعاد إنتاجها عمومًا بدلاً من أن تُقمَع، وبناء على ذلك يؤدى المترجم واجبه – أو تؤدى المترجمة واجبها – فى الوفاء للنص المنطلق. ومع ذلك، فإن استخدام يهودا والسامرة لا يُترك دون تنازع، بل إن كلاً من العنوان والنص الفعلى للمقال الموجودة فيه إحدى الترجمات يستخدم الضفة الغربية دون إيضاحها بـ يهودا والسامرة[٢٥]. ويبرز هذا التزام البى بى سى (ومترجمى البى بى سى) بهذا الجانب من السردية الفلسطينية التى تعامل المناطق ذات الصلة كجزء من فلسطين المحتلة. وهذا الجانب من السردية الفلسطينية يُعرف أيضًا رسميًا بالطبع بواسطة القانون الدولى وقرارات الأمم المتحدة الخاصة بالصراع. وبوصفها مؤسسة رسمية، فإن البى بى سى – بغض النظر عن موقع محرريها ومترجميها الأفراد من هذه القضية – لا يمكنها أن تتحمل أن تقوِّض جانبًا مقررًا قانونيًا من أى سردية تصدر تقريرًا عنها. إن مراقبة البى بى سى تختار وتترجم المعلومات مما يزيد على ٣٠٠٠ مصدر إخبارى ما بين إذاعة، وتليفزيون، وصحافة، وإنترنت، ووكالة إخبارية من ١٥٠ قطرًا من حوالى ١٠٠ لغة. وتعد الطريقة التى تترجم بها أسماء الأماكن المتنافسة مهمة جدًا، بما أن تأطيرها لصراعات متنوعة يدخل فى سرديات الإعلام والخبراء الرسمية للأقاليم موضع التناول. ويشتمل المشاركون فيها على أقسام الحكومة، والصحفيين، والأكاديميين وكذلك الأعمال المتعددة الجنسيات.

وغالبًا ما تُستخدَم الإشارت الأقوى للانفصال عن الموقع السردى المتشكل فى النص المُنطلَق منه فى الترجمات من قبل الجماعات الناشطة. تمامًا مثلما أن الاختيار بين الضفة الغربية ويهودا والسامرة، أو المستوطنات والجيرة **neighbourhoods**، يبرز الموقع السردى للمتكلم أو الكاتب فى سياق صراع الشرق الأوسط، فإن اختيار الجدار **wall**، أو السياج **fence**، أو الحاجز **barrier** (وخيارات أخرى متنوعة مثل جدار الفصل العنصرى **Apartheid Wall** وسياج

الأمن security fence) ليشير إلى البناء الذى أقامته إسرائيل وأدانته محكمة العدل الدولية فى يوليو ٢٠٠٤ يعطى مؤشرًا واضحًا جدًا علــى الــسردية المــستدعاة. فى كتابته عن الانتفاضة الإلكترونية فى ٩ يوليــو ٢٠٠٤، يستــشهد إلـــ فــسيد (El Fassed 2005) بحكم مجلس الوزراء الإسرائيلى هكــذا (المــواد ذات الــصلة مشدَّدة):

بعد عام من حكم محكمة العدل الدولية (ICJ)، الذى أوضحت فيه أن تــشييد الجدار the Wall والمستوطنات كان غير قانونى، طالب مجلــس الــوزراء بـــ ‘الاستكمال الفورى لــ سياج الأمن the security fence [هكــذا وردت sic] فـــى منطقة القدس.’

إن استخدام [هكذا ورت sic] هنا يترك القارئ بدون شك فيما يخص موقـــع الكاتب/المترجم السردى، خصوصًا فى ظل استخدام المؤلف الخاص لــــ الجــدار والمستوطنات.

قد يحتاج إذًا المترجمون والمترجمون الشفاهيون أن يضعوا فى اعتبـــارهم السرديات الأكبر المغروس فيها النص أو التلفظ لكى يتخذوا قــرارًا مبنيًــا علـــى المعرفة فيما يتعلق بكيف يتعاملون مع الأسماء، خصوصًا أسماء الأماكن المتنافسة. والبديل، ببساطة لتكرار الاسم الذى يستخدمه الكاتب أو المتكلم أيًــا كـــان بـــدون تعليق، يعنى المشاركة فى الترويج غير النقدى لسردية يمكن أن يجدوها مذمومـــة أخلاقيًا تمامًا إذا ما توقفوا عن تأمل تضميناتها. وكلما كان فضاء الإطار يتيح لهـــم المزيد من الاتساع، يستطيع المترجمون، وبدرجة أقل المترجمون الــشفاهيون، أن يُدخِلوا تعليقاتهم النقدية الخاصة ويقومون بالإيضاحات فى مواضع مختلفة. إن هذا لن يرحب به بالضرورة كل القراء أو كل المستمعين، كما أنه لن يكــون مفهومًــا حتى من قبل البعض، إلا أنه يتيح بالتأكيد للمترجمين أو المترجمين الــشفاهيين أن يبرزوا موقعهم بالنسبة للسردية موضع التناول. وكما هو مع كل اختيـــار يختـــاره الإنسان، فإن لهذا الاختيار حدوده. ومثل هذا الحد هو كذلك لأن فى هذا النمط من

المواقف 'تتعلق كفاءة التفسير بمعتقدات أولئك الذين يُفسَّر لهم شيء ما' ولأن 'كل خطاطة معتقد تتضمن رفض الآخر' (MacIntyre 1988: 381)، وأى تعليقات للمترجم أو المترجم الشفاهى يمكن أن تُخفق ببساطة فى أن تحقق هدفها. وفى النهاية، فإننا لا نستطيع فى هذا النمط من المواقف أن نطبِّق 'أحد الاختبارات القياسية للترجمة والقابلية للترجمة **translatibility**' (**MacIntyre 1988: 380**) ولا أن نطوِّر استراتيجية مضمونة أخلاقيًا ومهنيًا يتبناها كل المترجمين والمترجمين الشفاهيين. بل إننا جميعًا نتخذ قراراتنا على أسس ويجب علينا أن نتعايش مع العواقب. والشيء الرئيسى الذى نؤكده هنا هو أن الحياد وهم، وأن الأمانة غير النقدية للنص أو التلفظ المنطلق منه لها أيضًا عواقبها التى يمكن ألا يرغب المترجم أو المترجم الشفاهى الملم بموضوعه أن يتحملها.

ومن المهم أيضًا لنا كدارسين للترجمة والترجمة الشفاهية أن ندرك أننا كذلك مغرسون بقوة فى داخل سرديات محدَّدة. وتُقدِّم بن-آرى **Ben-Ari** (٢٠٠٠) دونما قصد مثالاً لافتًا جدًا لهذا فى سياق ترجمة أسماء مكان متنافسة. إذ تبدأ فى مقال بعنوان 'التلاعب الأيديولوجى بنصوص مترجمة' '**Ideological Manipulation of Translated Texts**'، بالتعبير عن الاندهاش والنفور من ممارسات مترجمين مصريين للأدب الإسرائيلى 'اعترفوا' لها أن فى النصوص الأدبية المترجمة من العبرية إلى العربية، يجب أن يُحوَّل اسم البلد، إسرائيل، إلى فلسطين. كما يجب أن يُحوَّل اسم العاصمة، أورشليم، إلى اسمها المسلم [هكذا ترد] 'الكدس' '**Al Kuds**' [هكذا ترد]، إلخ.

([هكذا ترد] من عندى **Ben-Ari 2000: 40**؛)

ويوضِّح إبراهيم مهوى **Ibrahim Muhawi**، وهو يكتب من موقع سردى مختلف تمامًا، عددًا من التلاعبات الأيديولوجية فى تحليل بن-آرى للتلاعبات الأيديولوجية فى هذا المجال وحده. أولاً، يرد عليها فيما يتعلق بتعليقها على أورشليم:

إن المجتمع الدولى لا يعترف بأورشليم كعاصمة لإسرائيل (السفارة الأمريكية، وكذلك سفارات الأغلبية الطاغية من أعضاء الأمم المتحدة فى تل أبيب). وثانيًا، إن اسم المدينة التى هى عاصمة فلسطين/إسرائيل هو القدس al-Quds (وليس الكدس al-Kuds). وثالثًا، ذلك اسمها العربى، وليس اسمها الإسلامى. إننى مسيحى، وذلك ما أدعو به، ويدعو به كل المجتمع المسيحى فى فلسطين، المدينة. ورابعًا، حتى على فرض أن المجتمع الدولى يعترف بأورشليم كعاصمة لإسرائيل، بعدم رغبته فى أن يتأمل اسمًا عربيًا للمدينة، فإن المؤلفة تنكر وجود أغلبية السكان فى أورشليم الشرقية، وأقلية فى أورشليم الغربية. وعلى فرض التسليم بأن اسم 'أورشليم' أكثر شهرة بكثير من القدس، فإن استعماله كاسم لا يجعله أقل أيديولوجية بأى درجة من الدرجات. إذ يوجد على الأقل ٢٥٠ مليون عربى ذلك هو اسم المكان بالنسبة إليهم.

(اتصال شخصى، ديسمبر ٢٠٠٢)

كما يجب أن أضيف أن المترجمين المصريين الذين أدهشت ممارساتهم بن-آرى كانوا بالطبع يترجمون إلى العربية. ولذلك فإن استخدامهم لـ القدس، التى هى المعادل العربى القياسى لـ أورشليم لا ينبغى له أن يُدهِش. كما أن خلط تسميات وسرديات العرب بتسميات وسرديات المسلمين هى ذاتها، من جهة أخرى، أثر لموقع بن – آرى السردى.

إن الأنساق الأخلاقية التى نحكم بها على السرديات الثقافية هى ذاتها سرديات ثقافية.

(إنجيلا ريان، اتصال شخصى، ديسمبر ٢٠٠٣)

ثانيًا، إن نفور بن-آرى من 'اعتراف' المترجمين المصريين أنهم يجدون أنه من الضرورى أن يستخدموا فلسطين بدلاً من إسرائيل كاسم للبلد لا يعوقها عن اللجوء إلى الاستراتيجية ذاتها فى كتابتها الخاصة. إذ تقول فى نقاشها لترجمات الروايات التاريخية اليهودية الألمانية فى أوربا الشرقية خلال القرن التاسع عشر:

وبما أن هذه الروايات التاريخية كانت فيما بعد أساسًا لأدب جديد كُتب فى إسرائيل إلى أن تم تأسيس الدولة، وتم تكييفها لعدد لا حصر له من قراء المدارس والمجلات، فإن ترجماتها إلى العبرية الممارسة فى إسرائيل تمثِّل بصورة ما تحولها الأيديولوجى الثالث.

(Ben-Ari 2000: 49)

• وكما يوضِّح مهوى (فى اتصال شخصى)، 'إن إسرائيل هنا توجد قبل أن توجد إسرائيل **predates itself**. إنها إسرائيل حين كانت فلسطين، وهى إسرائيل قبل أن تظهر للوجود كدولة'. وعلى الرغم من نفورها مما تدعوه 'التلاعب الأيديولوجى'، فإن بن-آرى تتبدى مغروسة بقوة – وإن كان ربما بشكل أقل وعيًا وأقل نقدية – فى سردياتها الخاصة بالقدر ذاته الذى عليه المترجمون الذين تجد ممارساتهم مثيرة للدهشة. إن ما تنبهنا إليه النظرية السردية هو أن مكونات بحثنا هى أيضًا سرديات، سرديات صغرى **mini narratives** هى جزء من سرديات كبرى أضخم مختلفة الأنماط (بعضها سياسية، وبعضها اجتماعية، وبعضها أكاديمية). وكما هو مع أى سردية، ما من طريقة يمكن أن تُحكى بها القصة من موقع مميز للحياد المطلق. ذلك أنه لا يمكن للراوى أن يقف خارج السردية.

إن أسماء المكان المتنافسة من بين أكثر السمات الخِطابية تحديًا وأهمية لأن تُدرَس فى سياق الترجمة والصراع. وكمحترفين وباحثين، فإننا نعمل بجد لنقاربها، ونقارب سردياتنا الخاصة بالتاريخ المغروسة فيها، بأسلوب نقدى، وانعكاسى، ومسئوَل.

٦-٤-٢ العناوين

إن عناوين منتجات نصية وبصرية مثل الروايات، والأفلام والكتب الأكاديمية ليست بشكل اعتيادى جزءًا من نظام تنافسى تتنافس فيه مع بعضها البعض، إلا أنها يمكن أيضًا أن تُستخدَم بشكل فعال للغاية لـ(تعيد) تأطير

السرديات فى الترجمة[٢٦]. إن عنوان الملك–العبد، عنوان ترجمة ١٨٨٣ لرواية هوجو بوج–جارجال، يستبق قضية العبودية ويؤطِّر السردية بوصفها جزءًا من الخطاب المنادى بإلغائها، واضعًا لها بوضوح فى جانب الجدال المناهض للعبودية. وكذلك، فإن اختيار أفرا بهن **Aphra Behn** اكتشاف عوالم جديدة **A Discovery of New Worlds** كعنوان لـ محادثات حول تعددية العوالم لفونتانال **Fontenelle's Entretiens sur la pluralite des mondes** 'يقمع كلاً من الخاصية الحوارية للنص والفكرة المستفزة بشكل مزعج حول الوجود الممكن لعوالم أخرى عديدة' (**Knellwolf 2001: 104**)، وكلاهما تتحديان سرديات بهن **Behn** الخاصة عن العلم والعالم بعامة. وكما رأينا فى نقاش العلائقية **relationality** فى الفصل الرابع (القسم ٤–٢)، فإن اختيار مارجوت بدران سنوات الحريم: مذكرات مصرية نسوية **Harem Years: Memoirs of an Egyptian Feminist** كعنوان لترجمتها الإنجليزية لـ مذكراتى **Mudhakkirati (My Memoirs)** لهدى شعراوى أعاد تأطير هذه السردية الأنطولوجية لخبرة شخصية ثرية ومركبة كحلقة من حلقات سردية جماهيرية غربية حول عزل النساء العربيات والمسلمات.

[من الغريب أن منى بيكر على امتداد النص تكرر خطأ مارجوت، فتذكر مذكرات هدى شعراوى على أنها ''مذاكراتى''، فى حين أن العنوان بالعربية هو ''مذكرات هدى شعراوى'' دون ياء الملكية، وهو ما يعنى أن بيكر لم تطلع على النص العربي!، المترجم]

وهناك مثال أكثر إثارة من التاريخ القريب، كما هو مروى فى الجزء الأول من فيلم وثائقى من ثلاثة أجزاء بعنوان قوة الكوابيس **The Power of Nightmares** (**BBC2, 20 October 2004**). ففى عام ١٩٧٢ كان هنرى كسينجر يتفاوض على معاهدة مع الاتحاد السوفيتى للحد من الأسلحة النووية. وقد كانت هذه بداية انفراج نبَّه محافظين جددًا مثل ديك تشينى ودونالد رامسفيلد اللذين كانا ملتزمين بسياسة الخوف **a politics of fear**. وعبر السنوات القليلة التالية بدآ يطوران حُجة أصبحت

مألوفة الآن هى حُجة تهديد خفى لكن طاغٍ من العدو. وقد أصر ريتشارد بـايبس، وهو مؤرخ متخصص فى تاريخ الاتحاد السوفيتى أُجريت معه مقابلة فـى الفـيلم، على أن 'أيًا كان ما يقوله السوفيت علنًا، فإنهم سرًا مازلوا يعتزمون أن يهـاجموا ويغزوا أمريكا. لقد كان هذا توجههم الخفى' (ibid.). ثم، كما كان فى الحشد لغزو العراق عام ٢٠٠٣، حيث جادلت بشكل متكـرر وكالـة المخـابرات المركزيـة الأمريكية CIA بأنه لم تكن هناك أدلة تدعم مزاعم وجود تهديد وشـيك للولايـات المتحدة الأمريكية. وقد كان أحد الأشياء التى فعلها المحـافظون الجـدد ليعـززوا سرديتهم فى مواجهة هذا الافتقار إلى التعاون من وكالـة المخـابرات المركزيـة الأمريكية هو ترجمة كتيب تخابر عسكرى روسى عنوانه الأصـلى 'فـن الفـوز 'The Art of Winning' بعنوان 'فن الغزو' 'The Art of Conquest' (آن كـاهن Anne Cahn وكالة الحد مـن الأسـلحة ونـزع الـسلاح Arms Control and Disarmament Agency، ١٩٧٧-١٩٨٠، مقابلة أجريـت فـى قـوة الكـوابيس The Power of Nightmares). إن 'الغزو'، بخلاف 'الانتصار'، قد أطَّر الموقف السوفيتى بوصفه موقف عدوان محسوب، متوافق مع سردية الخوف المُفضَّلة مـن قبل المحافظين الجدد.

إن استخدام العناوين لإعادة تأطير السرديات فى الترجمة غالبًا ما تـصحبه تبديلات فى النصوص ذاتها، بما يتوافق مع الموقف السردى الذى يبرزه العنـوان الجديد. على سبيل المثال، إن ستارج (Sturge 2002) تُوضِّـح أن العلاقـة بـين الجنسين فى ظل الحكم النازى شكَّلت جزءًا من سردية أوسع عَيَّنت فيها تراتبيـات النوع المقرَّرة أدوارًا مُحدَّدة، كما هو بالنسبة لكل جماعة أخرى فى المجتمع. وفى هذا السياق، ليس غريبًا أن ترى رواية بوليسية عنوانهـا الأصـلى أحجيـة فـى كنسيجتون Mystery in Kensington يُعاد تأطيرها بعنوان ألمانى هو (سـاعدنى، يا بيتر) Gore/Hilf mir, Peter! (Help me, Peter!)، لأن بيتر هو البطل الـذكر فى الرواية. ويُعزَّز هذا الاختيار للعنوان بسلسلة من التبديلات فى الـنص ذاتـه،

بما فى ذلك 'تحويل النوع فى وصف شعر البطلة، إذ تصبح تشعث ''مثـل شـعر صبى'' "like a boy's" (مثل شعر فتاة صـغيرة ...) " wie bei einem kleinen "Mädchen (like a little girl's، ...)، والإقحام لـ "sie knickte zusammen" (she collapsed،...) ''لقد انهـارت)، لتقـديم ملاحظـة علـى وهـن الأنثـى' (Sturge 2002: 164). إن هذه التغيرات الماكرة تُعزّز سردية عـالم فيـه النـساء ضعيفات طبقات وغير فاعلات، والرجال أبطال وبارعون كما – بطبيعة الحـال – يشير العنوان الجديد.

وفى ١٩٩٦، كتب جوزيف فينكليستون، وقد كان يعمـل حينهـا صـحفيًا لصحيفة معاريف اليومية فى تل أبيب والوقائع اليهوديـة Jewish Chronicle the فى لندن، كتابًا بعنوان، Anwar Sadat: Visionary who Dared أنور الـسادات: الحالم الذى جرؤ. وقد ظهرت الترجمة العربية لعادل عبد الصبور فى عام ١٩٩٩ بعنوان السادات: وهم التحدى (Sadat: The Illusion of Challenge). إن العنوان العربى يبرز سردية مختلفة تمامًا عن السادات ودوره فى تدشين ما أصبح يُعـرَف بعملية السلام. إذ يجاهد فينكلستون، فى النسخة الأصلية، ليقـدم الـسادات تقـديمًا إيجابيًا، بوصفه حالمًا جرؤ على أن يتحدى القوى الرجعية فى المنطقة. بينما صوَّر أولئك الذين عارضوه إما بوصفهم ضيقى الأفق أو متطرفين، وهو ما يتطابق تمامًا مع سردية أعرض للشرق الأوسط مهيمنة بشكل خاص فـى الولايـات المتحـدة الأمريكية وبريطانيا. فى حين يستدعى العنوان العربى فى المقابل سردية مألوفـة تمامًا للقارئ العربى: لقد كان السادات أضحوكة أمريكيـة an American stooge عمل تحت سيطرة وهم أنه يستطيع أن يجبر شعبه على أن يـصنع سـلامًا مـع إسرائيل على حساب 'بيع' "selling" الفلسطينيين. ومع ذلك، فقـد ظـل الـشعب المصرى يحبط مخططاته بشكل متواصل من خلال رفض التعاون مـع إسـرائيل فى أى مجال من المجالات، سواء الثقافية أو الاقتصادية. وفى الواقع، فإن الحركة ضد 'التطبيع'، التى بدأت فى ١٩٧٩، ظلت قوية إلى أقصى حد حتى يومنا هـذا،

فى ظل رفض الأغلبية الساحقة من الكتاب، والفنانين، والأكاديميين، ورجال الأعمال أن يتعاملوا مع المؤسسات والأفراد فى إسرائيل. وهكذا، فإن وهم التحدى يستدعى سردية شائعة شيوعًا هائلاً بين الجماهير المستهدفة بالترجمة. إذ ترى نسخة هذه السردية أن السادات كان واقعًا تحت وهم أنه يستطيع أن يفرض سلامًا بدون كرامة على شعبه. إنه لم يكن حالمًا وإنما سياسى آخر مخدوع.

إن هذا التأويل، البارز على نحو واضح من العنوان الجديد، تدعمه أكثر وأكثر سلسلة من التبديلات الماكرة على امتداد الترجمة. وها هو أحد الأمثلة من الصفحة الأولى من المقدمة، مع ملاحظة أن التبديلات المعنية مشدَّدة فى ترجمة الترجمة العربية إلى الإنجليزية [أى ترجمة منى بيكر الترجمة العربية إلى الانجليزية]:

الأصل الإنجليزى

After centuries of living under the shadow of great powers, often humiliated
and derided, Egypt, under Sadat, was grappling with tremendous, almost insoluble
problems – inadequate resources, insufficient fertile land and a burgeoning
population which was increasing at the rate of over one million every year.

(Finklestone 1996: xiii)

بعد قرون من العيش تحت وطأة القوى العظمى، فى مهانة وسخرة معظم الوقت، أخذت مصر تتصارع فى ظل حكم السادات مع مشكلات رهيبة تقريبًا لا حل لها – موارد لا تكفى، ورقعة زراعية متناقصة، ونمو سكانى يتزايد بمعدل يتجاوز مليون نسمة كل عام.

[ترجمة طارق النعمان]

والحادث تاريخيًا، أن مصر بعد أن ظلت قرونًا طويلة فى ذل ومهانة تحت قسوة القوى العظمى، خضعت لحكم السادات، ومع حكم السادات شهدت مصر العديد من المشاكل الضخمة والمعقدة، والتى جاء فى مقدمتها، نقص الموارد، ومحدودية الأراضى الزراعية، والتكدس السكانى الذى يزداد بمعدل يفوق المليون نسمة سنويًا ..

[ترجمة عادل عبد الصبور]

Back translation of Arabic

Historically, after Egypt had remained for long centuries humiliated and
oppressed by the cruelty of the Great Powers, it submitted/surrendered to Sadat's rule. And with Sadat's rule Egypt witnessed numerous large and
complex problems, foremost of which were the lack of resources, the limited
availability of agricultural land, and the growth of population at a rate of over
one million every year.

(Abdel Sabour 1999: 11)

بخلاف الأصل الإنجليزى، يوحى النص العربى من خلال اختيار خضعت أن مصر لم تقبل السادات كحاكم لها عن طيب خاطر. ثانيًا، بينما يتضمن الأصل الإنجليزى أن أداء السادات كرئيس كان جديرًا بالإعجاب فى ظل أنه ورث تلك المشكلات المستعصية من النظام السابق عليه، فإن النسخة العربية تستخدم حرف الجر (مع) إستخدامًا ماكرًا جدًا لأنه يدل أن هذه المشكلات مستحدثة **created** ولم يرثها نظام السادات. [للتوضيح ''مع حكم السادات شهدت مصر العديد من المشاكل الضخمة والمعقدة'' أى أن المشكلات نشأت مع حكم السادات وهذه هى

ترجمة عادل عبد الصبور، فى مقابل نص فنكلستون الذى يبدو أنه يشير إلى تراكم المشكلات وليس نشوئها مع السادات ''أخذت مصر تتصارع فى ظل حكم السادات مع مشكلات رهيبة تقريبًا لا حل لها''، المترجم]

إن هذه التغيرات الماكرة نسبيًا فى جسد النص التى تدعم وتُعــزِّز الــسردية المعاد تأطيرها برزت فعليًا فى عنوان الترجمة.

إن عناوين الكتب والأفلام وأنماط أخرى من المواد،إذًا، مثلها مثــل أســماء الأماكن المتنافسة من ضمن الوسائل المتعددة المتاحة للمترجم لتأطير وإعادة تأطير السرديات. وفى ظل أن المترجمين الشفاهيين يتعاملون مع مواد منطوقة فى سياق أحداث إما ليس لها عنوان بحكم طبيعتها (لقاء طبيب مع مريض) أو لها عناوين لا سيطرة للمترجم الشفاهى عليها (اجتماع للأمم المتحدة، مؤتمر علمى)، فــإن هــذه السمة تشكِّل قرينة أقل كثيرًا بالنسبة لهم.

٦-٥ إعادة تموقع المشاركين

إن أحد جوانب العلائقية، وهى سمة للسردية تمت مناقــشتها فـــى الفــصل الرابع، يتعلق بالطريقة التى يتموقع بها المشاركون فى أى تفاعــل، أو يموقعـــون أنفسهم، بالنسبة لبعضهم البعض وبالنسبة لأولئك الواقعين خارج الحدث المباشــر. وأى تغيير فى تشكيل هذه المواقع يبدِّل ديناميـــات الـــسرديات المباشــرة وكــذلك السرديات الأوسع المنسوجة فيها.

إن الألمانيين الغربيين يمثِّلون أنفسهم فى القصص التى يحكونهـــا بوصـــفهم بشكل مركزى 'هنا' أو 'هناك'، بوصفهم أقرب إلـــى الغـــرب أو إلـــى الـــشرق، بوصفهم ينظرون إلى الخلف أو إلى الأمام، أو بوصفهم 'فى المابين' مـــن خـــلال خيارات لغوية تشمل أفعالاً، وأظرفًا، وتعبيرات زمنية. كما أنهم أيضًا يستخدمون، ويتفاوضون مع محاوريهم بـــ، تشكيلات لغوية للزمان والمكان وتعبيرات الإحالـــة

إلى المكان ذاتها فى مواقع أيديولوجية معينة فيما يتعلق بمفهومات الصور النمطية المشتركة عن ألمانيا الشرقية والغربية.

(Baynham and De Fina 2005: 12)

فى الترجمة والترجمة الشفاهية، يمكن إعادة موقعة المشاركين بالنسبة لبعضهم البعض وبالنسبة للقارئ أو السامع عبر الإدارة اللغوية للزمان، والمكان، والإشارية **deixis**، واللهجة، والسجل، واستخدام النعوت **epithets**، والوسائل المختلفة للتعرف على الذات والآخر. إن الاختيارات التراكمية الماكرة جدًا فى أغلبها فى التعبير عن أى متغير من هذه المتغيرات تتيح للمترجم أو المترجم الشفاهى أن يعيد تشكيل العلاقة بين هنا، وهناك، والآن، وآنذاك، وهم، ونحن، والقارئ والراوى، والقارئ والمترجم، والسامع والمترجم الشفاهى. وسواء اتخذت شكل تعليقات أو تبديلات مصاحبة للنص فى التعبير عن أي متغير من هذه المتغيرات داخل النص ذاته، فإنه يمكن للمترجمين والمترجمين الشفاهيين أن يعيدوا بشكل فعَّال تأطير السردية المباشرة وكذلك السرديات الأكبر المغروسة فيها من خلال إعادة اصطفاف **realignment** حذر للمشاركين فى الزمن والفضاء الاجتماعي/السياسى.

٦-٥-١ إعادة التموقع فى تعليقات العتبات النصية

إن المقدمات، والتصديرات، والهوامش، و- بقدر أقل، بما أنه لا سيطرة للمترجمين عليها - تصميم الغلاف، وكلمات الغلاف **blurbs** من بين مواضع عديدة متاحة للمترجمين لإعادة موقعة أنفسهم، وموقعة قرائهم، ومشاركين آخرين فى الزمان والمكان.

إن كولاج هونج كونج: قصص وكتابات معاصرة **Collage Hong Kong: Contemporary Stories and Writing** (Cheung 1998) عبارة عن منتخب من ٢٣ قصة قصيرة، ومقالات ومقتطفات من روايات لهونج كونج فى ترجمة

إنجليزية. ومُحرِّرة المنتخب هى مارثا شونج، وهى أيضًا المترجمة لنصوص عديدة فى المجلد. وفى مقدمتها، تنسج المُحرِّرة/المُترجِمة سردية هى ذاتها مُكرَّسة جزئيًا لإعادة موقعة اللاعبين الأساسيين فى هونج كونج/واجهة أخرى. وهذه السردية تُصوِّر 'كُتَّابًا غربيين وكذلك أولئك الذين من الجزيرة' بوصفهم دخلاء **outsiders** ظلوا يفرضون ويراكبون 'فيضًا من الصور على هونج كونج'، صور 'تصلبت فى صور نمطية' (**Cheung 1998:x**). وهكذا تمت موقعة الحكام الجدد لهونج كونج، الصينيين إلى جانب حُكَّامها القدامى، الغربيين/البريطانيين، فى الفضاء السياسى-الاجتماعى ذاته. وهذا التموقع للاعبينِ السياسيينِ معًا واضح أيضًا فى السؤال 'أى نسخة من تاريخ هونج كونج هى النسخة التى تُؤخذ بوصفها ''صادقة'' - التى أنتجها البريطانيون؟ أم الصينيون؟ أم مؤرخو هونج كونج؟ أم دارسون يفترض أنهم غير سياسيين وموضوعيون؟' (١٩٩٨: **x**). وفى المقابل، تصف شونج نفسها بوصفها 'قاطنة منذ زمن فى المدينة' (١٩٩٨: **x**) ومتموقعة بوضوح فى الفضاء ذاته المتموقع فيه الكُتَّاب الممثَّلون فى المجلد، ممن كتابتهم 'تنير هونج كونج من الداخل' (التشديد من عندى، ١٩٩٨:**xii**).

إن استجابة المُحرِّرة/المُترجِمة تجاه ما تصفه بأنه 'العيش فى قاعة من الصدى **an echo chamber** تتردد فيها أصوات تدَّعى أنها تتحدث بالنيابة عن المرء' (١٩٩٨: **xii**) تتمثل فى وضعها معًا كولاج لحياة هونج كونج 'ذاتى بلا خجل' و'فردانى بشكل مثير للتحدى' **'defiantly idiosyncratic'** (١٩٩٨: **ix**)، فى محاولة لمقاومة وتقويض السرديات الاختزالية العظمى **the grand, reductive narratives** لهونج كونج التى روَّجها الدخلاء (العناصر المرتبطة بالموضوع مشدَّدة):

> **إن هذا الكتاب يُسجِّل استجابتى الشخصية الخاصة تجاه الأصوات العديدة التى ادَّعت أنها تُمثِّل هونج كونج، أو أعلنت أنها مُمثِّلة لهونج كونج خلال العقد الماضى. كما أنه يُسجِّل أيضًا استجابتى تجاه الأصوات الجديدة العديدة التى تدَّعى الآن أنها تُمثِّل هونج كونج. كما يُظهر هذا**

المنتخب أيضًا محاولة الفرد أن يواجه السرديات العظمى، والصور الكبرى، والهويات المسيطرة - المفروضة على هونج كونج من الخارج - المصاحبة للسرديات، والصور، والهُويَّات المختارة من قبل شعب هونج كونج لأنفسهم.

(1998: xii)

إن اختيار شوينج للضمائر والتعبيرات الإشارية فى هذا المقتطف وعلى امتداد المقدمة ذات الصفحات الخمس يشارك فى صياغة سردية تتموقع فيها هى وشعب هونج كونج معًا، وفى الجانب المعاكس للآخرين الذين يمثلونهم بطرائق لا يتعرفون فيها على أنفسهم. إن هؤلاء 'الآخرين' متشكلون سياسيًا: إنهم متواجدون منذ زمن، وقد رسَّخوا صوت القوى الاستعمارية الغربية وكذلك الأصوات الجديدة المُدَّعية الآن أنها تُمثِّل هونج كونج. إذ تُبرز الجديدة والآن بوضوح، وهى تقرأ فى سياق تسليم ١٩٩٧ المتأخر جدًا آنذاك، أى ذلك 'الحدث الجلل لعودة هونج كونج إلى الهيمنة الصينية' (**ix : 1998**)، القوة السياسية القادمة، أى الصين. إن المقدمة وفق هذا تُهيء المشهد لقراءة كل نص من نصوص المنتخب من منظور هذا التموقع. وهى تُشجِّع القارئ أيضًا أن يُؤوِّل كل نص بوصفه دليلاً على تنوع وثراء حياة هونج كونج، كفصل فى سردية المُحرِّرة/المُترجِمة الأنطولوجية والجماهيرية المُصمَّمة لتُفنِّد وتُقوِّض 'السرديات العظمى' المُروَّجة من قبل الآخر السياسى والاجتماعى، الخارج المتعدى بشكل مُتكرِّر على الداخل والمستملك له.

إن المقدمات القصيرة المكتوبة من المُحرِّرة/المُترجِمة تُصدِّر النصوص المنفردة فى المنتخب وتشارك فى تشكيل السردية المُجملة فى المقدمة الرئيسية وفى موقعة اللاعبين الرئيسيين إما خارج أو داخل فضاء هونج كونج (العناصر المرتبطة بالموضوع مُشدَّدة):

إن كتابات زياو ساى Xiao Si، الملحوظة لرهافة ملاحظاتها، غالبًا ما تجعل أولئك الذين عاشوا منا فى هذه المدينة لزمن طويل يشعرون أننا لم يتسنَ لنا قط أن نعرف بالفعل المكان. وبالنسبة

للهونجكونجيين المجاوزين لسن الثلاثين، فإن الأسود البرونزية المشار إليها فى هذا النص ستلعب تقريبًا دورًا فى ذاكراتنا عن نمو خبرتنا. لكن كم مننا من نظروا إلى الأسود بالطريقة التى تنظر هى بها إليها؟

(١٩٩٨: ٨١)

إن هذه المقدمة القصيرة تُصدِّر نصًا بعنوان 'الأسود البرونزية' 'The Bronze Lions' لزياو ساى، بترجمة جين سى. سى. لاى **Jane C.C. Lai**. ومثل التصديرات الخاصة بالنصوص الأخرى فى المنتخب، فإنه يلتقط قالب العلاقات المعروضة فى المقدمة الرئيسية ويموضع اللاعبين بشكل واضح، بما فى ذلك المترجمون، فى داخل أو خارج نسيج حياة هونج كونج 'الواقعى' المتنوع، والثرى، بوصفهم 'نا' أو 'هم'. وفى هذا التصدير المُحدّد، يتم عزل 'أولئك الذين عاشوا منا فى هذه المدينة لزمن طويل' من كل من الغربيين وأولئك الموصوفين فى تصدير نص آخر بأنهم 'مهاجرون من الجزيرة' (١٩٩٨: ١٢٢)[٢٧]. إن 'نا/نحن' المترجمين والمُحرِّر هى 'نا/نحن' أولئك الذين لديهم معرفة داخلية وتقمص فعلى، تبارى سرديات الدخلاء الباحثين عن صور نمطية سهلة وتفسيرات سطحية.

كما يمكن للمترجمين أيضًا أن يتدخلوا فى العتبات النصية **paratexts** لتوجِّيه الكيفية التى تتموقع بها 'نحن' القراء فى مقابل المجتمع المُصوَّر فى السردية المنطلق منها. ويوضِّح القديس أندريه **André** (فى عمله القادم) أنه كان يُمثِّل سمة للترجمة الصينية فى القرن التاسع عشر ليبرز انقسامًا بين ما يقوله النص بالصينية وواقع الحياة الصينية – بعبارة أخرى مساءلة صدق السردية المنطلق منها. ولم تتمثل الفرضية فقط فى أن انقسامًا معينًا يوجد بين النص والواقع، وإنما أيضًا أن واجب المُترجِم 'أن يكشف للقارئ البريطانى ''الحقيقة'' وراء النص المختلق'. وهذا الواجب يُؤدَّى فى شكل التعليق المباشر وغير المباشر 'الذى شكَّل ووجَّه فهم القراء لطبيعة الصينية بوصفها أدنى' (**St André، forthcoming**). إن القديس أندريه يعطى ترجمة ١٨١٥ لروبرت موريسون لبعض المراسيم الصينية كمثال:

بعد ترجمة المرسوم الذى انفجر فيه الإمبراطور ضد الانتهاكات المقترفة من جيشه وهو يخمد تمردًا (إذ خطفوا أطفالاً ليبيعوهم كعبيد)، ويضيف موريسون تعليقًا: 'إن مغزى المراسيم الإمبراطورية، أن تظهر بلا ريب الإمبراطور الحاكم بوصفه رجلاً إنسانًا. وهذه هى أيضًا الخاصية التى يمنحها له شعبه؛ لكنهم يشكون أنه يحتفظ فى الحكومة بمجموعة شريرة.' ... كما تُظهر الترجمة الإمبراطور إنسانًا طيبًا، إلا أن التعليق يُحذر القارئ أن هذا الرجل الطيب محاط برجال أشرار كثيرين. وبقدر أبكر قليلاً، يحذر موريسون القارئ من التفاوت العميق بين ما يقوله الصينيون وكيف يسلكون: 'ما من أمة فى العالم فيها الحِرف والممارسة على خلاف أكثر مما هو فى الصين'. (التشديد فى الأصل، **forthcoming**)

إن هذا النمط من التعليق لمترجمى القرن التاسع عشر للوثائق الصينية الرسمية يتدخل فى تشكيل العلاقة المباشرة بين القارئ والمجتمع المصورَّ فى السردية المنطلق منها. كما أنه يساهم بفعالية فى تشكيل سرديات الاستعمارية الأكبر لذلك الزمن.

٦-٥-٢ إعادة التموقع داخل النص أو التلفظ

إن الكثير من إعادة التموقع فى الترجمة، وتقريبًا كل إعادة التموقع فى الترجمة الشفاهية، تتحقق داخل النص أو التلفظ. ونطاق الوسائل المتاحة للتأثير فى تشكيل المواقع مفتوح النهاية مبدئيًا. ويمكن تقريبًا إعادة التفاوض على المستوى المحلى والعالمى لإعادة تشكيل العلاقة بين المشاركين داخل وحول السردية المنطلق منها. ويقدم ماسون وسيربان (**Mason and Serban 2003**) تحليلاً تفصيليًا للتحولات المنتظمة فى الإشاريات **deixis** فى الترجمات الإنجليزية للأدب الرومانى مما ينتج عنه إعادة تشكيل العلاقة بين القراء والأحداث والمشاركين المصوَّرين فى السرديات المنطلق منها؛ وبعبارات ماسون وسيربان، إن هذه التحولات 'تعيد تشكيل العلاقة باستمرار بين المترجم/النص'، مما يتيح للمترجمين

‘أن يخلقوا المسافة أو، على العكس، القرب بين الترجمات والقــراء’ و‘يموقعــون أنفسهم تجاه النص الذى يعملون عليه’ (٢٠٠٣: ٢٩٠).

وقد شاركت الحركة الموثقة جيدًا مــن ونيــان **wenyan** (اللغــة الأدبيــة الكلاسيكية) إلى بايهوا **baihua** (اللغة الصينية الشمالية الدارجة) فى ترجمة كل من الأدب والكتب المقدسة فى صين أوائل القرن العــشرين(٢٨) فــى إعــادة تــشكيل العلاقات الاجتماعية كجزء من السردية الأوسع للمجتمع الديموقراطى المــساواتى الحديث، وكذلك العلاقة بين الإله المسيحى ورعاياه. إن استخدام اللغة الدارجة فــى ترجمة المسرح فى مقاطعة الكيبيك منذ إخــراج الأخــوات الجمــيلات لميــشيل تريمبلاى **Les Belles-Soeurs Michel Tremblay's** فى ١٩٦٨ يُحقِّــق وظيفــة مشابهة لإعادة موقعة المشاركين، بما فى ذلك القراء والجمهــور، فــى الفــضاء الاجتماعى والسياسى. وتُوضِّح بريسيت (**Brisset 1989**) أن ترجمــات المــسرح الكيبيكى ‘تكاد تكون دومًا مميزة باستخدام لغة الطبقة العاملــة **a proletarization of language**’ (١٩٨٩: ١٧). إن هذه البلترة [هذا الاستخدام للغة الطبقة العاملــة] **proletarization** يتحقق من خلال اختيار الجوال **joual** كلغة للترجمة، بوصــفها مضادة للفرنسية الأوربية. وفى ترجمة روبرت لالوند الشقيقات الثلاث لتــشيكوف، تصاحب اختيار الجوال، لغة الطبقة العاملة، سلسلة من التحولات التى تضيف إلــى ‘البلترة’ '**proletarizing**' الخلفية الزمانية والمكانية والمشاركين داخل المسرحية:

إن بيت قائد اللواء [البريجــدير جنــرال] يــصبح بيــت طبيــب القريــة. و‘قاعة الاستقبال ذات الأعمدة التى يمكن أن يُرَى من ورائهــا قاعــة الــرقص’ (**Hingley 1964: 73**) تصبح ‘صالونًا متواضعًا’ (غرفة معيشة بائسة) حيث يحكــم حكمًا ‘عائليًا’ (مناخ عائلى نمطى واعتيادى). وغالبًا ما يعتمــد التمثيــل المــسرحى للكيبيكية على التحقير الاجتماعى للشخصيات فى العمل الأصلى. ويرتبط هذا التحقير الاجتماعى ارتباطًا مباشرًا باللغة بما أنه يتيح للشخصيات أن تستخدم أساليب تعبيــر يمكن العثور فيها على السمات الكيبيكية الصوتية، والمعجمية والتركيبية.

(Brisset 1989: 17)

إن ‘بلترة’ النصوص المنطلق منها والمشاركين الذين تُصوِّرهم فى السياق الكيبيكى تؤثر على تموقع المشاركين فى السردية الأوسع للكيبيك. وهو ما يساعد على اتخاذ موقع مستقل للشعب الكيبيكى، موقع منفصل عن كل من الإنجليزية والفرنسية. هذا لأن الجوال، وهى لغة متأثرة بشدة بالإنجليزية، ‘تُرمِّز الظرف الخاص بكيبيك المستعمرة’ (Brisset 1989: 10). وفى الوقت ذاته، فإن الجوال ‘هى أيضًا ما يعطى الكيبيكى سمة أمريكية شمالية بشكل مميز وتمايزه عن نظيره الأوربى الناطق بالفرنسية’ (١٩٨٩: ١٠).

ومن اللافت أن بريسيت تلاحظ أنه بينما تُستخدَم الجوال فى ترجمة المسرحيات، فإن عمليات الإخراج المسرحى – التى ‘تعكس الكلام الخاص بالمؤلف المسرحى، كما هو، لا تحمل علامة كيبيكية مُحدَّدة’ (١٩٨٩: ١٧) – تُترجم إلى ‘فرنسية راقية’ (١٩٨٩: ١٧). إن إضفاء الطبقية على اختيار اللغة/اللهجة يشارك فى تحديد المواقع المحتلة من قبل مشاركين مختلفين فى القراءة/الخبرة المسرحية. ويرتبط أولئك المتموقعون داخل فضاء الكيبيك، سواء بوصفهم قراء أو شخصيات داخل المسرحية، بالجوال. بينما يتموقع الكاتب المسرحى لغويًا وسياسيًا، فى المقابل، خارج ذلك الفضاء. أما فى ترجمة مصطفى صفوان العربية لمسرحية عطيل عام ١٩٩٨، فإن العامية (العامية المصرية) هى المستخدمة على طول الخط، بل إن حتى مقدمة الترجمة مكتوبة كذلك بالعامية. وهذا متوافق مع تموقع المترجم والجمهور داخل الفضاء الاجتماعى والسياسى نفسه:

> **“الغرض من الترجمة إلى اللغة العامية واضح: إن ييجى اليوم اللى فيه محمد على عبد المولى والملايين اللى زيه يقدروا يقروا فيه كبار الكتاب من عندنا ومن عند غيرنا باللغة اللى رضعوها على صدر أمهاتهم واللى عاشوا بيها وفيها وماتوا وهم بينطقوا بيها”**

The objective of the translation into the vernacular is clear: that one day Muhammad Ali Abdel Mula, and millions like him, would be able to read established writers in ours and other cultures in the language they were fed by

their mothers, the language in and through which they live, and which they speak to their last breath.

(Safouan 1998: 5;
translated and quoted in Hanna 2005: 119)

كما يوضّح حنا، فإن اختيار صفوان للعامية المصرية كوسيلة نقل لكل من ترجمته لـ عطيل ولخطابه الشارح على الترجمة محاولة جلية لتقويض الزعم القائل بهوية عربية جمعية متماثلة، وهو زعم صاغه بشكل منتظم مثقفون عديدون ومترجمون آخرون لشكسبير إلى العربية، بما فى ذلك المترجمون الأسبق لـ عطيل. ولهذا يضع صفوان نفسه فى مقابل كل هؤلاء المثقفين والمترجمين، ويضع القارئ المصرى خارج نطاق ما يراه على أنه المماثلة الغاشمة المستنزفة للعالم العربى. ويرى صفوان فضلاً عن ذلك أن اختيار العامية يخدم هدفًا سياسيًا مهمًا آخر:

إنه يجسِّر الـ ... فجوة المصطنعة بين العوام والمثقفين؛ وقد كانت هذه الفجوة، كما يؤكد صفوان، دومًا فى مصلحة السلطة السياسية، بما أنها تساعد على تجريد كل من العوام والمثقفين من قوتهم وتجعل كلاً منهما معرضًا للتلاعب به.

it bridges [the … [artificial gap between the masses and the intellectuals; this gap, Safouan asserts, has always been in the interest of political power, since it helps disempower both the masses and the intellectuals and makes them both susceptible to manipulation.

(Hanna 2005: 119)

وبتضييق الفجوة بين الجماهير والمثقفين، يزيد اختيار العامية المصرية تقارب الجماعتين فى الحدود الاجتماعية والسياسية.

ذلك أن الاستخدام الانتقائى للسجل، مثله مثل اختيار اللغة و/أو اللهجة، يضع المشارك فى فئة اجتماعية معينة ويبعده أو يبعدها عن مشاركين آخرين فى السردية[٢٩]. وتقرِّر هال (Hale 1997) توجهًا بين مترجمى المحاكم الشفاهيين إلى رفع مستوى الرسمية حين يترجمون اللغة الرسمية للمحكمة وإلى تخفيضها حين يترجمون للشهود والمتهمين، كما هو فى الأمثلة التالية:

رفع مستوى الرسمية، فى مخاطبة هيئة المحكمة

(من الإسبانية إلى الإنجليزية):

Witness ....:me me agarr aqu یel dedo. (lit: he he got me here ،on the finger)
Interpreter: ... he injured my hand.

- الشاهد: ... (حرفيًا: هو هو أصابنى هنا، فى الصباع)

المترجم: ... لقد جرح يدى.

Hale 1997: 46

Witness: Ahora, si yo no tomé ningún acto de echarla ،porque yo le prometí
que no la iba a echar. (lit: Now, if I didn't take any act to throw her out, because I
promised her that I wouldn't throw her out)

الشاهد: (حرفيًا: الآن، لو أننى لم اتخذ أى إجراء لرميها فى الخارج، لأننى وعدتها أننى لن أرميها فى الخارج)

المترجم: وإننى أيضًا وعدتها ألا أطردها.

(Hale 1997: 47)

تخفيض مستوى الرسمية، فى مخاطبة المدعى عليهم والشهود (من الإنجليزية إلى الإسبانية):

القاضى: هكذا، فإنك تقول إن علاقاتك بالسيدة س كانت على الأقل حادة **acrimonious**؟

المترجم: يعنى، تقدر تقول إذًا إن علاقاتك بالسيدة س كانت إلى حد ما، فى وضع سيء؟

(Hale 1997: 49)

المحامي: وأنت المدعى عليه أمام المحكمة؟

المترجم: (وأنت الشخص الحاضر هنا فى المحكمة؟)

(Hale 1997: 49)

وهى تفسِّر هذا التوجه بوصفه شكلاً من ''التقمص التعاطفى'' مع جمهور المتكلم' (١٩٩٧: ٥٢)، احتياج تواصلى طبيعي لتكييف المستمعين من خلال تعديل كلامنا ليتوافق مع ما نتصور أنه يمثِّل توقعاتهم. ويمكن أن يصدق هذا تمامًا، إلا أنه من الواضح من هذه الأمثلة ومن استراتيجيات أخرى مذكورة فى المقال ذاته أن المترجمين الشفاهيين يموقعون أنفسهم بشكل متزامن بالنسبة للمحكمة (مسقطين أنفسهم كجزء من جهازها المهنى ويصفُّون أنفسهم ضمن وظيفتها) وبالنسبة لأولئك الواقعين فى درجة اجتماعية أدنى (مسقطين أنفسهم بوصفهم أعلى منهم من خلال 'محادثتهم بتعالٍ''). وفى كل حالة من الحالتين، يُوظِّف المترجمون الشفاهيون سجلاً يعكس فرضياتهم الخاصة حول ما يناسب كل نمط مشارك داخل التراتبية الاجتماعية والتعليمية، واستخدامهم ذاته لهذا السجل يشارك فى مَوْقَعة كل مشارك فى الفضاء الاجتماعى.

إن التنوع فى السجل يسمح أيضًا للمترجمين الشفاهيين أن يموقعوا أنفسهم عاطفيًا فى مقابل الشاهد أو المدعى عليه. وتقرر هال، على سبيل المثال، أن إحدى المترجمات الشفاهيات فى دراستها لم تستخدم قط صيغ التصغير المستخدمة من قبل الشهود فى الإسبانية، لكنها هى ذاتها استخدمت الصيغة التصغيرية 'لتعبِّر عن الألفة والتعاطف تجاه الشاهد'، كما هو فى الأمثلة التالية:

الشاويش: مع زوجتك وابنتك.

المترجمة الشفاهية: (كنتَ مع زوجتك وابنتك الصغيرة)

القاضى: متى عدت لتبحث عن طفلتك.

المترجمة: (متى متى عدت لترى فتاتك الصغيرة، ابنتك الصغيرة)

(Hale 1997: 50)

وأخيرًا، فإن إعادة التموقع فى الترجمة يمكن أيضًا أن تؤثر على التفاعل بين السرديات الأنطولوجية والسرديات الجماهيرية، مما ينتج عنه مستوى مختلف من إمكانية رؤية الشخص فى سياق الخبرة الجمعية المشتركة. وتصف بوليزى (١٩٩٨، ٢٠٠١) **polezzi** التأثير التراكمى للتحولات فى استخدام الأزمنة والضمائر فى إلى لاسا وماوراءها **To Lhasa and Beyond** وهى ترجمة ١٩٥٦ الإنجليزية لـ **Tucci's A Lahasa e Oltre Giuseppe**، وتُوضِّح تأثير هذه التحولات:

> **إن الاستمرارية بين السرد والوصف يضمنها الاستخدام المُعمَّم للزمن المضارع، ويُعزِّز تماهى الرحالة والقارئ وسائل من قبيل استخدام الضمائر الشخصية، مما يعطى مجمل النص المنطلق منه وضعية حكاية موضوعية لازمنية، حكاية يظل من الممكن للقارئ أن يلج إليها كما لو كانت تدور أمام عينيه أو عينيها لكنها تُقبَل أيضًا بوصفها حكاية خبيرة معتمد عن 'واقع' التبت. وفى المقابل، تُحدِّد الترجمة الإنجليزية بوضوح حدود الخبرة الشخصية من خلال استخدام أزمنة مختلفة (المضارع للمقدمة الافتتاحية العامة والماضى لحكاية خبرات السفر) وتقلل من التماهى الشخصى مع الراوى، جاعلة 'العالِم' توسى Tuci مجرد واحد من كتاب الرحلات الكثيرين الذين يمكن للقارئ أن يلجأ إليه ليحصل على رؤية مثيرة وحاذقة للتبت، لكن متحيزة وتاريخية بالتأكيد.**

(٢٠٠١: ١٢٨)

وتناقش ماى **May 1994: 76-7** تحويلات مشابهة للأزمنة فى الترجمات الإنجليزية للأدب الروسى ينتج عنها قمع لصوت الراوى. ومثلما هو التقليل من شأن جوانب النص أو التلفظ الشخصية أو الوقائعية، يساهم أيضًا محو صوت المؤلف/الراوى فى إعادة تشكيل التوازن بين السرديات الشخصية والجماهيرية.

لقد كان الغرض من هذا الفصل هو إبـراز وتجـسيد الوظيفـة التأطيريـة للترجمة وبعض من مصفوفة الوسائل العديدة المتاحة لإنجاز هذه الوظيفـة. وأيًـا كانت الاستراتيجيات الموضعية التى يختارها المترجم أو المترجم الـشفاهى، فإنـه دائمًا ما يكون لاختياراتهما التراكمية تأثير يتجاوز نطاق النص أو الحدث المباشر. ذلك أن السرديات النصية الفردية لا تتواجد بمعزل عن السرديات الأوسع المتداولة فى أى مجتمع، ولا فى واقع الأمر عن السرديات الشارحة المتداولة عالميًا. بل إن المترجمين والمترجمين الشفاهيين، بوصفهم فاعلين اجتمـاعيين، مـسئولون عـن السرديات التى يساعدون على تداولها، وعن العواقب الحياتية الواقعية المترتبة على منحهم الذيوع والشرعية لهذه السرديات.

قراءات أساسية:

Benford, Robert (1993) 'Frame Disputes within the Nuclear Disarmament Movement',
Social Forces 71: 677–701.
Benford, Robert and David Snow (2000) 'Framing Processes and Social Movements: An
Overview and Assessment', Annual Review of Sociology 26: 611–39.
Blum-Kulka, Shoshana and Tamar Liebes (1993) 'Frame Ambiguities: Intifada Narrativization
of the Experience by Israeli Soldiers', in Akiba Cohen and Gadi Wolfsfeld (eds) Framing the
Intifada: People & Media, Norwood NJ: Ablex, 27–52.
Davies, Bronwyn and Rom Harré (1990) 'Positioning: The Discursive Production of Selves',
Journal for the Theory of Social Behaviour 20(1): 43–63.
Goffman, Erving (1986 [1974]) Frame Analysis: An Essay on the Organization of Experience,
Boston: Northeastern University Press.
Goffman, Erving (1981) Forms of Talk, Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
Tannen, Deborah (ed.) (1993) Framing in Discourse, New York: Oxford University Press.

قراءات إضافية:

Bongie, Chris (2005) 'Victor Hugo and "The Cause of Humanity": Translating Bug-Jargal
(1826) into The Slave-King (1833)', The Translator 11(1): 1–24.
Brisset, Annie (1989) 'In Search of a Target Language: The Politics of Theatre Translation in

Quebec', Target 1(1): 9–27.

Cunningham, David and Barb Browning (2004) 'The Emergence of Worthy Targets: Official
Frames and Deviance Narratives Within the FBI', Sociological Forum 19(3): 347–69.

Harvey, Keith (2003b) '"Events" and "Horizons": Reading Ideology in the "Bindings" of
Translations', in María Calzada Pérez (ed.) Apropos of Ideology – Translation Studies on
Ideology – Ideologies in Translation Studies, Manchester: St Jerome Publishing, 43–69.

Jones, Francis R. (2004) 'Ethics, Aesthetics and Décision: Literary Translating in the Wars of
the Yugoslav Succession', Meta 49(4): 711–28.

Kovala, Urpo (1996) 'Translations, Paratextual Mediation, and Ideological Closure', Target
8(1): 119–47.

Kuhiwczak, Piotr (1990) 'Translation as Appropriation: The Case of Milan Kundera's The
Joke', in Susan Bassnett and Andre Lefevere (eds) Translation, History & Culture, London
and New York: Pinter Publishers, 118–30.

López, Marísa Fernández (2000) 'Translation Studies in Contemporary Children's Literature:
A Comparison of Intercultural Ideological Factors', Children's Literature Association Quarterly
25(1): 29–37.

Noakes, John (2000) 'Official Frames in Social Movement Theory: The FBI, HUAC, and

the Communist Threat in Hollywood', The Sociological Quarterly 41(4): 657–80.
Nord, Christiane (1995) 'Text-Functions in Translation: Titles and Headings as a Case in
Point', Target 7(2): 261–84.
Pettersson, Bo (2001) 'The Finnish National Anthem in Translation: Deixis and National
Sentiment', in Pirjo Kukkonen and Ritva Hartama-Heinonen (eds) Mission, Vision, Strategies,
and Values: A Celebration of Translator Training and Translation Studies in Kouvola,
Helsinki: Helsinki University Press, 187–94.
Watts, Richard (2000) 'Translating Culture: Reading the Paratexts of Aimé Césaire's Cahier
d'un retour au pays natal', TTR XIII(2): 29–46.

الفصل السابع

تقييم السرديات

النموذج السردى

يطرح لانداو، فى سياق الكتابة عن الكيفية التى تتشكل بها السرديات العلمية، وإقرار التهديد بأن فكرة السردية تحضر فيما يتعلق بتصورنا للعلم، السؤال التالى:

> **هل العمل داخل شكل سردى ينفى الأهداف الواعية والأسباب المنطقية لممارسة العلم؟ ويمكن إعادة صياغة هذا السؤال على النحو التالى: هل السرديات قابلة للاختبار؟**

(١٩٩٧: ١١٦)

فى ظل أن نسخة النظرية السردية المتشكلة فى هذا الكتاب والمتبناة لدى لانداو (andau 1997) تفترض أن السردية تشكِّل الواقع وليس فقط أنها تمثِّله، ومن ثم فإنه ما من أحد منا يوجد فى وضعية يقف فيها خارج نطاق أى سردية لكى يلاحظها 'بشكل موضوعى'، فإنه يمكننا أن نستنتج أنه يُمكن ألا تكون هناك معايير لتقييم السرديات – فى أى نوع – ولا توجد وسيلة حساسة لدينا لإثبات إذا ما كان علينا أن نشارك فى أى سردية مُحدَّدة أم أن نتحداها. لكن انغراسنا فى سرديات بعينها لا يمكنه بوضوح أن يعوق قدرتنا على التفكير فى السرديات الفردية. وإذا كان يعوقنا فإننا لن نكون قادرين قط على أن نرتبط بأفراد آخرين يشتركون على الأقل فى بعض السرديات التى نشترك فيها لكى نشكِّل مجتمعات من أنماط مختلفة – من رابطة علمية إلى حزب سياسى.

ولكى نتناول قضية كيف نقيِّم السرديات لنقرِّر إذا ما كان علينا أن نـشارك فيها، أم أن نفصل أنفسنا عن أولئك الذين يشتركون فيها، أو حتى أن نـشرع فـى تحديهم بفاعلية، سيركِّز هذا الفصل الختامى على نموذج والتـر فيـشر الـسردى المؤثر (١٩٨٤، ١٩٨٥، ١٩٨٧، ١٩٩٧)، الذى يُقدِّم منهجًا واحدًا لتحليل فعاليـة السرديات الفردية - لا بمصطلحات قطعية، وإنما من المنظورات المتغيرة لأفـراد ذوى أنساق قيم وأولويات مختلفة. كما سأحاول أيضًا أن أبرهن على كيـف نُقـيِّم السرديات عمليًا من خلال تطبيق نسق تحليل فيشر على سرديتين منفـصلتين مـن حقل وساطة اللغة. ولا حاجة بى إلى القول إنه يتم إجراء التحليل حتمًا من موقعى السردى المُحدَّد، وهو ما يعنى أنه يمكن أن يتوصل آخرون يطبقون النسق ذاته إلى تحليل مختلف للسردية ذاتها، وحيث يمكن أن يثنينى تحليلى عـن المـشاركة فـى نسخة السردية المتناولة فإن تحليلهم يمكن أن يشجعهم كل التشجيع علـى دعمهـا. وتكمن قيمة نموذج فيشر فى تمكينه لنا من أن نعيد تتبـع خطواتنـا وأن نُمفـصِل أسبابنا فى تدعيم أو معارضة أى سردية معينـة. والمقـصود هـو 'أن نؤكِّـد أن الأشخاص يكونون واعين بالقيم التى يلتزمون بهـا ويروِّجونهـا فـى تعـاملاتهم البلاغية، ويُعلِمون بها وعيهم دون أن يُملى عليهم ما ينبغى أن يعتقدوه' (التـشديد فى الأصل، **Fisher 1987: 113**). بعبارة أخرى، إنه ليس منهجًا آليًا لتطبيق نـسق جامد من القيم 'الكونية' فى أى سياق مُحدَّد، ولا عبر سياقات مختلفة.

٧-١ النموذج السردى: مبادئ أساسية

إن نموذج فيشر السردى يتحدى النموذج التقليدى للعقلانية الذى يفترض أننا نتخذ القرارات على أساس الحُجج العقلية بشكل خالص. وإنما بدلاً من ذلك، يُوضِّح فيشر أننا نتواصل فى شكل قصص، ولكى نربط قصصًا ببعضها البعض. وهكـذا فإننا جميعًا رواة قصص 'نقرأ نصوص الحياة والأدب ونقيمهـا بـشكل إبـداعى' (١٩٨٥: ٨٦). ولا يعنى هذا أننا كائنـات لا عقلانيـة تتخـذ قراراتهـا بـشكل عشوائى'. وإنما يفترض النموذج السردى أنه

لا يهم إلى أى مدى تُناقش القضية مناقشة صارمة - علميًا، أو فلسفيًا، أو قانونيًا - إذ ستكون هناك دائمًا قصة، تأويل لجانب ما من جوانب العالم ترسيه وتشكله تاريخيًا وثقافيًا شخصية إنسانية.

(Fisher 1987: 49)

وبوصفنا فى آن واحد رواة قصص وجمهور، فإننا نتخذ القرارات بناء على ما يدعوه فيشر أسبابًا وجيهة **good reasons**، إلا أن ما ندعوه أسبابًا وجيهة يُحدِّده تاريخُنا، وثقافتُنا، وخبرتُنا بالعالم، وفى النهاية القِصصُ التى يتوافق لنا أن نصدِّقها عن العالم الذى نحيا فيه أو العوالم التى نحيا فيها. إن مفهوم الأسباب الوجيهة يمثِّل لب نموذج فيشر. ويُحدِّد فيشر **Fisher (1987: 48)** الأسباب الوجيهة بوصفها 'العناصر التى توفر مُسوِّغاتٍ للقبول أو التمسك بالإيعاز الذى يُعزِّزه أى شكل من أشكال التواصل الذى يمكن أن يُعد بلاغيًا'' (التشديد فى الأصل). والمُسوِّغ هو ''ذلك الذى يُخوِّل، أو يُجيز، أو يُبرِّر المعتقد، أو السلوك، أو الفعل - هذه هى الأشكال الاعتيادية من الإيعاز البلاغى **rhetorical advice**'' (١٩٨٧: ١٠٧). وسأعود إلى مفهوم الأسباب الوجيهة لأناقش مكوناته بمزيد من التفصيل فى القسم ٧-٣ الخاص بـ(الصدق).

يتضمن التقييم بطبيعته تحصيل الحاصل tautology.... إلا أن اهتمامى ليس أن أتجنب الدائرية؛ بل أن أوسِّع قطر الدائرة الذى يحوى أسبابًا وجيهة. إذ يمكن توسيع الدائرة من خلال تمديد مفهوم الأسباب الوجيهة ليسمح بأمثلة أكثر من الأسباب والقيم لتجد مكانها داخله.

Fisher 1987: 106

إن مفهوم الأسباب الوجيهة لا يعنى أنه يفترض أن أى 'سبب وجيه' يكون وجيهًا بقدر ما يكون سبب آخر، ولا أن أى شىء 'يُسوِّغ' معتقدًا أو فعلاً يكون وجيهًا فى ذاته ولذاته. بل إنه 'يدل فقط على أن أيًا كان ما يؤخذ بوصفه أساسًا لتبنى رسالة بلاغية يكون مرتبطًا ارتباطًا لا ينحل بقيمة ما - بتصور الوجيه'

(Fisher ١٩٨٧: ١٠٧). وهذا يفترض أن تقييم السرديات لكـى نموقـع أنفسنا بالنسبة إليها لا يعتمد فحسب على إلى أى مدى توافق خبرتنا بالعالم بمصطلحات وقائعية. إن مفهوم السبب المستخدم هنا مُشْبَع بالقيمة:

> **إن كل أشكال التواصل الإنسانى تعمل لتؤثِّر فى قلوب وعقول الآخرين – معتقداتهم، و/أو قيمهم، و/أو توجهاتهم، و/أو أفعالهم. ويتوافق مفهوم الأسباب الوجيهة مع فرضية أن الكائنات الإنسانية هى كائنات مُقيِّمة بقدر ما هى كائنات مُفكِّرة. والحقيقة هى أن القيم يمكن أن تعمل بوصفها أسبابًا، وأن ما ندعوه عادة أسبابًا مُشْبَع بالقيمة.**

(Fisher 1997: 314)

وهكذا يقر النموذج السردى أن 'القيم يمكن أن تكون أسبابًا وأن الأسباب تؤكِّد القيم فى ذاتها ولذاتها' **(Fisher 1987: 107)**.

إن النموذج السردى لا يرفض العقلانية بما هى كذلك؛ وإنماهو فحسب يدرجها تحت مفهوم السردية. إنه لا ينكر منفعة المنطق التقنى وإنما يشدِّد على أن 'قيم الدقة التقنية ليست مهمة أهمية قيم الاتساق **coherence**، والصدق **truthfulness**، والحكمة، والفعل الإنسانى التى تعد ضرورية لتحويل المنطق التقنى والمعرفة الإمبريقية إلى قوة للوجود المتحضر' **(Fisher 1987: 48)**. وبالنسبة لفيشر، فإن العقلانية السردية **narrative rationality** 'لا تقصى التراث الطويل للمنطق البلاغى؛ بل إنها هى ذاتها منطق بلاغى' (١٩٨٧: ٤٨). ويرى فيشر علاوة على ذلك أن

> **مفهوم العقلانية السردية يؤكِّد أنه ليس الشكل الفردى للحُجة هو ما يكون فى النهاية مُقنعًا فى الخطاب. إن ذلك مهم، إلا أن القيم أكثر إقناعًا، ويمكن أن يُعبَّر عنها بأساليب عديدة، لا تشكِّل الحُجة سوى أسلوب واحد فقط منها.**

(Fisher 1987: 48 (التشديد فى الأصل)

ويحاول نموذج فيشر السردى فى النهاية أن يُفسِّر أى سمات السردية تستحثنا أن نصدِّقها وننقاد لها. ويُقدِّم لنا تفسيرًا لنمط السمات والخصائص التى نبحث عنها ونتفصحها فى سردية أو مجموعة من السرديات لكى نُقرِّر 'هل تستحق التزامنا بها أم لا تستحق'

(١٩٩٧: ٣١٥).

إن المبدئين اللذين يُحدِّدان العقلانية السردية ويُجسِّدان مفهوم الأسباب الوجيهة فى نموذج فيشر هما الاتساق **coherence** (القسم ٧-٢ أدناه) و، بشكل أكثر تحديدًا، والصدق **fidelity** (القسم ٧-٣).

٧-٢ الاتساق (الاحتمالية)

يتعلق مبدأ الاتساق السردى لفيشر بالتماسك الداخلى وتكامل السردية - إلى أى مدى تترابط جيدًا مع بعضها البعض كقصة. وهذا يتضمن تقييم السردية بناء على (أ) تشكيلها البنيوى، أى الكيفية المُنظَّمة بها داخليًا (الاتساق البنيوى أو الحِجاجى)؛ و(ب) تماسكها وكمالها الخارجى فيما يتعلق بما تختلف عنه وتتوافق معه من قصص أخرى حول نفس القضية (الاتساق المادى)؛ و(ج) (كيف تُحكى) - قابليتها للتصديق بناء على تماسك ومصداقية الشخصيات المُتضمَّنة فيها (اتساقها الشخوصى).

٧-٢-١ الاتساق البنيوى (أو الحِجاجى)

يتعلق الاتساق البنيوى بالتماسك الداخلى للسردية - سواء كانت تتكشف أو لا تتكشف عن تناقضات ذاتية فى داخلها 'فى الشكل أو فى التعليل **reasoning**' (**Fisher 1997: 315**). ويعد هذا تطبيقًا صريحًا لنوع من المنطق التقليدى الذى يركِّز على العيوب الواردة داخل الحُجة ذاتها.

فى مقال نُشِر فى الإندبندينت بتاريخ ١٥ يوليو عام ٢٠٠٤، انتقد روبين كوك، عضو الحكومة البريطانية السابق الذى استقال إبان غزو العراق[١] عام

٢٠٠٣، نتائج البحث الذى تزعمه اللورد بطلر حول الأحداث التى أدت إلى الحرب بسبب ما يمكن أن نصفه وفق مصطلحات فيشر بنقص الاتساق البنيوى:

أعلن اللورد بطلر أمس أن المعلومات الاستخباراتية التى انطلقت على أساسها الحرب كان مبالغًا فيها مبالغةَ شديدة. واستنتاجه حول هذه النقطة لا يمكن دحضه إلى حد أنه وجب على تونى بلير أن يقر أن صدام حسين لم يمتلك أى أسلحة دمار شامل جاهزة للاستخدام.

....

ويجب أن يكون هذا هو الفشل الأكثر إحراجًا فى تاريخ الاستخبارات البريطانية. وإن كان طبقًا للورد بطلر، لا لوم على أحد. ذلك أن الكل قد تصرف على أكمل وجه وما من أحد اقترف خطأ. لكنها الأمور السيئة، تقع نتاج النظام والضعف المؤسسى.

(Cook 2004)

إن ما يُوضِّحه كوك هنا هو التضاربات داخل تقرير بطلر ذاته؛ إذ يتضارب الإقرار أن المعلومات الاستخباراتية التى على أساسها انطلقت الحرب كانت شديدة المبالغة، كما تمضى الحجة، مع استنتاج أنه لا لوم على أحد بخصوص هذا الأمر. وما يقوله هذا النقد هو: أننا لا نستطيع أن نشارك فى سردية اللورد بطلر لأن منطقها الخاص معيب بصورة خطيرة.

ويجادل بارسكاى **Barsky (1993 : 142)** بأنه فى سياق جلسات الاستماع للاجئين فى كندا 'يمكن أن تقود الترجمة الفورية الفاشلة إلى تناقضات فى الشهادة، يمكن أن يترتب عليها رفض طلب اللاجئ.' وهو يستشهد بعبارات للجنة تلقى طلبات اللاجئين تظهر كيف أن قضية التماسك تشكل مفتاحًا فى هذا السياق. وها هو أحد الأمثلة على ذلك:

إن الأحداث المتنوعة لرحلة المتقدم الأوديسية كما رواها فى التقرير، وكذلك خلال جلسة الاستماع، مليئة بالتضاربات والتناقضات التى تدفع اللجنة إلى التساؤل حول مصداقية المتقدم.

(١٩٩٣: ١٤٣)

ويواصل بارسكاى ليوضح أن ثمة حالات عديدة واضح فيها أن 'المسئولين أساءوا بوضوح فهم السياق الثقافى للطلب ولذا وجدوا تناقضات حيث لا يوجد أى تناقض، أو اكتشفوا ما دعوه 'أكاذيب' بينما كان يكفى تفسير بسيط من أى شخص على دراية بهذا السياق' (١٩٩٣: ١٥٣). وثمة مثال يقدمه على إخفاق المسئولين فى فهم أن 'أخًا' فى الغانية تعنى فردًا من أفراد نفس القبيلة، وليس بالضرورة فردًا من أفراد الأسرة ذاتها. ويستشهد بريز جونزالز **Pérez González** (تحت الطبع) بمثال آخر، هذه المرة من ترجمة شفاهية فى محكمة فى إسبانيا، يُظهِر كيف أن الانطباع بالتفكك البنيوى يمكن أن يتشكل أيضًا من خلال الاختيارات التركيبية: .

[المشاركون: (س١) المحامى؛ (س٢) المدعى عليه؛ (م) المترجم الشفاهى؛ > = تلفظات مقاطعة]

٧٥ (س١)

La vez anterior ya le había dicho dónde estaba la llave de la puerta del e: : : h del garaje de Las Matas, ¿no? <

[فى المرة الماضية [هي] قالت لك من قبل أين كان مفتاح باب المرآب فى لاس ماتاس كان، صح؟]

٧٦ م لكنها قالت لك من قبل فى زيارتك الماضية أين كان مفتاح المرآب فى لاس ماتاس، ألم تفعل هذا؟

٧٧ س٢ قالت لثلاثتنا.

٧٨ م

.Nos lo había dicho a las tres

[قالت لنا ثلاث.]

٧٩ س ١

La cual seguramente serيa demasiado pesada para abrirla con una mano en caso de necesidad.

[الذى كان سيبدو على الأرجح ثقيلاً جدًا على أن تفتحه بيد واحدة إذا كان ضروريًا لك أن تفعل هذا].

٨٠ م وهل تعتقد أنك كنت ستنجح فى أن تفتحه بيد واحدة فقط، إذا كان يجب عليك أن تفعل هذا؟

٨١ س٢ لا ينبغى لى أن أعتقد ذلك.

٨٢ م

.No creo

[لا أعتقد ذلك].

٨٣ س١

؟Así que ya la había abierto antes, ¿no <Ah

[آه > هكذا قد فتحته قبل ذلك، صح؟]

(Pérez González, in press)

فى المثال المذكور أعلاه، سؤال المحامى مُؤطَّر بوصفه جملة صلة غير مقيدة :

‘La cual seguramente sería demasiado pesada para abrirla con una mano en caso de necesidad’

(الذى كان سيبدو على الأرجح ثقيلاً جدًا على أن تفتحه بيد واحدة إذا كان ضروريًا لك أن تفعل هذا). إن المترجم الشفاهى يترجم هذا بوصفه استفهامًا استقطابيًا يتطلب الجواب بـ نعم أو/لا: ‘وهل تعتقد أنك كنت ستنجح فى أن تفتحه بيد واحدة فقط، إذا كان يجب عليك أن تفعل هذا؟’. إن اختيار هذه الصيغة من جانب المترجم الشفاهى يفصم الصلة بين جملة الصلة الخاصة بالمحامى وسؤاله السبق فى السطر ٧٥ :

‘La vez anterior ya le había dicho dónde estaba la

llave de la puerta del> e: : : h del garaje de Las Matas, ¿no?’

(فى المرة الماضية [هي] قالت لك من قبل أين كان مفتاح باب المرآب فى لاس ماتاس كان، صح؟). وهو ما يستدعى لذلك ما يبدو استجابة متضاربة أو على الأقل غير متوقعة من المدعى عليه.

وفيما عدا التكافؤ المحلى، فإنه يمكن، إذًا، للاختيارات الفردية التى يختارها المترجمون أو المترجمون الشفاهيون أن تعطى انطباعًا بالتضارب فى سياق اختيارات أخرى يختارونها أو يستمرون فى اختيارها فى الترجمة أو الترجمة الفورية للحدث. إن هذا الانطباع بالتضارب له حتمًا تأثير على الكيفية التى يُقيِّم بها القراء والمستمعون الاتساق البنيوى للسردية أو السرديات المتضمنة فى النص أو فى التلفظ.

٧-٢-٢ الاتساق المادى

ويتعلق الاتساق المادى بالكيفية التى ترتبط بها السردية بسرديات أخرى لها علاقة بالقضية ذاتها ونحن على ألفة بها. وبشكل أكثر تحديدًا، ما ‘الوقائع’ التى قد تُهوِّن من شأنها، أو قد تتجاهلها، وما الحُجج المضادة التى تختار ألا تشتبك معها،

وما المعلومات أو القضايا التى تغفلها؟ إذ لا توجد قصة تقوم فى الفراغ، ولأن كل السرديات غائرة فى سرديات أخرى فإنه يجب أن يتم تقييمها داخل هـذا الـسياق الأوسع. ذلك أن 'معنى ومزية أى قصة'، كما يكتب فيشر، 'يتعلقان دومًا بكيـف تؤازر أو تناهض قصصًا أخرى' (١٩٩٧: ٣١٦) .

إن استدعاءً صريحًا لمبدأ الاتساق المادى فى تقييم سردية ما يمكن أن يُرى فى هذا المقتطف المقتبس من مقال منشور فى جريدة الإندبندينت البريطانية بتاريخ ١٧ يونيو عام ٢٠٠٥، بعنوان 'لقد كذبت الولايات المتحدة على بريطانيـا حـول استخدام النابلم فى حرب العراق':

> **لقد أدى اكتشاف الأمس إلى مطالبات من أعضاء البرلمان ببيان كامـل لمجلس العموم البريطانى وعرَّض الوزراء لادعـاءات بـأنهم حجبـوا الحقائق حتى إلى ما بعد الانتخابات العامة.**
>
> **وعلى الرغم من الإشاعات المتواصلة عن وقوع إصابات بين العراقيين تتوافق مع استخدام أسلحة حارقة مثل النابلم، فإن آدم إنجرام، وزيـر الدفاع، قد أكد لأعضاء حزب العمال فى البرلمان فى ينـاير أن قـوات الولايات المتحدة لم تستخدم جيلاً جديدًا من الأسلحة السامة، المعروفة باسمها الشفرى، إم كى ٧٧ MK77 ، فى العراق.**
>
> **لكن السيد إنجرام قد اعترف للعضو البرلمانى العمالى، هارى كـوهين، فى خطاب خاص حصلت عليه الإندبندينت أنه قد ضـلَّل البرلمـان دون عمد؛ لأن الولايات المتحدة أمدته بمعلومات مغلوطة. 'لقد أكدت الولايات المتحدة للمسئولين فى مكتبى أنهم لم يستخدموا أى مشتق من مشتقات الـ إم كى ٧٧ فى العراق فى أى وقت من الأوقات وقـد شـكَّل هـذا أساس ردى عليكم.'، كما قال للسيد كوهين 'إننى آسف أن أقول إننـى اكتشفتُ بعد ذلك أن هذا ليس هـو واقـع الحـال ويجـب أن أصـحِّح الموقف.'**
>
> ....
>
> **إن السيد إنجرام لم يُفسِّر لماذا ضلّله مسئولو الولايات المتحـدة، إلا أن حكومة الولايات المتحدة والحكومة البريطانية قد اتُّهِمَتا بالتستر. وقـد**

قالت جماعة تحليل العراق التى قادت حملة ضد الحرب إن سلطات الولايات المتحدة لم تُقر باستخدام هذه الأسلحة إلا فقط بعد أن أصبحت الأدلة التى قدَّمها الصحفيون غير قابلة للدحض.

(Brown 2005)

ومن السهل فى هذا المثال وضع خط فاصل بين سرديتين متعارضتين: سردية أولى (هى سردية الولايات المتحدة الرسمية والحكاية البريطانية الأسبق) تنكر أنه قد تم استخدام النابلم والأسلحة المشابهة له فى العراق. بينما تُوحى السردية الثانية (سردية جماعة تحليل العراق وآخرين ممن يعتقدون أنه قد تم تضليل البرلمان والبلاد) بأنهم يمتلكون أدلة ويستشهدون بها على عدم الاتساق المادى للسردية الأولى و'الإشاعات المتواصلة عن وقوع إصابات بين العراقيين تتوافق مع استخدام أسلحة حارقة مثل النابلم'، ومحتويات 'الخطاب الخاص' من وزير الدفاع البريطانى إلى العضو البرلمانى العمالى، و'الأدلة المقدمة من الصحفيين [التي] أصبحت غير قابلة للدحض'. وما دام يمكن أن يتم فصل السرديتين المتعارضتين بوضوح، من خلال تطبيق مبدأ الاتساق المادى – بشكل منفصل عن مبدأ الاتساق البنيوى – فإنه يبدو مقنعًا بشكل بديهى، وكافيًا بشكل صريح. إلا أن التمييز بين الاتساق المادى والبنيوى ليس دائمًا سهلاً، على نحو ما آمل أن أبرهن فى المثال التالى.

لقد اعتقد إريك سار، وهو مترجم عربى تطوع ليترجم للحراس والمحققين فى خليج جوانتانامو فى عام ٢٠٠٢، أنه يساعد فى الدفاع عن بلده ضد الإرهاب. وقد شارك بعد ذلك فى تأليف كتاب مع فيفكا نوفاك **Viveca Novak** يصف فيه الإيذاء الشامل والتعذيب الجنسى للمساجين الذين شاهدهم فى معسكر دلتا (**Saar and Novak 200٥**). وإحدى القضايا التى ظل يثيرها بشكل متكرر بالنسبة لخبرة جوانتانامو ترتبط بما يمكننا أن ندعوه عدم الاتساق المادى (أم البنيوى؟) الذى يبرز فى السردية الأمريكية لنشر الديموقراطية فى الخارج:

من الصعب أن ترى كيـف أن الولايـات المتحـدة يمكنهـا أن تُلـزِم، وضميرها راضٍ، أممًا أخرى بمعايير لا نفى نحن بهـا. ففـى حركـة مستفزة، أصدرت وزارة الخارجية، فى فبراير عـام ٢٠٠٥، تقريرهـا السنوى عن حقوق الإنسان، تنتقد فيه بعض البلدان على سلسلة مـن الممارسات تدعوها تعذيبًا – منها الحرمان من النوم، وتهديد المسجونين بالكلاب، وتعريتهم – وهى أساليب نستخدمها فـى معـسكرت اعتقالنـا الخاصة. كما هاجم التقرير معاملة المساجين فـى بلـدان مثـل سـوريا ومصر، وهما بلدانِ من الـبلاد التـى تـستخدمها الأوجـا[٢] the OGA [أى التى يتم توكيلها من المخابرات الأمريكية أو المباحاث الفيدراليـة، إلخ لاستجواب وتعذيب المشتبه فيهم، المترجم] لتنفيذ الأحكام، وشـحن المشتبه فى كونهم إرهابيين لاستجوابهم بدقة لأن مُحقِّقيها مـشهورون بفجرهم.

Saar and Novak 2005: 249-50

'إننا نحاول نشر الديموقراطية فى جميع أنحاء العـالم. لكننـي لا أرى كيف يمكنكم فعل ذلك وأنتم تديرون مكانًا مثل خليج جوانتانامو. وكمـا قال [إريك سار] إن هذه صرخة استنفار للعالم الإسلامى'

Harris 2005

إننى لا أعرف كيف، كبلد، يمكننا أن ننتوى نشر الديموقراطية والكرامة والعدالة الإنسانية على امتداد العالم العربى والإسلامى، وفى الوقت ذاته نتحدى بعض تلك المبادئ هى ذاتها فى خليج جوانتانامو.

(مقابلة مع أونيشا رويشودورى Onnesha Roychoudhuri

فى ٢٤ مايو ٢٠٠٥)[٣]

إن نقد سار لجوانتانامو يُلقى الشك على صدق وتماسك السردية الأمريكيـة عن نشر الديموقراطية والكرامة الإنسانية فى الخارج. ومـن الممكـن أن تراهـا بوصفها مثالاً على (عدم) الاتـساق المـادى material (in)coherence إذا كنـا

نفترض أن السردية الأمريكية عن تصدير الديموقراطية منفصلة عن سردية جوانتانامو كما يصوغوها فى كتابه، ومقابلاته، ومقالاته. إلا أنه من الممكن أيضًا أن ترى هذا المثال ذاته بوصفه مثالاً على عدم الاتساق البنيوى وليس المادى: بوصفه مثالاً على التضاربات داخل السردية ذاتها. كما يمكن أن يجادل المرء أن أحد الاختلافات بين انتقادات روبين كوك **(Robin Cook (p. 144** وانتقادات سار يتمثل فى أنه بينما تقوم انتقادات كوك على تقرير واحد – أى كيان نصى محدود، مهما كان طويلاً – فإن رفض سار لنموذج جوانتانامو يقوم على مجموعة متنوعة من البيانات، والخطب، والتصريحات الصحفية، وأنماط أخرى من المواد التى تُشكِّل معًا سردية أمريكا الناشرة للديموقراطية والكرامة الإنسانية فى الخارج، إلى جانب قصة جوانتانامو لأنها بشكل مقنع حكاية متفرعة عن نفس السردية؛ إذ تغدو جوانتانامو فى هذه الحالة شرًا لا بد منه، عنصرًا مهمًا فى تأكيد نشر الديموقراطية من خلال حمايتنا من الإرهاب. وإذا ما عوملت بوصفها سردية مكتفية بذاتها، ونُظِر إليها من منظور الاتساق البنيوى، فإن وجهة النظر التى يُعبِّر عنها سار فى الاقتباسات السالفة الذكر، وفى أماكن أخرى ستعنى أن هذه السردية غير متسقة ضمن حدودها الخاصة فى ظل انتهاكات جوانتانامو لحقوق الإنسان التى شاهدها بشكل مباشر.

إن التداخل بين الاتساق البنيوى والاتساق المادى هو مُنتَج ثانوى لفرضيتين تُعزِّزان النظرية السردية كما حاولتُ أن أطرحها فى هذا الكتاب. أولاً، إن السرديات تبنى الواقع لنا؛ ولا تمثله. وهذا يعنى أن أى حدودَ يُفترض أنها توجد بين سرديات منفصلة نحن الذين نبنيها خلال صياغتنا للسرديات المطروحة؛ إنها ليست مستقرة، وذات حدود صلبة بحيث يتوجب علينا ببساطة أن 'نكتشفها' ونستطيع أن نتفق عليها بسهولة. ثانيًا، إن السرديات ليست مقيدة بالفرد ولا بالنصوص المتعينة، وإنما عادة ما تكون منتشرة ويجب أن تُستجمع من مصادر متنوعة. إن تقييمنا لتماسك سردية ذائعة – مثل سردية 'أمريكا الناشرة للديموقراطية والكرامة خارج حدودها' – يمكن أن يستدعى الاتساق البنيوى

أو المادى، اعتمادًا على كيف نجمع أجزاء السردية معًا وما الذى نبنيه على أنه يقع داخل أو خارج حدودها.

٧-٢-٣ الاتساق الشخوصى

يفترض الاتساق الشخوصى أن مصداقية أى سردية تعتمد إلى حد بعيد على مصداقية شخوصها الرئيسيين، سواء كانوا رواة أو فاعلين داخل السردية. و'الشخصية' عبارة عن 'مجموعة مُنظَّمة من التوجهات الفاعلة' (Fisher 1997: 316). وإذا كان يبدو أن هذه التوجهات تُناقض بعضها البعض بشكل لافت، فإننا نميل إلى أن نحكم على الشخص المعنى بأنه غير جدير بالثقة. ويُحدِّد فيشر فى موضع آخر (١٩٨٧: ١٤٨) الشخصية بأنها عبارة عن ''إدراك مُعمَّم لتوجه قيمة أساسية لشخص معين'' بناء عليه يستنتج المرء كيف يمكن أن تسلك الشخصية وكيف يمكن لسلوكياتها وأفعالها أن ترتبط بقيم المرء الخاصة ومنظوره عن العالم. ويؤكِّد فيشر أيضًا أن مفهومه عن الشخصية يتداخل مع التصور المعاصر عن مصداقية المصدر والمفهوم التقليدى عن طباع الجماعة **ethos** (Fisher 1997: 316)، لكنه يختلف عنهما فى أنه يُشدِّد بدرجة أكبر على القيم وبدرجة أقل على سمات مثل الحنكة **expertise** والذكاء **intelligence**. وبعيدًا عن فروق المفهوم الدقيقة، فإن السؤال الأساس هنا 'ليس فقط هو هل نحن نفهم القصة، وهل نحبها، وإنما هل نثق فى راوى القصة؟' (Whitebrook 2001: 135). إن تقييم سردية بناء على الاتساق الشخوصى 'يمثِّل بحثًا عن الدافعية ... ذلك أن تحديد دوافع الشخصية هو شرط من شروط الثقة، والثقة هى أساس التصديق' (Fisher 1987: 47)

ونحن نحكم بالجدارة بالثقة على الشخصية انطلاقًا من 'تأويلات قرارات وأفعال الشخص التى تعكس قيمًا' (Fisher 1997: 316). ذلك أنه إذا كانت القرارات والأفعال المرتبطةِ بالشخصية تتغير تغيرات لافتة 'بكيفيات غريبة' (١٩٩٧: ٣١٦) أو تناقض بعضها البعض، فإننا حتمًا سنشك فى مصداقية الشخصية وبالتالى فى السردية المطروحة. وبالمقابل، فإننا ما أن نقرر أن شخصًا

معينًا جدير بالثقة، وشريف، وشجاع، وما شابه، حتى نكون مستعدين أن 'نتغاضى عن أشياء عديدة وأن نتسامح معها: إن الأخطاء الواقعية إن لم تكن درامية للغاية، تقع فى نطاق تفاوتات التفكير والتفاوتات العرضية' (١٩٩٧: ٣١٦). ويجادل فيشر (١٩٨٧، ١٩٩٧) بأن الرئيس ريجان كان يُنظر إليه على نطاق واسع على أنه يمثل تلك الشخصية الموثوق بها على الرغم من أنه قد لوحظ على نطاق واسع أيضًا أنه اقترف أخطاء واقعية عديدة، وصرَّح تصريحات متضاربة، وحاول بوضوح أن يُشتِّت الانتباه عن القضايا المرتبطة بهذه الأخطاء فى مناسبات عديدة (Fisher 1987: 145). وطبقًا لمقاييس نموذج العالم العقلانى، ينبغى أن يعد ريجان على نحو لا لبس فيه فقير بلاغيًا. ومع ذلك، فقد كان جماهيريًا إلى أقصى حد فى أمريكا وكان يُعتقد أنه متواصل عظيم؛ فى الواقع، إلى حد أن 'منتقدى ريجان، مثل أولئك الذين ينتقدون أى شخصية بطولية، يكتشفون أن شخصياتهم وليس شخصيته هى التى تتعرض للهجوم' (التشديد فى الأصل، **Fisher 1987: 148**).

ويعزو فيشر نجاح ريجان إلى 'اتساق وصدق شخصيته' (١٩٨٧: ١٤٧). إلا أنه يُشدِّد أيضًا على أن قصة ريجان كانت مؤثرة لأنها متوافقة مع قصة أمريكا، مما كان 'من السهل معه مماهاته مع الخواص والقوى الأسطورية المشار إليها فى الغالب جمعيًا بـ ''الحلم الأمريكى''' (١٩٨٧: ١٤٨). وبشكل أكثر تحديدًا، يُقدِّم فيشر ثلاثة أسباب لنجاح ريجان:

> **أولاً، إن قصة ريجان متأصلة فى التاريخ الأمريكى ومتضمنة القيم المركزية للحلم الأمريكى. ثانيًا، إن شخصيته المُدركة تشكلها هذه الخلفية وتجعله فعليًا مُحصنًا ضد النقد. ثالثًا، إن الجمهور الضمنى للأبطال فى بلاغته مؤثر بقدر ما يمكن للمرء أن يتصور فى أى بلاغة أخرى، إذا ما وضعنا فى اعتبارنا أزمنتنا المضطربة.**

Fisher 1987: 146

وهذا يعنى أن الاتساق الشخوصى، كما هو متصور داخل النموذج السردى، لا يمكن أن يتحقق فى فراغ؛ بل إنه يعتمد اعتمادًا شديدًا على طبيعة السرديات

التى تفيد منها الشخصية لكى تصوغ قصتها الخاصة، ومن أصداء هذه السرديات داخل سياق تاريخى وثقافى مُحدَّد.

إننا نستدعى بشكل متكرر الاتساق الشخوصى بوصفه مبدأ فى عملية تقييم السرديات فى الحياة اليومية. ويمكن أن يُرى الاتساق الشخوصى، بما أنه يتداخل مع مفهوم مصداقية المصدر، على أنه مستدعى بوضوح فى تصريحات من قبيل 'لا علم لى بعالِم أحياء واحد على قيد الحياة حسن السمعة يدعم على نحو مباشر المذهب الحيوى **vitalism**' (مأخوذ من **This is Biology: The Ernst Mayr's World Science of the Living**، مقتبس لدى **Booth 2004: 57**)، ويبرز أيضًا فى الاستشهادات والإحالات فى الكتابة الأكاديمية والعلمية. وربما كانت الشركات التِجارية بشكل أكثر وضوحًا، وبشكل أكثر تماشيًا مع مفهوم الاتساق الشخوصى كما يُحدِّده فيشر تعتمد بشكل منتظم على العلامة التِجارية لتعرض نفسها بوصفها إنسانية، وخيرة، وجديرة بالثقة (**Bakan 2004: 26**). وأحد الأشكال الذى تتخذه هذه العلامة التِجارية يتضمن ربط شركة معينة بشخص مُحدَّد أو عدد من الأشخاص المختلفين الذين يضفى كل منهم خاصية معينة على الشركة. إذ حين قررتْ تيلكوم البريطانية (بى تى) (**BT**) فى بريطانيا أن تغير علامتها التِجارية وتعيد تحديد صورة شركتها، أدارت حملة إعلانات بشخصيات جماهيرية بارزة ممن يُدركون بمصطلحات فيشر على أنهم يمتلكون اتساقًا شخوصيًا لافتًا. وقد حاولت بى تى فى مجموعة من الإعلانات البارزة بشكل مميز أن تغير صورة علامتها التِجارية من خلال ربط نفسها بستيفن هوكينج، الفيزيائى النظرى الشهير والشاغل للمقعد الذى شغله من قبل إسحاق نيوتن فى كمبريدج. إن هوكينج يعانى من شكل من أشكال الأمراض العصبية الحركية مما تركه معتمدًا على جهاز نطق إلكترونى ليتصل مع العالم الخارجى. ولأنه مشهور على نطاق واسع ومثار إعجاب بسبب إنجازاته العلمية وانخراطه الفاعل فى الحياة العامة على الرغم من عجزه الحاد (بعبارة أخرى، بسبب تصميمه وقوة شخصيته)، فقد أضفى اتساقه الشخصى مصداقية لافتة على تلكوم البريطانية كلما شاهدته الجماهير على شاشات تليفزيوناتها فى

الإعلانات على امتداد بريطانيا بشكل متكرر واستمعت إليه وهو يتكلم من خلال جهاز النطق الألكترونى الخاص به:

ستيفن هوكينج:

لقد عاش النوع الإنسانى لملايين السنين تمامًا مثل الحيوانات. ثم حدث شيء ما أطلق قوة خيالنا.

لقد تعلمنا أن نتكلم، تعلمنا أن نستمع. وقد أتاح الكلام توصيل الأفكار ليمكِّن الناس من أن يعملوا معًا... ليبنوا المستحيل.

لقد تحققت أعظم إنجازات النوع الإنسانى من خلال الكلام... ووقعت أعظم إخفاقاته بعدم الكلام.

ولا يجب أن يتكرر هذا.

إن أعظم آمالنا يمكن أن تصبح واقعًا فى المستقبل من خلال التكنولوجيا المتاحة لنا – الإمكانيات غير محدودة.

وكل ما نحتاج أن نفعله هو التأكد من أننا نحافظ على الكلام.

ولأن الاتساق الشخوصى قد أصبح سلعة فى العالم الحديث، فقد أصبح يلصق به منتج آخر عليه علامة السعر، الأفراد الذين يسمحون لأنفسهم – أو يدركون بوصفهم يسمحون لأنفسهم – أن يُستخدَموا ليضفوا الشرعية والمصداقية على شركات تِجارية أو سرديات مهيمنة يمكن أن تنتقد بحدة وغالبًا ما تنتهى بافتقاد المصداقية لدى جماعات مُحدَّدة من الجماهير. ولذا، فإن ما يُدرَك بوصفه اتساقًا شخوصيًا من قِبل دائرة معينة يمكن أن يُرى كدليل على 'توجهات قيمة' غير جديرة بالثقة وغير متسقة من قبل دائرة أخرى. إن قمة الثمانية الكبار فى ٢٠٠٥ مثلت بشكل مثير للجدل محاولة مهمة من قبل حزب العمال البريطانى ليدمغ نفسه بعلامَة تِجارية جديدة بوصفه إنسانيًا ومكترثًا بمتابعة تورطه المثير

للجدل فى حرب العراق الذى كلف الحزب بشكل باهظ خسارة الانتخابات العامة فى ٢٠٠٥. وقد استغل بلير ومستشاره جوردون برون الفرصة لتبنى الشعار القائل 'لنجعل الفقر فى ذمة التاريخ' وأخذا يروجان فكرة أن بريطانيا الشركات وأمريكا الشركات كانتا تستجيبان لضغوط نجوم الإعلام مثل بوب جيلدوف **Bob Geldof** وبونو **Bono** وتلتزمان بإنقاذ أفريقيا من البؤس. ويكتب الصحفى والناشط الشهير جون بيلجر **John Pilger** فى رجل الدولة الجديد ذا نيو ستيتسمان، **The New Statesman** ليلقى الشك على الاتساق الشخوصى لكل من السياسيين ونجوم الإعلام المشاركين فى هذا العرض:

> **لقد أعلنت الصفحة الأمامية للأوبزرفر اللندنية بتاريخ ١٢ يونيو أن 'حجم دين أفريقيا البالغ ٥٥ بليون هو ''انتصار لملايين'' .' إن عبارة 'انتصار لملايين' هى اقتباس من بوب جيلدوف الذى قال 'غدًا سيستيقظ ٢٨٠ مليون أفريقى لأول مرة فى حياتهم وهم لا يدينون لك أو لى ببينس...'. إن هُرائية هذا القول تَبهر لها الأنفاس إن لم نقل إن نفس القارئ قد خرج ولم يعد إليه ثانية من شدة سفسطة جيلدوف، وبونو، وبلير، والأوبزرفر وسواهم. لقد تحول النهب الإمبريالى والمأساة الإمبريالية إلى سيرك لصالح من يُدْعَون بقادة الثمانية المجتمعين الشهر التالى فى اسكتلندا ولصالح أولئك المستعدين منا لأن تُشتِّتهم نداءات الواقفين على أبواب السيرك: إشادة وسائل الإعلام و'مشاهيرها'. إذ يعمل وهم الحملة الصليبية ضد الإشادة التى يقودها نجوم البوب – وهى صورة مسيطرة مصقولة للتمرد – على تخفيف حركة سياسية هائلة من الغضب.**

Pilger 2005a

وبالنسبة للناشطين الذين يشاركون جون بيلجر هذه السردية، فإن الحملة الكاملة لـ 'نجعل الفقر فى ذمة التاريخ' هى 'مظهر مهم، يؤيده المشهورون والساذجون والتافهون' (**Pilger 2005a**)، بمن فى ذلك مشاهير مثل جيلدوف وبونو. وبالنسبة لهما، فإن الاتساق الشخصى لبوب جيلدوف لا تعززه حقيقة أنه

وصف جورج دبليو بوش بأنه 'متعاطف وصادق' فيما يتعلق بالقضاء على الفقر (Pilger 2005a)، ولا كونه يظهر على الصفحة الأمامية لـ الجارديان ساندًا وجهه المبتسم على كتف بلير المبتسم' (Pilger 2005b). كما أن مصداقية بونو تلطخها حقيقة أنه يدعو بلير وبراون 'يوحنا وبولس مرحلة التنمية العالمية' (Pilger 2005a) [المقصود القديسان يوحنا وبولس، وهما حَواريان من حواريي السيد المسيح، ومن أصحاب الأناجيل، المترجم] وأنه 'مجَّد ''حرب جورج بوش العطوف على الإرهاب'' بوصفها إنجازًا من أعظم إنجازات جيله (Pilger 2005b). إن جزءًا كبيرًا من الانتقاد الموجَّه لسردية 'لنجعل الفقر فى ذمة التاريخ' يقول إذًا: إننا لا نستطيع أن نثق فى بوب جيلدوف وبونو لأن أفعالهما وقيمهما متضاربان: إنهما من جهة أولى يزعمان الالتزام بعالم أفضل، عالم أكثر إنصافًا، ومن جهة ثانية، يشاركان فى إضفاء الشرعية والتبجيل على سياسيين يعدهما الكثيرون من بين أسوأ المنتهكين لحقوق الإنسان فى العالم(٤).

إن إحدى القضايا المهمة التى لا يناقشها فيشر لكنها تدعونا أن نتناول مفهوم الاتساق الشخوصى بقدر من الحذر تتمثل فيما يُعرَف بـ 'الأثر الغافى' 'the 'sleeper effect'. ويشير 'الأثر الغافى' إلى نتائج بحث فى مجال علم النفس يؤكِّد أنه على الرغم من أننا يمكن أن نكون متشككين فى دوافع المتواصل معنا ونُقرِّر من البداية ألا نشارك فى السرديات التى يطرحها أو تطرحها علينا، فإننا مع الوقت نميل إلى أن 'نتذكر ونقبل ما تم توصيله إلينا لكن دون أن نتذكر من وصَّله إلينا' ونكون آنذاك 'أكثر ميلاً إلى أن نتفق مع الموقف الذى طرحه علينا هذا المتواصل' (التشديد فى الأصل؛ Hovland and Weiss 1951: 636). والأكثر إثارة للانتباه هو أن بحث هوفلاند وويس يقرِّر أنه مع مرور الوقت 'يكون هناك انخفاض فى مدى الاتفاق مع مصدر المصداقية الأعلى، لكن زيادة فى حالة مصدر المصداقية الأدنى' (التشديد فى الأصل؛ ١٩٥١: ٦٤٥). وهما يتوصلان إلى أن 'مرور الوقت يعمل على إزالة استدعاء المصدر بوصفه علامة وسيطة تقود إلى الرفض [لموقف أو رأى]' (١٩٥١: ٦٤٨). بعبارة أخرى، إن مفتاح ظاهرة 'الأثر الغافى' يتمثل فى أن الرسالة تنفصل مع مرور الوقت عن مصدرها، وهو ما يعنى

أن الاتساق الشخوصى يؤثر على رد فعلنا الأولى تجاه السردية إلا أن تأثيره ينخفض مع الوقت فى حالة الشخصيات التى ندركها بوصفها متسقة ويتزايد فى حالة الشخصيات التى ندركها بوصفها غير متسقة. وهذا يحتوى على الأقل على تضمنين. أولاً، إن السردية أهم من مصدرها، ومن ثم أولئك الذين يرغبون فى ترويج سردية معينة يجب أن ينفقوا وقتًا أكثر فى تنميقها وتحسين جاذبيتها ووقتًا أقل فى ربطها بشخص معين يمكنه أن يعرض الاتساق الشخوصى لجمهور مُحدَّد. وثانيًا، إن الأكثر انتقادًا بيننا ينبغى عليهم أن يبرزوا تذكر مصادر المعلومات التى تعترض سبيلنا وأن يسائلوا السرديات التى يصوغها الأفراد أو الجماعات الذين يكون لدينا أسباب لمساءلة دوافعهم وقيمهم.

وختامًا لهذا القسم، فإنه يجدر التشديد على أن اتساق سردية ما لا يكمن فى النهاية داخل السردية ذاتها وإنما داخل عقول أولئك الذين يؤمنون بها. وعلاوة على ذلك، فإنه يمكن لأى سردية أن تُبنى وتُعرَض بشكل واعٍ وملتو بوصفها متسقة بشكل خالص لخدمة مصلحة ذاتية أو غرض سياسى أو عسكرى. ويذكرنا نيلسون (Nelson 2002: 8) أن 'شن الحرب لجعل العالم أكثر ديموقراطية لكى تصبح الحرب أقل يمكنه أن يصدم الكثيرين بوصفه مفارقة عظمى. ومع ذلك، فإننا نبنى خطاباتنا عن الحرب والسلام من خلال مثل هذا المنظار'. وفى الواقع، فإن سردية المحافظين الجدد عن 'شن الحرب لجعل العالم أكثر ديموقراطية لكى تصبح الحرب أقل' سيتم إدراكها بالنسبة لكثيرين بوصفها متسقة بنيويًا، وماديًا، وشخوصيًا على أتم وجه. بينما هى، بالنسبة لآخرين، بما فيهم أنا، غير متسقة بقدر ما يمكن لأى سردية أخرى أن تكون.

٧-٣ الصدق

يركِّز مبدأ الاتساق، كما تم نقاشه، على تماسك وتلاحم السردية ككل. وفى المقابل، يُقيَّم الصدق من خلال تطبيق منطق الأسباب الوجيهة الذى يقتضى أن تُعاين السردية انطلاقًا من 'صلابة تعليلها its reasoning وقيمة قيمها'

(Fisher 1987: 88). فالأسباب تُقيَّم باستخدام منطق الأسباب؛ والقيم تُقيَّم انطلاقًا من منطق الأسباب الوجيهة.

٧-٣-١ الأسباب (منطق الأسباب)

إن فيشر يعنى بتقييم سردية بناء على 'صلابة تعليلها'، معاينتها إلى حد كبير من منظور المنطق التقليدى: تمثيلها للوقائع، ونماذج الاستدلال، والتضمن **patterns of inference and implicature**، وارتباط التبرير بطبيعة المشكل؛ بعبارة أخرى أنماط التدليل **the types of reason** المُناقشة فى كتب الحِجاج التعليمية التى تُعلِّمنا كيفية التدليل في الخطاب الجماهيرى.

إن منطق الأسباب يتألف من خمسة مكونات (**Fisher 1987: 108-9**):

- أولاً، إننا نحاول أن نتحقق 'إذا ما كانت العبارات الواردة فى رسالة ما تزعم أنها ''وقائع'' هى بالفعل ''وقائع''؛ أى يؤكدها إجماع أو شهود أكفاء موثوق فيهم'(٥).
- ثانيًا، إننا نحاول أن نُقرِّر إذا ما كانت قد حُذفت وقائع مرتبطة بالموضوع، وإذا ما كان أولئك المقدَّمون فى السردية مشوَّهين أو معروضين خارج السياق.
- ثالثًا، إننا ندرك ونُقيِّم 'نماذج التدليل المتنوعة، مستخدمين بشكل أساس مقاييس من المنطق غير الشكلى'؛ وترتبط هذه المقاييس فى معظمها بنماذج الاستدلال والتضمين.
- رابعًا، إننا نُقيِّم الحُجج – وليس الوقائع – المعروضة، بناء على إذا ما كانت هذه الحُجج سليمة ومرتبطة بالقرار الذى كان يجب اتخاذه وإذا ما كان ينبغى فى هذا الحالة أن تُوضع حُجج أخرى فى الحسبان.
- خامسًا، وعلى أساس ما تقدم نحكم إذا ما كانت السردية تتناول قضايا 'واقعية' – تلك المرتبطة بسياق معين والتى ينبغى أن ينبنى قرارنا أو تنبنى قراراتنا عليها.

إن فيشر يُشدِّد على أن منطق الأسباب يُستدعى فقط 'حين يكـون ملائمًـا' (١٩٨٧: ٨٨). وبناء عليه، فإنه يعتد به بوضوح بوصفه ثانويًا بالنسبة لتقييم القيم، القائم على منطق الأسباب الوجيهة. إنه منطق الأسباب الوجيهة – ولـيس منطـق الأسباب – هو ما يُجسِّد مفهوم الصدق.

٧-٣-٢ القيم (منطق الأسباب الوجيهة)

إن مفهوم القيم يتعلق فى النهاية بتأثيرات العالم الواقعى على قبول سـردية معينة: 'إن قِيمة ما تكون قَيِّمَة لا لأنها مرتبطة بمنطق ما أو يعبِّر عنهـا شـخص عاقل فى ذاته، وإنما لأنها تشكل تغييرًا نافعًا فى حياة المرء وفى مجتمعه' (التشديد فى الأصل Fisher 1987: 111؛). ويحاول إدماج فيشر لمفهوم القـيم فـى مبـدأ الصدق أن يكمل منطق الأسباب بمنطق الأسباب الوجيهة ويحوِّلـه إليـه – فهـو المفهوم المركزى فى نموذجه. ومثلما أن منطق الأسباب يتألف من خمسة مكونات، فإن منطق الأسباب الوجيهة، الذى يرتبط بشكل مُحدَّد بالقيم، يتألف هو الآخر مـن خمسة مكونات (Fisher 1987: 109):

الواقعة. إننا نبدأ تقييمنا للصدق بالتساؤل عن القـيم الـضمنية والـصريحة الكائنة فى السردية. وهذا المعيار يفترض أن السردية ذاتها هى قصة قـيم، وأننـا نستطيع أن نقتفى هذه القيم ونتعرف عليها فى السردية.

الارتباط. يتعلق هذا المعيار، مثله مثل المكون الثانى فى منطـق الأسـباب، بالارتباط بما هو معروض فى السردية؛ إلا أن التركيز هنا يكون على القيم ولـيس على الحُجج والوقائع: 'هل القيم ملائمة لطبيعة القرار الذى تفضى إليـه الرسـالة؟ وما تتضمنه هذه المسألة يجب أن يتعلق بـالقيم المحذوفـة، والمُـشوَّهة والمُـساء تمثيلها'.

العاقبة. يركز هذا المعيار على عواقب قبول قيم العالم الواقعى المتشكلة فى السردية. وهنا نتساءل 'ما هى آثار التمسك بالقيم – بالنسبة لمفهوم المرء عن ذاته،

وبالنسبة لسلوك المرء، وعلاقته بالآخرين والمجتمع، ولعملية التبادل البلاغي **the process of rhetorical transaction**؟'.

التساوق. 'هل القيم المؤكَّدة أو المُعزَّزة فى خبرة المرء، فى حيوات أو تعبيرات آخرين ممن يُعجب بهم ويحترمهم، وفى تصور أفضل جمهور يمكن أن يتصوره المرء؟'. وهذه مسألة خاصة بإذا ما كانت القيم المُعبَّر عنها فى السردية متساوقة مع خبرة المرء الخاصة بالعالم.

قضية متعالية أم قيم متعالية. إن هذا المكون هو المكون الأهم لمنطق الأسباب الوجيهة؛ ومن ثم فإنه المعيار الأهم فى تقييم أى سردية. وتحت هذا العنوان، يدعونا فيشر إلى أن نتساءل عما إذا كانت 'القيم التى تطرحها الرسالة ... تُشكِّل الأساس المثالى للسلوك الإنسانى'، بغض النظر عن الوقائع و'حتى إذا كانت توجد قضية مُسلَّم بها أو عبء إثباتها قائم' بالنسبة لسردية مُحدَّدة. ويُشدِّد فيشر على أن تعيين وتقييم القيمة المتعالية **the transcendent value** فى سردية ما 'هو بوضوح قضية حيوية تواجه أولئك المسئولين عن القرارات التى تؤثر على طبيعة، ونوعية الحياة الإنسانية، وعلى الوجود المتواصل لها، خصوصًا فى حقول مثل البيولوجيا وتكنولوجيا الأسلحة والتوظيف'. إن القيم المتعالية هى 'القيم المطلقة' التى نحيا بها ويمكننا أن نتجاوز أى اعتبار آخر فى تقييم السردية.

إننى مقتنع أن أحكام القيمة حتمية، وأنها ليست لا عقلانية، وأن الإجماع عليها لا يتحقق بشكل كامل، وأنه ما من تراتبية راسخة تحليليًا للقيم ستزعم قط الالتزام الكلى.

(Fisher 1987: 105)

إن العنصر الأهم فى مبدأ الصدق، وفى الواقع فى المنطق الكامل للأسباب الوجيهة، إذًا، هو القيم المتعالية، التى 'تكشف التزامات المرء الأكثر جوهرية' **(Fisher 1987: 109)**. ويقر فيشر بيسر بأن تقييم الناقد الخاص للسردية، خصوصًا

فيما يخص العاقبة **consequence**، والتساوق **consistency** والقيم المتعالية **transcendent values**، هو ذاته يُعبِّر عن قيم وهو ذاتى بشكل حتمى. إلا أنه لا يرى هذا 'الإقحام للذاتية' بوصفه مُقوِّضًا لمنطق الأسباب الوجيهة. إذ يجادل بأن الذاتية **subjectivity** متأصلة **inherent** فى التواصل الإنسانى. وما يتيحه لنا النموذج السردى لنفعله هو أن نكون واعين بهذه الذاتية وأن نتفحصها:

> **ويجعل اعتبارات القيمة عملية منتظمة وواعية ذاتيًا، يملؤ منطق الأسباب الوجيهة الفضاء الذى يتركه المنطق التقنى مفتوحًا باهتمامه الأساس بالعلاقات الشكلية واليقين.... بعبارة أخرى، إن منطق الأسباب الوجيهة مهم لأنه يجعل قواعد وتقييم النقاد – المفسرين مفتوحين ومفهومين. وبفعله لذلك يُقر ويُشجِّع الوعى بالسمة العارضة للتواصل البلاغى ويوفر المعلومات التى تعزِّز الخطاب فى المسائل الجوهرية بحق.**

(Fisher 1987: 110)

إن تقييم سردية ما طبقًا لمبدأ الصدق يعنى التساؤل عما تملكه التأثيرات الملازمة لها على العالم، وعلى إحساسنا باحترامنا لأنفسنا، وعلى علاقتنا بالآخرين، وعلى قدرتنا على تدعيم التزاماتنا الأكثر جوهرية.

فى مساهمة موجزة لبرنامج الرابعة فكرة اليوم فى إذاعة بى بى سى، المذاع بتاريخ ١٦ سبتمبر ٢٠٠٤، يدافع الدكتور جيلز فريزر **Giles Fraser** عن سكان الريف وقانون حقوق الطريق الذى كان سيصبح ساريًا بعد أيام قليلة. لقد أعطى القانون الجماهير الحق فى التجول عبر أربعة ملايين من الهكتارات فى الريف غير المزروع فى إنجلترا وويلز، وقد رحَّبت به رابطة الجوالين **the Ramblers' Association** ترحيبًا حارًا فى بريطانيا. ومع ذلك، فإن مُلَّاك الأراضى الواقعة فى نطاق حدود هذه الأربعة ملايين من الهكتارات لم يروا أن القانون بالضرورة عادل لأنه يعنى بالنسبة إليهم أن أى شخص بوسعه أن يتجول بحرية عبر أراضيهم فى أى وقت. لقد كانت المسألة المتجادل حولها، إذًا، هى لمن

تنتمى الأرض وإذا ما كان مفهوم الملكية عادلاً. وقد جادل الدكتور فريزر بأن ‘سرديات الخلق فى سفر التكوين هى بالأساس سياسية، مؤكدة أن الأرض ‘رأس مال مشترك’ للجميع، ويختتم حجته على النحو التالى:

> **إننا يجب أن نختار بين فكرتين مختلفتين للخلق: قصة داروين التى تنبئنا أن البقاء للأصلح، وقصة سفر التكوين عن الأرض بوصفها رأس مال مشتركًا للجميع. إن قصة داروين يمكن أن تكون أفضل علميًا، لكن قصة التكوين أفضل سياسيًا بكثير.**

(Fraser 2004)

وبتطبيق مبدأ الصدق، يتمثل طرح الدكتور فريزر فى أنه بغض النظر عن قضايا ‘الحقيقة’ issues of 'fact'، بما فى ذلك ‘الحقيقة العلمية’، فإن تأثيرات العالم الواقعى للالتزام بالسردية المسيحية مفضلة بقدر أكبر بكثير بالنسبة لأولئك من الالتزام بقصة داروين. إذ يجب علينا أن نقبل أن الأرض تنتمى لله وبالتالى لكل الناس – وليس فقط لأولئك الأشخاص الذين حازوا وملكوا الأرض – لكى نتجنب الكارثة. وإلا كيف لنا، فيما يتساءل، ‘أن نتناول قضايا الاحتباس الحرارى وتغير المناخ، إذا لم يكن بالإقرار أولاً بأننا جميعًا نتشارك فى نفس الكوكب، وأن الاعتبار الأنانى الخاص باستهلاكنا يمكن أن يسفر عن هزيمتنا جميعًا؟’

٧–٤ تقييم السرديات: تطبيق النموذج

إن نموذج فيشر السردى يمكن أن يساعدنا فى أن نقيّم سردية متشكلة فى نص مفرد وكذلك سرديات متناثرة يجب تجميعها معًا من تشكيلة متنوعة من المصادر ووسائل الإعلام. كما أنه يمكن أيضًا أن يُستخدَم ليُقيِّم أى سردية: أنطولوجية، أو جماهيرية، أو تصورية، سواء كانت مصوغة من قبل فرد أو من قبل مؤسسة. وسأبدأ فى هذا القسم بتقييم موجز لسردية صاغها شخص واحد داخل

نص مفرد، لكي نظهر بصورة أساسية كيف أن أنساقًا مختلفة من القيم المتعالية تُحدِّد مسار وناتج تقييمنا (٧-٤-١ سردية جمعية اللغات الحديثة **The MLA narrative**، الواردة بعد قليل). ثم سأقدم بعد ذلك تقييمًا مُراجعًا ومُوسَّعًا لسردية مجموعة من المترجمين المتطوعين، وقد عُرِضتْ لأول مرة لدى بيكر (تحت الطبع) **(Baker in press, a)**. وهذه سردية شائعة ومؤسسية: لقد صاغتها منظمة، وليس فردًا[٦]، عبر نصوص ووسائل إعلام مختلفة (٧-٤-٢ سردية مترجمين بلا حدود، الواردة بعد ذلك). ولا حاجة بنا إلى القول إن التقييم في كلا الحالين ليس - ولا يمكن له أن يكون - 'موضوعيًا'. ذلك أنه يتشكل حتمًا من خلال القيم المتعالية والموقع السردى للمُقيِّم.

٧-٤-١ سردية جمعية اللغات الحديثة

يبرهن فيشر **(Fisher 1987: 111-13)** على كيف يعمل مبدأ الصدق وأين تدخل القيمُ الحُجةَ، وتُحدِّد ناتجها، انطلاقًا من سرديتين متعارضتين عن التجنيد في حرب فيتنام: سردية قائمة على قيمة الواجب تجاه الوطن، وسردية قائمة على قيمة الضمير الأخلاقى. وهو يُشدِّد على أن هذه القيم مُحدَّدة السياق، وأنه ليس بالشيء غير العقلانى أن يتم إقناع شخص - ليس بالضرورة عسكريًا - بحجج الإدارة الوطنية بأن الكبرياء الوطنى المُعرَّض للخطر فى فيتنام يفرض عليه أن يتخذ فى النهاية موقفًا قائمًا على الواجب تجاه قيمة الوطن. كما لم يكن من غير العقلانى أن يقنع مناهضو الحرب شخصًا - ليس بالضرورة من أنصار السلام - بأن الاحترام المعلن للحياة المُعرَّض للخطر يفرض عليه أن يتخذ موقفًا مبنيًا على قيمة الضمير الأخلاقى.

(Fisher 1987: 111, 11)

إننى أريد الآن، من خلال استخدام سردية مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بنا كمترجمين ومترجمين شفاهيين، أن أكيِّف تمثيلاً بصريًا للحُجتين المتعارضتين

للتجنيد فى حرب فيتنام لدى فيشر (١٩٨٧: ١١٢) للحُجج المُحدَّدة المتواجدة فى هذه السردية الجديدة. إلا أننا نحتاج أولاً أن ننظر إلى النص الذى يُشكِّل إحدى السرديتين المتعارضتين.

إن آندرو روبين Andrew Rubin هو أستاذ للغة الإنجليزية فى جامعة جورجتاون. ونقدم هنا خطابه المفتوح إلى المجلس التنفيذى لجمعية اللغات الحديثة بأكمله فيما يلى، وبه تصريحه الكريم.

٨ فبراير، ٢٠٠٥

خطاب مفتوح للمجلس التنفيذى لجمعية اللغات الحديثة

لقد كنتُ، منذ عام ١٩٩٦ إلى عام ٢٠٠٢ طالبًا للدكتوراه فى قسم اللغة الإنجليزية والأدب المقارن فى جامعة كولومبيا حيث أتممتُ أطروحتى تحت إشراف البروفسور الراحل إدوارد سعيد، الذى كان، كما تعلمون، رئيس جمعية اللغات الحديثة فى ١٩٩٩. وبوصفى صديقًا حميمًا وزميلاً لإدوارد، فإننى واثق أنه كانت ستعتريه الدهشة من أننى قد تصادمت حين علمتُ مؤخرًا أن جمعية اللغات الحديثة قد سمحت لوكالة المخابرات المركزية أن تُعلن عن حاجتها وتسعى لتجنيد مدرسين للغات من أجل المستقبل فى المؤتمر السنوى لجمعية اللغات الحديثة المنعقد فى فيلادلفيا. لقد كانت وكالة المخابرات المركزية تبحث عن أشخاص مؤهلين لتدريس لغات مثل العربية، والصينية، والدارية/البشتوية، والفرنسية، واليونانية، والأندونسية، واليابانية، والكورية، والفارسية، والروسية، والصربية-الكرواتية، والإسبانية، التايلاندية، والتركية.

إن لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، كما تعلمون جيدًا، تاريخًا طويلاً وموثقًا توثيقًا جيدًا لما يربو على خمسين عامًا من الانتهاك لقوانين عالمية تند عن الحصر بما فى ذلك انتهاك مواد كثيرة من معاهدة جنيف وكذلك من ميثاق الأمم

المتحدة. إذ عذّبت وأصدرت التعليمات بالتعذيب فى كل من آسيا، والأمريكتين، وأفريقيا. كما اغتالت الكثير من البشر، وأطاحت بحكومات منتخبة انتخابًا ديموقراطيًا، وأشاعت السخط على امتداد العالم بتسليحها للمرتزقة وتحويل بشر كثيرين إلى قتلة مكتملين وجزارين محترفين.

إن جمعية اللغات الحديثة تتيح لمنظمة – ما تزال ميزانيتها السنوية من الميزانيات المُصنّفة وما تزال أنشطتها مخفية عن العالم – أن تستغل عضويتها المُخزية والمعدومة الضمير. إن المنظمة المُصنّفة أنشطتها بوصفها سرًا من أسرار الدولة الممنوحة امتياز استغلال الثلاثين ألف عضو من أعضاء جمعية اللغات الحديثة فى ١٠٠ بلد تعارض الميثاق الخاص والمهمة الخاصة بجمعية اللغات الحديثة: ترسيخ الشروط التى يمكن بموجبها لدارسى اللغات والآداب أن يتشاركوا بحرية وعلانية فى اكتشافاتهم مع بعضهم البعض فى موقف يتسم بالازدهار وليس تحت وطأة إكراه الإجبار، والقمع، وانعدام الحرية. وآمل أنه لاحاجة إلى أن يُقال إن وكالة المخابرات المركزية تقوّض الانتشار المفتوح والحر للمعرفة (انظر على سبيل المثال، رأى القاض دينيس كوتس **Denise Cotes** فى روبين فى مواجهة وكالة المخابرات المركزية **Rubin v. CIA**، المحكمة الفيدرالية الجزئية **Federal District Court**، **New York, 2001**).

إن تعليم اللغة لا غنى عنه لفهم العلاقة بين الثقافات. إذ بقدر ما ندرس ونعرف اللغات كمتخصصين وطلاب على نحو علنى (وليس سريًا) بوصفنا كائنات إنسانية، بقدر ما تصبح شعوب هذا العالم أقدر على أن تتواصل مع بعضها البعض، وبقدر ما يصبح العالم أقدر على أن يُحوّل الصراع إلى مصالحة، والكراهية إلى فهم.

وآمل فى المستقبل أن يصبح المجلس التنفيذى لجمعية اللغات الحديثة أكثر حرصًا على مبادئ الانتشار المفتوح للمعرفة التى من المفترض أن جمعية اللغات الحديثة دافعت عنها على مدار المائة واثنين وعشرين عامًا الماضية.

إن خطاب البروفسور روبين يدافع عن عدم التعاون مع منظمة مثل وكالة المخابرات المركزية انطلاقًا من القيمة المتعالية التي يمكننا أن نطلق عليها 'الواجب تجاه الإنسانية'. ويستطيع المرء بسهولة أن يتخيل أن المجلس التنفيذى لجمعية اللغات الحديثة وأن الكثيرين من أعضاء جمعية اللغات الحديثة يدافعون عن تعاون جمعية اللغات الحديثة مع وكالة المخابرات المركزية من خلال استدعاء قيمة 'الواجب تجاه المهنة'. وفى النهاية، فإن دستور جمعية اللغات الحديثة ينص بوضوح على أن ''هدف الجمعية يجب أن يتمثل فى ترويج الدراسة، والنقد، والبحث فى اللغات الحديثة وآدابها المتعلمة على نحو مشترك بقدر يزيد أويقل وأن تدعم مصالح المدرسين المشتركة بهذه الموضوعات''(٧) (التشديد من عندى). إن القيمتين لا تستبعد إحداهما الأخرى، لكنهما يمكن أن يدخلا فى صراع فى بعض السياقات. ويمكننا، إذا ما اتبعنا فيشر (**Fisher 1987: ١١٢**)، أن نستعرض مجموعة متعارضة من القيم كما هى معروضة فى الشكل .

إن سردية روبين يمكن أن تبدو مثالية بالنسبة لأولئك الذين يكون التزامهم الأساس بقيم مثل المهنية، والنجاح، والفطنة السياسية. إلا أن فيشر (**Fisher 1987: 188**) يجادل بأنه يوجد – وعلى الأرجح سيوجد دومًا – مجتمع كونى يؤمن بمُثل الحقيقة والعدالة العليا. إن السرديات المثالية تميل إلى أن تولد الالتزام 'لأنها متسقة و''تبدو صحيحة'' بالنسبة للحياة كما نحب أن نحياها'؛ إذ تكمن جاذبيتها فى 'استدعاء الأفضل فى الناس وتنشيطه' (١٩٨٧: ١٨٧). وإذا كان فيشر مُحقًا فيما يتعلق بوجود مجتمعات مستقرة تحفزها قيم العدالة والحقيقة العليا وليس قيم النجاح والمهنية، فإن السردية المتشكلة فى خطاب روبين لجمعية اللغات الحديثة ستقبل بسهولة من الكثير من القراء. إذ ستصبح السردية، بالنسبة إليهم، متسقة بناء على منطق الأسباب الوجيهة: ''مرتبطة بالحياة الطيبة، مترتب عليها دفع الالتزام الأخلاقى والعلاقات المتحضرة؛ متساوقة مع خبرتهم الأعلى ...؛ ومرضية بالنسبة لـ القضية المتعالية؛ الأساس المثالى للسلوك الإنسانى' (التشديد فى الأصل **Fisher 1987: 188**).

٧-٤-٢ مترجمون بلا حدود

لقد برهنتُ فى بيكر (Baker in press)، [الترجمة والفعالية: نماذج منبثقة للمجتمع السردى، المترجم]، كيف يمكن أن يكون نموذج فيشر السردى قد اعتاد أن يقيم سردية جماعة من المترجمين المتطوعين الذين يعملون تحت عنوان مترجمين بلا حدود/ Traductuers sans Fronières[٨] وأن يقدم ترجمات حرة للعديد من المنظمات الشهيرة مثل منظمة أطباء بلا حدود، ومنظمة العفو الدولية، ومنظمة مراسلين بلا حدود. وكما يوحى الاسم، مترجمون بلا حدود (تى دبليو بى) تقرن نفسها مع ما أصبح معروفًا بـحركة the 'sans frontièrisme' أو 'بلا حد' (Fox 1995: 1607; DeChaine 2002: 355) وتعتنق مُثلاً مشابهة لتلك التى تدافع عنها منظمة أطباء بلا حدود، الحاصلة على جائزة نوبل للسلام[٩] عام ١٩٩٩.



م = مادة | ت = تحفظات
ط = طلب | ق = قيمة
ض = ضمان | ق. م = قيمة متعالية

الشكل ١٦

حيث القيم تدخل فى الحُجة (مؤسس على فيشر ١٩٨٧: ١١٢)

إن مترجمين بلا حدود مختلفة جدًا عن جماعات أخرى متورطة سياسيًا واجتماعيًا فى العالم المهنى للترجمة والترجمة الفورية، ومن أبرزها بابلز[١٠] Babels، ومترجمون من أجل السلام[١١]، وشبكة المترجمين والمترجمين الشفاهيين للسلام[١٢]، وإيكوس ECOS (مترجمون ومترجمون شفاهيون من أجل التضامن)[١٣]. (Traductores e Intèrpretes por la Solidaridad)

وعلى العكس من أى جماعة من هذه الجماعات، فإن مترجمين بلا حدود TWB هى فرع من وكالة ترجمة تجارية (يوروتكيست بباريس the Paris-based Eurotexte) وهى، كما سنرى سريعًا، تظهر بشكل بارز كنقطة بيع فى محفظة أوراق تلك الشركة. إن هذه بنية مختلفة تمامًا عن بابلز التى هى، على سبيل المثال، ليست مرتبطة بأى مشروع تجارى. إذ لا تستثمر بابلز فى ترويج صورتها، كما تفعل جماعات أخرى متورطة سياسيًا؛ على سبيل المثال؛ إن كل متطوعى بابلز ومترجميها الشفاهيين يرتدون قمصان بابلز المميزة فى المنتدى الاجتماعى العالمى the World Social Fourm والأحداث المرتبطة به التى يخدمونها، وتحافظ أيضًا بابلز على شبكة تروّج أنشطتها المتنوعة. لكن ما من شىء من هذا يحدث من أجل المكسب التجارى، ولا لدعم مكانة فرد أو أكثر من الأفراد. وفى الواقع، فإنه ما من شىء على موقع بابلز يدل من الذى يعده، وما من شىء ليلفت داعميه المحتملين لكى يشتروا أى شىء أو يتبرعوا بأى شىء، عدا وقتهم إذا اتفق أن يكون لديهم مطلب مهارات الترجمة والترجمة الشفاهية. وما من فرد واحد، ولا منظمة واحدة، فيما يبدو، يفيد أو تفيد تجاريًا أو من حيث المكانة من وجود بابلز[١٤]. ويبدو أن الشىء ذاته ينطبق على الجماعات الأخرى المذكورة أعلاه، باستثناء مترجمين بلا حدود.

إننى أجادل (Baker, in press, a) من خلال تطبيق قاعدة الاتساق على السردية المتشكلة لدى مترجمين بلا حدود وشركة يوروتيكست المولدة لها، بأنه يوجد نقص فى التساوق الداخلى داخل سردية مترجمين بلا حدود، على نطاق

واسع كنتاج لارتباك الأجندات الإنسانية والتجارية. وعلى سبيل المثال، فإن مترجمين بلا حدود مُدرجة بوصفها 'شريكة' على موقع يوروتيكست، وتستخدم بوضوح كنقطة بيع من قبل المدير الإدارى ليوروتيكيست الذى يُشدِّد فى كلمة غير مؤرخة للاتحاد الإيطالى لشركات الترجمة على أن 'الأعمال الجيدة لا تساعد فقط العالم: بل إنها تستطيع أيضًا أن تكون جيدة بالنسبة للمشاريع الاستثمارية'(١٥). إن القميص المتاح على موقع يوروتيكيست/مترجمين بلا حدود يُباع بواحد وعشرين يورو لدعم منظمة أطباء بلا حدود؛ ويقال لنا إن كل العائدت تذهب إلى أطباء بلا حدود. فى حين أن القميص نفسه لا يبرز منظمة أطباء بلا حدود وإنما مترجمين بلا حدود، ومن ثم فإنه يتيح مساحة إعلانية مجانية ليوروتيكيست بشكل غير مباشر.

يقول رجل من الشيشان، 'لقد قتل صاروخ أرض أرض ولديى الاثنين فى السوق فى جروزنى. ولم يكنا مقاتلينِ – لقد كانا هناك فقط ليشتريا بعض الجينز'. وقد همست الفتاة الفلسطينية التى كانت خائفة للغاية فى البداية من أن تتكلم للزوار، 'لا أعتقد أننا سنخرج من هذا أحياء.' وفى سيرها الحثيث إلى الحدود تصرخ أم فى كوسوفو والجندى يُصوِّب على الهدف، 'ليس هو، إنه لم يبلغ حتى الخامسة عشر!'

لورى ثايك،

كلمة للاتحاد الإيطالى لشركات الترجمة

وهناك المزيد من الأدلة على عدم الاتساق البنيوى والمادى فى سردية مترجمين بلا حدود. وفى الكلمة ذاتها المُوجَّهة للاتحاد الإيطالى لشركات الترجمة، يذكرنا المدير الإدارى ليوروتيكيست لورى ثايك أن الفظاعات التى اقترفت فى الشيشان، وفلسطين، وكوسوفو جعلت من الحتمى أن يساعد مترجمون متطوعون الضحايا فى هذه الأقاليم وهم يحكون قصصهم. وفى الوقت ذاته، مع ذلك، فإن يوروتيكيست تُدرج بفخر من بين عملاء القمة لديها شركات عديدة يُعتقد على

نطاق واسع أنها متورطة فى فظاعات يُفترض أن مترجمين بلا حدود تلفت انتباهنا إليها، بما فى ذلك جنرال إليكتريك[١٦] ولأوريـــل **L'Orèal**[١٧] (**Baker, in press, a**) . ويمكننا أن نقارن هذا بقرار أطباء بلا حدود، المذكور لدى باكان **Bakan**، برفض التعاون مع فايزر:

> **حين أعدت أطباء بلا حدود برنامج علاجها للرمد الحُبيبى فـــى مـــالى الأفريقية، قالت 'لا، نشكركم، نشكر عرض فايزر لزثروماكس المجانى. بل إنها بدلاً من ذلك استوردت إصدارًا متداولاً من الدواء، ودفعت فـــى مقابله.**

(٢٠٠٤: ٤٨)

من المثير للجدل، إذًا، أن توجه وممارسات مترجمين بلا حدود، خـــصوصًا بالنسبة للتعاون مع المنظمات المتورطة فى الفظاعات التى تشجبها علنًا مترجمون بلا حدود ويوروتيكيست، تجعل السردية نوعًا ما غيـــر متـــسقة داخـــل حـــدودها الخاصة وكذلك بالنسبة للسرديات الأخرى التى تتناول قضايا مشابهة.

وعلى أية حال، يستطيع المرء أن يرى أن ثمة منطقًا داخليّـــا لنـــوع مـــن البراجماتية التى تُبرِّر مستوى ما من غدم الاتساق البنيوى وحتـــى المـــادى لكـــى يحدث تغييرات فى العالم. كما نستطيع أن نتعاطف بسهولة مع تأكيد لورى ثايـــك، فى الكلمة ذاتها التى وجهها للاتحاد الإيطالى لشركات الترجمة، من 'أننا فى مشاريع استثمارية. إننا جميعًا نحتاج أن نكسب أموالاً'. إن المثالية المفرطة لا تساعد منظمة إنسانية على أن تعمل بفعالية. ويشير ديشنى (**DeChaine 2002: 360ff**). إلى قضية مشابهة فى حالة أطباء بلا حدود ويبدو أنها تقبل عتبة براجماتية من عدم الاتـــساق يمكننا أيضًا أن نتأملها فى حالة مترجمين بلا حدود. وهو يتساءل عما لدى منظمة أطباء بلا حدود من 'تأييد لاستغلال وسائل الإعـــلام الجماهيريـــة باســـم الفعـــل الإنسانى' ويجادل بأن مغازلتها لوسائل الإعلام تُقوِّض مبدأها المعلن عـــن الحيـــاد وتُبرهن على الطبيعة المُسيَّسة للمـــشروع. وهـــو يُـــذكِّرنا، فـــى الوقـــت ذاتـــه،

أن مصداقية 'منظمة أطباء بلا حدود كوكالة إنسانية تعتمد جزئيًا على قدرتها على ترسيخ إدراك لمتطوعيها بوصفهم وكلاء تغيير شجعانًا، وأنقياء أيدولوجيًا، وملتزمين أخلاقيًا' (٢٠٠٢: ٣٦٠)؛ كما تحتاج منظمة أطباء بلا حدود أيضًا أن تُرى لكى تجذب تبرعات وتواصل فعل ما تفعله. بعبارة أخرى، إن ديشنى يقدم أسبابًا 'وجيهة' (بالمعنى الذى لها فى النموذج السردى) لعدم الاتساق البنيوى الظاهر لسردية أطباء بلا حدود. والسؤال هو هل يمكن أيضًا أن توجد 'أسباب وجيهة' فى حالة مترجمين بلا حدود. وإذا كانت يمكن أن توجد، طبقًا لفهمى لنموذج فيشر، فإنها بالتأكيد تتجاوز كلاً من قضايا الاتساق البنيوى والاتساق المادى.

إن تحليلاً أكثر قربًا لسردية مترجمين بلا حدود/يوروتيكيست بناء على مبدأ الصدق يشير إلى عدد العناصر المتعارضة مع نسق القيم المتعالية المشتركة لدى العديد من النشطاء. أولاً، إن يوروتيكيست تُساند وتُبرِّر بشكل مثير للجدل أخلاقيات النزعة الاستهلاكية من خلال تسليع الحزن الإنسانى **the commodification of human grief**. وهى تفعل ذلك من خلال استخدام مشروع إنسانى كمركز بيع لقوتها التجارية واستغلال أمثلة حقيقية للمعاناة بشكل علنى لتعزيز موقفها وجاذبيتها.

ثانيًا، إن ممارسات وتصريحات يوروتيكيست تمنح مصداقية للاستخدام 'التجميلى' للأسباب الوجيهة بشكل نمطى من خلال الأعمال التجارية الكبرى لتحسين صورتها وصرف الانتباه عن ممارساتها الأقل استساغة. وبوضوح، فإن يوروتيكيست ذاتها ليست 'مشروعًا استثماريًا ضخمًا'، وعلى الأرجح أنها ليست متورطة فى أى ممارسات مقيتة. إلا أن يوروتيكيست تُروِّج بنشاط لفكرة منظمات تجارية تعلن انخراطها فى 'قضايا خيرة' لتعزيز صورتها، على نحو ما يمكن أن يُرى فى المقتطف التالى من مقال للورى ثايك فى مجلة الحوسبة المتعددة اللغات والتكنولوجيا **Technology & Multilingual Computing**:

في وقت مبكر من هذا العام، تواصلت وكالة بريم دان **Prem Dan**، وهي وكالة ترجمة مقرها مدريد، مع يوروتيكيست بخصوص إطلاق مترجمين بلا حدود في إسبانيا. وكما يُوضِّح المدير الإداري جورج كابزاس لوبيز، 'إننا نشعر أنها ستمنح قيمة إضافية لبريم دان.' وقد عرض بالفعل ٥٠٠ مترجم أن يتعاونوا مع المنظمة الإسبانية. وبعدها أخذ البرنامج يُعرِّف العملاء بالهيئة الجديدة من خلال إطلاق بالون مُحمَّل بالهواء الساخن يُبرِز الشعار الذي صاغته يوروتيكيست لمترجمين بلا حدود، وإن كان قد تم تعديله من أجل المنظمة الإسبانية الجديدة.

وهناك شركة أخرى تنتوى إنشاء فرع لمترجمين بلا حدود، وهي شركة أيرلندا للتوطين المستقل الموجه **Ireland's leading independent localization company**، ترجمات يوروتيكيست (لا علاقة لها بيوروتيكيست في باريس).

'يهدف كل مشروع اشتثماري وهيئته والمرتبطون به إلى مساعدة أولئك المحتاجين في المجتمع من خلال المشاركة بالقليل من مهاراتهم وخبرتهم. ويقول المدير الإداري جون شاين، إن مترجمين بلا حدود، بالنسبة لأي شركة ترجمة، تمثِّل فكرة رائعة، وزملائي هنا في ترجمات يوروتيكيست متحمسون جدًا لها'.

إن الأعمال الطيبة، كما تتكشف، أعمال استثمارية طيبة. وكما يقول لوبيز، 'إننا نعتقد أننا سنحصل على ميزة من إعلام عملائنا أننا ندعم مترجمين بلا حدود.'

إن ذلك من نوع المواقف المربحة للجانبين التي ينبغي على كل شركات الترجمة أن تفكر فيها.

Thicke 2003

ويبدو واضحًا من المقتطف السابق أنه يتم تشجيع شركات الترجمة على أن تقدِّم بعض الترجمات المجانية لمنظمات تستحق ذلك لأن هذا سيعزز صورتها الجماهيرية ويَساعدها على أن تجتذب المزيد من العملاء. كما أنه من الواضح

أيضًا أن هذا هو الدافع الرئيس للشركات التى قررت أن تتبع مثال يوروتيكيست. ومهما يكن حسن النوايا، فإن ترويج النموذج فى العالم المهنى للترجمة من قبل شركات مثل يوروتيكيست يُشجِّع على القبول غير النقدى للاستخدام التجميلى للتيمات الإنسانية من قبل الشركات الاستثمارية(١٨). وهو ما يُحوِّل علاوة على ذلك شبكات المترجمين والمترجمين الشفاهيين الثورية بالقوة إلى ‘مراكز للفضيلة المدنية تستبق أنواعًا أعمق من التغيير أو الانتقاد لفرضيات موجودة منذ زمن طويل’ (Said 2005: 18).

وأخيرًا، فإن سردية مترجمين بلا حدود/يوروتيكيست تُساند وتستغل بشكل مثير للجدل السرديات الثقافية للمسئولية الاجتماعية التى تُركِّز أكثر على جعل المتبرعين يشعرون مشاعر طيبة تجاه أنفسهم من تركيزها على مخاطبة الاحتياجات الفعلية للمتلقين. إن اللغة ذاتها التى يستخدمها المدير الإدارى ليوروتيكيست تشير بوضوح إلى دوافع مباطنة ورؤية عالم غير متوافقة مع نسق القيم المتعالية التى يشترك فيها على الأقل بعض المترجمين والمترجمين الشفاهيين الملتزمين:

> **إن منح ترجمات giving away translations لقضية جديرة بالاهتمام هو سيناريو مربح للطرفين. وتشعر يوروتيكيست بالارتياح تجاه ذلك. إذ يشعر المترجمون بالارتياح تجاه ذلك، ويرون يوروتيكيست بوصفها وكالة تكترث فعلاً – وهو ما نفعله. وأخيرًا وليس آخرًا، فإن زبائننا يعدون هذا نقطة تميز.**

(Thicke 2003)

إن اختيار عبارة مثل ‘منح ترجمات’ لوصف ما تتورط مترجمون بلا حدود فى فعله يخون توجهًا اعتياديًا قائمًا على التبرع لـ ‘العمل الخيرى’، وهو ما يبدو على نحو مثير للجدل أنه يخدم المصلحة الذاتية واستغلاليًا.

إن الكثير من القراء سيختلفون بلا شك مع التقييم السالف لمترجمين بلا حدود، ويمكن أن يجدوها غير متساهلة تمامًا. ومع ذلك، فإن هذا لا يبطل التحليل. وإنما يشير فحسب إلى أنساقنا المتباينة للقيم المتعالية، وهى قضية تم استباقها بشكل كامل فى نموذج فيشر.

٧-٥ ملاحظات ختامية

إن نموذج فيشر السردى لا يخلو من نقاط ضعف خاصة به، كما لا يخلو نقاده أيضًا. وإحدى نقاط هذا الضعف تتمثل فى فى أنه يخفق فى تفسير قوة وجاذبية قصص الشر – لماذا ننجذب إلى سرديات مثل صمت المصابيح **The Silence of the Lambs**، على سبيل المثال. كما يقر فيشر ذاته أيضًا بأنه على الرغم من أن النموذج السردى يسمح لنا أن نُقيِّم كل أنواع الخطاب، فإن معايير التقييم لنص علمى ستختلف بالضرورة عن تلك المطلوبة لتقييم فيلم جماهيرى (١٩٨٧: ١٤٣). ومع ذلك، فإنه لم يُقدِّم، حتى الآن، صياغة لهذه المعايير المختلفة.

وبشكل أكثر جدية، ربما، إن مكجى ونيلسون **(McGee and Nelson 1985: 145-6)** يلومان فيشر على استثارة نموذج السردية فى مواجهة نموج العقلانية ومن ثم تكريس القسمة الثنائية بدلاً من التخلص منها[١٩]. وهما يجادلان بأن فيشر 'يمنح فحسب امتيازًا للسردية الجماهيرية على حساب العقلانية المتخصصة'، فى الوقت الذى ينبغى عليه فيه بدلاً من ذلك أن يفكك هذا 'التعارض الفاسد' (١٩٨٥: ١٤٦). ومن اللافت أن مكجى ونيلسون **(1985: 146 ff)** يجادلان بأن القسمة الثنائية الزائفة بين السردية والعقلانية خلقتها ترجمة خاطئة لـ **narratio** لتتوافق مع الأفكار الراهنة عن الحقيقة ومبادئ العلم الحديث. وهما يقترحان أن إرجاع **narratio** إلى معناها الأصلى سيتيح لنا أن نسقط عقلاً سرديًا فى الحجاج الجماهيرى ومن ثم أن نُقوض مقابلة فيشر بين النموذجين (١٩٨٥: ١٥١).

وفى رأيى أن أخطر انتقاد وجِّه إلى نموذج فيشر يأتى من كيركوود (Kirkwood 1992)، الذى يجادل على نحو مقنع بأن النموذج السردى يتضمن أن السرديات تُعزِّز بالضرورة – ولا تتحدى – قيم الجمهور. وهذا يشير إلى أن أكثر السرديات جاذبية هى تلك التى تدعِّم وتعزِّز الأوضاع القائمة، أى أن القصص الفعالة 'لا يمكنها وربما لا ينبغى لها أن تتجاوز قيم ومعتقدات الناس، سواء كانت هذه القيم والمعتقدات جديرة بالإعجاب ودقيقة أو لم تكن' (١٩٩٢: ٣٠). وإذا كان فيشر مُحقًا، فيما يجادل كيركوود، 'سيبدو أن أولئك الذين ''لا يستطيعون ببساطة أن يتخيلوا'' إمكانية الحب غير الأنانى لا يستطيعون أن يستمعوا إلى قصة عنه (١٩٩٢: ٣٤). وفى تناوله لهذا الضعف فى نموذج فيشر، يدافع كيركوود عما يدعوه 'بلاغة الإمكان'، نموذج للحكى يتضمن 'توجيه الانتباه لإمكانيات مُحدَّدة غير مشكوك فيها من قبل من الجماهير' (١٩٩٢: ٣٣). وإحدى السبل التى يمكن أن تصبح بها بلاغة الإمكان فعالة تتضمن لفت انتباه محاورينا لسلوكهم، أو لفت انتباههم بشكل واضح إلى جوانب من السردية قد تفوتهم فيما عدا ذلك. ولأن كيركوود يختلف مع تأكيد فيشر على أن 'الناس' قادرون دائمًا على أن يحكموا على سلامة السرديات بالنسبة إليهم ويؤكدون بدلاً من ذلك أن 'الوقائع الوشيكة والتساوق الداخلى لقصة ما لا يسمح للناس أن يُحدِّدوا أى إمكانيات التفكير أو الفعل يُعبَّر عنها' (التشديد فى الأصل ١٩٩٢: ٤١)، فإنه يقترح أن التعليق يمكن أن يُضاف أحيانًا ليكشف إمكانيات لا يمكن أن تُشتق من الوقائع البسيطة لحكاية ما.

ومثل كيركوود، يدرك بينيت وإدلمان (Bennett and Edelman 1985: 162) أهمية انفتاح عقول الناس على 'الإمكانيات الإبداعية' من خلال بناء سرديات 'تستفز الصراع الذهنى... وإبداع نظام إنسانى أكثر قابلية للتشغيل'. إلا أنهما يركزان على تحدى الجانب المحافظ، المكرر لذاته باستمرار فى السردية من خلال تطوير موقف أكثر نقدية تجاه كل السرديات، خصوصًا السرديات السياسية. إننا نحتاج أن نفهم كيف تعمل السرديات، كيف تُنشِّئنا اجتماعيًا على تصورات مهيمنة عن العالم من خلال تبسيط قضايا مثيرة للنزاع وصياغتها فى 'عبارات أيديولوجية

تُقصى بعضها البعض' (Bennett and Edelman 1985: 158). ويجب أن نصبح منتبهين لـ 'الإحالات الحافلة بالمعانى' فى السرديات السياسية الضمنية بشكل نمطى لكى نقاوم تأثيرها على عقولنا. وهما يجادلان بأن 'الإحالات المثيرة التى تتغلغل فى اللغة السياسية والقانونية تعمل كإشارات بافلوفية للناس الذين يكونون مُشرَّطين لأن يستخدموا اللغة لتعزيز أيديولوجياتهم وليس لتحديها' (١٩٨٥: ١٦٥-٦).

وأيًا كانت حدود النموذج السردى، فإن جاذبيته وقوته تكمنان فى حقيقة أنه يمنح الامتياز للقيم بينما تميل نماذج أخرى إلى أن تمنح الامتياز للمعرفة الخبيرة **expertise**، والذكاء، والمنطق التقليدى. وهو ديموقراطى بشكل راديكالى بينما النموذج العقلانى التقليدى نخبوى بشكل مثير للجدل. وهو أيضًا متوافق مع المقاربة الإجمالية للسردية المتبناة فى هذا الكتاب. إن تتميم النموذج السردى بفهم نقدى لكيف تشتغل السرديات وكيف تسمح لنا أن نصارع الواقع الاجتماعى على الرغم من أن تأثيرها التطبيعى يمكن أن يمضى بنا بعيدًا نحو طريق جديد يؤمل فيه أن يكون خصبًا لبحث أفعال الترجمة والترجمة الفورية فى مواقف الصراع.

مراجع أساسية:

Fisher, Walter R. (1987 (Human Communication as Narration: Toward a Philosophy of Reason,
Value, and Action, Columbia: University of South Carolina Press.
Fisher, Walter R. (1997) 'Narration, Reason, and Community', in Lewis P. Hinchman and
Sandra K. Hinchman (eds) Memory, Identity, Community: The Idea of Narrative in the Human
Sciences, Albany: State University of New York Press, 307–27.
Kirkwood, William G. (1992) 'Narrative and the Rhetoric of Possibility', Communication
Monographs 59: 30–47.
McGee, Michael Calvin and John S. Nelson (1985) 'Narrative Reason in Public Argument',
Journal of Communication 35(4): 139–55.
Warnick, Barbara (1987) 'The Narrative Paradigm: Another Story', The Quarterly Journal of
Speech 73: 172–82.

قراءات إضافية:

Bakan, Joel (2004) The Corporation: The Pathological Pursuit of Profit and Power, London:
Constable & Robinson Ltd.
Baker, Mona (in press, a) 'Translation and Activism: Emerging Patterns of Narrative
Community', The Massachusetts Review.
Bennett,W. Lance and Murray Edelman (1985) 'Toward a New Political Narrative', Journal

of Communication 35(4): 156–71.
DeChaine, D. Robert (2002) 'Humanitarian Space and the Social Imaginary:
Médecins Sans
Frontières/DoctorsWithout Borders and the Rhetoric of Global Community',
Journal of
Communication Inquiry 26(4): 354–69.
Fisher, Walter R. (1984) 'Narration as a Human Communication Paradigm:
The Case of
Public Moral Agreement', Communication Monographs 51: 1–22.
Fisher, Walter R. (1985) 'The Narrative Paradigm: In the Beginning', Journal
of Communication
35(4): 74–89.
Fox, Renée, C. (1995) 'Medical Humanitarianism and Human Rights:
Reflections on
Doctors Without Borders and Doctors of the World', Social Science and
Medicine 41(12):
1607–16.
Greer, J. and K. Bruno (1996) Greenwash: The Reality behind Corporate
Environmentalism,
Penang and New York: Third World Network and The Apex Press.
Klein, Naomi (2000) No Logo, London: Flamingo.
Manuel Jerez, Jesús de, Juan López Cortés and María Brander de la Iglesia
(2004) 'Traducción
e interpretación: Voluntariado y compromiso social' [Translation and
Interpreting:
Volunteer Work and Social Commitment], Puentes 4: 65–72.

مســـرد

لا يحاول هذا المسرد أن يُقدِّم تعريفات شاملة لكـل مـصطلح مـن هـذه المصطلحات. وما لم تتمَ الإشارة إلى خلاف ذلك، فإن التفـسيرات المقدمـة لكـل مصطلح مقصورة على الكيفية المستخدم بها ضمن الحدود التفصيلية لهذا الكتـاب. بل إن للعديد من هذه المصطلحات المُدْرَجة هنا تعريفات بديلة فى أطـر نظريـة أخرى، ويمكن أن تكون بعض هذه الأطر النظرية مختلفة اختلافًا لافتًا عن الأطـر النظرية المطروحة هنا.

Argumentative coherence (see structural coherence)

الاتساق الحِجاجى (انظر الاتساق البنيوى)

السرديات السير ذاتية Biographical narratives

طبقًا لبرات (Prat 2003)، تُشدِّد السرديات السير ذاتية على الاستمرارية من خلال تفسير ما تمثِّله الجمعية بناء على التطور عبر الزمن؛ على سبيل المثال، من هم الأكراد كوظيفة لما هو مسرود بوصفه ماضيهم، وحاضرهم، ومستقبلهم. انظر أيضًا السرديات الرأسية **narratives vertical**.

القياسية والخرق Canonicity and breach

هى إحدى سمات السردية فى نموذج برونـر (Bruner 1991). إذ يجـادل برونر بأنه لكى تكون القصة جديرة بالقص، فإنها ''يجب أن تدور حـول كيـف يُخترَق ويُنتهَك ويتم الانحراف عن نص قياسى ضمنى بأسلوب يتضمن ممارسـة العنف تجاه... ''شرعية'' النص القياسى'' (١٩٩١: ١١). لكنه يقـر أن الـنص القياسى وخرقه يُوفِّران فرصًا للابتكار. انظر أيضًا المعيارية **normativeness**.

التحبيك السببى Causal emplotment

هو سمة من السمات المحورية للسردية **narrativity** فى النموذج المطروح بالتفصيل لدى سومرز (**Somers 1992, 1997**) ولدى سومرز وجيبسون (**Somers and Gibson 1994**). إن التحبيك السببى ''يمنح دلالة للمواقف المستقلة، ويتجاهل ترتيبها الزمنى أو الفئوى **categorical order**' (**Somers 1997: 82**). إذ يتيح التحبيك لنا أن نحوّل مجموعة من القضايا إلى سلسلة مفهومة نستطيع أن نُشكِّل حولها رأيًا وهكذا نشحن الأحداث المُصوَّرة بدلالة روحية وأخلاقية.

الاتساق الشخوصى Characterological coherence

عبارة عن نمط من ثلاثة أنماط لـ الاتساق، ضمن نموذج فيشر السردى، تؤثر على تقييمنا للسرد. ويفترض الاتساق الشخوصى أن اشتغال أى سرد يعتمد إلى حد بعيد على مصداقية شخوصه الرئيسية، سواء كانوا رواة أو فاعلين **actors**، داخل السردية. إن الشخصية عبارة عن ''إدراك مُعمَّم لتوجه قيمة أساسية لدى شخص معين'' (**Fisher 1987: 148**)، بناء عليه يستطيع المرء أن يستنتج كيف يمكن أن تسلك الشخصية وكيف يمكن لسلوكياتها وأفعالها أن ترتبط بقيم المرء الخاصة ومنظوره عن العالم. ويتداخل هذا المفهوم للشخصية مع التصور المعاصر عن مصداقية المصدر والمفهوم التقليدى عن طباع الجماعة **ethos** (**Fisher 1986: 148**)، لكنه يختلف عنهما فى أنه يُشدِّد بدرجة أكبر على القيم وبدرجة أقل على سمات مثل الجنكة **expertise** والذكاء **intelligence**. إن الاتساق الشخوصى، كما هو مُتصوَّر ضمن النموذج السردى، يعتمد علي طبيعة السرديات التى تفيد منها شخصية لكى تصوغ قصتها الخاصة وعلى أصداء هذه السرديات داخل سياق تاريخى وثقافى محدَّد. انظر أيضًا الاتساق البنيوى **structural coherence**؛ والاتساق المادى **coherence material**.

الاتساق Coherence

فى نموذج فيشر (١٩٨٧) **Fisher** السردى، يُشكِّل الاتساق (أو الاحتمالية **probability**) أحد مبدئين يتم تقييم السرديات من خلالهما، والآخر هو الصدق

fidelity. إن الاتساق يتعلق بتماسك consistency وتكامل integrity الـــسردية – إلى أى مدى تترابط جيدًا مع بعضها البعض كقصة. وهذا يتضمن تقييم الـــسردية بناء على اتساقها البنيوى، واتساقها المادى، واتساقها الشخوصى.

السرديات التصورية Conceptual narratives

إن ســـومرز وجيبـــسون (Somers and Gibson 1994)، كمُنظِّـــرتين اجتماعيتين، تُحدِّدان السرديات التصورية بوصفها ''مفـــاهيم وتفـــسيرات نبنيهـــا كباحثين اجتماعيين''. إلا أن التعريف المُتبنَّى فى هذا الكتاب أوســـع مـــن هـــذا. ويمكن أن يتم فهم السرديات التصورية فهمًـــا أعـــم بوصـــفها ســـرديات أنظمـــة معرفية تتشكل من القصص والتفسيرات التى يصوغوها البـــاحثون فـــى أى حقـــل معرفى لأنفسهم وللآخرين حـــول موضـــوع بحـــثهم. انظـــر أيـــضًا الـــسرديات الأنطولوجية؛ والسرديات الجماهيرية public narratives؛ والـــسرديات الـــشارحة meta-narratives.

الصـــراع conflict

عبارة عن موقف يسعى فيه طرفان أو أكثر من طرف إلى أن يُقوِّض كـــل منهم الآخر لأن لدى كل منهم أهدافًا متضاربة incompatible goals، أو مـــصالح متنافسة، أو قيمًا مختلفة اختلافًا جوهريًا.

التدجين المضاد counter-domestication

مصطلح مستخدم لدى ليو (Liu 1999) ليشير إلى المحاولات التى يقوم بهـــا حزب ما ليُبرِّر بها وضعه من خلال تبنى مصطلحات خـــصمه فـــى المنـــاظرة. ويفترض ليو أنه بهذا ''الأسلوب الغريب للحِجـــاج عبـــر الثقـــافى''، ''يجـــازف الحزبان المتعارضان بالدخول إلى 'أرض' الآخر ويسعى كل طرف إلى أن يكسب 'المعركة' من خلال إثارة 'حرب أهلية' فيمـــا وراء خطـــوط العـــدو'' (١٩٩٩: ٣٠٩). إن هذه الاستراتيجية تجعل من الأكثر صعوبة للخصوم أن ''يحافظوا على تركيزهم على هدف نقدهم أو أن يواصلوا هجومهم الحِجاجى'' (١٩٩٩: ٣٠٥).

تشويش الثقافة Culture Jamming

شكل راديكالي من التقويض المبنـي علـى النـوع للـسرديات المهيمنـة. فالتشويش الثقافى هو ''ممارسة المحاكاة الساخرة فى الإعلانات والعبث بلوحـات الإعلانات من أجل تغييـر صـورها بـشكل كـارثى'' (Klein 2000: 280). إن مناهضى الإعلانات Adbusters، أولئك الذين ينخرطون فى التـشويش الثقـافى، يجادلون أنه بما أن معظمنا فى وضع لا يمكننا فيه أن نسترجع عن طريق الـشراء هذه الفضاءات وأن نعرض رسائلنا، فإنه يحق لنا أن نرد بالمقابـل علـى صـور الثقافة الشائعة corporate culture. إنهم يصوغون ''سرديات مـضادة تختـرق أسلوب التواصل الخاص بشركة ما لإرسـال رسـالة مناقـضة بـشدة للرسـالة المقصودة'' (Klein 2000: 281).

سرديات الأنظمة المعرفية Disciplinary narratives (انظـر الـسرديات التصورية)

التحبيك Emplotment (انظر التحبيك السببى)

الصدق Fidelity: يمثل الصدق، فى نموذج فيشر السردى، أحد مبدئين يتم تقييم السرديات وفقًا لهما، والمبدأ الثانى هو الاتساق. ويُقيَّم الـصدق مـن خـلال اختبـار السردية بناء على ''صلابة التعليل وقيمة قيمـه'' (Fisher 1987: 88). انظـر أيـضًا منطقالأسباب logic of reasons؛ منطق الأسباب الوجيهة logic of good reasons.

سرديات النظام الأول :First-order narratives

تتألف سرديات النظـام الأول (Hinchman 1997a: xvii) مـن القـصص الشخصية التى نحكيها لأنفسنا والتى تُماثل إلى حد بعيد السرديات الأنطولوجية كما هى مُحدَّدة فى هذا الكتاب. انظر أيضًا سرديات النظام الثانى.

الإطار Frame، التأطير Framing

إن الأطر، فى هذا الكتـاب، عبـارة عـن بنـى اسـتباقية structures of anticipation، حركات استراتيجية تُطلق بشكل واعٍ لعرض سرد فى ظل ضـوء

معين. والتأطير عبارة عن عملية فاعلة من الدلالة نشارك بواسطتها في بناء الواقع.

غموض الإطار Frame ambiguity

طبقًا لجوفمان، هو ''الشك الخاص الذى ينشأ حول تحديد الموقف'' (١٩٧٤: ٣٠٢). ويُمثل غموض الإطار سمة من سمات الحياة اليومية وغالبًا ما يَخْبُرُه أطراف مختلفون فيما يتعلق بصراع ما بوصفه مُنتَجًا ثانويًا للمحاولات المتنافسة لإضفاء الشرعية على نسخ مختلفة لسردية معينة.

فضاء الإطار Frame space

إن المشاركين فى أى تفاعل يلعبون أدوارًا مختلفة (مذيع، مؤلف، مترجم، نائب عام)، وينخرطون فى التفاعل بمقادير مختلفة (متكلم، قارئ، مُخاطَب أساسى، سامع بالصدفة **overhearer**، متنصت **eavesdropper**)، ويتخذون مواقف مختلفة تجاه الحدث والمشاركين الآخرين (داعم، مُنتقد، غير مبال، محايد، دخيل جاهل، ملتزم). وتُشكِّل المحصلة الإجمالية لكل هذه الإمكانيات ما يدعوه جوفمان **Goffman (1981)** فضاء إطار المشارك. وفضاء الإطار هذا ''مُخصَّص معياريًا'' (١٩٨١: ٢٣٠) – إسهام يُعد مقبولاً حين يبقى داخل فضاء الإطار المُخصَّص للمتكلم أو الكاتب وغير مقبول حين يقع خارج ذلك الفضاء.

النوعية Genericness

النوعية سمة للسردية **narrativity** ناقشها برونر فى برونر **(Bruner. 1991)** إذ يجب أن يتم تشكيل السرديات داخل أطر عمل راسخة للسرد **narration** لكيما تكون قابلة للفهم وفعَّالة. إن أطر العمل هذه ''تُمد الكاتب والقارئ بـ 'نماذج' مُلائمة ومُتعارَفة من أجل تحديد المهمة التأويلية لفهم الأحداث الإنسانية،، .(١٩٩١: ١٤) وأطر العمل المتناولة هى الأنواع **geners**، بمعنى ''نوعيات'' السرد المعروفة: الفارس، الكوميديا السوداء، المأساة، رواية التربية **Bildungsromn**، الرومانس، الهجاء السياسى **satire**، ملحمة الرحلات **travel saga**، وما شابه (المرجع السابق).

الأنواع Genres

عبارة عن أنواع مُتعارَفة من السرد تُوفِّر أطر عمل راسخة للسرد. ويُمد التعرف النوعى الخبرة السردية بالاتساق **coherence** والتلاحم **cohesiveness**، والإحساس بالإحاطة **boundedness**. كما تتيح لنا أن ندركها بوصفها تمثيلاً **instantiation** لممارسة تواصلية قابلة للتعرف عليها؛ دالة ومتمايزة. كما تُشجعنا أيضًا على أن نسقط خصائص معينة على الخبرة السردية. انظر أيضًا النوعية.

الأسباب الوجيهة Good reasons

يقع هذا التصور فى القلب من نموذج والتر فيشر السردى. إن الأسباب الوجيهة عبارة عن ''العناصر التى تُوفر مُسوِّغات للقبول أو التمسك بالإيعاز الذى يُعززه أى شكل من أشكال التواصل الذى يمكن أن يعد بلاغيًا'' (**Fisher 1987: 48**). والمُسوِّغ هو ''ذلك الذى يُخوِّل، أو يُجيز، أو يُبرِّر المعتقد، أو السلوك، أو الفعل – هذه هى الأشكال الاعتيادية من الإيعاز البلاغى **rhetorical advice**'' (١٩٨٧: ١٠٧). إن مفهوم الأسباب الوجيهة مبنى على افتراض أن ''الكائنات الإنسانية كائنات مُقيِّمة بقدر ما هم كائنات مُفكِّرة.'' (١٩٩٧: ٣١٤). انظر أيضًا منطق الأسباب الوجيهة.

إمكانية التأليف الهيرمنيوطيقى Hermeneutic composability (انظر العلائقية)

التسمية Labelling

استراتيجية من الاستراتيجيات المُناقَشة تحت ''تأطير السرديات فى الترجمة'' (الفصل السادس). وتُشير التسمية إلى أى عملية خِطابية تتضمن استخدام مكون معجمى، لفظ أو عبارة لتعيين شخص، أو مكان، أو جماعة، أو حدث، أو أى مكون من المكونات المفتاحية الأخرى فى السردية. انظر أيضًا التأطير الزمانى والمكانى، الاستملاك الانتقائى للمادة النصية؛ إعادة التموقع.

منطق الأسباب الوجيهة Logic of good reasons

فى نموذج فيشر السردى، مبدأ الصدق هو النمط الأهم من نمطى المنطق المستخدمين فى التطبيق، والآخر هو منطق الأسباب. ويرتبط منطق الأسباب الوجيهة بشكل مُحدَّد بالقيم – وليس بالوقائع أو الحُجج – وهو يقتضى اختبار السردية من خلال ترسيخ ما تكون القيم مغروسة فيه؛ وتقييم ملاءمة واستقامة هذه القيم؛ مع وضع عواقب قبول العالم الواقعى للقيم المُتشكِّلة فى السردية فى الاعتبار؛ وتقرير إذا ما كانت القيم المُعبَّر عنها فى السردية متوافقة مع خبرة المرء الخاصة بالعالم؛ وقبل كل شىء، تقرير إذا ما كانت ''القيم التى تطرحها الرسالة... تُشكِّل الأساس المثالى للسلوك الإنسانى'' (**Fisher 1987: 109**).

منطق الأسباب Logic of reasons

فى نموذج فيشر السردى، أحد نمطى المنطق المُستخدَم فى التطبيق هو مبدأ الصدق، والآخر هو منطق الأسباب الوجيهة. ويتطلب منطق الأسباب اختبار السردية على نطاق واسع من منظور المنطق التقليدى: تمثيلها للوقائع، ونماذج الاستدلال والتضمن **implicature**، وصلة التبرير بطبيعة المشكل. ويتألف منطق الأسباب من خمسة مكونات (**Fisher 1987:108**–٩): التحقق من أن العبارات المُضمَّنة فى الرسالة التى تزعم أنها وقائع **facts** هى بالفعل وقائع؛ وإثبات إذا ما كانت أى وقائع ذات صلة قد حُذِفَت، أو شُوِّهت أوعُرِضَت خارج السياق؛ وتقييم نماذج متنوعة من التفكير، باستخدام مقاييس من المنطق العامي **informal logic**؛ وتقييم صلابة وترابط الحُجج المعروضة؛ وتقرير إذا ما كانت السردية تُخاطب القضايا 'الواقعية'، أى تلك التى تكون مرتبطة بالسياق المُحدَّد.

السرديات الكبرى Master narratives (انظر السرديات الشارحة)

الحبكات الكبرى Master Plots

الحبكات الكبرى، كما هى مُستخدَمة فى هذا الكتاب، عبارة عن قصص هيكلية **skeletal stories** تربط سلسلة من العناصر الخام **raw elements** بطرائق مختلفة. انظر الخصوصية **particularity**.

الاتساق المادى Material coherence

فى نموذج فيشر السردى، يمثل الاتساق المادى نمطًا من ثلاثة أنماط للاتساق تؤثر على تقييمنا للسرديات. ويتعلق الاتساق المادى بالكيفية التى ترتبط بها السردية بسرديات أخرى لها علاقة بالقضية ذاتها ونحن على ألفة بها. وبشكل أكثر تحديدًا، ما الوقائع التى قد تُهوِّن من شأنها، أو قد تتجاهلها، وما الحُجج المضادة التى تختار ألا تشتبك معها، وما المعلومات أو القضايا التى تُغفلها؟ إذ لا توجد قصة فى الفراغ، ولأن كل السرديات راسخة فى سرديات أخرى فإنه يجب أن يتم تقييمها داخل هذا السياق الأوسع. انظر أيضًا الاتساق البنيوى، والاتساق الشخوصى.

السرديات الشارحة Meta-narratives

السرديات الشارحة هى السرديات 'المنغرسون فيها كفاعلين معاصرين فى التاريخ... التقدم، الانحطاط **Decadence**، التصنيع، التنوير، إلخ.' (**Somers and Gibson 1994: 61**). كما يمكن أن تكون السرديات الشارحة أيضًا، بالنسبة لسومرز (**Somers 1992: 605**)، 'الدرامات الملحمية لزمننا: الرأسمالية فى مقابل الشيوعية، الفرد فى مقابل المجتمع، البربرية/الطبيعة فى مقابل التمدن'. وعلى الرغم من أن الخط الفاصل بين السرديات الجماهرية والسرديات الشارحة مائع، فإن السردية بشكل عام تتطلب أن يكون لها انتشار زمنى وجغرافى يُعتد به، وكذلك إحساس بالحتمية **inevitability** أو المصيرية **inescapability**، لكيما يتم تكييفها بوصفها سردية شارحة. إن السرديات الشارحة والسرديات الكبرى غالبًا ما تُستخدم لتعنى الشىء ذاته. انظر أيضًا السرديات الأنطولوجية؛ السرديات الجماهيرية؛ السرديات التصورية.

الموتيف Motif

يُحدِّد هيرمان وآخرون (**Herman et al. (2005: 322**) الموتيف بوصفه '''أداة جاهزة مُتحركة'' تظهر فى فترات وأنواع عديدة' ويُوضِّح أن 'بعدها

المضمونى' يُشكِّل الشخصية، والحدث، والأشياء، والمراحل الزمنية والاستعدادات. وفى دراسات الفولكلور، تُفهرَس الموتيفات بعناية بما يتيح تتبع تطورها وتعيناتها المختلفة عبر الثقافات واللغات. إذ يؤشر ترميز أ لـ 'ب'، على سبيل المثال، حضور موتيف 'الحيوانات' فى الحبكة، وتؤشر 'ق' 'الإثابات والعقوبات'، وتؤشر 'س' 'الفكاهة'. كما يمكن بالتالى اشتقاق مركبات أخرى من هذه العناوين؛ على سبيل المثال، 'ل' تؤشر موتيف الحبكة 'العكسية' **'the plot motif of 'reversal**، و'ل١٦٢' هو رقم موتيف عنصر حبكة 'البطلة المتواضعة الأصول تتزوج الأمير.' وفى نظام فهرسة آخر لحكايات كاملة معروف بتنميط آرني- طومسون **Aarne-Thompson**، يُشار إلى حكاية كاملة بوصفها 'نمطًا' فى حين يشير مصطلح الموتيف إلى حدث مفرد أو إجراء سردى **narrative procedure**. وهكذا يصبح دارسو الفولكلورقادرين، من خلال الاعتماد على كلا النظامين، على أن يعقدوا صلة واضحة بين نسخة محليَّة لقصة ما و'النموذج القياسى المعتمد' **'canon'**الذى تنتمى إليه.

السرد (يات) Narrative (s)

يشكل السرد الأسلوب المبدئى والحتمى الذى نَخْبُر من خلاله العالم. والسرديات هى القصص التى نحكيها لأنفسنا وللأشخاص الآخرين عن العالم الذى نحيا فيه (أو العوالم التى نحيا فيها). وهذه القصص تُبْنَى - لا تُكتشَف - من خلالنا فى مسار فهمنا للواقع، وتُوجِّه سلوكنا وتفاعلنا مع الآخرين. وبهذا المعنى، يمكن أن يتم استخدام مصطلحى ''السردية'' و''القصة'' بشكل تبادلى.

التراكم السردى Narrative accrual

إحدى السمات المُناقَشة بإيجاز لدى برونر (**Bruner 1991**). وفى هذا الكتاب، يُفهَم التراكم السردى بوصفه نتاج التعرض المتكرر لمجموعة من السرديات المترابطة، ليقود فى النهاية إلى تشكيل ثقافة أو تراث أو تاريخ. ويمكن أن يكون هذا التاريخ شخصيًا، كما هو فى حالة السرديات الأنطولوجية. ويمكن أن

يكون أيضًا جماهيريًا، بما فى ذلك السرديات المؤسسية والخاصة بالشركات corporate، وهكذا يقود فى النهاية إلى تفصيل السرديات الشارحة. كما يمكن أن يكون تصوريًا، حيث يمكن أن نتحدث عن تراكم سردى يُشكِّل تاريخ مجال معرفى ما أو تاريخ تصور معين يتحرك عبر مجالات معرفية بعينها.

التعاقبية السردية diachronicity Narrative (انظر الزمنية)

المعيارية Normativeness

سمة من سمات السردية **narrativity** المُناقَشة لدى برونر (**Bruner 1991**). ويجادل برونر أنه 'لأن للسرد ''قابليته للحكى'' كشكل من أشكال الخطاب يقوم على خرق التوقع المتعارف، فإنه بالضرورة معيارى. ذلك أن الخرق يفترض سلفًا معيارًا. ويقود هذا الشرط التأسيسى للسرد دارسى الموضوع... إلى افتراض أن السرد ينشغل انشغالاً مركزيًا بالشرعية الثقافية' (١٩٩١: ١٥). فالمعيارية سمة لكل السرديات **narratives**، سواء كانت مُهيمِنة أو مُهمَّشة. ولذلك، فإن للتنشئة الاجتماعية داخل أى نظام سردى جانبها القمعى. انظر أيضًا النماذج القياسية المعتمدة والخرق.

السرديات الأنطولوجية Ontological narratives

هى القصص الشخصية التى نحكيها لأنفسنا حول مكاننا فى العالم وتاريخنا الشخصى الخاص. وهى بينشخصية واجتماعية بطبيعتها لكنها تظل متركزة على الذات وعالمها المباشر. إن هذه السرديات للذات تعتمد على السرديات الأوسع وتغذيها بدورها بالسرديات الأكبر التى تكون منغرسة فيها. انظر أيضًا السرديات الجماهيرية؛ والسرديات التصورية، والسرديات الشارحة.

الخصوصية Particularity

تعنى الخصوصية، فى نموذج برونر (١٩٩١)، أن السرديات تشير إلى أحداث مُحدَّدة وأشخاص مُحدَّدين لكنها مع ذلك تفعل هذا ضمن إطار عمل أعم من

'أنماط القصة' يمنح الحوادث معاناها وفحواها. وفى النهاية تستمد كل سردياتنا من مجموعات من الخطوط القصصية الهيكلية المتكررة الموتيفات، ويمكن أن تختلف هذه المجموعات فى كليتها أو فى تفاصيلها المُحدَّدة عبر الثقافات.

الاحتمالية Probability (انظر الاتساق)

السردية التقدمية progressive narrative

طبقًا لجرجن وجرجن (Gergen and Gergen 1997)، هى نمط من أنماط السردية الأنطولوجية تُصوِّر نموذجًا من التغير للأفضل عبر الزمن. وتتيح السرديات التقدمية للأشخاص أن يروا أنفسهم على أنهم قادرون هم وبيئاتهم على الارتقاء. انظر أيضًا السرديات النكوصية **regressive narratives**؛ وسرديات الاستقرار **stability narratives**.

السرديات الجماهيرية Public narratives

هى عبارة عن قصص تصوغها وتتداولها تشكيلات اجتماعية ومؤسسية أكبر من الفرد، مثل الأسرة، والمؤسسة الدينية أو التعليمية، ووسائل الإعلام، والأمة. وتقدِّم سومرز (**Somers 1992: 604**) كأمثلة على السرديات الجماهيرية قصصًا حول 'الحراك الاجتماعي الأمريكى'، 'الرجل الانجليزى المولود حرًا'، و'قصة الاشتراكية التحررية'. انظر أيضًا السرديات الأنطولوجية؛ والسرديات التصورية؛ والسرديات الشارحة.

السردية النكوصية Regressive narrative

هى نمط من أنماط السردية الأنطولوجية يشدِّد على نموذج للتدهور أو التحول للأسوأ. ويعزو جرجن وجرجن (١٩٩٧) وظيفة تحفيزية مهمة للسرديات النكوصية. انظر أيضًا سرد الاستقرار، والسرد التقدمى.

العلائقية Relationality

عبارة عن سمة محورية للسردية **narrativity** فى كل من نموذج سومرز المفصل (١٩٩٢، ١٩٩٧) ونموذج سومرز وجيبسون (١٩٩٤). وتعنى العلائقية

('إمكانية التأليف الهيرمنيوطيقية' لدى برونر ١٩٩١) أنه من المستحيل للعقل الإنسانى أن يعطى معنى لأحداث منفصلة أو لخليط من الأحداث غير المتشكلة بوصفها سردية. انظر الزمنية **temporality**؛ التحبيك السببى؛ الاستملاك الانتقائى **selective appropriation**.

إعادة الموضعة **Repositioning**

هى إحدى الاستراتيجيات المُناقشة تحت 'السرديات المُؤطِّرة فى الترجمة' (الفصل السادس). إذ يمكن للمترجمين والمترجمين الشفاهيين أن يعيدوا بفعالية تأطير السردية المباشرة وكذلك السرديات الأكبر التى تكون مغروسة فيها من خلال إعادة تنظيم دقيقة للمشاركين فى الزمان والفضاء الاجتماعي/السياسى. كما يمكن أن تُعاد موضعة المشاركين بالنسبة لبعضهم البعض وبالنسبة للقارئ أو السامع من خلال الإدارة اللغوية للزمن، والمكان، والإشاريات **deixis**، واللهجة، والسجل **register**، واستخدام النعوت، ووسائل متنوعة للتعرف على الذات والآخرين. انظر أيضًا التأطير الزمانى والمكانى؛ الاستملاك الانتقائى للمادة النصية؛ والتسمية.

سرديات النظام الثانى **Second-order narratives**

طبقًا لهينشمان وهينشمان (**Hinchman and Hinchman 1997a: xvii**)، فإن سرديات النظام الثانى هى القصص التى يصوغها المؤرخون ليعيدوا بناء الماضى. وهى 'تتضمن تأملات من قبل مشاهد غير متورط (عادة) فى أفعال وقصص المشاركين فى الأحداث ذاتها'. ولا تتماثل هذه الفئة بشكل مباشر مع أى فئة من فئات سومرز وجيبسون، وإنما تتداخل إلى حد ما مع السرديات التصورية. انظر أيضًا سرديات النظام الأول.

الاستملاك الانتقائى **Selective appropriation**

هو أحد السمات المحورية للسردية **narrativity** لدى سومرز (**Somers 1992, 1997**) وسومرز وجيبسون (**Somers and Gibson 1994**). فلكى

تصاغ سردية متسقة، لا مناص من استبعاد بعض مكونات الخبرة وتفضيل بعضها الآخر. إذ تُبنى السرديات طبقًا لمعايير تقيمية تُمكّن وتُوجِّه الاستملاك الانتقائى لمجموعة من الأحداث التى تُشكِّل الخبرة. انظر أيضًا الزمنية؛ والعلائقية؛ والتحبيك السببى.

الاستملاك الانتقائى للمادة النصية

Selective appropriation of textual material

هو أحد الاستراتيجيات المُناقَشة تحت عنوان 'السرديات المُؤطِّرة فى الترجمة' (الفصل السادس). ويُدرك الاستملاك الانتقائى فى نماذج الحذف والإضافة المُصمَّمة لقمع، أو نبر، أو إبراز جوانب معينة من السردية المُشفَّرة فى النص أو التلفظ المنطلق منه **the source text or utterance**، أو جوانب السردية (أو السرديات) الأكبر المنغرسة فيها. انظر أيضًا التأطير الزمانى والمكانى؛ والتسمية؛ وإعادة الموضعة.

التأثير الغافى effect Sleeper

إن التأثير الغافى، المبنى على نتائج البحث فى علم النفس، يُنبئ أن الرسالة مع الزمن تنفصل عن مصدرها. وبشكل أكثر تحديدًا، فقد برهن هوفلاند وويز (**Hovland and Weiss 1951**) أنه مع مرور الزمن ''يوجد انخفاض فى مدى الاتفاق مع مصدر المصداقية العليا، بل ازدياد فى حالة مصدر المصداقية الدنيا' (١٩٥١: ٦٤٥، التشديد فى الأصل). وهذا يعنى أن الاتساق الشخوصى يُؤثر على رد فعلنا الابتدائى تجاه السردية بل ينخفض تأثيره مع الزمن فى حالة الشخوص التى ندركها بوصفها متسقة وتتزايد في حالة الشخوص التى ندركها بوصفها مُفككَّة **incoherent**.

سردية الاستقرار Stability narrative

طبقًا لجرجن وجرجن (١٩٩٧)، هى نمط من أنماط السردية الأنطولوجية تُصوِّر موقف الفرد بوصفه مستقرًا، مع تغيير ضئيل أو انعدام تام للتغيير عبر

الزمن. وتعكس سرديات الاستقرار الاحتياج للعالم ليظهر بشكل منظم وقابل للتنبؤ به. انظر أيضًا السرد التقدمى؛ والسرد النكوصى.

القصة Story (انظر السرد)

الاتساق البنيوى Structural coherence

هو نمط من ثلاثة أنماط للاتساق، فى نموذج فيشر السردى، تؤثر على على تقييمنا للسرديات. ويتعلق الاتساق البنيوى – أو الحِجاجى – بتماسك واستقامة السردية – سواء كان يكشف أو لا يكشف التناقضات داخل ذاته 'فى الشكل أو التدليل' (**Fisher 1997: 315**) انظر أيضًا الاتساق المادى؛ والاتساق الشخوصى.

التأطير الزمانى والمكانى Temporal and spatial framing

إحدى الاستراتيجيات المُناقَشة تحت عنوان 'السرديات المُؤطَّرة فى الترجمة' (الفصل السادس). وتتضمن اختيار نص معين وغرسه فى سياق زمانى ومكانى يبرز السردية التى يصوِّرها ويُشجّعنا أن نعقد الصلات بينه وبين السرديات الراهنة التى تمس حيواتنا، على الرغم من أن أحداث السرد المُنطلَق منه يمكن أن تكون موضوعة داخل إطار عمل زمانى ومكانى مختلف تمامًا. وهذا يتفادى الاحتياج للمزيد من التدخل فى النص ذاته، على الرغم من أنه لا يستبعد بالضرورة مثل هذا التدخل. انظر الاستملاك الانتقائى للمادة النصية؛ التسمية؛ إعادة الموضعة.

الزمنية Temporality

إحدى السمات المحورية للسردية على نحو ما هى مُفصّلة فى عمل سومرز (١٩٩٢، ١٩٩٧) وسومرز وجيبسون (١٩٩٤). وتُشير الزمنية إلى انغراس السرد فى الزمان والمكان وتُفهم بوصفها مكونًا للسردية وليس بوصفها طبقة إضافية للقصة أو مُنفصِلة عنها. ويستخدم برونر (١٩٩١) مصطلح 'التعاقبية السردية' ليشير إلى السمة ذاتها. انظر العلائقية؛ والتحبيك السببى؛ والاستملاك الانتقائى.

القضية/القيم المتعالية

هى، فى نموذج فيشر السردى (١٩٨٧)، عبارة عن مكون من مكونات منطق الأسباب الوجيهة، وأهم عنصر فى مبدأ الصدق. والقيم المتعالية هى 'القيم المطلقة' التى نحيا بها ويمكن أن تفوق أى اعتبار فى تقييم السردية.

السرديات الرأسية

طبقًا لبرات (Pratt . 2003)، تعمل السرديات الرأسية من خلال التعارض. على سبيل المثال، إنها تُفسِّر من هم الأكراد فيما يتعلق بكيف يختلفون عن 'آخر' مُحدَّد، مثل العراقيين، أو الأتراك. انظر أيضًا السرديات السيرذاتية.

الهوامش

الفصل الأول: المقدمة

(١) إن مقاربة فوكو للقوة تقلل على نحو مشابه من أهمية قضية الصراع القابل للملاحظة، إذ تقرر أن القوة تتخذ أشكالاً عديدة، وعلاوة على ذلك تموقع ممارسة القوة بالكيفية التى يبنى بها النظام الاجتماعى والسياسى الواقع لنا. إلا أن فوكو، على العكس من لوكس، يرى جانبًا إيجابيًا ومنتجًا للقوة، مؤكدًا، على سبيل المثال، أن ''الجنسانية'' منتج إيجابى للقوة أكثر بكثير من أن تكون القوة قد كانت فى أى وقت مضى كبتًا للجنسانية' (١٩٨٤: ٦٢).

(٢) إن قدرًا كبيرًا من الأدبيات فى دراسات الترجمة يتعامل مع سمات مثل نوع أو جنسانية المترجم كمُحدِّدات ثابتة ومفردة للسلوك.

(٣) يقر هيرمانز (Hermans 2002:) 'الحاجة إلى خلق مسافة ذاتية معينة داخل الخطاب الخاص بالترجمة' ويواصل ليقترح بوضوح تحولاً تجاه السردية كوسيلة من وسائل تطوير موقف الذات الانعكاسى فى دراسات الترجمة (٢٠٠٢: ٢١). إلا أنه لا يناقش ما الشكل الذى يمكن أن يتخذه هذا التحول المحتمل.

الفصل الثانى: تقديم النظرية السردية

(١) مع ذلك، لا يتبنى كل المنظرين الاجتماعيين ومنظرى التواصل هذه الرؤية. ويجادل نوفيتز (Novitz 1997: 156)، على سبيل المثال، بأنه 'لا يوجد سبب وجيه لإنكار وجود ما يطلق عليه وقائع ما قبل سردية، أو للإصرار على... أن كل خبرة ومعرفة يجب أن تتوسطها سردية أو أن تُستمَد من سردية. إذ ليست كل التفسيرات سرديات، ولا كل النظريات، أو الأوصاف، أو القوائم، أو الحوليات، أو السجلات التاريخية.... إن إخبار شخص ما بتسلسل سببى (أن الطعام يُغذِّى أو أن الأشخاص المحرومين من الماء لا بد من أن يموتوا من الجفاف) لا يعنى بأى صورة حكى قصة إلا بالمعنى الأكثر اتساعًا لهذه الكلمة' (التشديد فى الأصل).

(٢) وهو يبرهن أيضًا على أن ثمة استراتيجيات للمراوغة يمكنها أن تقوِّض فائدة مثل هذه الجهود. إذ كان يتم، على سبيل المثال، إخفاء الأطفال عن المسئولين فى الإحصاء العثمانى للفلسطينيين لتجنب التجنيد الإلزامى مستقبلاً فى الجيش.

(٣) دافيد كيلى، مُرشّح لجائزة نوبل للسلام، وقد كان خبير أسلحة عمل فى العراق بين ١٩٩١ و١٩٩٨ وأحد كبار مستشارى الأمم المتحدة فى الحرب البيولوجية فى العراق من ١٩٩٤ إلى ١٩٩٩. وفى عام ٢٠٠٣، عقب غزو العراق بقيادة أمريكا وبريطانيا، دفع به إلى أضواء وسائل الإعلام بعد أن تم تقديمه على أنه مصدر التسريبات التى قوّضت مصداقية الحكومة البريطانية: لقد زعم أن الحكومة 'ضخّمت' 'sexed up' ملفًا عن قدرة أسلحة العراق وأنها قد استخدمت ذلك لتكسب دعم البرلمان للغزو. وبعد يومين من مواجهته لاستجواب منهك من لجنة برلمانية، وجد ميتًا، وكأنها قد سلبته حياته.

(٤) انظر www.geocities.com/ru00ru00/racismhistory/19thent.html (تم الاطلاع عليه بتاريخ ١١ يوليو ٢٠٠٥).

(٥) بعد أن توفيت، عُرِضَت أعضاء سارتيج بارتمان الجنسية ومخها فى المتحف الوطنى فى باريس. تقريبًا بعد أن غادرت كيب تاون إلى لندن بمائتى عام، إلا أنها أعيدت لتدفن فى أرض الوطن، فى كيب الشرقية، فى يوم المرأة، فى ٩ أغسطس ٢٠٠٢.

(٦) لم يعد هذا المقال موجودًا ضمن أرشيف موقع الجارديان، حيث ظهر لأوّل مرة. لكنه مع ذلك مُتاح فى العديد من المواقع الأخرى. إذ بخلاف الموقع المذكور فى البيبلوجرافيا فى نهاية هذا الكتاب، يمكن أيضًا أن تجده فى
www.monabaker.com/pMachine/more.php?id=2011_0_1_120_M6 (تم الاطلاع عليه بتاريخ ١١يويو ٢٠٠٥).

(٧) جوزيف مساد، بيان للجنة المُخصَّصة:
http;//www. censoringthought.org/massadstatementtocommittee.html (تم الاطلاع عليه فى ٣ أبريل ٢٠٠٥).

(٨) وردت فى التورنتو ستار .the Toronto Star
http;//www.thestar.com/NASApp/cs/ContentServer?pagename=thestar/Layout
Article_Type1=&Article&cid=1113342617962&call_pageid=968256290204
&col=968350116795
(تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٤ يوليو ٢٠٠٥).

(٩) تمثّل العلاقة بين السردية والواقع قضية مختلفة عن تلك الخاصة بالسردية بوصفها إما الصيغة الوحيدة أو الرئيسة التى نَخْبُر من خلالها العالم، أو أنها صيغة من بين صيغ عديدة من هذا النوع. وفى عمله الأسبق، ميز برونر (Bruner 1985) بين المعرفة النموذجية paradigmatic cognition والمعرفة السردية كأسلوبين للاشتغال المعرفى cognitive functioning، مُستندًا على الجانب الخاص برؤية السردية بوصفها الصيغة الوحيدة أو الرئيسة التى نفهم من خلالها العالم. إن المعرفة النموذجية تعمل من خلال فئات وتصنيفات ومن خلال الحجاج العقلانى التقليدى. إن المعرفة السردية تتألف من أوصاف قصصية للأحداث والأفعال.

(١٠) إن زانج مهتم بشكل واضح بتضمينات هذا الجدل حول قضايا الحكم الأخلاقى: 'إذا لم تكن هناك طريقة لمعرفة ما هى الوقائع، أو أن تصبح مسألة الوقائع غير ذات صلة بالمرة، وإذا كانت التواريخ المتنافسة ليست شيئًا آخر سوى بنيات خطابية مختلفة تحاول 'أن تجيز صيغة معينة لتفسيرها دون صيغة أخرى'، ومن ثم كيف يمكننا أن نصدر حُكمًا على قيمها ومصداقيتها النسبية؟ إذ بدون طرائق لتقييم درجة الحقيقة أو دعاوى الحقيقة، على أى خلفية مشروعة يمكننا أن نُساند الحقيقة ونُدين تزييفها، ونُناضل من أجل العدالة الاجتماعية ضد الظلم والخداع فى التاريخ الماضى وكذلك فى زمننا؟' (٢٠٠٤: ٣٩٧).

(١١) إن الدارسين العاملين فى حقل السرديات لن يقروا بالضرورة الرؤية المُتبناة هنا للسردية، اعتمادًا على الدرجة التى يشتبكون بها مع مناقشات مجالات أخرى للسردية.

(١٢) يستنتج ليو أنهم 'استراتيجيًا بوضعهم أنفسهم مع بعض المواقف والمنظورات الغربية ضد مواقف ومنظورات أخرى، سيكونون قادرين على طمس الحد الفاصل بين الذات والآخر، أو بين البطل وعدوه فى جدل مشترك، مما يجعل محافظة معارضيهم على تركيزهم على هدف نقدهم أو مواصلة هجومهم الحِجاجى أكثر تعقيدًا وصعوبة' (١٩٩٩: ٣٠٥).

(١٣) إن إنجليرى (Inghilleri 2005) تشير كذلك إلى أن طالبى اللجوء يكونون فى بعض الأحيان واعين بقيمة 'علامات' معينة – وربما بتفاصيل سردية – فى الثقافة المضيفة ويوظفون هذا الوعى لفائدتهم الخاصة.

(١٤) لقد ظلت الولايات المتحدة الأمريكية غير ناجحة بشكل منفرد فى هذه المحاولة. ويُوضّح بوث (Booth 2004) فشلها على النحو التالى: 'لقد حاول الرئيس بوش أحيانًا أن يتفادى الكراهية الشاملة لكل المسلمين، كما لو كان يعمل ليحقق السلام على نطاق عالمى والديموقراطية فى كل مكان. إلا أن معظم كلماته كانت تشير إلى أولئك الذين يقعون ''فى الخارج''، المُعارضين، والمُعارضين المحتملين، لقد كانت كلمات تهديد أو كراهية، توظف الثورة العسكرية كما لو أنه لم تقع الثورة فى وسائل الإعلام. وأيًا كان الهدف الواعى المُلهم للبلاغة، فقد كان التأثير هو زيادة عدد الأعداء بدلاً من تقليصه. وحين سُئل عن ارتفاع التفجيرات الاحتجاجية فى العراق، كان رده ''ليأتوا بما لديهم''.

الفصل الثالث: تنميط السرد

(١) إن مصطلح 'الأنطولوجية' هو مصطلح سومرز وجيبسون، الذى تعنيان به بصرامة سرديات الذات. ويميز هينشمان وهينشمان (Hinchman and Hinchman (1997a: xvii) بين سرديات النظام الأول وسرديات النظام الثانى. وتتألف سرديات النظام الأول من القصص الشخصية

التى نحكيها لأنفسنا وهى تماثل فئة السرديات الأنطولوجية لدى سومرز وجيبسون. أما سرديات النظام الثانى فهى القصص التى يصوغوها المؤرخون ليعيدوا بناء الماضى وهى 'تتضمن تأملات من قبل مُشاهِد غير متورط (عادة) فى أفعال وقصص المُشاركين فى الأحداث ذاتها'. ولا تتماثل هذه الفئة بشكل مباشر مع أى فئة من فئات سومرز وجيبسون، وإنما تتداخل إلى حد ما مع السرديات التصورية (انظر القسم ٣-٣).

(٢) يشير ريفيز-إلينجتون (Reeves-Ellington 1999: 109)، مُتَبِعًا تومبسون (Thompson 1988)، إلى أن لدى ممارسى التاريخ الشفاهى، الذين يتضمن عملهم قدرًا كبيرًا من الترجمة والترجمة الشفاهية، ثلاثة خيارات لنشر سرديات - بمصطلحاتنا أنطولوجية - شفاهية. أولاً، إن قصة حياة أى فرد يمكن أن تنشر بذاتها، مع مقدمة موجزة جدًا للباحث. ثانيًا، يمكن أن تجمع معًا مقتطفات كاملة أو شاملة على أساس تيمة، أو حدث، أو جماعة اجتماعية وتنشر بوصفها مجموعة a collection، مع تعليق مُوسَّع. وأخيرًا، يمكن أن تُستخدَم مقتطفات موجزة من السرديات الفردية مع مادة أرشيفية لبناء حُجة. ومن منظورنا الراهن، فإن الخيارات الثلاثة كلها تعتمد فى النهاية على السرديات الأنطولوجية لتصوغ سرديات جماهيرية وتصورية أوسع، كما هو مُحدَّد فى القسمين ٣-٢ و٣-٣.

(٣) لعله من المثير أن استكشاف الكيفية التى تتشكل بها السرديات الأنطولوجية لتتشابك مع السرديات الجمعية the collective narratives لتحديد الأهداف فى ترجمات الكتابات السيرذاتية، وروايات شهود العيان، وأنماط متنوعة من الشهادة.

(٤) انظر www.news24.com/Content_Display/TRC_1chap.htm (تم الاطلاع عليه بتاريخ ١١ يوليو ٢٠٠٥).

(٥) وقد استخدمت سومرز (Somers 1992: 604) فى البداية التحديد الأطول 'السرديات الجماهيرية، والثقافية، والمؤسسية' وساوت هذه الفئة بـ 'شبكات الحوار' لتشارلز تايلور (Charles Taylor 1989) و'تقاليد' ألاسداير ماكنتير (Alasdair MacIntyre 'traditions' 1981).

٦- من أجل مثال جيد لكيف تتشكل خطابيًا سردية أسرية لأحداث واصطفافات سياسية، انظر جوردون (Gordon 2004)، حيث تصف الكيفية التى تشكِّل وتُنشِّئ بها أسرة فى الولايات المتحدة الأمريكية أفرادها عالميًا داخل سردية سياسية تُوجِّه اتخاذ القرار الانتخابى.

٧- إن سرديات دينية مثل تلك الخاصة بالمسيحية، والإسلام، واليهودية يمكن أن تعد سرديات شارحة وليس سرديات جماهيرية، طبقًا لتمييز سومرز وجيبسون، وإن كان الحد الفاصل بين الاثنين ليس من السهل رسمه.

(٨) www.gush-shalom.org/action19-9-2004.html (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٥ مارس ٢٠٠٥).

(٩) www.chechnya-mfa.info/paper/en_text.pdf (تم الاطلاع عليه فى ٢٥ مارس).

(١٠) www.prima-news.ru/eng/news/articles/2005/2/21/31249.html (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٥ مارس ٢٠٠٥).

(١١) كما هو مع أى سردية، فإن الفئات التى نبنيها لأنفسنا هى نتاج لموقعنا السردى. وقرار تفضيل سرديات تصورية (أو أنظمة معرفية) وتقديمها بوصفها فئة مستقلة فى هذه الحالة يكون متأثرًا بوضوح بالمواقع الأكاديمية التى يعمل فيها المُنظِّرون. وما من سبب لافتراض أن السرديات المهنية، على سبيل المثال، أقل أهمية أو أقل جدارة من فئة بعينها. وأنا ممتنة لأندرو ريد للفتة انتباهى إلى هذه النقطة.

(١٢) 'الحضارة الغربية، الكونفوشوسية، اليابانية، الإسلامية، الهندية، الأرثوذكسية–السلافية، الأمريكية اللاتينية، وربما الإفريقية. (Huntington 1993: 25).

(١٣) لقد تم تقديم مُراجعات كثيرة لكتاب هنجنتون الصادر عام ١٩٩٦ [صدام الحضارات] ومقاله السابق عليه الصادر عام ١٩٩٣ فى مجلة العلاقات الخارجية Affairs Foreign (١٩٩٣). ومن أجل تحليل مثير بشكل خاص لحدود سردية هنجنتون، انظر Said (2001)، حيث يرى أن فرضية ''صدام الحضارات'' أشبه ما تكون بحيلة لـ ''حرب العوالم''، وهى أفضل لتعزيز الدفاع عن الكبرياء الذاتى منها للفهم النقدى للاعتماد المتبادل المُربِك الخاص بزمننا'.

(١٤) http;//www.foreignaffairs.org/19930601faessay5188/samuel-p-huntington/the-clash-of-civilizations.html (تم الاطلاع عليه بتاريخ ١١ يوليو ٢٠٠٥).

(١٥) من كتاب ملخصات الأبحاث الخاص بندوة ماسترخت لودز ديو الدولية الرابعة the 4th International Maastricht-Lodz Duo عن الترجمة والمعنى، Maastricht, The Netherlands, 18-21 May 2005; p. 50.

(١٦) http://wsupress.wayne.edu/judaica/folklore/pataiafpi.htm (تم الاطلاع عليه بتاريخ ١١ يوليو ٢٠٠٥).

(١٧) من أجل رد مثير لبنات باطاى Patai's daughters 'إساءة قراءة العقل العربى' 'Misreading the Arab Mind'، انظر http://mailman.lbo-talk.org/pipermail/lbo-talk/Week-of-Mon-20040531/011965.html (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٥ مارس ٢٠٠٥). وهن يجادلن بأن 'البحث العلمى يمكن أن يُستخدَم أو يُساء استخدامه بطرائق لم يقصدها قط المؤلف ولم يتغاضَ عنها قط' ويصدق هذا على كل السرديات، إلا أنه يصدق بشكل خاص على السرديات التصورية.

(١٨) تُجادل هاتشون (Hutcheon 1988: 13) من منظور ما بعد حداثى، بأنه 'ما من سردية يمكن أن تكون سردية ''كبرى'' طبيعية: إذ لا تُوجد تراتبيات طبيعية؛ إنما تُوجد فقط تلك التى نبنيها'. وهذه الرؤية تتوافق توافقًا كاملاً مع تحديد السرديات الشارحة أو الكبرى المتبنى هنا. وتُواصل هاتشون (Hutcheon 1988: 13) لتقترح أنه 'هذا النوع من المساءلة المُورِّطة للذات هى ما يفترض أن تسمح للتنظير ما بعد الحداثى أن يتحدى السرديات التى تفترض مكانة ''كبرى'' دون أن تفترض بالضرورة تلك المكانة لنفسها'. إن منظور سومرز وجيبسون عن السرديات، بما فى ذلك السرديات الشارحة، يُشجِّعنا أيضًا أن نفكر فى السرديات التى تمس حيواتنا وأن نسائلها، حتى ونحن منغرسون بشدة فيها.

(١٩) إننى ممتنة لماريا بافيسى من جامعة بافيا فى إيطاليا لتنبيهى إلى هذا التمييز.

(٢٠) يقدِّم نوزيك (Nossek 1994) تحليلاً لافتًا لاستخدام المحرقة كإطار مرجعى فى صياغة التقارير الإخبارية الخاصة بالهجمات الإرهابية فى إسرائيل وتفسير 'الدور الممكن للصحافة فى تعزيز تلك السردية الكبرى' (١٩٩٤: ١٣١).

الفصل الرابع: فهم كيف تعمل السرديات ١

(١) هذه هى: التعاقبية السردية؛ والخصوصية؛ اللزوم القصدى للحال intentional state entailment؛ إمكانية التأليف الهرمنيوطيقى؛ والقياسية والخرق؛ والمرجعية؛ والنوعية؛ والمعيارية؛ وحساسية السياق وقابليته للتفاوض؛ والتراكم السردى.

(٢) ينتقد ريكور (Ricoeur 198 b: 167) 'نظرية التاريخ ونظرية السرديات الخيالية fictional narratives' لأن 'يبدو أنهما تُسلمان بأنه كلما وجد زمن فهو دومًا يوجد بشكل تتابعى، زمن خطى a linear time، مُحدَّد بتتابع الحوادث.'

(٣) هذا واضح من الأمثلة التى تُقدِّمها بولدن Bolden، إلا أنها ليست قضية من القضايا التى تناقشها بشكل صريح.

(٤) لقد اعتمدتُ هنا على ترجمات بولدن المباشرة للروسية. من أجل التلفظات الأصلية، ارجع إلى (Bolden 2000: 396-7).

(٥) www. epic.org/privacy/terrorism/hr3162.html (تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٢ يوليو ٢٠٠٥).

(٦) إن مفهوم التاريخية المُستخدَم هنا يتداخل مع ما يشير إليه ماكنتير بـ 'الترسيخ' 'embedding'، كما هو حين يذكر: 'الظاهرة السردية للترسيخ حاسمة: تاريخ الممارسة فى زمننا مُترسِّخ بشكل عام وبشكل مميز فى التاريخ الأوسع والأبعد للتقاليد ويغدو مفهومًا بناء

عليه ومن خلاله يتم توصيل الممارسة فى شكلها الراهن إلينا؛ ذلك أن تاريخ كل حياة من حيواتنا الخاصة مُترسِّخ بشكل عام وبشكل مميز في التواريخ الأوسع والأبعد لعدد من التقاليد ويغدو مفهومًا بناء عليها' (١٩٨١: ٢٠٧). ويجادل ماكنتير بأن 'إحساسًا وافيًا بالتقاليد يُبدى نفسه فى إدراك الإمكانيات المستقبلية التى جعلها الماضى متاحة للحاضر' (١٩٨١: ٢٠٧).

(٧) كما أنهم لم يستطيعوا أن ينفصلوا عن أحداث القرن الخامس عشر والسادس عشر فى إسبانيا، بما فى ذلك طرد اليهود والمسلمين وتحويلهما دينيًا بالقوة.

(٨) www.geocities.com/CollegePark/Classroom/9912/blackholocaust.html (تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٢ يوليو ٢٠٠٥).

(٩) http://stopthewall.org/photos/899.shtml (تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٢ يوليو ٢٠٠٥).

(١٠) يناقش برونر أيضًا سمة مشابهة جدًا تحت عنوان 'المرجعية' (١٩٩١: ١٣-١٤)، مع التركيز على علاقة المعنى-المرجع. وقد أدرجت هذه القضية ضمن الفئة الأوسع للعلائقية.

(١١) لقد كان موريس لينهاردت (١٨٧٨-١٩٥٤) مُبشِّرًا وأنثروبولوجيًا بروتستانتيًا فرنسيًا يقوم بالعمل الميدانى بين الكانك الكاليدونيين فى ميلانيزيا من ١٩٠٢ إلى ١٩٢٦ وتورط فى دفاع متحمس عن حقوقهم.

(١٢) على الرغم من المعجم المشحون الذى كان جزءًا من سردية الأنثروبولوجيا فى ذلك الوقت، يجادل لينهاردت بالفعل بأن 'أى إحساس تاريخى بالتناسب... يُذكِّرنا أنه جزء من عادات تفكيرنا المتشكلة حديثًا وغير الشائعة' وأن 'تمثيلاً مُرضيًا للواقع يمكن أن يُنشد بأكثر من طريقة واحدة، لأن التعليل reasoning ليس الطريقة الوحيدة للتفكير، إذ يوجد موضع للتفكير التأملى والتخيلى' (١٩٦٧: ٩٥).

(١٣) إن برات (Pratt 1987: 62) تطرح وجهة النظر ذاتها، من خلال إيجاز الحُجة لدى رفائيل (Rafael 1984): 'من جهة أولى، فقد قصد لا محالة بتقديم نظائر تاجالوجية لألفاظ مثل ''الالتزام'' "obligation" أو ''الخطيئة'' "sin" استدماج الأيديولوجيات الأهلية التى كانت تتصارع مع المسيحية؛ ومن جهة ثانية، فقد قصد ببساطة بتقديم الألفاظ الإسبانية داخل النصوص التاجالوجية بوصفها عناصر ''غير قابلة للترجمة'' أن المفاهيم المفاتيح قد وجدت كدوال طافية يمكن أن يُسنِد إليها متحدثو التاجالوجية معانيهم الخاصة'.

(١٤) لقد كان الفيلم مترجمًا إلى الإنجليزية، والعبرية، والفرنسية، والإسبانية، والإيطالية.

(١٥) من أجل نقاش لبعض هذه الأمثلة من زاوية مختلفة قليلاً، انظر بيكر (تحت الطبع Baker in press, b).

(١٦) توجد حالة واحدة فى الفيلم الوثائقى تُرجِمت فيها شهيد إلى 'martyr'. وهذه تقع ضمن استعارة مُركَّبة وممتدة رسمتها فتاة فلسطينية صغيرة، تُشبِّه فيها المُخيَّم بأنه عبارة عن

'شجرة، شجرة طويلة، طويلة شامخة كلها عبارة عن أوراق، كل واحد مكتوب فيه اسم شهيد'. والحالة الوحيدة الأخرى التى استخدمت فيها كلمة martyr شهيد ضمن استعراض أسماء فريق العمل فى نهاية الفيلم، حيث يُوصَف المُنتِج المُنفذ بـ 'الشهيد إياد صمودى the martyr Iyad Samoudi'. والفيلم ذاته يبدأ بإهداء لصمودى، 'الذى قتل فى اليامون' فى نهاية تصوير الفيلم. إن التفاعل بين الهيمنة والمقاومة هنا، كما هو فى سياقات عديدة مختلفة، رهيف؛ كما أنه أيضًا مميز للعلاقة المتوترة بين العالم الغربى والعربى.

(١٧) فى اللغة العربية الفصحى والقرآنية تعنى كلمة شهيد أيضًا 'شاهدًا'.

(١٨) هذا لا يعنى أنه لا يمكن للفظ منزوعة عنه الشرّعية مثل 'martyr' 'شهيد' أن تستعيده حركة مقاومة وتتباهى فى وجه سرديات عدوانية مُهيمِنة.

(١٩) سامى العريان أمريكى فلسطينى وأستاذ سابق فى جامعة جنوب فلوريدا. وقد اختير كأفضل أستاذ فى كلية الهندسة فى عام ١٩٩٣، وكأفضل أستاذ على مستوى الجامعة كلها فى عام ١٩٩٤. والعريان ناشط بارز لعب دورًا مُهمًا فى تأسيس مؤسسات عربية وإسلامية خلال الثمانينيات والتسعينيات. وفى فبراير ٢٠٠٤، اتهمه مكتب المباحث الفيدرالية وسبعة آخرين بمساعدة منظمة إجرامية مرتبطة بـ 'حركة الجهاد' الفلسطينية. انظر http://en.wikipedia.org/wiki/Sami_Al-Arian (تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٨ يوليو ٢٠٠٥).

(٢٠) ويواصل لونجينوفيك ليقول: 'أود أن أستدعى أفق ترجمة مختلفة، بعرض تعددية الهويات البلقانية على أنها نتاج تدخل أجنبى لا يتوقف لمكافأة أو عقاب العملية التاريخية الطويلة لنسيج معقد من الذوات المنخرطة فى صراعاتهم المحلية الخاصة. وهذا الأفق، الصافى من أى نظرة تتوسطه للبحث عن أشكال جديدة من العنف المحلى ينتج عنه تحول غرائبى: من سياسة الترجمة إلى ترجمة السياسة'.

(٢١) يشير الأويفى (El Oifi 2005: 12) إلى أن ميمرى [معهد بحوث إعلام الشرق الأوسط] قد تأسَّس لأن زيادة القنوات التليفزيونية العربية قد عنت أن إسرائيل لم تعد تمتلك احتكار الأخبار، وبشكل أكثر تحديدًا فقد تأسس ميمرى كرد على انطلاق الجزيرة، وهى قناة عربية ذائعة إلى أقصى حد فى العالم العربى وعلى امتداد العالم. وفى حين أن دراسة ميلز عن الجزيرة (Miles 2005) لا تذكر ميمرى، إلا أنها تؤكِّد تأثير القناة العالمى النطاق والدور الحيوى الذى تلعبه فى نشر معاناة الفلسطينين تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلى.

(٢٢) من أجل أمثلة نصية مُثيرة جدًا لكيف يتحقق هذا، ودحض من ميمرى، انظر الجدل الخاص بالرسالة الإلكترونية بين بريان واتكر ويجال كامرون على شبكة الجارديان: www.guardian.co.uk/israel/comment/0,,884156,00.html (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٥

سبتمبر ٢٠٠٥). وانظر أيضًا 'ميمرى القمعية' لجوان كول: 'Repressive MEMRI' by Juan Cole
www.antiwar.com/cole/?articleid=4047 (تم الاطلاع عليه بتاريخ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٥).

الفصل الخامس: فهم كيف يعمل السرد ٢

(١) لا ينطبق هذا كثيرًا على الحكايات الشعبية التى تكون صيغية formulaic بدرجة عالية، فيما يتعلق بأنماط الشخصية والخلفيات المكانية والزمانية.

(٢) ويجادل فيشر كذلك، بشكل لافت، بأن انتخابات عام ١٩٨٠ التى فاز فيها رونالد ريجان (الجمهورى) على جيمى كارتر (الديموقراطى) 'كانت مباراة بين الحُجة والسردية كشكلين منفصلين من الخطاب'. وهو يشرح، بشكل أكثر تحديدًا، 'لقد كانت بلاغة كارتر تقليدية: حِجاجية، وذرائعية، ومُكيّفة حسب كل قطاع من المواطنين. بينما كانت بلاغة ريجان بلاغة حكّاء حقيقى: لقد كانت حافلة بالسرديات؛ ولم تكن ذرائعية بالكيفية الاعتيادية لأنها تدعو للمشاركة فى قصة معروضة شفاهيًا. وقد جذبت جمهورًا من المستمعين وليس قضاة حِجاجيين' (١٩٨٧: ١٤٧).

(٣) انظر: tt0126029/taglines/www. imdb.com/title (تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٨ أبريل ٢٠٠٥).

(٤) www.visit4info.com/details.com?adid=17769 (تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٨ أبريل ٢٠٠٥).

(٥) ينطبق هذا على الالتماس كنوع كما هو مستخدم اليوم، وليس تاريخيًا. ويرد إلى ذهنى بشكل خاص الالتماسات الموجودة على الشبكة الإلكترونية مثل التماس 'إيقاف بطاقات الهوية وقواعد بيانات الدولة' (www.no2id-petition.net) الذى يطالب رئيس الوزراء البريطانى والحكومة البريطانية بأن 'يتم على الفور إيقاف كل تطوير وتشريع قادمين لبطاقات الهوية القومية وتسجيل الهوية القومية' على أساس أنها 'ستفضى إلى زيادة فى سيطرة ورقابة الدولة على الأفراد، و... تُشكّل عبئًا غير مقبول على كل المواطنين'.

(٦) هذه المجلة ليس لها شبكة خاصة بها.

(٧) www.jir.com (تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٦ يوليو ٢٠٠٥).

(٨) www.improb.com (تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٦ يوليو ٢٠٠٥).

(٩) www.preparingforemergencies.co.uk/index.htm (تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٦ يوليو ٢٠٠٥).

(١٠) www.ieee.org/portal/cms_docs/about/dept_treasury.pdf (تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٨ يوليو ٢٠٠٥).

(١١) نفسه.

(١٢) تعزو تيموسكو (Tymoczko 1999: 214) التدخل الكثيف فى ترجمة الأدب البطولى الأيرلندى فى القرن العشرين إلى حقيقة أن 'حكاية البطل الأيرلندى كنوع كانت توجد فى الفضاء العام ولذلك فإنها مُسيَّسة بدرجة عالية جدًا'.

(١٣) قد يكون هذا على أية حال هو تمامًا ما قصده برونر؛ إلا أن إيجاز معالجته لهذه السمة وسمات أخرى من السردية يجعل من الصعب إسناد هذا الموقف إليه بأى قدر من اليقين.

(١٤) لقد كان مصطلح 'الغارة' محل نزاع فى وسائل الإعلام ولدى جماعات عديدة مناصرة للفلسطينيين.

(١٥) تُمنح الملصقات بلا مقابل أو تُباع فى المسيرات الكبيرة والفعاليات السياسية عبر العالم.

الفصل السادس: تأطير السرديات فى الترجمة

(١) توجد بالطبع حالات يُجبر فيها الأفراد (سواء كانوا مُدرَّبين مهنيًا أو غير مُدرَّبين) على أن ينتجوا ترجمة أو أن يعملوا كمترجمين شفاهيين. حين أمر الإمبراطور أكبر المولا عبد القادر بديونى أن يترجم الرامايانا التى أتمها فى ١٥٨٠، اعتبر هذا التكليف 'عقابًا روحيًا حقيقيًا' (Behl 2002: 93)، إلا أنه كان فى وضعية لا تسمح له أن يرفض أمرًا من الإمبراطور. ويستشهد بهل (Behl 2002: 93) به فى تعليقه على مأزقه: 'أسأل الله الحماية من الكتابة الملعونة البائسة بقدر بؤس صحيفة حياتى. إن ناقل الكفر ليس بكافر. إننى أستعيذ من الكفر، لأننى أخشى من هذا الكتاب المكتوب بأمر الإمبرطور كل الخشية أنه يمكن أن يحمل بصمة الكراهية'. بل إن بعض الأشخاص يضطرون أحيانًا أن ينخرطوا فى أفعال الترجمة والترجمة الشفاهية لأنهم لا يملكون وسيلة أخرى لإعالة أسرهم فى مواقف من الفقر المدقع و/أو الاضطراب، كما هو فى أعقاب غزو العراق فى ٢٠٠٣.

(٢) ترجم الأمير دارا شكوه خمسين صحيفة من الأوبانيشاد **Upanishads** إلى الفارسية وجمعها فى متتخب السر الأكبر **Sirr-i-Akbar**.

(٣) بالإضافة إلى الترجمة، فإن هذه الأطر تتضمن ' التلميح **insinuation** الذى يتم فيه تأويل الكلمات المنطوقة بوصفها تتضمن علاقة خفية أو غير مباشرة بمعنى التلفظ'؛ ' التنكيت، الذى تُؤوَّل فيه الكلمات المنطوقة لا بوصفها تعنى بجدية ما قد تعنيه فيما عدا ذلك'؛ 'المحاكاة، التى يؤوَّل فيها أسلوب الكلام على أنه مُصمَّم وفق أسلوب شخص آخر أو

شخصية أخرى'؛ و'الاقتباس، الذى تؤوّل فيه الكلمات المنطوقة بوصفها كلمات شخص آخر سوى المتكلم' (Bauman 2001: 168).

(٤) أو لتقيد تأويل سردية معينة والاستجابة لها تماشيًا مع قيم وأجندات دائرة انتخابية معينة. على سبيل المثال، من المثير أن الجمهوريين 'صرحوا بشكل مسرحى بالانتهاك الأخلاقى' فيما يتعلق بفضيحة كلينتون الجنسية خلال فترة الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠، إذ عرضوا فضائح كلينتون النسائية bimbo eruptions بوصفها 'انتهاكات ضد الزواج التقليدى' وليس إساءة استغلال للسلطة' (Silverstein 2003: 19).

(٥) كذلك، حين أطلق مسلح إسرائيلى النار على أربعة من العرب الإسرائيليين فى ٤ أغسطس ٢٠٠٥ لأنه كان مُعارِضًا لإغلاق مستوطنات قطاع غزة، قرر وزير دفاع إسرائيل أن العرب الأربعة ليسوا ضحايا 'إرهاب'، مُجادِلاً بأن القانون الإسرائيلى لا يقر إلا فقط بأفعال الإرهاب التى تقترفها منظمات معادية للدولة. وقد عنى رفض تأطير الحدث بوصفه هجومًا إرهابيًا أن أسر العرب الأربعة ليس من حقها أى تعويض. انظر ' Jewish gunman was no 'terrorist (McGreal (2005)، (إسرائيل تقرر، المسلح الإسرائيلى ليس إرهابيًا).

(٦) -http://english.aljazeera.net/NR/exeres/79C6AF22-98FB-4A1C-B21F 2BC36E87F61F.htm (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠ يوليو ٢٠٠٥).

(٧) ID=SP81104&Area=sd&http://memri.org/bin/articles.cgi?Page=archives (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠ يوليو ٢٠٠٥).

(٨) www.worldnetdaily.com/news/article.asp?ARTICLE_ID=41211 (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠ يوليو ٢٠٠٥).

(٩) www.juancole.com/2004/11/bin-ladens-audio-threat-to-states.html (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠ يوليو ٢٠٠٥).

(١٠) لا يحدِّد جوفمان فضاء الإطار بهذه العبارات، إلا أنه يمكن استنتاجها بشكل مقبول من النقاش.

(١١) بما فى ذلك كل ولاية فى الولايات المتحدة. انظر www.lysistrataproject.com/about.html (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٤ مايو ٢٠٠٥).

(١٢) www.lysistrataproject.com/about.html (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٤ مايو ٢٠٠٥).

(١٣) www.lysistrataproject.com/script.html (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٤ مايو ٢٠٠٥).

(١٤) يُناقش فينوتى (Venuti (1988: 184 مثالاً مشابهًا فى السياق الصينى. لقد نشر لو زون وزو زورن Lu Xun and Zhou Zuoren مُنتخبًا رائدًا لقصص قصيرة مترجمة فى ١٩٠٩ أعطى

الأولوية للكتاب الروسيين والأوربيين الشرقيين. ويُفسِّر فينوتى هذا الاختيار على أنه يُمثل إقرار لو زون وزو زورن بأهمية الترجمة الأدبية 'كوسيلة لتعديل وضع الصين التابع فى العلاقات الجيوسياسية'، مُشيرًا إلى 'أنهما انجذبا إلى بلدان كانت تحتل وضعية مُشابهة، إلا أن آدابها قد حررتها من وضعية القصور وجعلتها تحقق اعترافًا عالميًا' (١٩٩٨: ١٨٤). من أجل المزيد من الأمثلة على نماذج الانتقاء العالية المستوى فى الترجمة، انظر (Said 1994) و(Jacquemond 1992).

(١٥) يُشير بونجى إلى أنه من شبه المؤكد أن المترجم هو لينش ريتشى Leitch Ritchie، روائى اسكتلندى ومُحرِّر السلسلة التى ظهر فيها الملك–العبد The Slave-King (٢٠٠٥: ٦).

(١٦) هذا ملخص فج فحسب لتلك الجوانب من السردية التى تخصنا هنا. من أجل ملخص أوفى، انظر (Bongie 2005: 6-7, n. 3).

(١٧) http://news.bbc.co.uk/1/hi/world/south_asia/1648572.stm (تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٣ مايو ٢٠٠٥).

(١٨) www.welfarestate.com/binladen/funeral (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠يوليو ٢٠٠٥).

(١٩) تُقدِّم تيموسكو (Tymoczko 1999) فى الفصل الثامن بعنوان 'أسماء كلب الصيد' نقاشًا جيدًا للقضايا الخاصة بترجمة الأسماء بشكل أكثر اتساعًا. انظر أيضًا كلاً من (Embelton 1991)، و(Bantas 1994)، و(Minini 1996)، و(Farrell 1998).

(٢٠) انظر أيضًا (Bourdieu 1991: 239-43) حول قوة التسمية.

(٢١) إننى ممتنة لدوروثى كينى، من جامعة مدينة دبلن، على النصح والمساعدة فى تحديد مواقع المادة الخاصة بالتنافس على أسماء الأماكن فى السياق الأيرلندى.

(٢٢) 'غضب الصحافة حول خطط المنازل فى الضفة الغربية'، News BBC، ١٨ أغسطس ٢٠٠٤: east/3575836.stm_http://news.bbc.co.uk/1/hi/world/middle (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢١ مايو ٢٠٠٥).

(٢٣) ''يجب أن يُزال'' 'المزيد من المستوطنات اليهودية'، BBC News، ١٢ أغسطس ٢٠٠٤: http://news.bbc.co.uk/1/hi/world/middle_east/3559844.stm (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢١ مايو ٢٠٠٥).

(٢٤) لعله من المثير استكشاف كيف يتعامل المترجمون الشفاهيون فى الأمم المتحدة وفى الاتحاد الأوربى والأوساط المُشابهة مع أسماء الأماكن المُتنافسة.

(٢٥) من الواضح أنه لا حاجة لفعل ذلك بما أن الغرض من الشرح هنا ليس مُساعدة القراء التعرف على المكان المعنى وإنما إبراز الموقف السردى للمؤسسة ومُحرريها ومُترجميها.

(٢٦) غالبًا ما يتم أيضًا تغيير عناوين الأقسام والفصول فى مطبوعة ما لإعادة تأطير السرديات فى الترجمة. انظر، على سبيل المثال، (Polezzi . 1998: 335-; 2001: 127)

(٢٧) 'Uncle Che' by Lok Siu Ping، وترجمه Janice Wickeri.

(٢٨) انظر، على سبيل المثال، (Wickeri 1995)، (Gunn 1991).

(٢٩) ثمة مجال آخر مثير جدير بالاستكشاف، وهو كيف تتأثر إعادة موقعة المُشاركين فى ترجمة نص الإعلان، مع الأخذ فى فى الحسبان مدى ما هو مُتاح من موارد لغوية وبصرية فى هذا النوع.

الفصل السابع: تقييم السرديات

(١) توفى روبين كوك فى سبتمبر ٢٠٠٥.

(٢) وكالة حكومية أخرى – هذه يمكن أن تعنى سى آى أيه [وكالة المخابرات المركزية]، إف بى آى [مكتب المباحث الفيدرالية]، إلخ. انظر مقابلة سار Saar مع أونيشا رويشودهورى Onnesha Roychoudhuri، ٢٤ مايو ٢٠٠٥:

www.motherjones.com/news/qa/2005/05/saar.html (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٥ سبتمبر).

(٣) www.motherjones.com/news/qa/2005/05/saar.html (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٥).

(٤) ينتقد بيلجر (Pilger 2005a, 2005b) السردية على أسس أخرى بما فى ذلك – ما هو أكثر أهمية – افتقارها للاتساق المادى، كما هو فى المقتطف التالى: 'البيان الرسمى للثمانية الكبار المعلن ''النصر للملايين'' لا لبس فيه. وتحت قسم بعنوان ''مقترحات الثمانية الكبار بإلغاء ديون الدول الفقيرة المثقلة بالديون HIPC debt''، وهى تقول إن تخفيف دين الدول الفقيرة سيمنح فقط إذا ما أظهرت هذه الدول ''تكييفًا لتدفقات مُساعداتها الفادحة من خلال المبالغ الممنوحة'': بعبارة أخرى إن المعونة المُقدَّمة لها ستخفَّض بمقدار مساوٍ لتخفيف الدين. وهكذا، فإنهم لا يحصلون على شيء. إن الفقرة الثانية تذكر ''أنه من الأساس'' على الدول الفقيرة أن ''تدعم تنمية القطاع الخاص'' وتؤكد على ''إزالة العوائق من وجه الاستثمار الخاص، المحلى والأجنبى''.'

(٥) انظر النقاش الخاص بـ 'الحقائق' فى الفصل الثانى، القسم ٢-١-٤.

(٦) إن السرديات المنظماتية يصوغها بالطبع أيضًا فى النهاية أفراد، إلا أنها تُعرض وتُدرك بوصفها سرديات مؤسسية.

(٧) www.mla.org/mla_constitution (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٩يوليو ٢٠٠٥).

(٨) www.tsf-twb.org (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٩ يوليو ٢٠٠٥).

(٩) يشرح فوكس (Fox 1995: 1610) أن مفهوم ''بدون حدود'' مُقدَّر الآن تقديرًا شديدًا إلى حد أن وفرة من الجمعيات المهنية والتطوعية جعلته جزءًا من بيانات التعريف بمهامها، ومن أسمائها'. وبالإضافة إلى مُراسلين بلا حدود، فإن هذه الجمعيات تشمل معلمين بلا حدود، ومحامين بلا حدود، ومهندسين بلا حدود، وبنائين بلا حدود، ضمن أخرى. ومما هو قريب من اهتماماتنا مجلة كلمات بلا حدود، وهي مجلة الكترونية للأدب العالمي (www.wordswithoutborders.org). يشير ديتشيني (DeChaine 2002: 367) إلى أن ما تشترك فيه هذه 'الحركة المتباينة من الجماعات' هو الروح المشتركة التي 'تلتزم باستعداد لتجاوز حدود جغرافية واجتماعية محظورة'.

(١٠) www.bables.org (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٩ يوليو ٢٠٠٥).

(١١) www.traduttoriperlapce.org (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٩ يوليو ٢٠٠٥).

(١٢) www.saltana.com.ar/pax/paxbabelica.htm (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٩ يويو ٢٠٠٥).

(١٣) www.ecosfti.tk (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٩ يوليو ٢٠٠٥).

(١٤) إن أجندة بابلز ليست أيضًا أجندة إنسانية وإنما أجندة سياسية بشكل علني. ويُشكِّل التورط مع بابلز دعوى صريحة وخطيرة نسبيًا لدور في السياسة العالمية؛ خطيرة بمعنى أنه يجب على المشاركين أن يدافعوا عن موقفهم السياسي. وهذا ليس هو حال الأجندات الإنسانية التي تمضي عمومًا دون أن تواجهها تحديات وتُقبل على نطاق واسع من الغالبية العظمى من الناس حول العالم بوصفها صحيحة، أيًا ما كان موقفهم السياسي أو الأيديولوجي.

(١٥) www.eurotexte.fr/downloads/TSFspeechRiminiEurotexte.pdf (تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٩ يوليو ٢٠٠٥).

(١٦) لقد كانت جنرال الكتريك موضوعًا لحملة مقاطعة كثيفة من قبل جماعات سلام متنوعة بين ١٩٨٦ و١٩٩٣ بسبب تورطها في إنتاج وبيع أسلحة نووية. وهي الآن، كمتعهد دفاع رئيس للولايات المتحدة، تعود إلى قوائم المقاطعة من جماعات عديدة مناهضة للحرب.

(١٧) إن لوريال موضوعة على قوائم المقاطعة من جماعات مثل مراقبة الطبيعة Naturewatch بسبب سجلها البائس عن التجارب على الحيوانات. وبالإضافة إلى ذلك، فإن لوريال جعلت إسرائيل مركزها التجاري في الشرق الأوسط في ١٩٩٥، وفي ١٩٩٨ جائزة اليوبيل الذهبي لإسرائيل، وهو أعلى تكريم منحته دولة إسرائيل لأفراد أو منظمات بذلت أقصى ما لديها لتقوية الاقتصاد الإسرائيلي. كما أن الشركة، وفرعها لانكوم، موضوعان على قوائم مقاطعة جماعات تضامن عديدة تعمل على إنهاء إضطهاد إسرائيل للفلسطينيين.

(١٨) لقد عين جرير وبرونو (Greer and Bruno 1996) نمطًا واحدًا من هذه الممارسة في عالم شركات الإعلانات البيئية مثل 'جرينواش' 'Greenwash'. إن جرينواش تسمح لشركات

ضخمة أن تحافظ على أسواقها وتوسعها 'من خلال طرحها لأنفسها كأصدقاء للبيئة وقادة في الصراع لاستئصال الفقر' (١٩٩٦: ١١). وثمة مثال حي على مخـاطر قبـول سـرديات المشاريع الكبرى لفعل الخير على نحو غير نقدي يتمثل في قـصة محكيـة لـدى وليـامز (Williams 1991)، وملخصة لدى أويك وسيلبي (Ewick and Silbey 1995: 219-20). إذ ثمة امرأة أمريكية أفريقية، تحكي وليامز قصة منعها من دخول بنتون في عصر أحد أيام السبت من أحد الباعة الذي رفض أن يدعها تدخل. إن هذه هي بنتون ذاتها التي 'تخصص حملتهـا الإعلانية صور التنوع العرقي والإثني لتبيع السترات التي لن تمنح وليامز فرصة شـرائها' (Ewick and Silbey 1995: 219).

(١٩) تقبل ورنيك (Warnick 1987: 175) تقييم مكجي ونيلسون للنموذج السردي في هذا الـصدد وكذلك تنتقد فيشر على مبالغته في طرحه ضد العقلانية التقليدية.

المراجع

Abbott, H. Porter (2002) *The Cambridge Introduction to Narrative*, Cambridge: Cambridge University Press.

Alexander, Jeffrey C. (2002) 'On the Social Construction of Moral Universals: The "Holocaust" from War Crime to Trauma Drama', *European Journal of Social Theory* 5(1): 5–85.

Asimakoulas, Dimitris (2005) *Translations as Acts of Resistance: Brecht's Works in the Censorship Context of the Greek Junta (1967–1974)*, PhD Thesis, Centre for Translation and Intercultural Studies: University of Manchester.

Bachrach, Peter and Morton S. Baratz (1962) 'The Two Faces of Power', *American Political Science Review* 56: 947–52.

Bachrach, Peter and Morton S. Baratz (1970) *Power and Poverty. Theory and Practice*, New York: Oxford University Press.

Bakan, Joel (2004) *The Corporation: The Pathological Pursuit of Profit and Power*, London: Constable & Robinson Ltd.

Baker, Mona (1992) *In Other Words: A Coursebook on Translation*, London and New York: Routledge.

Baker, Mona (2005) 'Narratives *in* and *of* Translation', *SKASE Journal of Translation and Interpretation* 1(1): 4–13. Online: www.skase.sk.

Baker, Mona (in press, a) 'Translation and Activism: Emerging Patterns of Narrative Community', *The Massachusetts Review*.

Baker, Mona (in press, b) 'Contextualization in Translator- and Interpreter-mediated Events', *Journal of Pragmatics*.

Bantaş, Andrei (1994) 'Names, Nicknames and Titles in Translation', *Perspectives: Studies in Translatology* 2(1): 79–88.

Baquedano-López, Patricia (2001 [1997]) 'Creating Social Identities through *Doctrina* Narratives', *Issues in Applied Linguistics* 8(1): 27–45; reprinted in Alessandro Duranti (ed.) *Linguistic Anthropology: A Reader*, Malden MA and Oxford: Blackwell, 343–58.

Barghouti, Mourid (2003) 'Verbicide', *New Internationalist* 359 (August). Available online at www.newint.org/issue359/essay.htm (accessed 28 July 2005).

Barsky, Robert (1993) 'The Interpreter and the Canadian Convention Refugee Hearing: Crossing the Potentially Life-threatening Boundaries between "coccode-e-eh," "cluck-cluck," and "cot-cot-cot",' *TTR: Traduction, Terminologie, Rédaction* 6(2): 131–56.

Barsky, Robert (1996) 'The Interpreter as Intercultural Agent in Convention Refugee Hearings', *The Translator* 2(1): 45–63.

Barsky, Robert (2005) 'Stories from the Court of Appeal in Literature and Law', in Mike Baynham and Ana De Fina (eds) *Dislocations/Relocations: Narratives of Displacement*, Manchester: St Jerome Publishing, 221–41.

Barthes, Roland (1972) *Mythologies*, trans. Annette Lavers, London: Jonathan Cape.
Bauman, Richard (2001 [1975]) 'Verbal Art as Performance', *American Anthropologist* 77: 290–311; reprinted in Alessandro Duranti (ed.) *Linguistic Anthropology: A Reader*, Malden MA and Oxford: Blackwell, 165–88.
Baynham, Mike and Ana De Fina (eds) (2005) *Dislocations/Relocations: Narratives of Displacement*, Manchester: St Jerome Publishing.
Behl, Aditya (2002) 'Premodern Negotiations: Translating between Persian and Hindavi', in Rukmini Bhaya Nair (ed.) *Translation, Text and Theory: The Paradigm of India*, New Delhi: Sage Publications, 89–100.
Ben-Ari, Nitsa (2000) 'Ideological Manipulation of Translated Text', *Translation Quarterly* 16–17: 40–52.
Benford, Robert (1993) 'Frame Disputes within the Nuclear Disarmament Movement', *Social Forces* 71: 677–701.
Benford, Robert and David Snow (2000) 'Framing Processes and Social Movements: An Overview and Assessment', *Annual Review of Sociology* 26: 611–39.
Benjamin, Walter (1999 [1968]) 'Theses on the Philosophy of History', in *Illuminations*, trans. Harry Zohn, London: Pimlico, 245–55.
Bennett, Alan (1997 [1994]) *Writing Home*, London & Boston: Faber & Faber.
Bennett, W. Lance and Murray Edelman (1985) 'Toward a New Political Narrative', *Journal of Communication* 35(4): 156–71.
Bilgrami, Akeel (1992) 'What is a Muslim? Fundamental Commitment and Cultural Identity', *Critical Inquiry* 18(4): 821–42.
Blommaert, Jan (2005) *Discourse: A Critical Introduction*, Cambridge: Cambridge University Press.
Blum-Kulka, Shoshana and Tamar Liebes (1993) 'Frame Ambiguities: *Intifada* Narrativization of the Experience by Israeli Soldiers', in Akiba Cohen and Gadi Wolfsfeld (eds) *Framing the Intifada: People & Media*, Norwood NJ: Ablex, 27–52.
Boje, D. M. (1991) 'The Storytelling Organization. A Study of Story Performance in an Office-supply Firm', *Administrative Science Quarterly* 36: 106–26.
Bokor, Gabe (2001) 'Translation and International Politics', Editorial, *Translation Journal* 5(4). Available online at http://accurapid.com/journal/18editor.htm (accessed 25 July 2005).
Bokor, Gabe (2003) 'War and Peace', Editorial, *Translation Journal* 7(2). Available online at http://accurapid.com/journal/24editor.htm (accessed 25 July 2005).
Bolden, Galina (2000) 'Toward Understanding Practices of Medical Interpreting: Interpreters' Involvement in History Taking', *Discourse Studies* 2(4): 387–419.
Bongie, Chris (2005) 'Victor Hugo and "The Cause of Humanity": Translating *Bug-Jargal* (1826) into *The Slave-King* (1833)', *The Translator* 11(1): 1–24.
Booth, Wayne C. (2004) *The Rhetoric of Rhetoric: The Quest for Effective Communication*, Malden MA and Oxford: Blackwell Publishing.
Bourdieu, Pierre (1991) *Language and Symbolic Power*, ed. and introduced by John B. Thompson, translated by Gino Raymond and Matthew Adamson, Cambridge: Polity Press.
Bourdieu, Pierre (1998) *Acts of Resistance: Against the New Myths of Our Time*, trans. Richard Nice, Cambridge: Polity Press.
Bourdieu, Pierre (2000 [1986]) 'L'Illusion biographique', *Actes de la recherche en sciences sociales* 62(3): 69–72; trans. Yves Winkin and Wendy Leeds-Hurwitz as 'The Biographical Illusion', in R. J. Parmentier and G. Urban (eds) *Working Papers and Proceedings of the Centre for Psychosocial Studies*, pp. 1–7. Reprinted in Paul du Gay, Jessica Evans and Peter Redman (eds) *Identity: A Reader*, London: Sage Publications, 297–303.
Brennan, Mary and Richard Brown (1997) *Equality Before the Law: Deaf People's Access to Justice*, Durham: Deaf Studies Research Unit, University of Durham.

Briggs, Charles (ed.) (1996) *Disorderly Discourse: Narrative, Conflict, and Social Inequality*, Oxford: Oxford University Press.

Brisset, Annie (1989) 'In Search of a Target Language: The Politics of Theatre Translation in Quebec', *Target* 1(1): 9–27.

Brown, Colin (2005) 'US Lied to Britain Over Use of Napalm in Iraq War', *The Independent*, 17 June.

Bruner, Edward M. (1997) 'Ethnography as Narrative', in Lewis P. Hinchman and Sandra K. Hinchman (eds) *Memory, Identity, Community: The Idea of Narrative in the Human Sciences*, Albany: State University of New York Press, 264–80.

Bruner, Jerome (1985) *Actual Minds, Possible Worlds*, Cambridge MA: Harvard University Press.

Bruner, Jerome (1991) 'The Narrative Construction of Reality', *Critical Inquiry* 18(1): 1–21.

Burman, Erica (2003) 'Narratives of Challenging Research: Stirring Tales of Politics and Practice', *International Journal of Social Research Methodology* 6(2): 101–19.

CBS News (2004) 'The Holy Warrior', 15 September. Available online at www.cbsnews.com/stories/2004/09/15/60II/main643650.shtml (accessed 11 July 2005).

Cheung, Martha P. Y. (ed.) (1998) *Hong Kong Collage: Contemporary Stories and Writing*, Oxford and New York: Oxford University Press.

Chilton, Paul (1982) 'Nukespeak: Nuclear Language, Culture and Propaganda', in C. Aubrey (ed.) *Nukespeak: The Media and the Bomb*, London: Comedia Publishing Group, 94–112.

Chilton, Paul (1997) 'The Role of Language in Human Conflict: Prolegomena to the Investigation of Language as a Factor in Conflict Causation and Resolution', *Current Issues in Language & Society* [illegible]): 174–89.

Clegg, Stewart R. (1993) 'Narrative, Power, and Social Theory', in Dennis K. Mumby (ed.) *Narrative and Social Control: Critical Perspectives*, Newbury Park CA: Sage, 15–45.

Clifford, James (1998) 'The Translation of Cultures: Maurice Leenhardt's Evangelism, New Caledonia 1902–26', in Robert Con Davis and Ronald Schleifer (eds) *Contemporary Literary Criticism: Literary and Cultural Studies*, New York: Longman, 680–94.

Cook, Robin (2004) 'Britain's Worst Intelligence Failure, and Lord Butler Says no one is to Blame', *The Independent*, 15 July. Available online at http://comment.independent.co.uk/columnists_a_l/robin_cook/article47377.ece (accessed 28 July 2005).

Cortazzi, Martin (1993) *Narrative Analysis*, London and New York: RoutledgeFalmer.

Cunningham, David and Barb Browning (2004) 'The Emergence of Worthy Targets: Official Frames and Deviance Narratives Within the FBI', *Sociological Forum* 19(3): 347–69.

Damrosch, David (2005) 'Death in Translation', in Sandra Bermann and Michael Wood (eds) *Nation, Language, and the Ethics of Translation*, Princeton NJ and Oxford: Princeton University Press, 380–98.

Davies, Bronwyn and Rom Harré (1990) 'Positioning: The Discursive Production of Selves', *Journal for the Theory of Social Behaviour* 20(1): 43–63.

DeChaine, D. Robert (2002) 'Humanitarian Space and the Social Imaginary: Médecins Sans Frontières/Doctors Without Borders and the Rhetoric of Global Community', *Journal of Communication Inquiry* 26(4): 354–69.

Dennett, Jane (2002) 'Foreign Literature in Fascist Italy: Circulation and Censorship', *TTR* 15(2): 97–123.

Diriker, Ebru (2005) 'Presenting Simultaneous Interpreting: Discourse of the Turkish Media, 1988–2003', *AIIC Webzine*, March–April. Available online at www.aiic.net/ViewPage.cfm/page1742.htm (accessed 25 September 2005).

Draper, Jack (2002) 'Breaking the Imperial Mold: Fragmented Translations'. Paper presented at the Colloquium *Problems of Translation: Violence as Language Within Global Capital*, 26 January 2002. Available online at www.duke.edu/~jad2/draper.htm (accessed 28 June 2005).

Ehrenhaus, Peter (1993) 'Cultural Narratives and the Therapeutic Motif: The Political Containment of Vietnam Veterans', in Dennis K. Mumby (ed.) *Narrative and Social Control: Critical Perspectives*, Newbury Park CA: Sage, 77–118.

El Fassed, Arjan (2005) 'One Year after ICJ Ruling, Israel OKs Wall in Jerusalem', *Electronic Intifada*, 10 July. Available online at http://electronicintifada.net/v2/article3986.shtml (accessed 12 July 2005).

El Oifi, Mohammed (2005) 'Gained in Translation: Why the Middle East Media Research Institute is a Source of English Versions of Arabic Texts that are Designed to Mislead and Disinform', *Le Monde diplomatique* (English edition), October, 12–13.

Embleton, Sheila (1991) 'Names and Their Substitutes. Onomastic Observations on Astérix and Its Translations', *Target* 3(2): 175–206.

Ewick, Patricia and Susan S. Silbey (1995) 'Subversive Stories and Hegemonic Tales: Toward a Sociology of Narrative', *Law & Society Review* 29(2): 197–226.

Fadhil, Ali (2005) 'City of Ghosts', *The Guardian*, 11 January. Available online at www.guardian.co.uk/Iraq/Story/0,2763,1387460,00.html (accessed 11 July 2005).

Farrands, Alice (2003) 'It's just politics in a lab coat', *The Times Higher Education Supplement*, 22 August, p. 14.

Farrell, Tim (1998) 'Christos – Mr Christ or the Anointed One of God', *Notes on Translation* 12(4): 46–55.

Finklestone, Joseph (1996) *Anwar Sadat: Visionary Who Dared*, London and Portland OR: Frank Cass; translated 1999 by Adel Abdel Sabour as *Al Sadat: Wahm Al-Tahaddi* (Al-Sadat: The Illusion of Challenge), Al-Dar Al-'Alamiyya Lilkutub Walnashr.

Fisher, Walter R. (1984) 'Narration as a Human Communication Paradigm: The Case of Public Moral Agreement', *Communication Monographs* 51: 1–22.

Fisher, Walter R. (1985) 'The Narrative Paradigm: In the Beginning', *Journal of Communication* 35(4): 74–89.

Fisher, Walter R. (1987) *Human Communication as Narration: Toward a Philosophy of Reason, Value, and Action*, Columbia: University of South Carolina Press.

Fisher, Walter R. (1997) 'Narration, Reason, and Community', in Lewis P. Hinchman and Sandra K. Hinchman (eds) *Memory, Identity, Community: The Idea of Narrative in the Human Sciences*, Albany: State University of New York Press, 307–27.

Fleming, Peter (2004) 'Progress, Pessimism, Critique', *Ephemera* 4(1): 40–9.

Foucault, Michel (1984 [1980]) 'Truth and Power', in *Power/Knowledge: Selected Interviews and Other Writings, 1972–1977*, edited by Colin Gordon, Brighton: Harvester; reprinted in Paul Rabinow (ed.) *The Foucault Reader: An Introduction to Foucault's Thought*, London: Penguin, 51–75.

Fox, Renée, C. (1995) 'Medical Humanitarianism and Human Rights: Reflections on Doctors Without Borders and Doctors of the World', *Social Science and Medicine* 41(12): 1607–16.

Fraser, Giles (2004) *Thought for the Day*, BBC Radio Four, 16 September. Transcript available online at www.bbc.co.uk/religion/programmes/thought/documents/t20040916.shtml (accessed 29 July 2005).

Geesey, Patricia (2000) 'Identity and Community in Autobiographies of Algerian Women in France', in Amal Amireh and Lisa Suhair Majaj (eds) *Going Global: The Transnational Reception of Third World Women Writers*, New York and London: Garland Publishing, 173–205.

Georgakopoulou, Alexandra (1997) 'Narrative', in Jef Verschueren, Jan-Ola Östman, Jan Blommaert and Chris Bulcaen (eds) *Handbook of Pragmatics 1997*, 1–19 (entries individually paginated).

Gergen, Kenneth J. and Mary M. Gergen (1997) 'Narratives of the Self', in Lewis P. Hinchman and Sandra K. Hinchman (eds) *Memory, Identity, Community: The Idea of Narrative in the Human Sciences*, Albany: State University of New York Press, 161–84.

Ghosh, Bishnupriya (2000) 'An Affair to Remember: Scripted Performances in the "Nasreen Affair"', in Amal Amireh and Lisa Suhair Majaj (eds) *Going Global: The Transnational Reception of Third World Women Writers*, New York and London: Garland Publishing, 39–83.

Goffman, Erving (1967 [1955]) 'On Face Work: An Analysis of Ritual Elements in Social Interaction', *Psychiatry: Journal for the Study of Interpersonal Processes* 18(3): 213–31; reprinted in Erving Goffman, *Interaction Ritual: Essays on Face-to-Face Behavior*, New York: Pantheon Books, 1967, 5–45.

Goffman, Erving (1981) *Forms of Talk*, Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

Goffman, Erving (1986 [1974]) *Frame Analysis: An Essay on the Organization of Experience*, Boston: Northeastern University Press.

Good, Leslie (1989) 'Power, Hegemony, and Communication Theory', in Ian Angus and Sut Jhally (eds) *Cultural Politics in Contemporary America*, New York and London: Routledge, 51–64.

Goodwin, Charles (1994) 'Professional Vision', *American Anthropologist* 96(3): 606–33.

Gordon, Cynthia (2004) '"Al Gore's Our Guy": Linguistically Constructing a Family Political Identity', *Discourse and Society* 15(5): 607–31.

Greer, J. and K. Bruno (1996) *Greenwash: The Reality behind Corporate Environmentalism*, Penang and New York: Third World Network and The Apex Press.

Gumperz, John (1992) 'Contextualization and Understanding', in Alessandro Duranti and Charles Goodwin (eds) *Rethinking Context: Language as an Interactive Phenomenon*, Cambridge: Cambridge University Press, 229–53.

Gunn, Edward (1991) *Rewriting Chinese: Style and Innovation in Twentieth-Century Chinese Prose*, Stanford CA: Stanford University Press.

Hale, Sandra (1997) 'The Treatment of Register Variation in Court Interpreting', *The Translator* 3(1): 39–54.

Hall, John R., Mary Jo Neitz and Marshall Battani (2003) *Sociology on Culture*, London and New York: Routledge.

Hanna, Sameh F. (2005) '*Othello* in Egypt: Translation and the (Un)making of National Identity', in Juliane House, M. Rosario Martín Ruano and Nicole Baumgarten (eds) *Translation and the Construction of Identity. IATIS Yearbook 2005*, Seoul: IATIS, 109–28.

Harel, Amos (2005) 'IDF Reviving Psychological Warfare Unit', *Haaretz*, 25 January 2005. Available online at www.haaretzdaily.com/hasen/pages/ShArt.jhtml?itemNo=531712 (accessed 14 April).

Harris, Leah (2003) 'A Note on MEMRI & Translations', *Counterpunch*, 15 January. Available online at www.counterpunch.org/harris01152003.html (accessed 14 April 2005).

Harris, Paul (2005) 'Soldier Lifts Lid on Camp Delta', *The Observer*, 8 May. Available online at http://observer.guardian.co.uk/international/story/0,6903,1479040,00.html (accessed 24 July 2005).

Hart, Janet (1992) 'Cracking the Code: Narrative and Political Mobilization in the Greek Resistance', *Social Science History* 16(4): 631–68.

Harvey, Keith (1998) 'Translating Camp Talk: Gay Indentities and Cultural Transfer', in Lawrence Venuti (ed.) *Translation and Minority*, special issue of *The Translator* 4(2): 295–320.

Harvey, Keith (2003a) *Intercultural Movements: 'American Gay' in French Translation*, Manchester: St Jerome Publishing.

Harvey, Keith (2003b) '"Events" and "Horizons": Reading Ideology in the "Bindings" of Translations', in María Calzada Pérez (ed.) *Apropos of Ideology – Translation Studies on Ideology – Ideologies in Translation Studies*, Manchester: St Jerome Publishing, 43–69.

Hatim, Basil and Ian Mason (1990) *Discourse and the Translator*, London and New York: Longman.

Hauerwas, Stanley and David Burrell (1989) 'From System to Story: An Alternative Pattern for Rationality in Ethics', in S. Hauerwas and L. G. Jones (eds) *Why Narrative? Readings in Narrative Theology*, Grand Rapids MI: William B. Eerdmans Publishing, 158–90.

Herman, David, Manfred Jahn and Marie-Laure Ryan (eds) (2005) *Routledge Encyclopedia of Narrative Theory*, London and New York: Routledge.

Herman, Edward S. (2005) 'From Ingsoc and Newspeak to Amcap, Amerigood, and Marketspeak', in Abbott Gleason, Jack Goldsmith and Martha Nussbaum (eds) *On Nineteen Eighty-Four: Orwell and Our Future*, Princeton NJ: Princeton University Press, 112–23.

Hermans, Theo (1982) 'P. C. Hooft: The Sonnets and the Tragedy', *Dispositio: Revista Hispánica de Semiótica Literaria* 7(19–20): 95–110.

Hermans, Theo (2002) 'Paradoxes and Aporias in Translation and Translation Studies', in Alessandra Riccardi (ed.) *Translation Studies: Perspectives on an Emerging Discipline*, Cambridge: Cambridge University Press, 10–23.

Hersh, Seymour (2004) 'The Gray Zone', *The New Yorker*, 15 May. Available online at http://newyorker.com/fact/content/?040524fa_fact (accessed 11 July 2005).

Hinchman, Lewis P. and Sandra K. Hinchman (1997a) 'Introduction', in Lewis P. Hinchman and Sandra K. Hinchman (eds) *Memory, Identity, Community: The Idea of Narrative in the Human Sciences*, Albany: State University of New York Press, xiii–xxxii.

Hinchman, Lewis P. and Sandra K. Hinchman (eds) (1997b) *Memory, Identity, Community: The Idea of Narrative in the Human Sciences*, Albany: State University of New York Press.

Hovland, Carl and Walter Weiss (1951) 'The Influence of Source Credibility on Communication Effectiveness', *Public Opinion Quarterly* 15(4): 635–50.

Howe, Desson (2001) 'Shrek: A Funny, Fractured Fairy Tale', *The Washington Post*, 18 May. Available online at www.washingtonpost.com/wp-srv/entertainment/movies/reviews/shrekhowe.htm (accessed 18 April 2005).

Hugo, Victor (1833) *The Slave-King, from the Bug-Jargal of Victor Hugo*, trans. Leitch Ritchie [?], London: Smith, Elder & Co. Reprinted in 1837 and 1852 as *The Slave-King: An Historical Account of the Rebellion of the Negros in St. Domingo*.

Hugo, Victor (1844) *Bug-Jargal: or, A Tale of the Massacre in St. Domingo. 1791*, New York: James Mowatt & Co.

Hugo, Victor (2004) *Bug-Jargal*, trans. and ed. Chris Bongie, Peterborough ON: Broadview Press.

Huntington, Samuel (1993) 'The Clash of Civilizations', *Foreign Affairs* 72(3): 22–49.

Huntington, Samuel (1996) *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order*, New York: Touchstone.

Huntington, Samuel (2004) *Who Are We? The Challenges to America's National Identity*, New York: Simon & Schuster.

Hutcheon, Linda (1988) *A Poetics of Postmodernism: History, Theory, Fiction*, London and New York: Routledge.

Inghilleri, Moira (2003) 'Habitus, Field and Discourse: Interpreting as a Socially Situated Activity', *Target* 15(2): 243–68.

Inghilleri, Moira (2005) 'Mediating Zones of Uncertainty: Interpreter Agency, the Interpreting Habitus and Political Asylum Adjudication', *The Translator* 11(1): 69–85.

Ingram, Susan (1996) 'When Memory is Cross-Cultural Translation: Eva Hoffman's Schizophrenic Autobiography', *TTR: Traduction, Terminologie, Rédaction* 9(1): 259–76.

Jacquemet, Marco (2005) 'The Registration Interview: Restricting Refugees' Narrative Performance', in Mike Baynham and Anna De Fina (eds) *Dislocations/Relocations: Narratives of Displacement*, Manchester: St Jerome Publishing, 197–220.

Jacquemond, Richard (1992) 'Translation and Cultural Hegemony: The Case of French–Arabic Translation', in Lawrence Venuti (ed.) *Rethinking Translation*, London and New York: Routledge, 139–58.

Jones, Francis R. (2004) 'Ethics, Aesthetics and Décision: Literary Translating in the Wars of the Yugoslav Succession', *Meta* 49(4): 711–28.

Kahf, Mohja (2000) 'Packaging "Huda": Sha'rawi's Memoirs in the United States Reception Environment', in Amal Amireh and Lisa Suhair Majaj (eds) *Going Global: The Transnational Reception of Third World Women Writers*, New York and London: Garland Publishing, 148–72.

Keeble, Richard (2005) 'New Militarism, Massacrespeak and the Language of Silence', *Ethical Space: The International Journal of Communication Ethics* 2(1): 39–45.

Kellner, Hans (1989) *Language and Historical Representation: Getting the Story Crooked*, Madison: University of Wisconsin Press.

Kennedy, L. (2003) 'Remembering September 11: Photography as Cultural Diplomacy', *International Affairs* 79(2): 315–26.

Kinsella, Thomas (trans.) (1969) *The Táin*, London: Oxford University Press.

Kirkwood, William G. (1992) 'Narrative and the Rhetoric of Possibility', *Communication Monographs* 59: 30–47.

Klein, Naomi (2000) *No Logo*, London: Flamingo.

Kneale, Matthew (2000) *English Passengers*, London: Hamish Hamilton.

Knellwolf, Christa (2001) 'Women Translators, Gender and the Cultural Context of the Scientific Revolution', in Roger Ellis and Liz Oakley-Brown (eds) *Translation and Nation: Towards a Cultural Politics of Englishness*, Clevedon: Multilingual Matters, 85–119.

Kovala, Urpo (1996) 'Translations, Paratextual Mediation, and Ideological Closure', *Target* 8(1): 119–47.

Krog, Antje (1998) *Country of My Skull*, London: Vintage.

Krontiris, Tina (1992) *Oppositional Voices: Women as Writers and Translators of Literature in the English Renaissance*, London and New York: Routledge.

Kuhiwczak, Piotr (1990) 'Translation as Appropriation: The Case of Milan Kundera's *The Joke*', in Susan Bassnett and Andre Lefevere (eds) *Translation, History & Culture*, London and New York: Pinter Publishers, 118–30.

Kuhn, Thomas S. (1999) 'Remarks on Incommensurability and Translation', in Rema Rossini Favretti, Giorgio Sandri and Roberto Scazzieri (eds) *Incommensurability and Translation: Kuhnian Perspectives on Scientific Communication and Theory Change*, Northampton MA and Cheltenham: Edward Elgar, 33–7.

Labov, William (1972) *Language in the Inner City: Studies in the Black English Vernacular*, Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

Lambertus, Sandra (2003) 'News Discourse of Aboriginal Resistance in Canada', in Lynn Thiesmeyer (ed.) *Discourse and Silencing: Representation and the Language of Displacement*, Amsterdam and Philadelphia PA: John Benjamins, 233–72.

Landau, Misia (1997) 'Human Evolution as Narrative', in Lewis P. Hinchman and Sandra K. Hinchman (eds) *Memory, Identity, Community: The Idea of Narrative in the Human Sciences*, Albany: State University of New York Press, 104–18.

Laughlin, Meg (2005) 'Lawyers at Al-Arian Trial Argue Over Translations, Meanings', *St. Petersburg Times Online*, 15 July. Available online at www.sptimes.com/2005/07/15/Hillsborough/Lawyers_at_Al_Arian_t.shtml (accessed 18 July 2005).

Liebovitz, Liel (2005) 'The Winter of His Discontent', 4 March. Available online at www.thejewishweek.com/news/newscontent.php3?artid=10599 (accessed 4 August 2005).

Lienhardt, Godfrey (1967 [1956]) 'Modes of Thought', in E. E. Evans-Pritchard (ed.) *The Institutions of Primitive Society: A Series of Broadcast Talks*, Oxford: Basil Blackwell, 95–107.

Liu, Yameng (1999) 'Justifying My Position in Your Terms: Cross-cultural Argumentation in a Globalized World', *Argumentation* 13(3): 297–315.

Livingstone, Ken (Mayor of London) (2005) *Why the Mayor of London will maintain dialogues with all of London's faiths and communities: A reply to the dossier against the Mayor's meeting with Dr Yusuf al-Qaradawi*, London: Greater London Authority.

Longinovic, Tomislav (2004) 'Balkan in Translation', *Eurozine*. Online journal, available at www.eurozine.com/articles/2004-01-16-longinovic-en.html (accessed 4 January 2006).

López, Marísa Fernández (2000) 'Translation Studies in Contemporary Children's Literature: A Comparison of Intercultural Ideological Factors', *Children's Literature Association Quarterly* 25(1): 29–37.

Lukes, Steven (1974) *Power: A Radical View*, Basingstoke and London: Macmillan Education.

MacIntyre, Alasdair (1981) *After Virtue*, London: Duckworth.

MacIntyre, Alasdair (1988) *Whose Justice? Which Rationality?*, Notre Dame IN: University of Notre Dame Press.

Manini, Luca (1996) 'Meaningful Literary Names. Their Forms and Functions, and their Translation', in Dirk Delabastita (ed.) *Wordplay & Translation*, special issue of *The Translator* 2(2): 161–78.

Manuel Jerez, Jesús de, Juan López Cortés and María Brander de la Iglesia (2004) 'Traducción e interpretación: Voluntariado y compromiso social' [Translation and Interpreting: Volunteer Work and Social Commitment], *Puentes* 4: 65–72. Available online at http://piit.beplaced.com/ECOSarticle.htm (accessed 7 April 2005).

Maryns, Katrijn (2005) 'Displacement in Asylum Seekers' Narratives', in Mike Baynham and Ana De Fina (eds) *Dislocations/Relocations: Narratives of Displacement*, Manchester: St Jerome Publishing, 174–96.

Masel, Ben (2004) 'A New Opium War', *Critical Montages*, 11 December. Available online at http://montages.blogspot.com/2004/12/new-opium-war.html (accessed 7 April 2005).

Mason, Ian and Adriana Şerban (2003) 'Deixis as an Interactive Feature in Literary Translations from Romanian into English', *Target* 15(2): 269–94.

May, Rachel (1994) *The Translator in the Text: On Reading Russian Literature in English*, Evanston IL: Northwestern University Press.

Mayoral Asensio, Roberto (2003) *Translating Official Documents*, Manchester: St Jerome Publishing.

McAdams, Dan P. (2004) 'Redemption and American Politics', *The Chronicle of Higher Education* 51(15): B14.

McCormick, Kay (2005) 'Working with Webs: Narrative Constructions of Forced Removal and Relocation', in Mike Baynham and Anna De Fina (eds) *Dislocations/Relocations: Narratives of Displacement*, Manchester: St Jerome Publishing, 144–69.

McGee, Michael Calvin and John S. Nelson (1985) 'Narrative Reason in Public Argument', *Journal of Communication* 35(4): 139–55.

McGreal, Chris (2005) 'Jewish Gunman was no Terrorist, Israel Rules', *The Guardian*, 1 September. Available online at www.guardian.co.uk/international/story/0,,1560147,00.html (accessed 25 September 2005).

McKie, Robin (2001) 'Journal Axes Gene Research on Jews and Palestinians', *The Observer*, 25 November. Available online at http://observer.guardian.co.uk/international/story/0,6903,605798,00.html (accessed 4 August 2005).

McMurran, Mary Helen (2000) 'Taking Liberties: Translation and the Development of the Eighteenth-Century Novel', *The Translator* 6(1): 87–108.

Mertz, Elizabeth (1996) 'Consensus and Dissent in U.S. Legal Opinions: Narrative Structure and Social Voices', in Charles L. Briggs (ed.) *Disorderly Discourse: Narrative, Conflict, & Inequality*, New York and Oxford: Oxford University Press, 135–57.

Miles, Hugh (2005) *Al-Jazeera: How Arab TV News Challenged the World*, London: Abacus.

Mishler, Elliot G. (1995) 'Models of Narrative Analysis: A Typology', *Journal of Narrative and Life History* 5(2): 87–123.

Morris, Ruth (1995) 'The Moral Dilemmas of Court Interpreting', *The Translator* 1(1): 25–46.

Morrison, Robert (1815) 'Miscellaneous Edicts Extracted from the Pekin Gazette', in *Translations from the Original Chinese: with Notes*, Canton, China: Printed by order of the Select Committee.

Moss, Stephen (2003) 'The Paper War', *The Guardian*, 6 March, 12–13.

Muhawi, Ibrahim (1999a) 'The Arabic Folktale as Gendered Genre'. Paper delivered at the *Gender and Translation* Conference, December 17–19, University of East Anglia, UK.

Muhawi, Ibrahim (1999b) 'On Translating Palestinian Folktales: Comparative Stylistics and the Semiotics of Genre', in Yasir Suleiman (ed.) *Arabic Grammar and Linguistics*, Richmond: Curzon Press, 222–45.

Muhawi, Ibrahim (in press) 'Towards a Folkloristic Theory of Translation', in Theo Hermans (ed.) *Translating Others*, Manchester: St Jerome Publishing.

Munday, Jeremy (2002) 'Systems in Translation: A Systemic Model for Descriptive Translation Studies', in Theo Hermans (ed.) *Crosscultural Transgressions: Research Models in Translation Studies II – Historical and Ideological Issues*, Manchester: St Jerome Publishing, 76–92.

Munday, Jeremy (2004) 'Advertising: Some Challenges to Translation Theory', in Beverly Adab and Cristina Valdés (eds) *Key Debates in the Translation of Advertising Material*, Special issue of *The Translator* 10(2): 199–219. .

Naseem, Iftihar (2004) 'To Wear or not to Wear the Hijab?', translated from Urdu by Mohammed Jehangir, *Pakistan News*, 26 May. Available online at www.indypressny.org/article.php3?ArticleID=1467 (accessed 31 March 2005).

Naudé, Jacobus A. (2005) 'Translation and Cultural Transformation: The Case of the Afrikaans Bible Translations', in Eva Hung (ed.) *Translation and Cultural Change*, Amsterdam and Philadelphia PA: John Benjamins, 19–41.

Nelson, Daniel (2002) 'Language, Identity and War', *Journal of Language and Politics* 1(1): 3–22.

Nida, Eugene (1998) 'Bible Translation', in Mona Baker (ed.) *Routledge Encyclopedia of Translation Studies*, London and New York: Routledge, 22–8.

Niranjana, Tesjawini (1990) 'Translation, Colonialism and Rise of English', *Economic and Political Weekly*, 14 April, 773–79.

Niranjana, Tesjawini (1992) *Siting Translation: History, Poststructuralism, and the Colonial Context*, Berkeley: University of California Press.

Noakes, John (2000) 'Official Frames in Social Movement Theory: The FBI, HUAC, and the Communist Threat in Hollywood', *The Sociological Quarterly* 41(4): 657–80.

Nord, Christiane (1995) 'Text-Functions in Translation: Titles and Headings as a Case in Point', *Target* 7(2): 261–84.

Nossek, Hillel (1994) 'The Narrative Role of the Holocaust and the State of Israel in the Coverage of Salient Terrorist Events in the Israeli Press', *Journal of Narrative and Life History* 4(1–2): 119–34.

Novitz, David (1997) 'Art, Narrative, and Human Nature', in Lewis P. Hinchman and Sandra K. Hinchman (eds) *Memory, Identity, Community: The Idea of Narrative in the Human Sciences*, Albany: State University of New York Press, 143–60.

Ortiz, Emmanuel (2002) 'A Moment of Silence'. Available online at www.seeingblack.com/2003/x020403/poetry_feb.shtml#ortiz (accessed 25 July 2005).

Palmer, Jerry and Victoria Fontan (2006, in press) '"Our Ears and Our Eyes": Journalists and Fixers in Iraq', *Journalism*.

Patai, Raphael (1973) *The Arab Mind*, New York: Charles Scribner's Sons.

Patai, Raphael (1988) *Arab Folktales from Palestine and Israel*, Detroit, MI: Wayne State University Press.

Pérez González, Luis (in press) 'Interpreting Strategic Recontextualization Cues in the Courtroom: Corpus-based Insights into the Pragmatic Force of Non-Restrictive Relative Clauses', *Journal of Pragmatics*.

Pettersson, Bo (2001) 'The Finnish National Anthem in Translation: Deixis and National Sentiment', in Pirjo Kukkonen and Ritva Hartama-Heinonen (eds) *Mission, Vision, Strategies, and Values: A Celebration of Translator Training and Translation Studies in Kouvola*, Helsinki: Helsinki University Press, 187–94.

Philips, Susan U. (2001) 'Power', in Alessandro Duranti (ed.) *Key Terms in Language and Culture*, Oxford: Blackwell, 190–6.

Picchione, John (1999) 'Poetry, Science, and the Epistemological Debate', *TTR: Traduction, Terminologie, Rédaction* 12(1): 19–30.

Pilger, John (2005a) 'The G8 Summit: A Fraud and a Circus', *The New Statesman*, 22 June. Available online at http://pilger.carlton.com/print/133469 (accessed 27 July 2005).

Pilger, John (2005b) 'From Iraq to the G8: The Polite Crushing of Dissent and Truth', *The New Statesman*, 6 July. Available online at http://pilger.carlton.com/print/133471 (accessed 28 July 2005).

Polezzi, Loredana (1998) 'Rewriting Tibet: Italian Travellers in English Translation', *The Translator* 4(2): 321–42; special issue on *Translation and Minority*, guest-edited by Lawrence Venuti.

Polezzi, Loredana (2001) *Translating Travel: Contemporary Italian Travel Writing in English Translation*, Aldershot: Ashgate.

Polkinghorne, Donald E. (1995) 'Narrative Configuration in Qualitative Analysis', in J. Amos Hatch and Richard Wisniewski (eds) *Life History and Narrative*, London and Washington DC: The Falmer Press, 5–23.

Polletta, Francesca (1998) '"It Was like a Fever ..." Narrative and Identity in Social Protest', *Social Problems* 45(2): 137–59.

Pratt, Jeff (2003) *Class, Nation and Identity: The Anthropology of Political Movements*, London: Pluto Press.

Pratt, Mary Louise (1987) 'Linguistic Utopias', in A. Aldridge, A. Durant and C. McCabe (eds) *The Linguistics of Writing: Arguments between Language and Literature*, Manchester: Manchester University Press.

Pratt, Mary Louise (1994) 'Travel Narrative and Imperialist Vision', in James Phelan and Peter J. Rabinowitz (eds) *Understanding Narrative*, Columbus: Ohio State University Press, 199–221.

Rafael, Vicente L. (1984) *Contracting Christianity: Conversion and Translation in Early Tagalog Colonial Society*. PhD Dissertation, Cornell University, Ithaca NY.

Rafael, Vicente L. (1993 [1988]) *Contracting Colonialism: Translation and Christian Conversion in Tagalog Society Under Early Spanish Rule*, Durham NC and London: Duke University Press.

Reeves-Ellington, Barbara (1999) 'Responsibility with Loyalty: Oral History Texts in Translation', *Target* 11(1): 103–29.

Reynolds, Mike (2004) 'How Does Monsanto Do It? An Ethnographic Case Study of an Advertising Campaign', *Text* 24(3): 329–52.

Ricoeur, Paul (1981a [1979]) 'La Fonction narrative', *Etudes théologiques et religieuses* 54: 209–30; English translation by John B. Thompson, in *Paul Ricoeur: Hermeneutics and the Human Sciences. Essays on Language, Action and Interpretation*, Cambridge: Cambridge University Press, 1981, 274–305.

Ricoeur, Paul (1981b [1980]) 'Narrative Time', in W. J. T. Mitchell (ed.) *On Narrative*, Chicago and London: The University of Chicago Press, 165–86.

Rimmon-Kenan, S. (1983) *Narrative Fiction: Contemporary Poetics*, London: Methuen.

Robinson, Douglas (1995) 'Theorizing Translation in a Woman's Voice: Subverting the Rhetoric of Patronage, Courtly Love and Morality', *The Translator* 1(2): 153–75.

Saar, Erik and Viveka Novak (2005) *Inside the Wire: A Military Intelligence Soldier's Eyewitness Account of Life at Guantanamo*, New York: The Penguin Press.

Said, Edward (1994 [1990]) 'Embargoed Literature', *The Nation*, 17 September 1990; reprinted in Edward Said (1994) *The Politics of Dispossession: The Struggle for Palestinian Self-Determination, 1969–1994*, New York: Pantheon Books, 372–8.

Said, Edward (2001) 'The Clash of Ignorance', *The Nation*, 22 October 2001 issue. Available online at www.thenation.com/doc/20011022/said (accessed 4 January 2006).

Said, Edward (2005) 'The Public Role of Writers and Intellectuals', in Sandra Bermann and Michael Wood (eds) *Nation, Language, and the Ethics of Translation*, Princeton NJ and Oxford: Princeton University Press, 15–29.

Schäffner, Christina (2004) 'Political Discourse Analysis from the Point of View of Translation Studies', *Journal of Language and Politics* 3(1): 117–50.

Seely, Hart (2003a) 'The Poetry of Donald Rumsfeld: Recent Works by the Secretary of Defense', *Slate*. Available online at http://slate.msn.com/id/2081042 (accessed 25 April 2005).

Seely, Hart (2003b) *Pieces of Intelligence: The Existential Poetry of Donald H. Rumsfeld*, New York: Free Press.

Séguinot, Candace (1988) 'Translating the Ideology of Science: The Example of the Work of Alfred Tomatis', *TTR: Traduction, Terminologie, Rédaction* 1(1): 103–12.

Sha'rawi, Huda (1986 [1981]) *Harem Years: Memoirs of an Egyptian Feminist*, trans. Margot Badran, New York: The Feminist Press.

Shibamoto Smith, Janet S. (2005) 'Translating True Love: Japanese Romance Fiction, Harlequin-Style', in José Santaemilia (ed.) *Gender, Sex and Translation: The Manipulation of Identities*, Manchester: St Jerome Publishing, 97–116.

Shohat, Ella (2000) 'Coming to America: Reflections on Hair and Memory Loss', in Amal Amireh and Lisa Suhair Majaj (eds) *Going Global: The Transnational Reception of Third World Women Writers*, New York and London: Garland Publishing, 284–300.

Silver, Mark (2004) 'The Detective Novel's Novelty: Native and Foreign Narrative Forms in Kuroiwa Ruikō's *Kettō no hate*', *Japan Forum* 16(2): 191–205.

Silverstein, Michael (2003) *Talking Politics: The Substance of Style From Abe to "W"*, Chicago: Prickly Paradigm Press.

Smallman, Tom, Pat Yale and Steve Fallon (1998 [1994]) *Ireland*, Hawthorn, Australia: Lonely Planet Publications.

Smith, Dan (1997) 'Language and Discourse in Conflict and Conflict Resolution', *Current Issues in Language & Society* 4(3): 190–214.

Somers, Margaret (1992) 'Narrativity, Narrative Identity, and Social Action: Rethinking English Working-Class Formation', *Social Science History* 16(4): 591–630.

Somers, Margaret (1994) 'The Narrative Construction of Identity: A Relational and Network Approach', *Theory and Society* 23(5): 605–49.

Somers, Margaret (1997) 'Deconstructing and Reconstructing Class Formation Theory: Narrativity, Relational Analysis, and Social Theory', in John R. Hall (ed.) *Reworking Class*, Ithaca NY and London: Cornell University Press, 73–105.

Somers, Margaret R. and Gloria D. Gibson (1994) 'Reclaiming the Epistemological "Other": Narrative and the Social Constitution of Identity', in Craig Calhoun (ed.) *Social Theory and the Politics of Identity*, Oxford and Cambridge MA: Blackwell, 37–99.

Sotiropoulou, Marina (1996) *Διαδρομες του πολιτκού βιβλίον στην Ελλάδα 1967-1974* [The course of political books in Greece 1967–1974], Athens: Ethniko Kentro Vivliou.

Soueif, Ahdaf (2004) 'This Torture Started at the Very Top: A Profound Racism Infects the US and British Establishments', *The Guardian*, 5 May. Available online at www.veteransforpeace.org/This_torture_started_050404.htm (accessed 15 April 2005).

Spence, D. P. (1982) *Narrative Truth and Historical Truth. Meaning and Interpretation in Psychoanalysis*, New York: Norton.

St André, James (2004) '"But do they have a notion of Justice": Staunton's 1810 Translation of the Great Qing Code', *The Translator* 10(1): 1–31.

St André, James (forthcoming) '"Long Time No See, Coolie": Passing as Chinese through Translation', in *Discourses on Translation and the Future of History*, Ottawa: Univesity of Ottawa Press

Stecconi, Ubaldo and Maria Luisa Torres Reyes (1997) 'Transgression and Circumvention through Translation in the Philippines', in Mary Snell-Hornby, Zuzana Jettmarová and Klaus Kaindl (eds) *Translation as Intercultural Communication*, Amsterdam: John Benjamins, 67–78.

Sturge, Kate (2002) 'Censorship of Translated Fiction in Nazi Germany', *TTR: Traduction, Terminologie, Rédaction* 15(2): 153–69.

Sutton, Philip C. (1997) 'A Translator's Dilemma', in Karl Simms (ed.) *Translating Sensitive Texts: Linguistic Aspects*, Amsterdam: Rodopi, 67–75.

Tannen, Deborah and Cynthia Wallat (1993) 'Interactive Frames and Knowledge Schemas in Interaction: Examples from a Medical Examination/Interview', in Deborah Tannen (ed.) *Framing in Discourse*, New York: Oxford University Press, 57–76.

Taylor, Charles (1989) *Sources of the Self*, Cambridge MA: Harvard University Press.

Tekiner, Roselle (1990) 'Special Report: Israel's Two-Tiered Citizenship Law Bars Non-Jews from 93 Percent of Its Lands', *The Washington Report on Middle East Affairs*, January, p. 20.

Thicke, Lori (2003) 'The Humanitarian Face of Translation', *Multilingual Computing & Technology* 13(4).

Thompson, Paul (1988) *The Voice of the Past: Oral History*, Oxford: Oxford University Press.

Tymoczko, Maria (1999) *Translation in a Postcolonial Context: Early Irish Literature in English Translation*, Manchester: St Jerome Publishing.

Tymoczko, Maria (2000) 'Translation and Political Engagement: Activism, Social Change and the Role of Translation in Geopolitical Shifts', *The Translator* 6(1): 23–47.

Tymoczko, Maria (2003) 'Ideology and the Position of the Translator: In What Sense is a Translator "In Between"?', in María Calzada Perez (ed.) *Apropos of Ideology – Translation Studies on Ideology – Ideologies in Translation Studies*, Manchester: St Jerome Publishing, 181–201.

Wallbank, T. Walter, Alastair M. Taylor and Nels M. Bailkey (1976 [1960]) *Civilization Past & Present, Volume 1*, Dallas: Scott, Foresman & Co.

Warnick, Barbara (1987) 'The Narrative Paradigm: Another Story', *The Quarterly Journal of Speech* 73: 172–82.

Watts, Richard (2000) 'Translating Culture: Reading the Paratexts of Aimé Césaire's *Cahier d'un retour au pays natal*', *TTR: Traduction, Terminologie, Rédaction* 13(2): 29–46.

Whitaker, Brian (2004) 'Selective MEMRI', *The Guardian*, 12 August. Available online at www.guardian.co.uk/elsewhere/journalist/story/0,7792,773258,00.html (accessed 27 December 2005).

Whitaker, Brian (2004) 'Its Best Use Is as a Doorstop', *The Guardian*, 24 May.

White, Hayden (1987a [1980]) 'The Value of Narrativity in the Representation of Reality', *Critical Inquiry* 7(1); reproduced in Hayden White (1987) *The Content of the Form: Narrative Discourse and Historical Representation*, Baltimore MD and London: The Johns Hopkins University Press, 1–25.

White, Hayden (1987b) *The Content of the Form: Narrative Discourse and Historical Representation*, Baltimore MD and London: The Johns Hopkins University Press.

Whitebrook, Maureen (2001) *Identity, Narrative and Politics*, London and New York: Routledge.

Wickeri, Janice (1995) 'The Union Version of the Bible & the New Literature in China', *The Translator* 1(2): 129–52.

Williams, Patricia (1991) *The Alchemy of Race and Rights*, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Wolf, Michaela (2000) 'The *Third Space* in Postcolonial Representation', in Sherry Simon and Paul St-Pierre (eds) *Changing the Terms: Translating in the Postcolonial Era*, Ottawa: University of Ottawa Press, 127–45.

Venuti, Lawrence (1998) *The Scandals of Translation: Towards an Ethics of Difference*, London and New York: Routledge.

Vermes, Albert Péter (2003) 'Proper Names in Translation: An Explanatory Attempt', *Across Languages and Cultures* 4(1): 89–109.

Young, Robert (2003) *Postcolonialism: A Very Short Introduction*, Oxford: Oxford University Press.

Zapatistas! Documents of the New Mexican Revolution (1994). Editorial Collective, New York: Autonomedia. Available online at http://lanic.utexas.edu/project/Zapatistas (accessed 18 July 2005).

Zhang, Longxi (2004) 'History and Fictionality: Insights and Limitations of a Literary Perspective', *Rethinking History* 8(3): 387–402.

Zureik, Elia (2001) 'Constructing Palestine through Surveillance Practices', *British Journal of Middle Eastern Studies* 28(2): 205–27.

المؤلفة في سطور:

منى بيكر

أستاذة مصرية متخصصة فى دراسات الترجمة ومديرة مركز الترجمة والدراسات الدولية فى جامعة مانشستر بإنجلترا. تخرجت فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة، حيث حصلت على بكالوريوس فى اللغة الإنجليزية والأدب المقارن، ثم درست بعد ذلك اللغويات التطبيقية في جامعة برمنغهام، حيث حصلت على درجة الماجستير. وفي عام **1995** انتقلت لجامعة مانشستر، حيث أصبحت بروفسورة عام **1997**

المترجم فى سطور:

طارق النعمان

أستاذ جامعى: متخصص فى النقد الأدبى والبلاغة وتحليل الخطاب. له العديد من الدراسات المنشورة، والترجمات.

الدراسات المنشورة:

- ٢٠١٦ ''الاستعارة التصورية''، مجلة فصول، ع٩٦،
- المسئولية فى الثقافة العربية – الإسلامية، بروكسل : بيتر لانج ، ٢٠١٠ "بالإنجليزية"
- Responsibility in Arab-Islamic Culture in ؛ Edith Sizo (ed) Responsibility and Culture of the World: Dialogue Around a Collective Challenge ،pp 135-154 Bruxelles :P.I.E. Peter Lang ،2010.
- "المرأة وعنف المحكى"، مجلة العلوم الإنسانية (محكّمة) كلية الآداب – جامعة البحرين، ع (١٤) صيف ٢٠٠٧، وأعيد نشره بمجلة فصول، ع ٨٣/٨٤، خريف/شتاء ٢٠١٢-٢٠١٣.
- "مفاهيم المجاز بين البلاغة والتفكيك" دار ميريت، القاهرة.
- "اللفظ والمعنى بين الأيديولوجيا والتأسيس المعرفي للعلم "دار سينا، القاهرة، ١٩٩٤. طبعة ثانية، الأنجلو، القاهرة، ٢٠٠٣. طبعة ثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣.
- "محاضرات في البلاغة العربية" بالاشتراك مع أ.د. سليمان العطار، الأنجلو، القاهرة، ٢٠٠٣.

الترجمات المنشورة:

- ٢٠١٥ لا تفكر فى فيل، جورج ليكوف، ترجمة طـارق النعمـان، المركـز القومى للترجمة، القاهرة.
- ٢٠١٤ الفلسفة فى الجسد، جورج ليكوف ومارك جونسون، ترجمـة طـارق النعمان، المركز القومى للترجمة، القاهرة.
- موروثات نظرية الاستعارة فى التراث العربى، فلفهارت هاينريكس، ترجمـة طارق النعمان، ع ٢٨/٢٧ ، صيف /خريف ٢٠١٣.
- البنية الاستعارية للمفاهيم الأخلاقية، جورج ليكوف، مارك جونسون، ترجمـة طارق النعمان، مجلة إبداع، ع ٢٣، صيف ٢٠١٢.
- سطوة الاستعارة: دراسات متعددة المجالات المعرفية لإبداع المعنى فى اللغة، بول ريكور، ترجمة طارق النعمان، مجلة البحرين الثقافية، ع ٢٠١١،٦٥.
- مبادئ التأويل الاستعارى، جون سيرل، ترجمة طاق النعمان، مجلـة داريـن، نادى المنطقة الشرقية الأدبى، ع ٢٣، ٢٠١١.
- "الاستعارة"، جون سيرل، ترجمة طارق النعمان، فصول، ع٧٧، شتاء، ربيع ٢٠١٠.
- "النظرية المعاصرة للاستعارة"، جورج ليكوف، ترجمة طارق النعمان، كتـاب مجلة إبداع، ع ١٣-١٤ ، شتاء / ربيع ٢٠١٠.
- "الحقيقة والزيف بمعنى مجاوز لما هو أخلاقى"، فريدريك نيتشه، ترجمة طارق النعمان، إبداع، ع٨٧، صيف /خريف ٢٠٠٨.
- "اللغة والمفاهيم والعوالم: ثلاثة مجالات للاستعارة"، صمويل ليفـين، ترجمـة طارق النعمان ، إبداع، ع١٢، خريف ٢٠٠٩.

- "العملية الاستعارية بوصفها معرفة وخيالاً وشعوراً"، بول ريكـــور، ترجمـــة طارق النعمان ، مجلة أوان ع ٩، ٢٠٠٥.
- "الاستعارة والمشكل المركزي للهيرمنيوطيقا"، بول ريكور، ترجمـــة طـــارق النعمان، مجلة الكرمل ع٦٠، عام ١٩٩٩.
- حاصل على جائزة أفضل كتاب فى معرض أبو ظبى بالإمارات العربية عام ١٩٩٤..

الإشراف الفنى : حسن كامل

في هذا الكتاب الكاشف للعديد من آليات الهيمنة الاستعمارية وما بعد الاستعمارية في مجال الترجمة، تحاول منى بيكر أن تُوسِّع نطاق النظرية ما بعد الكولونيالية في دراسات الترجمة لتستوعب وتوظِّف كلاً من منجزات الدراسات السردية، خصوصًا في سياقاتها المعرفية والسوسيولوجية والأنثروبولوجية، على نحو ما يمكن أن نجد لدى كل من ماكنتاير، وفيشر، وبرونر، وسواهم، والمنجز الخاص بما أصبح يُعرف بدراسات التأطير المنطلقة من أعمال إرفنج جوفمان والتي يتم توظيفها بشكل لافت في كل من دراسات الخطاب السياسي والحملات الانتخابية، وخصوصًا في دراسات الميديا والإعلام. وهي، في هذا السياق، تكشف لنا عن الأدوار المختلفة التي تلعبها السرديات القارة في النصوص المترجمة أو تلك المنتمي إليها المترجم، وموقعه من السرديات التي تتم ترجمتها والكيفيات التي تؤطر بها أحداث معينة، خصوصًا في ظل قدرة اللغة على الإحالة على أكثر من إطار في آن واحد، أو على أطر كثيرًا ما تكون متصارعة، حيث يحيل كل إطار على سردية مغايرة وربما نقيضة أو مناقضة للسردية أو السرديات الأخرى، بقدر ما تلعب السرديات ذاتها من أدوار في عمليات التأطير والكيفيات التي تؤطر بها الوقائع. ومن ثم؛ فإنها تدفعنا إلى التفكير في الدور الذي تلعبه انتماءاتنا، ومواقعنا الأيديولوجية، ونحن نترجم، كما تدفعنا إلى التساؤل عما إذا كنا نترجم انطلاقًا من السرديات التي ننتمي إليها أم من خلال السرديات المُضمَّنة في النصوص، أم انطلاقًا من سرديات القراء المحتملين، أم من سرديات من نتوسط بينهم بالترجمة، خصوصًا في حالات الترجمة الفورية، وما قد يعنيه الانحياز لصالح سردية على حساب سردية أو سرديات أخرى.

تصميم الغلاف: أحمد بلال